

## المقدس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط

### بين المعتقدات والطقوس

(ق7 - 9هـ / ق13 - 15م)

أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ تخصص التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة: سهيلة دهمش

تاريخ المناقشة:

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	حروز عبد الغني	أستاذ	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	رئيسا
02	مفتاح خلفات	أستاذ	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	مشرفا ومقررا
03	بركات اسماعيل	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	ممتحنا
04	بن زاوي طارق	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	ممتحنا
05	فتيحة شلوق	أستاذ	جامعة بسكرة	ممتحنا
06	بشير بوقاعدة	أستاذ محاضر أ	جامعة سطيف 2	ممتحنا

السنة الجامعية 1444-1445 هـ / 2022-2023م

## الإهداء

أهدي عصارة تعبى وسهرى وجهدى إلى روح كل باحث

أدركه الموت قبل أن ينهى أطروحته، وأدعو أن يبعثه الله مع

الصديقين ويسكنه جنة عليين.

## شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر وخالص الثناء إلى البرفسور وأستاذي الموقر مفتاح خلفات لعدم توانيه في تقديم النصائح والتوجيهات بكل رحابة صدر، الأمر الذي ساعدني على تجاوز العقبات التي كابدها خلال إنجاز هذه الأطروحة، بارك الله فيه وجزاه عني خير الجزاء.

قائمة المختصرات

الاختصار	ما يقابله
ت	توفي
تح	تحقيق
تخ	تخريج
تر	ترجمة
تق	تقديم
نص	تصحيح
تع	تعريب
تن	تنسيق
ج	جزء
د.ب	دون بلد نشر
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
ط	طبعة
ص	صفحة
ع	عدد
ق	قرن
مج	مجلد
مر	مراجعة
م	ميلادي
هـ	هجري
Op.cit.p	مرجع أو مصدر سابق
Ibid.p	نفسه
P	Page

# المقدمة

## المقدمة

أ / أهمية الموضوع وإشكاليته.

ب / الإشكالية.

ج / مبررات اختيار الموضوع.

د / المنهج.

هـ / الصعوبات

و / عرض الموضوع.

ز / الدراسة النقدية للمصادر والمراجع.

يندرج موضوع "المقدس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط بين المعتقدات والطقوس (ق7-9هـ /ق13-15م)"، ضمن حقل الدراسات الاجتماعية وتاريخ الأفكار والذهنيات وتاريخ الفئات المهمشة، والتي ساد الاهتمام بها في الدراسات الحديثة من قبل المؤرخين المعاصرين، أين أضحت الدراسات والبحوث التاريخية أكثر شمولية، وهو ما ساعد على زوال النظرة التقليدية التي كانت مسيطرة على الكتابة التاريخية، والتي ركزت في مجملها على التاريخ السياسي والعسكري وتسجيل أحداث الجيوش غازية أو مغزية، بالإضافة إلى تاريخ السلاطين<sup>1</sup>، والإشادة بسيرهم وإنجازاتهم، أو الأولياء والمتصوفة ورصد مناقبهم، في ظل تغييب وتهميش لطبقات المجتمع الأخرى.

معتقدات سكان المغرب الأوسط والذهنية الدينية لديهم كانت تتحكم في تصرفاتهم، وتضبط سلوكهم وتوجه حياتهم، وهو ما ساعد على بروز مواضيع جديدة للبحث، هذه المواضيع أصبحت تفرض نفسها على المؤرخين للخروج بقراءة جديدة للتاريخ، وتعميق الحفر التاريخي داخل المنظومة الاجتماعية للوقوف على الثابت والمتغير في ذهنية وسلوك الساكنة، وهو ما جعل اهتمامي ينصب حول موضوع: "المقدس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط بين المعتقدات والطقوس ما بين القرنين (ق7-9هـ /ق13-15م)".

### ب / الإشكالية:

باعتباره موضوعا له تأثير عميق على الناحية الذهنية لمجتمع المغرب الأوسط، سيتم التركيز في هذه الدراسة على "ماهية المقدس" من مختلف وجهات نظر المفكرين والباحثين، ومعرفة علاقته بالكشف عن معتقدات وممارسات المجتمع، ومدى انعكاساتها على مختلف نواحي الحياة خاصة الاجتماعية، وإبراز السلوكيات والذهنيات التي أفرزتها ظاهرة التقديس داخل مجتمع المغرب الأوسط.

موضوع "المقدس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط بين المعتقدات والطقوس (ق7-9هـ /ق12-15م)"، يُعدُّ من المواضيع التي لها تأثير مباشر على الحياة الاجتماعية والذهنية، وهنا أطرح إشكالا حول ما هو موقع المقدس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط بين المعتقد والطقس؟

وانطلاقا من هذه الإشارات سأحاول تتبع الإشكالات الفرعية التالية:

- ما المقصود بمصطلح المقدس؟ وما مضامينه الرمزية؟

1 - أشارت الباحثة "بوبة، مجاني" إلى أن اهتمام المؤرخين بتاريخ العصر الوسيط كان منصبا على التاريخ السياسي والعسكري، وأطلقت عليه اسم "تاريخ أصحاب العروش والتيجان"، في دراستها الموسومة ب "التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور" ضمن أعمال الملتقى الدولي في التاريخ 23-24 أبريل 2001م، عين مليلة- الجزائر: دار الهدى، منشورات مخبر الدراسات التاريخية جامعة منتوري قسنطينة، ص147.

- بما تتميز الطقوس والعادات المقدسة عن باقي الممارسات الاجتماعية؟
- ما هي أنواع المعتقدات المقدسة التي سادت بالمغرب الأوسط؟ وما حجم تأثيرها على سلوك وذهنية الأفراد؟
- ما موقع المقدس في الممارسات الطقوسية لدى ساكنة المغرب الأوسط؟
- هل تأثرت الممارسات الطقوسية باختلاف المستويات الثقافية والاجتماعية لساكنة المغرب الأوسط؟
- أليست المعتقدات والممارسات الطقوسية لصيقة بكل الأفعال الاجتماعية؟
- كيف تم تقديس بدع العادات، وبدع العبادات؟
- ما موقف الفقهاء المالكية من بعض المعتقدات والطقوس المقدسة اجتماعيا والخارجة عن إطار الدين؟
- ما هدف رواد المدرسة الاستشراقية<sup>1</sup> من نسب مقدسات سكان المغرب الأوسط إلى الأصل الوثني؟

### ج/ مبررات اختيار الموضوع:

إن موضوع "المُقَدَّس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط بين المعتقدات والطقوس (ق7-9هـ / ق13-15م)" من المواضيع المستجدة في حقل الدراسات التاريخية، ويأتي اختياري لهذا الموضوع لقلّة الأبحاث التي تسلط الضوء على المعتقدات الشعبية السائدة بالمغرب الأوسط في الفترة الوسيطة بصفة عامة، وعلى الممارسات الطقوسية كسلوك اجتماعي يترجم للأفكار والمعتقدات بشكل خاص، وتأثيره على سلوك وذهنية ساكنة المغرب الأوسط، إذ ركزت معظمها على الأوضاع السياسية والعسكرية، أما في الأستوغرافيا<sup>2</sup> التقليدية<sup>3</sup> للعصر الوسيط فتعتبر ظاهرة المقدس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط من الموضوعات الصعبة والغير جاهزة، والتي تتطلب قراءات في مستويات النص الأستوغرافي للمغرب الأوسط<sup>4</sup>.

وبناءً عليه جاء اختياري لهذا الموضوع إلى الاعتبارات الآتية:

<sup>1</sup> يعتبر الفرد بل من أهم رواد المدرسة الفرنسية له مجموعة من الكتب أهمها، Paris, librairie oriental, poul Genthner:

Alfred Bel: La Religion Muslmen en Berberie 1938.

<sup>2</sup> تحمل كلمة الأستوغرافيا معنيين: فهي تعني بالمعنى الضيق، مجموع النتائج التي توصل إليها الدارسون للكتابات التقليدية، مثل الحوليات والمذكرات والأخبار الجزئية والطبقات والسير، وفي المعنى الواسع تعني دراسة طرق البحث والاستقصاء، ويشير هذا المعنى إلى الشكل أو المنهج، أي إلى المظهر الخارجي. عبد الله، العروي: مفهوم التاريخ، ط4، الدار البيضاء - المغرب: المركز الثقافي العربي، 2005م، ص97.

<sup>3</sup> الأستوغرافيا التقليدية في نظر الباحث صالح بن قربة هي: المؤلفات الحولية وكتب المناقب والعقود والنوازل وكتب الجغرافيا والتراجم وغيرها. تاريخ الجزائر من خلال المصادر، الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، [ 2007 م ]، ص117.

<sup>4</sup> بعض المصادر لم تهتم بتاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، إلا بما تعلق بحاضرة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية، وإن كان الاهتمام من زاوية معينة علمية أو أدبية، فكتب التراجم مثلاً اهتمت بالعلماء والفقهاء ورجال الدين من الأولياء ورجال السياسة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر من بين هذه المصادر: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، ابن مريم (حي 1014هـ/1605م) : البستان في ذكر الأولياء والعلماء من تلمسان، مر وتح: أحمد بن أبي شنب، الجزائر: المطبعة الثعلبية، 1908م؛ ومؤلف مجهول: زهر البستان في دولة بني زيان (760 - 764هـ / 1359 - 1363م)، تح: محمد، بن أحمد باغلي، ط2، الجزائر: الأصالة للنشر والتوزيع، 2012م.

**أولاً:** تم اختيار الفترة الزمنية الممتدة من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر للميلاد، لأنها أصعب فترات المغرب الأوسط لأن المجتمع عاش حياة قلقه بسبب الصراعات والحروب مع الحفصيين والمرينيين، بالإضافة للبحوث والجوائح والطواعين والكوارث الطبيعية وغيرها، والتي أثرت بشكل كبير على المستوى الفكري والذهني لمجتمع المغرب الأوسط، خاصة على مستوى انتقائه لممارسات وطقوس مقدسة دون غيرها.

**ثانياً:** محاولة الخروج من القراءة السطحية لتاريخ المغرب الأوسط، طامحة أن يكون بحثي هذا شاملاً لظاهرة المقدس لدى ساكنة المغرب الأوسط، مجيباً على جوانب مهمة من الإشكالية المطروحة، لأن جل الدراسات ركزت على طابعها السياسي والعسكري، بالإضافة إلى التركيز على مناقب السلاطين والمتصوفة، وأردت الولوج إلى أعماق هذا المجتمع، من خلال إعادة قراءة للنص المناقب والنوازل كمادة مصدريّة مهمة للتاريخ الديني والاجتماعي، وذلك عن طريق تتبع الأسئلة الوافدة من خلال كتب النوازل، حول الدوافع الحقيقية لممارسة بعض الطقوس والمعتقدات، والتي ارتقت إلى أن صارت مقدسات لا يمكن المساس بها أو الطعن فيها.

**ثالثاً:** موضوع المقدس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط، يبرز لنا حلقة من حلقات التاريخ المغمور لبعض فئات وشرائح المجتمع محل الدراسة، لاسيما الفئات المهمشة والمنسية عبر التاريخ، باعتبارها الطبقة المفقودة في التراتبية الاجتماعية، والتي ورد ذكرها في المصادر ب: الهمج، الرعاع، الغوغاء، وغيرها من الأوصاف الدونية، وهو ما يعد إقصاءً لهذه الفئات من المدونة التاريخية، كما يعد تعسفاً يجزئ الحقيقة التاريخية.

في المقابل فإن النصوص التي أشارت إلى هذه الفئة وعلى قلتها، اكتنزت بمادة هامة حول المقدس والممارسات الطقوسية التي سادت المغرب الأوسط، إذ سجلت بين طبقاتها علاقة المعتقدات الشعبية المقدسة بالطقوس في المغرب الأوسط، وأحاطت بمختلف جوانبها الدينية والاجتماعية ووضعتها في إطارها التاريخي.

**رابعاً:** تسليط الضوء على جانب مهم من التاريخ الاجتماعي في بعده الديني، لإبراز دور السلوكيات والممارسات التي تترجم المستويات الذهنية للتفكير الشعبي والعقائدي لدى ساكنة المغرب الأوسط.

**خامساً:** أطمح إلى فهم ظاهرة قداسة المعتقدات والطقوس، كونها حركة سلوكية واجتماعية وثقافية ونفسية، وتفسير ظروف نشأتها وانتشارها.

سادسا: مثل هذا البحث التاريخي يتطلب أدوات وآليات خاصة لمعالجته، تركز معظمها في علوم اللسانيات، والطوبونيميا<sup>1</sup>، والأنثروبولوجيا<sup>2</sup>، والسوسيوولوجيا<sup>3</sup>، وعلم النفس وعلم الاجتماع، أي تكامل بين مختلف العلوم وبخاصة الاجتماعية منها قصد الوصول إلى رؤية شاملة حول الموضوع .

سابعا: جل الدراسات التاريخية التي لامست موضوع البحث، قام بها باحثون وعسكريون وعلماء الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا ومؤرخون فرنسيون خدمة لأغراض إيديولوجية، كانوا يهدفون من ورائها إلى طمس الحقيقة التاريخية خدمة لمصالحهم، وأنا بهذا العمل أسعى إلى التحقق منها وتفنيدها، خصوصا في ما يتعلق بالبعد الوثني للمقدسات الإسلامية، وربطها بالأصل الوثني لسكان شمال إفريقيا.

ثامنا: تسليط الضوء على جانب مهم من التاريخ الاجتماعي في بعده الديني، بهدف المساهمة في إثبات هوية ساكنة المغرب الأوسط بكل أبعادها الدينية واللغوية، في محاولة لدحض الأطروحة الاستشراقية حول المغرب الأوسط وماضيه الوثني.

---

1- الطوبونيميا: هي أداة منهجية وآلية علمية، قد تكون لسانية تثير بعض الجوانب المعتمدة من مضامين ودلالة النصوص المصدرية التي هي أساس البحث التاريخي، وقد تكون تاريخية تفيد البحث اللساني في تحديد مضامين أسماء الأماكن. محمد، البركة: الطوبونيميا والبحث التاريخي، دورية كان التاريخية، ع24، يونيو 2014، صص121-125، ص121.

2- الأنثروبولوجيا: تعني الكلمة حرفيا علم الإنسان، أي العلم الذي ينظر للإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا، وسلوك الإنسان وثقافته المختلفة والمجتمعات الماضية والحاضرة، وهي علم الإنسان الاجتماعي، وعلم الإنسان الثقافي، ويدرسان قيم ومعايير المجتمعات، وهي علم يهتم بتاريخ الأديان والأساطير والحكايات، وتطور المخيلة الإنسانية عبر أحقاب مختلفة، من خلال وصف وتحليل الأساطير والطقوس كظواهر ثقافية، ودراسة الأنثروبولوجيا للمجتمعات الإنسانية تتركز في الغالب على التقاليد والعادات، والنظم والأنماط السلوكية المختلفة التي يمارسها شعب أو أمة معينة. حسين، فهم: قصة الأنثروبولوجيا - فصول في تاريخ علم الإنسان، الكويت: إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1986م، صص16-17؛ إيكه، هولتكرانس: قاموس مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلكلور: تر: محمد، الجوهري وحسن الشامي، ط2، - مصر- القصر العيني: الهيئة العامة للقصور الثقافية، 1972، ص49؛ شاكر، سليم مصطفى: قاموس الأنثروبولوجيا، ط1، الكويت: جامعة الكويت، 1981. ص56؛ أحمد أبو هلال: مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية، عمان- الأردن: المطابع التعاونية، 1974م، ص15 وما بعدها.

3- السوسيوولوجيا: هي كلمة مشتقة من كلمتين، "سوسيو" اللاتينية: وتعني رفيق أو مجمع، والثانية "لوجوس" اليونانية: وتعني العلم أو البحث، والسوسيوولوجيا هي دراسة المجتمعات الإنسانية والمجموعات البشرية وظواهرها الاجتماعية، وهي العلم الذي يعنى بفهم النشاط الاجتماعي وتأويله وتفسيره ونتيجته سببيا، ويدرس المجتمعات والقوانين التي تحكم تطورها، كما يدرس الحياة الاجتماعية بجميع مظاهرها، ويتحرى أسباب حدوثها وقوانين تطورها، وهو العلم الذي يساعد على تكييف الفرد والمجتمع للعيش معا، ضمن أهداف معينة يسعون إلى تحقيقها من أجل التقدم والاستمرارية، كما يركز على سلوكيات الأفراد ضمن المجتمع، وبالتالي يدرس تأثير البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في تكوين الشخصية الإنسانية. للمزيد حول الموضوع ينظر: جميل، حمداوي: جهود ماكس فيبر في مجال السوسيوولوجيا، ط1، الرياض- السعودية: دار الألوكة للنشر، 2015م، ص12 وما بعدها؛ عيسى، الشماع: مدخل/ التربية العامة، ط1، دمشق- سوريا: كلية التربية، 2002م، ص27.. عيسى، الشماع: مدخل، ص27؛ ساطع، الحصري: أحاديث في التربية والاجتماع، بيروت: دار العلم للملايين، 1985م، ص8؛ محمد، طلعت عيسى: مدخل علم الاجتماع، بيروت: دار المعارف، 1986م، ص13.

تاسعا: فترة الدراسة القرن (7-9هـ/13-15م) تميزت بتراجع ديمغرافي كبير نتيجة الأوبئة والمجاعات التي ظهرت بالمغرب الإسلامي ككل، والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، إذ كان لها تأثير كبير على مستوى التفكير والذهنيات السائدة في هذه الحقبة، وعلى الأكثر فترة الطاعون الجارف أو كما يسمى الطاعون الأسود (749-750هـ/1348-1349م).

عاشرا: أردت من هذا العمل أن أثري حقل الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخ المغرب الأوسط، علني أنير زاوية لطالما تناسها المهتمون بالتاريخ، خاصة وأن موضوع التاريخ الديني والاجتماعي والبحث في العوامل المؤثرة فيهما ونتائجهما أصبح عملا ضروريا، لا سيما إذا أردنا بناء نسق تاريخي متكامل حول مغربنا الأوسط، في ظل ما يعتري مثل هذه المواضيع من المحدودية والغموض والإبهام، من هنا أنا أروم من خلال هذا البحث إلى سد بعض الثغرات التي أرى أنها بحاجة إلى الدراسة والترميم من خلال تسليط الضوء على الجانب الذهني لسكان المغرب الأوسط، وخاصة ظاهرة التقديس والبحث في مضامينها.

أخيرا: أتشوف من خلال هذا الموضوع أن أجد بحثا يخدم تاريخ المغرب الأوسط، على المستوى الديني والاجتماعي حتى تكون دراستي لبنة جديدة تضاف إلى المكتبة الوطنية الجزائرية، ودراسات المغرب الأوسط.

د/ منهج الدراسة:

منهج البحث منهج شمولي قائم على استقصاء المادة التاريخية من مصادرها حرصا على التوثيق ومراعاة للأمانة العلمية، واعتمدت مستويات من القراءة من أجل استنطاق النص التاريخي، وركزت على التحليل والاستنباط واستقراء ظاهرة المقدس بالمغرب الأوسط، باستعمال بعض الأدوات الإجرائية للفهم والتأويل والتفسير، وعلى مستوى المنهج فقد تطلب هذا التوجه الجديد انفتاح التاريخ على العلوم الإنسانية الأخرى واستيعاب نتائجها، والاستفادة من إشكالاتها، وهكذا استفاد هذا البحث التاريخي من مفاهيم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والطوبونوميا، والأدب وعلم النفس، خاصة وأن هذه الحقول المعرفية جعلت من مجال البحث في التاريخ الذهني إطارا لأبحاثها، قصد الوصول إلى رسم صورة واضحة وشاملة للموضوع.

وعليه فإنه لدراسة ظاهرة اجتماعية لا بد من البحث عن سبب وجودها، وعن الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها، ولتحقيق هذه الغاية اعتمدت على مقارنة منهجية تحرص على اعتماد المنهج التاريخي<sup>1</sup>، من وصف

<sup>1</sup> - المنهج التاريخي: ويسمى أيضا المنهج الاستردادي لأنه عملية استرداد وعملية استرجاع للماضي، وهو منهج علمي مرتبط بعلوم أخرى، ويساعد على دراسة التغييرات التي تطرأ على البنى الاجتماعية، وتطور النظم الاجتماعية في التعرف على ماضي الظاهرة وتحليلها وتفسيرها، في ضوء الزمان والمكان الذي حدثت فيه، ومدى ارتباطها بظواهر أخرى، ويعتمد هذا المنهج على التحليل والتفسير، وتجدر الإشارة لصعوبة تعميم النتائج المتوصل إليها بالاعتماد على هذا المنهج. للمزيد حول المنهج التاريخي ينظر خالد، حامد: منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ط1، الجزائر: جسور للطباعة والنشر، 2008.

واستقراء واستنباط وتحليل قصد تحقيق التوافق بين تاريخ الوقائع وتاريخ الذهنيات، من خلال الاعتماد على الجانب التوثيقي والتركيز على الوصف لملء البياضات الكثيرة في الموضوع، ثم التحليل والتركيب المقيد بشروط الزمان والمكان المدرسين، وذلك راجع لتشعب ظاهرة المقدس وتداخلها مع الحقول المعرفية الأخرى كالأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا، مما حتم علي الاستعانة بأكثر من منهج وإن لم أوظفه كله بل بعض أدواته كالمنهج الوصفي<sup>1</sup>، حيث استعملته في وصف بعض الممارسات والطقوس، وتوظيف مفاهيم التحليل النفسي فيما يعد ترجمة أمينة لبعض المشاعر والتصرفات والسلوكيات.

كما اعتمدت بشكل كبير على المنهج الأنثروبولوجي لأنه لا يكتفي بدراسة الظواهر الاجتماعية من الجانب التاريخي كحدث وفقط، بل يتعداه إلى قراءة التأثير الحاصل في المجتمع من خلال الاعتقاد في ظاهرة معينة، حتى تراءى لي أي أبحاث في مجال الأنثروبولوجيا أكثر من بحثي في التاريخ ومجالاته، وهو ما يعبر عنه بتكامل العلوم خاصة في مجال البحوث الإنسانية، وهي حتمية فرضتها طبيعة الموضوع في شموليته، خاصة وأنا أمام تطور حقيقي في مجال البحث التاريخي وفتحه على العديد من العلوم.

### هـ/ الصعوبات:

لا أخفي صعوبة دراسة الموضوع، والمتعلق "بالمقدس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط بين المعتقدات والطقوس (ق 7-9هـ / ق 13-15م)"، ومصدر هذه الصعوبة كامن ليس فقط فيما اعترضني في دارستي لهذا الموضوع وصلته بالتراث الإنساني وشموليته، وتعدد مظاهره وتنوع ظواهره واختلاف أشكاله واتساع بيئاته، ولكن كذلك بما تعرض له من تطوير وتغيير، نتيجة التحولات التي عرفها مجتمع المغرب الأوسط عبر مراحل التاريخ المختلفة، مما جعل من الصعوبة بمكان الضبط الدقيق للمقدس المراد دراسته، وهذا راجع حتما لتنوع الموضوع في حد ذاته.

وزدادت هذه الصعوبة حين أردت الكشف عن المقدس في ذهنية ساكنة مجتمع المغرب الأوسط، لأن حضوره قد يبدو لأول وهلة واضح الملامح بارز السمات، إلا أنه عند تعميق النظر فيه للكشف عن هذه الملامح والسمات، والرجوع بها إلى أصولها ومحاولة تحليلها، لا يلبث أن يظهر قضايا خفية ومعقدة، يمكن إرجاعها لما عرفه مجتمع المغرب الأوسط من غنى تاريخي وحضاري، من خلال معاشته لكثير من المعتقدات والطقوس القديمة، والتي كان لها بالغ الأثر في تشكل ذهنية ساكنة المغرب الأوسط.

<sup>1</sup> المنهج الوصفي: هو الطريقة لدراسة الظواهر والمشكلات، من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية، للوصول إلى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين، تمنح الباحث القدرة على وضع أطر محددة للمشكلة للوصول إلى نتائج. عمار، بوحوش ومحمد، محمود الذينيات: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط3، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2001.

دون أن أنسى صعوبة الفصل بين الأنثروبولوجيا والتاريخ في دراسة هذا الموضوع، إذ جل التوجهات والدراسات حول المقدس قام بها أنثروبولوجيون وسوسيولوجيون، ولا نكاد نختدي إلى دراسات تاريخية حول الموضوع.

والمتمعن في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط في العصر الوسيط، لا يحتاج إلى التنقيب في النصوص المصدرية فحسب، بل يتطلب نوعا من الاستحضار والمعاشية والتي غير غيابها العديد من عناصر المعادلة، إذ أن الحديث عن تاريخ الذهنيات يستلزم المشاهدة ومعاشية الحالة، أكثر من إعادة إحيائها عن طريق تخيلها.

### و/ عرض الموضوع:

مقدمة: عرفت فيها بموضوع الدراسة وأهميته، ثم تطرقت للأهم الإشكالات التي تم طرحها، معرجة على المنهج المتبع في إنجازها، كما تطرقت لبعض الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد هذه الأطروحة، ثم جزأتها إلى ثلاثة فصول حوا كل فصل مجموعة من المباحث، أسبقتهم بفصل تمهيدي وألحقتهم أخيرا بخاتمة، وفهارس وملاحق وقائمة البيبليوغرافيا.

**الفصل التمهيدي:** أملت طبيعة الموضوع أن يكون الفصل التمهيدي تحت عنوان: "المقدس بحث في الماهية والعلائق"، حاولت من خلال مبحثه الأول تتبع ماهية المقدس ودلالة المصطلح، والبحث عن مفهوم المقدس ودلالته في المدونة الوسيطة، ثم الدراسات الحديثة خاصة كتب الأنثروبولوجيا لأن لها السبق في طرق هذا الموضوع، دون إغفال لمعنى المدنس كون المفاهيم تعرف بأضدادها أحيانا، وجاء المبحث الثاني بعنوان: "موقع الطقس في مجال المقدس"، ضبطت خلاله ماهية الطقس وماهية الأسطورة وعلاقتها بالمقدس كونهما أساسين مهمين في تشكيله، أما المبحث الثالث والمسمى ب: "رمزية الطقوس وعلاقتها بالاعتقاد"، فقد تطرقت فيه لضبط ماهية الرمز والمعتقد وعلاقتها بالمقدس، أما المبحث الرابع فجاء عنوانه ب: "الاستشراق ومقدس الاختراق"، حددت فيه وجهة نظر مؤرخي المدرسة الفرنسية ونظريتهم حول البعد الوثني لمقدسات المغرب الأوسط.

**الفصل الأول:** عنوانه ب: "المعتقدات الشعبية والمقدس" للوقوف على الممارسات السلوكية لمجتمع المغرب الأوسط، ورصد أهم المعتقدات السائدة والتي شملت حيزا واسعا ضمن ذهنية ساكنته، عاجلت في مبحثه الأول ظاهرة "المعتقدات الشعبية والممارسات الطقوسية"، خاصة ما تعلق بالاعتقاد في سلطة الجن، والإصابة بالعين والحسد، وكذلك الاعتقاد في الفأل والطالع وغيرها، أما المبحث الثاني فدرست فيه ظاهرة "السحر والشعوذة"، ومدى تغلغل هاتين الظاهرتين في مجتمع المغرب الأوسط، والتصديق الجازم لفئات مختلفة من الناس بما يأتي به

السحرة وتقديسهم، وهو الأمر الذي احتج به المؤرخون المستشرقون في دراساتهم حول السحر في المغرب الإسلامي، وكذلك الأمر بالنسبة للكهانة والتنجيم والذان ألقا بباب السحر.

لم يقتصر اعتقاد سكان المغرب الأوسط حول السحر كظاهرة غيبية مقدسة، بل تعداها الأمر للتصديق ببعض البدع والخرافات وهو ما دار حوله المبحث الثالث: الموسوم بـ "البدع والخرافات" فبدأته بتعريف البدعة ودراسة بعض نماذجها خاصة المستهجنة منها كبدعة تعليق التمام، وكيف وصل الأمر إلى حد التطرف الديني بأن ادعى بعضهم النبوة، واحترف بعضهم ضرب الرمل وقراءة الكف والنظر في الكنف وغيرها من البدع التي وجدت لها موضع قدم بالمغرب الأوسط وأثرت على حياة الفرد والمجتمع.

**الفصل الثاني:** كان تحت عنوان "المقدس المدفون وبركة الزيارة". تطرقت فيه لظاهرة الزيارة واتخاذ المزارات وعالجت فيه إشكالية تقديس الولي حيا وميتا، في ظاهرة تقديس الأشخاص التي انتشرت بشكل كبير في المغرب الأوسط، وابتدأته بمبحث أول حول "الزاوية قطب مقدس" ونشأتها باختصار، لأن هناك العديد من الدراسات السابقة حول الموضوع، لذا ركزت على الولي كشخص مقدس في المخيال الشعبي وعلى الزاوية كمكان مقدس تمارس فيه طقوس مقدسة، بهدف قضاء الحوائج والشفاء من الأمراض والعاهات وغيرها، دون إغفال لأنواعها بالمغرب الأوسط، وعلاقتها بظاهرة الشرف.

**المبحث الثاني: "الولاية والأولياء"**، بحثت في القصد من الولاية ودرجاتها وأسسها، وعلاقة الولي بمريديه وطرق حيازة البركة وتحلي الكرامة والخوارق على يد الأولياء، وارتأيت أفراد مبحث خاص حول "الأولياء من النساء"، لما أثارته المرأة حول إمكانية حيازتها الولاية الصوفية بحجة قداستها أو دناستها، وكيف وصلت النساء لفرض وجودهن في مجال الأوليائي، وما هي أنواع الحجب الممارسة على النساء في المجتمع، واخترت حجب أسماء النساء في حياتهن كمثال، وكيف تعامل المجتمع مع النساء بوصفهن خطرا محققا وجب تجنبه.

أما في المبحث الرابع: "نشأة الأضرحة وأنواعها"، لا يمكن الحديث عن الزاوية كمكان مقدس وإغفال الضريح كقطب مقدس لا يقل أهمية عنها، لذا خصصت هذا الفصل للأضرحة وعرضت فيه نشأتها باختصار وأنواعها، وعلاقة الضريح بالمجال السوسولوجي، واستعرضت الهدف من زيارتها والتي لم تختلف كثيرا عن أهداف زيارة الزوايا، كطلب الشفاء وربط الموائيق والعهود، والاستخارة ورفع التظلم أو التخلص من النحس وجلب الرزق وغيرها.

آخر فصل في الدراسة كان حول طقوس العبور المقدسة سواء في مجال الفرح أو القرح، إذ تعامل مجتمع المغرب الأوسط مع هذه الطقوس بكثير من العناية والاهتمام، حتى أن بعض الممارسات وصلت حد القداسة أي لا يمكن المساس بها أو الطعن فيها، لذا جاء الفصل الثالث بعنوان: "انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية" فكان

المبحث الأول تحت مسمى: "الحقل الطقوسي بالمغرب الأوسط"، والذي حوى أهم الطقوس الاحتفالية المقدسة بدءاً بشهر رمضان، وبعده الاحتفال بعيد الفطر وموكب الحج مروراً بعيد الأضحى وطقوس الأضحية، وهي شعائر دينية الأصل فيها القداسة، لكن ما يهمننا هو ما صاحبها من طقوس، دون أن ننسى المكانة الهامة التي احتلها الاحتفال بعاشوراء كزمن متجدد، وختاماً المولد النبوي كأهم احتفال مقدس في مجتمع المغرب الأوسط، إذ تنافس في إقامته السلاطين والعامّة على حد سواء.

كان المبحث الثاني تحت عنوان: "دورة الحياة وطقوسها"، فالمناسبات المختلفة التي عاشها سكان المغرب الأوسط لا تقل أهمية عن المناسبات والمواسم الدينية، فقد تعامل معها الناس بنوع من التقديس والإجلال كمناسبة الولادة والعقيقة، والاحتفال بالختان كرمز لاكتمال الذكورة وغيرها.

في آخر مبحث من الفصل الثالث بحثت في: "الموت وطقوس الجنائز" كأهم طقس عبور شغل ذهنية مجتمع المغرب الأوسط، من خلال التنبؤ بحدث الموت والتحضير له، وما يخلفه من أثر في نفسية الناس، بداية بأسباب كثرة الموت في المغرب الأوسط، مروراً برحلة العبور والطقوس الجنائزية وصولاً إلى نهاية الحداد، وما يتبعها من ممارسات كطقس السبوع وأربعينية الميت، وشيوع ظاهر تقديسهم لقبور موتاهم واعتقاد بعضهم في قدرة الصلحاء على التكلم مع الموتى.

### الخاتمة:

خلصت إلى خاتمة ضمنيتها أهم النتائج التي توصلت إليها بعد استكمال الدراسة، مذيلة بملاحق وكشافات وقائمة البيبليوغرافيا المعتمدة في الأطروحة.

### و/ الدراسة النقدية للمصادر والمراجع:

قبل رصد أهم المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الأطروحة، وجب التنويه إلى اندثار بعض المصنفات التي تعود لزمن الدراسة<sup>1</sup>، والتي لم يصلنا منها سوى عناوينها وجاء ورودها عرضاً في بعض المصنفات الأخرى، ومع هذا فالمتتبع للمصادر التي اعتمدت عليها في إنجاز هذه الدراسة، يجدها متنوعة ومتباينة في طريقة عرضها لموضوع المقدس في المغرب الأوسط بحسب توجهاتها، فمنها ما هو خاص بالتاريخ الاجتماعي وكتب التاريخ العام، ومنها

<sup>1</sup> - من المصنفات المندثرة:

- مجهول: زهر البستان في دولة بني زيان ( 760-764هـ/1359-1363م)، السفر الأول والثالث منه مفقودان، ووردت الإشارة إليهما في السفر الثاني الذي حققه محمد بن أحمد باغلي، في قوله: « أعلم أنه تقدم لنا في السفر الأول» 4/2. ونص آخر قال فيه: «وهنا انتهى السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان يتلوه السفر الثالث بحول الله وقوته» 238/2.

- ابن هدية القرشي(ت735هـ/1334م) تاريخ تلمسان ورد ذكره في البغية ليحيى بن خلدون.

ما تعلق بالسير والتراجم وكتب المناقب<sup>1</sup>، والتصوف وكتب الرحلات والجغرافيا والمدونات النوازلية وغيرها، واقتصرت على ذكر أهمها مراعية مجالات الاستفادة منها في ظل تعدد مستويات القراءة لهذه الوثائق، كما لا يفوتني أن أنوه إلى استفادتي من مجموعة لا بأس بها من المراجع على اختلاف أصنافها، ذلك أنها أمدتني بمعلومات وقراءات مختلفة حول موضوع البحث كما ساهمت في إخراج الأطروحة بشكلها الحالي.

### 1/ المصادر:

من جملة المصادر التي عملت عليها والتي تفاوتت في درجات الإفادة حول موضوع "المقدس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط بين المعتقدات والطقوس (ق7-9هـ / ق13-15م)" أذكر:

#### أولاً: كتب المناقب:

وردت أصناف كتب المناقب في مناقب الأولياء والمتصوفة والسلاطين، واعتبرت من المصادر الأساسية بالنسبة لهذه الدراسة، لأنها كشفت عن بعض الممارسات والطقوس المقدسة بالمغرب الأوسط، فضلاً على كشفها علاقة المتصوفة والفقهاء في تفاعلهم مع بعض المقدسات السائدة في مجتمع المغرب الأوسط، خاصة تلك التي تعود بجذورها إلى ما قبل إسلام سكان المغرب.

#### أ- كتب المناقب السلطانية:

- أبو العباس أحمد بن أبي زرع الفاسي (ت736هـ / 1337م) في كتابه: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**<sup>2</sup>، اهتم الكتاب بتاريخ المغرب الأقصى منذ القرن (2هـ / ق8م) حتى وفاة المؤلف، ويظهر الكتاب ميوله نحو بني مرين، فهو هدية لتاسع سلاطين بني مرين أبي سعيد عثمان الثاني (ت731هـ/1330م)، ورغم هذا أفادني في معرفة أوضاع المغرب الأوسط وما تعرض له من أزمات أثرت على الحياة الاجتماعية لسكانته، وبالتالي أثرت على شيوع الذهنية الاتكالية والعجز في مواجهة هذه الأزمات، واللجوء إلى التفسيرات الميتافيزيقية والخرافية، والتعلق بكل ما من شأنه تخليصهم من أوضاعهم خاصة الأولياء، ورفع مكائنتهم والالتجاء إليهم وتقديسهم.

<sup>1</sup> المناقب هي طباع الشخصية التي بما تكشف عن سيرتها ومآثرها الخلقية، لذلك تعرف المُنقِبَةُ بضمها المُثَبِّهُ، ويقصد بها الحِسنَةُ والوَضَاعَةُ، والتَّحْيِيْبُ هو الذي يشرف على مصالح شريحة اجتماعية أو حرفة يدوية أو طائفة، بنيت نصوص المناقب على استعراض العقبات التي مر بها أبطالها، كالاتحان وظلم حكام الجور ومُستَغْرَقِي الذمة وبطناتهم، قبل أن تنفلق الكرامات محولة أولئك الأبطال إلى أقطاب، لالتقاط البركة ومصادر نَبِيَّتِهَا بين جميع السالكين والمصدقين من الفقراء والمحبين. عيسى، لطفي: كتاب السير مقاربات لمدونات المناقب والتراجم والأخبار، ط1، تونس: دار المعرفة للنشر، 2007م، ص28-34.

<sup>2</sup> تح: عبد الوهاب، ابن منصور، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م.

## المقدمة

• أبي زكريا يحيى بن خلدون (ت780هـ / 1378م): اعتمدت على مؤلفه "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، الكتاب يتكون من جزأين، الجزء الأول<sup>1</sup> يتحدث عن تلمسان والمغرب الأوسط منذ الفتح إلى سنة (754هـ / 1353م)، متضمنا وصف تلمسان وأصل بني عبد الواد وتأسيسهم دولة لهم متخذين من تلمسان عاصمة لها، والجزء الثاني<sup>2</sup> بدأ من استلام السلطان أبو حمو موسى الثاني الحكم سنة (760هـ / 1359م) حتى مقتله سنة (780هـ / 1378م)، مفصلا الأحداث في تلمسان والمغرب الأوسط، وخصصه لمناقب وأعمال السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ / 1357-1389م)، لكن المنهج ظل في المدح والإطناج والتعميم، ومع هذا أفاد الكتاب البحث كثيرا، لأن مؤلفه اشتغل في البلاطات الثلاث بدءا بالبلاط الحفصي سنة 757هـ / 1356م، ثم شغل منصب كاتب السر لدى السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ / 1357-1389م)، ثم انتقل إلى البلاط المريني، ليعود إلى بلاط أبو حمو سنة 776هـ / 1374م، وقد استفاد منه البحث في رصد الحياة الاجتماعية والدينية وأهم المقدسات والممارسات التي كان يوليها السلاطين عناية خاصة، والتي حضر وشارك في معظمها لا سيما الاحتفالية منها.

• ابن مرزوق أبو عبد الله محمد الخطيب (ت781هـ / 1379م)، شغل منصب خطيب وكاتب ومستشار وسفير في بلاط الدولة المرينية، وله مؤلفين هما "المناقب المرزوقية"<sup>3</sup> و"المسند الصحيح الحسن"<sup>4</sup>، ألف ابن مرزوق "المسند" بدافع الشكر والتقدير والامتنان لبني مرين، حيث خصه للكلام عن السلطان المريني أبي الحسن (731-749هـ / 1331-1348م)، وذكر فضائله وخصاله والثناء عليه في مزاياه الروحية، وكذا سيرته مع رعيته وما قدمه لهم من خدمات فضلا عن إنجازاته.

مؤلفات ابن مرزوق من أهم المصادر التي واكبت الموضوع، فقد تناول مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وقد تميز "المسند الصحيح" بأنه أرخ للجانب المعماري بالمغرب الأوسط خاصة المدارس والجوامع والربط والزوايا والأضرحة، فقد خصص الباب التاسع والثلاثون من مسنده للكلام عن الربط التي أنشأها السلطان أبو الحسن (731-749هـ / 1331-1348م)، أما الزوايا فقد أفرد لها الباب الواحد والأربعون وتحدث فيه عن زيارة

<sup>1</sup>تح: عبد الحميد، حاجيات، الجزائر: المكتبة الوطنية، 1980م، ج1

<sup>2</sup>تح: بوزياني، الدراجي، الجزائر: دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، 2007م، ج2. قال يحيى بن خلدون عن مغادرته بلاط أبو حمو والتحاقه بالبلاط المريني: «ومن فارقه أيده الله لحيالات سوداوية إعتورتني، ونزعات شيطانية تجاذبتني، وسوء بخت وتقاعس عن إدراك الفخر برحلي، وشقاء مكتوب أهوى إلى درك الخسارة بي» 230/2.

<sup>3</sup>المناقب المرزوقية، تح: سلوى، الزاهري، ط1، المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2008م.

<sup>4</sup>والمسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماري، خيسوس بيغيرا، الجزائر: منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.

الأولياء، وما يؤخذ على مؤلفه "المسند الصحيح" أنه مليء بالإطناب والمبالغات لإبراز مزايا أبي الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348م).

أما "المناقب المرزوقية" التي أنهى كتابتها سنة (763هـ/1361م)، فقد تضمنت تأثير المجاعات والأوبئة خاصة الطاعون الأسود (749هـ/1348م)، أو الطاعون الجارف كما أسماه عبد الرحمان ابن خلدون (ت808-1405)، على البنية الاجتماعية والديمغرافية، وبروز الولي في صورة المنقذ صاحب الكرامات والحوارق، والتجاء الناس إليه ورفعهم له درجة القداسة.

● **زهر البستان في دولة بني زيان (760-791هـ/1358-1362م)**، عاش مؤلفه في بلاط السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1357-1389م)، وهو السفر الثاني أرخ فيه صاحبه لأربع سنوات من تاريخ البلاط الزياني وهي الفترة الممتدة من 760- إلى 764هـ الموافقة ل 1359-1363م ووجه الاستفادة منه قليل مقارنة بغيره كونه تحدث عن الجانب العسكري أكثر.

● **التنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت899هـ/1494م)<sup>1</sup>**، تحدث عن تاريخ الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، من مختلف النواحي في فترة القرن التاسع هجري / الخامس عشر ميلادي، والمؤلف عمل في القصر الزياني داخل تلمسان، وأظهر ميولا نحو السلطان الزياني محمد المتوكل (866-873هـ/1462-1468م)، جاء الكتاب في خمسة أبواب ومقدمة وخاتمة، وأرخ لمدة تزيد عن سبعين سنة من عمر الدولة الزيانية حاضرة المغرب الأوسط، اعتمد فيه التنسي على السرد التاريخي، ويميل التنسي في مؤلفه إلى تسجيل الملاحظات الشخصية والروايات المتداولة حول الحكام، فهو قريب من "اللمحة البدرية" لابن الخطيب (ت776هـ/1374م) و"بغية الرواد" ليحي ابن خلدون (ت780هـ/1378م)، والمتصفح "نظم الدر" يقف على الكم الهائل من المعلومات الدقيقة المتعلقة بملوك بني زيان من مولد، وفاة، مدة الحكم، اللباس، وجميع الأعمال التي قام بها الملوك الزيانيين وإن صغرت، ومنه معرفة كيف تعامل سلاطين المغرب الأوسط مع كرامات الأولياء وأهم الطقوس التي قاموا بها في المناسبات والأعياد المقدسة، وفي المقابل يتضح التقصير الكبير في ذكر باقي فئات المجتمع، وهو ما صعب عملية التقصي حول ظاهرة المقدس لدى باقي تراتيبات المجتمع.

### ب- كتب المناقب الصوفية :

تعد كتب المناقب الصوفية حقا خصباً للوقوف على الشخصيات الأوليائية في المغرب الأوسط، وتطرقت للأحوال المعاشية ودور الأولياء والصلحاء والمتصوفة وغيرهم ممن عرفوا بالزهد والصلاح، في دعم فكرة "الكرامة"

<sup>1</sup> تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان ، تح: محمود بوعباد، الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية ، 1985.

و"البركة" وتبنيها في المجتمع، وكذا الممارسات المصاحبة لطقوس الزيارة والتبرك بالزوايا والأضرحة، ورصد أهم المقدسات التي وجدت في مجتمع المغرب الأوسط، ومن هذه المصنفات المناقبية أذكر:

- ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب القسنطيني (ت 810هـ/1408م) مؤلفه تحت عنوان: أنس الفقير و عز الحقيير<sup>1</sup>، وهو عبارة عن رحلة زيارية إلى المغرب الأقصى بدأت سنة (761هـ/1375م)، جمع فيها ابن قنفذ بين فن الرحلة والتراجم الصوفية، كما ترجم فيها للعديد من متصوفة المغرب الأوسط، وذكر معاشته لمجاعة عظيمة عمت المغرب ككل سنة (776هـ/1375م)، وكان وقتها بالعباد في تلمسان لزيارة ضريح أبي مدين شعيب (ت 594هـ/1198م)، في طريقه راجعا من فاس إلى قسنطينة، حيث فصل في ذكر هذه المجاعة ومظاهرها الاقتصادية والاجتماعية، وتأثيرها على تدني المستوى المعيشي بالمغرب الأوسط، وتغير ذهنية ساكنته فيما تعلق بظاهرة المعتقدات الغيبية والممارسات الطقوسية، وابن قنفذ أشار من خلال هذا الكتاب إلى ما شاهده من سير عن رجال التصوف ودورهم وتكافلهم تجاه الفئات الفقيرة والمهمشة من المجتمع، ويجب التنويه إلى أن ابن قنفذ نقل عن التشوف لابن الزيات (ت 627هـ/1230م) ستين مرة.

- محمد بن سعد الأنصاري التلمساني (ت 901هـ/1496م)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين<sup>2</sup>، ألفه بطلب من السلطان محمد المتوكل (866-873هـ/1462-1468م) ترجم فيه للمتصوفة من أولياء المغرب الأوسط، وأهميته تكمن في إشارته المتعلقة بدور العلماء والصوفية في معالجة أزمات المجتمع، وموقفهم من بعض الممارسات والبدع التي سادت المجتمع.

### ثانيا: كتب التاريخ العام والحواليات:

تكمن أهمية كتب التاريخ العام والحواليات، فيما لها من دور هام في استجلاء تاريخ المغرب الأوسط، كما أمدتنا بزمنية الأحداث والوقائع، وهو ما سمح بتتبع أهم المتغيرات السياسية والتاريخية والذهنية التي شهدتها مجتمع الدراسة، وتأثيرها على مقدساته وفي ذهنياته وسلوكياته.

- عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ / 1405م) في كتابه "المقدمة"<sup>3</sup>، إن التركيز على ما جاء به ابن خلدون في المقدمة خاصة حول صناع المعاش، أعطانا فكرة أوضح حول موضوع السحر والاعتقاد في معرفة الغيب، وتجدر الإشارة أنه من الصعب دراسة أي موضوع تاريخي أو سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي عن الفترة الوسيطة ببلاد المغرب الإسلامي، دون الرجوع لمؤلفات ابن خلدون خاصة "المقدمة"، والتي تعد موسوعة شاملة لما تضمنته من

<sup>1</sup> - نشر: محمد، الفاسي و أدولف، فور، الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965م.

<sup>2</sup> - تح: يحي، بو عزيز، ط1، الجزائر: منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، 2002م؛ وله مؤلف آخر هو النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تح: محمد، أحمد الديباجي، ط1، بيروت: دار صادر، 2011م.

<sup>3</sup> - بيروت: منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 1996م.

مواضيع، خاصة المتعلقة بأخلاق الأمم والعوامل المؤثرة فيها، والتي تنعكس على ذهنايتهم وحصرها في تأثير الهواء وأحوال العمران في الخصب والجوع، وهو ما لامسناه حقيقة من خلال هذه الدراسة خاصة زمن الجوائح والطواعين، وتغيير ذهنية مجتمع المغرب الأوسط إلى ذهنية استسلاميه انهماجية اتكالية، تلجأ إلى الاستعانة بمعرفة الغيبات وقراءة الكف وضرب الرمل وغيرها من الطرق، بالإضافة إلى الاعتقاد في قدرة الأشخاص المقدسين في إزالة النحس ومعرفة الغيب.

● **رحلة ابن خلدون<sup>1</sup>**: إن هذا الكتاب في الحقيقة لا يمثل مصنفا جغرافيا من نمط الرحلة، بل هو ترجمة لسيرة حياة صاحبه بقلمه بكل ما يحمل هذا اللفظ من معنى، أكمل خطاطته سنة (807هـ/1404م) أسماه " **التعريفات بابن خلدون**"، وفي هذا الكتاب تناول صاحبه أوضاع بلاد المغرب الإسلامي في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، وهي الأوضاع التي كان نفسه شاهدا عليها وطرفا فاعلا فيها، وأفادني هذا الكتاب كونه حوا أخبار عن الجوائح منها الطاعون الجارف (749-750هـ/1348-1349م) وأسماه "النكبة"، والذي كان سببا في تغيير الكثير من المعتقدات والذهنيات، وأبرز إلى السطح معتقدات ومقدسات لا تمت للإسلام بصلة، ولما نزل بقلعة ابن سلامة عكف على تأليف هذا الكتاب، وقد فرغ من مقدمته إلى أخبار العرب والبربر ووزناته، وتشوف إلى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد إلا بالأمصار، بعد أن أملى الكثير من الحفظ وأراد التنقيح والتصحيح على حد تعبيره.

● **ولعبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ/ 1405م) كتاب آخر أسماه: كتاب العبر<sup>2</sup>**، يتكون الكتاب من سبعة أجزاء، وهو كتاب شامل لتاريخ البشرية ككل، وإن كان يطغى عليه الجانب السياسي والعسكري، إلا أنني استفدت منه لاحتوائه معلومات عن المغرب الأوسط والحياة الاجتماعية به، وتعود أهميته لكون مؤلفه رصد لنا أوضاع مجتمع المغرب الأوسط في الحِصارات المتكررة من طرف المرينيين، ومدى تأثيرها على ذهنيته وتفكيره حول بعض المعتقدات والمقدسات، خاصة في الجزأين السادس والسابع كونهما مخصصان لتاريخ المغرب الإسلامي.

### ثالثا: كتب الجغرافيا والرحلات:

تعد كتب الجغرافيا والرحلات من المؤلفات فائقة الأهمية لأنها تكاد تكون متخصصة في الجغرافيا البشرية وفي معاش الأمم، وتمثل رصيذا غنيا بالمعلومات التاريخية والأوصاف الدقيقة المتناثرة، وهذا بسبب المشاهدة والخبرة الشخصية التي يتمتع ويتميز بها الرحالة والجغرافيون، وهو ما جعل من هذه المصنفات خصبة من حيث المنهج

<sup>1</sup> التعريف بابن خلدون ورحلته غربا و شرقا، ط1، تع: محمد، بن تاويت الطنجي، بيروت: دار الكتاب العلمية، 2004م.

<sup>2</sup> العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر، 2010م، 7 أجزاء.

الأثريولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية، وتتبع العادات والتقاليد والممارسات والمقدسات بشكل كبير، ومن هذه الكتب أذكر.

● البكري (ت487هـ/1094م) في كتابه: "المغرب في بلاد افريقية والمغرب"<sup>1</sup>، وهو جزء من كتاب "المسالك والممالك"، وقد أفادني في التعريف ببعض المناطق والمدن ببلاد المغرب الأوسط، وتأكيد أن جل الجغرافيين بعده كانوا ناقلين عنه، خاصة بعد القرن 5هـ/11م.

● الشريف الإدريسي (ت562هـ / 1166م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر منه هنري بيريس الجزء الخاص بالمغرب تحت عنوان: وصف افريقية الشمالية والصحراوية<sup>2</sup>، تحدث عن مختلف مناطق المغرب الإسلامي والمسافات بينها، وذكر بعض عادات سكان المغرب الأوسط.

● العبدري البلنسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود (ت بعد سنة 700هـ/ 1300م)<sup>3</sup> في رحلته الموسومة كذلك ب "ما سما إليه الناظر المطرق في خبر الرحلة إلى المشرق"، سجل صاحب هذه الرحلة نقده اللاذع لمختلف أوضاع المغرب الأوسط، ويعزى ذلك إلى دافع سياسي إذ كان مشحوناً بتعاطفه مع المرينيين على حساب الزيانيين، مما يفسر عقده اتجاه مجتمع المغرب الأوسط، ويمكن اعتبار كل ما ورد في رحلته هو اعتراف ضمني على ما فعله المرينيون من أعمال تخريبية اتجاه الدولة الزيانية، والتي أضرت بحياة الناس عامة بسبب العجز الاقتصادي لدى الدولة والأفراد، وهو دليل قاطع على ما مرت به الدولة الزيانية في المغرب الأوسط من ركود، أثر على الذهنيات والعقليات بشكل ملحوظ، وجعل الناس يلتجئون لتقديس بعض الطقوس والأشخاص طلباً للرزق وتفريجاً للكروب.

● "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العدوي المعروف بالعمري (ت749هـ/1349م)<sup>4</sup>، اهتم بأهم حواضر المغرب الأوسط خاصة تلمسان خلال فترة تبعيتها لبني مرين سلاطين المغرب الأقصى، ونقل لنا صورة المجتمع في ظل هذه التبعية.

● رحلة عبد الله ابن الصباح المدجن "أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار"<sup>5</sup> زار وهران وبجاية وقسنطينة وعنابة، دخل تلمسان أثناء حكم السلطان أبي زيان الثابتي (796-801هـ/1393-1398م)، ووصف تلمسان وأهلها وعاداتهم وصفاتهم وأخلاقهم، وبالتالي معتقداتهم وطقوسهم وممارساتهم المقدسة.

<sup>1</sup> - أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري (ت487هـ/1094م)، تح: البارون دوسلان، بغداد: مكتبة المثنى، 1968م.

<sup>2</sup> - طبعة الجزائر، 1957م.

<sup>3</sup> - الرحلة المغربية، تح: علي، إبراهيم الكردي، ط2، دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.

<sup>4</sup> - تح: حمزة، أحمد عباس وآخرون، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، منشورات المجمع الثقافي، السفر الرابع، 2003م.

<sup>5</sup> - تح: محمد، بنشريف، ط1، الرباط - المغرب: دار أبي القرقاق، 2008م.

• أبو الحسن علي بن محمد القرشي القلصادي (ت 891هـ/1486م)<sup>1</sup>، أقام القلصادي بتلمسان ثمانية سنوات في طريقه إلى الحجاز، وسبع أشهر في طريق عودته إلى الأندلس، ووصف المراكز التي مر بها، تميز أسلوبه بالإيجاز فلا يتوسع في ذكر الأحداث، وفي خصائص البلاد التي يزورها، أما التسمية الأصلية للرحلة فهي: "تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب"، والرحلة هي رحلة حجازية أدبية ضمنها الحديث عن المراكز التي مر بها وأقام فيها، عبر مرفأ المنكب فوهران فتلمسان سنة (848هـ/1443م)، ونفس الشيء في طريق العودة إذ كان بتلمسان في (19 جمادى الثانية 854هـ)، ومنه فالمعلومات التي حوتها رحلته لها قيمة كبيرة في رصد الحياة الاجتماعية والدينية بمختلف مدن المغرب الأوسط، بالإضافة إلى رصده أهم فقهاء ومتصوفة وأولياء المغرب الأوسط، وذكر حياتهم وعلمهم وفقههم وحتى جنائزهم وأماكن دفنهم، والتي كان حاضرا في الكثير منها.

• الوزان الحسن بن محمد الفاسي (ت 959هـ/1551م)<sup>2</sup> وكتابه الذي يتكون من جزأين ألفه باللغة الإيطالية هدية للبابوية سنة (933هـ / 1526م)، والذي ترجم إلى الفرنسية ونقله إلى العربية الأستاذ محمد حجي، وتشمل هذه الرحلة على ثلاثة كتب رئيسية موزعة على تسعة أقسام، بها وصف شامل لمعالم شمال إفريقيا من المغرب إلى مصر، ومن سواحل المتوسط وصولا إلى أعماق السودان، ومن بين ما وصفه مملكة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ومدنها كندرومة وأرشقول ووهران وغيرها، ويحتوي على معلومات ليست كثيرة من الناحية الكمية لكن لها قيمة معرفية مهمة جدا، وتعود أهمية الكتاب إلى كونه جغرافيا وتاريخيا ومؤلفه زار مدينة تلمسان سنة (921هـ/1515م) وعاش فترة في قصور سلاطينها، وتجول في أحيائها وأسواقها ورصد أخلاق مجتمع المغرب الأوسط وممارساتهم وعاداتهم ومعتقداتهم ومقدساتهم، فكتابه ذو طابع أنثروبولوجي، برز في اهتمامه بوصف الحياة اليومية وطبائع الشخصيات وأنماط السلوك والقيم للمجتمعات التي مر بها.

#### رابع: كتب الحسبة :

• يعد كتاب محمد العقباني التلمساني (ت 871هـ/1466م)<sup>3</sup>، أهم مصنف في خطة الحسبة في المغرب الأوسط، اقتصر في أغلب المواضيع التي طرقها على الناحية النظرية، فلم يذكر إلا أمثلة قليلة من الواقع رصد فيها أوضاع خطة الحسبة وتعامل المحتسب، خاصة وأنه فقيه أورد العديد من الفتاوى والأحكام المتعلقة بالممارسات والطقوس المبتدعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

<sup>1</sup> - رحلة القلصادي، تح: محمد، أبو الأحفان، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1978م.

<sup>2</sup> - وصف إفريقيا، تر: محمد، حجي ومحمد الأخضر، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م، جزءان.

<sup>3</sup> - أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني (ت 871هـ/1467م): كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر،

تح: علي، الشنوفي، دمشق - سوريا: معهد الدراسات الشرقية، 1967م، مج7.

خامسا: كتب التراجم والفهارس:

تهتم كتب التراجم والفهارس والطبقات بحياة العلماء والفقهاء والمتصوفة والأولياء والصالحين، وترصد الحياة الاجتماعية للمجتمعات من حيث عاداتها وتقاليدها وذهنياتها وسلوكياتها ومستواها المعيشي، وموقفها من بعض المعتقدات والطقوس التي تم تقديسها في مجتمع المغرب الأوسط، وخاصة تلك التي لا تمت للإسلام بصلة، وهذا راجع للعدد الهائل من الشخصيات الواردة في متن هذه المصنفات، وهو ما نتج عنه صعوبة في استخراج المادة التاريخية التي تخدم موضوع البحث، ما استدعى التدقيق الكامل في كل الشخصيات الواردة، وما يعاب على كتب التراجم والفهارس ذكرها بإطناب لبعض المترجم لهم دون سواهم، وإغفال الإشارة إلى الحياة الاجتماعية لأصحاب التراجم.

- ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي (ت 618هـ / 1220م)<sup>1</sup>، رصد واقع حياة الحركة الصوفية في المغرب الإسلامي في القرنين (5-7هـ / 11-13م)، وترجم لمائتين وستة وسبعون صوفيا، أشار ضمنها إلى ممارسة المتصوفة زمن الجوائح والطواعين .
- القاضي أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت 704هـ / 1304م)<sup>2</sup>، وهو أضخم كتاب متخصص في ترجمة علماء المغرب الأوسط خلال (ق 7هـ / 13م)، عرفنا ببعض المتصوفة التلمسانيين الذين عاشوا في ق 7هـ / 13م وبعض مواقفهم من السلوكات الاجتماعية السائدة في ذلك العصر.
- ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد التلمساني (ت 1041هـ / 1605م)، صاحب "البستان"، ترجم فيه لعدد من صلحاء تلمسان وعلمائها وأوليائها، وبلغ عدد المترجم لهم في مصنفه 182 شخص، عاشوا في بلاط الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، وكان لهم إسهامات كبيرة في مختلف النواحي خاصة في المجال الاجتماعي، إلا أن ابن مريم لم يذكر لنا بعض الأدوار التي قام بها بعض العلماء والأولياء اتجاه الفقراء والمهمشين والمستضعفين، كما لم يترجم لأي امرأة في تغييب كلي لدور النساء ومكانتهن حتى من وصلت منهن إلى لدرجة الولاية والصلاح، وما يؤخذ على "البستان" كذلك أن الكرامات والمناقب الواردة فيه بها الكثير من المبالغة وذكر الخوارق والعجيب.

<sup>1</sup> التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط3، الرباط- المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 2010م .

<sup>2</sup> عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: محمد بن أبي شنب، ط1، الجزائر: دار البصائر، 2007م.

- ثبت البلوي الوادآشي<sup>1</sup> (ت938هـ/1532م)، عاش بتلمسان سنتين من (894-896هـ/1488-1490م) زمن السلطان الزياني محمد الثابتي المتوكل (873-910هـ/1468/1505م)، ذكر سند السبحة واللقمة والمصافحة والرؤى والأحلام.

### سابعاً: كتب النوازل:

لم تهتم كتب النوازل بتحديد زمن النازلة ولا المكان الذي جاءت منه، وهو عيبها لكن لا غنى عنها في هكذا مواضيع، فالنوازل الفقهية تشكل مادة مصدرية هامة للمؤرخ، لأن الفقهاء اهتموا بالفتاوى لحل المشكلات التي قد تعرقل حسن التصرف في سير الحياة العامة، وعلى الرغم من ارتباط هذه الوثائق - النوازل - بالكثير من النواحي الفكرية والاقتصادية والاجتماعية فإنها لم تحظ بدراسة شاملة<sup>2</sup>، وتجدر الملاحظة إلى أن قيمة النوازل كمصدر للتاريخ الاجتماعي، راجعة لكونها تتضمن مسائل تحدثت عن حياة الناس وواقعهم المعاش على بساطتها، وهو ما نقل لنا صورة حقيقية غير مبالغ فيها عن واقع مجتمع المغرب الأوسط سواء في المدن أو البوادي.

وبناء عليه أقول أن البحث عن موقف المجتمع من الطقوس والمعتقدات التي اكتسبت صفة القداسة في مجتمع المغرب الأوسط، وسيطرت على تفكيره وأثرت في ذهنيته، يتطلب الاعتماد على المصادر التي تناولت الحياة اليومية في المنطقة، وهي عملية صعبة جدا ومن هنا يفرض العمل العودة إلى نوع مغمور من المصادر، وهي مصادر التشريع والمؤلفات القانونية التي تعرف في العالم الإسلامي بكتب النوازل أو الفتاوى، وهي أساسا عبارة عن آراء فقهاء الفترة موضوع البحث، والتي سنعالجها في القضايا المطروحة عليهم من أجل إبداء الحكم الشرعي فيها، بمعنى أن مادة التاريخ الاجتماعي في المغرب الإسلامي وبالأخص المغرب الأوسط، احتضنتها وتضمنتها مؤلفات الفقهاء سواء كانت "كتب أحكام" أو "كتب نوازل" والتي تعالج في مجموعها العام أحكام الشريعة الإسلامية وأراء الفقهاء والنخبة العلمية في حل القضايا الدينية والاجتماعية اليومية على تنوعها واختلافها.

- نوازل الونشريسي أحمد بن يحيى (ت 914هـ/1508م)<sup>3</sup>، تكمن أهمية هذه المدونة الفقهية لإهتمامات بالناحية الدينية والاجتماعية للمغرب الإسلامي ككل خلال الفترة الوسيطة، وقام الونشريسي بجمع فتاوى الفقهاء الذين سبقوه وحتى المعاصرين له، خاصة فتاوى المرازقة والعقباني (ت871هـ/1466م)، احتوت هذه المدونة عددا هائلا من الفتاوى والتي شكلت مادة خصبة وثرية أفادتني كثيرا في معرفة موقف الفقهاء المالكية من المعتقدات التي

<sup>1</sup> - أبو جعفر، البلوي: ثبت البلوي: تح: عبد الله العمراني، ط01، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م.

<sup>2</sup> - أشار صالح بن قربة إلى أن النوازل الفقهية لم توظف كما يجب، ودعا إلى إعادة النظر فيها واستنطاقها بما يخدم البحث التاريخي. تاريخ الجزائر، ص115.

<sup>3</sup> - المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981م.

تبنتها بعض الفئات الدنيا من مجتمع المغرب الأوسط، وجهلها لأمر الدين والشرع، وهو ما مكنتني من تتبع السلوكات والممارسات الواقعة في نصوص النوازل.

وتزداد أهمية "المعيار" فيما يوفره للمؤرخين والباحثين من رصيد هام من المعلومات في هذا الحقل من الدراسات الخاصة بمجتمع المغرب الإسلامي، والتي من شأنها أن تفتح آفاقا جديدة للبحث وتجاوز مواضيع التاريخ الحداثي، والاهتمام بأحوال المجتمع بمختلف تشكيلاته وطبقاته، وليس التركيز على تسلسل الدول وتعاقب الحكام وهو ما فرضته الأستوغرافيا التقليدية.

• أبو زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت883هـ / 1478م)<sup>1</sup>، جمع المازوني في موسوعته فتاويه باعتباره أحد القضاة، إضافة إلى فتاوى كثيرة من فقهاء المغرب الإسلامي، وتضمنت هذه المدونة العديد من الفتاوى الخاصة بالمغرب الأوسط، والتي أفادتني كثيرا في الحديث عن أوضاع الفئات الضعيفة بتلمسان، كما زودتني بمادة وافية عن بعض التدابير الميدانية التي قام بها الفقهاء تجاه الفئات المخصوصة زمن الحن والشدائد، وهو ما جعلهم بمنأى عن الاعتقاد في تحكم العوامل الميتافيزيقية في سيرورة الأحداث اليومية.

### 2 / المراجع:

تبين لي بعد فحص المراجع المتنوعة أن الموضوع لم يحظ بالاهتمام اللازم، ذلك أن معظم الباحثين الذين تناولوا موضوع "المقدس" هم أنثروبولوجيون، بينما المؤرخون لم يولوا كثير عناية بهذا الموضوع قدر اهتمامهم بالتاريخ السياسي والعسكري، ويعود ذلك بدرجة كبيرة لطابع التعقيم الذي ساد المدونة الوسيطة، ومنه فإن بعض الدراسات التاريخية الحديثة أشارت إلى الظاهر من هذا النص دون مراعاة لخفاياه، وبالتالي طبعت الموضوع بالطابع الشمولي في تناوله الموضوع "المقدس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط بين المعتقدات والطقوس (ق 7-9هـ / 13-15م)" ومنه فالدراسات تكاد تكون منعدمة، إلا ما جاء عرضا في بعض الكتب وفي جزئيات قليلة منها، عند الحديث عن العادات والتقاليد، فالموضوع لم يحظ في تقديري بالتفاته علمية تذكر من قبل الباحثين والمهتمين بالتاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط في باب المعتقدات والطقوس، من خلال دراسته دراسة مستقلة تستوفي جميع الشروط، باستثناء بعض الإشارات أثناء الحديث عن تاريخ مجتمع المغرب الأوسط بصفة

<sup>1</sup> - الدرر المكنونة في نوازل مازونة، وقعت بين يدي النسخة المخطوطة لكن لم أتمكن من التعامل معها مباشرة لصعوبة قراءة الخط، وفي المقابل وجدت عدة نسخ تم تحقيقها لأجزاء من المخطوط، إذ انفرد كل باحث بجزء معين من الخطوط فحقق الباحث إسماعيل بركات، جامعة قسنطينة، 2010، الجزء المتعلق بالطهارة، وحقق الباحث محمد رضا الكريف: دكتورا علوم في العلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2016م الجزء المتعلق بمسائل النكاح والنفقات، بينما حقق الباحث فريد قموح، في رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2011م الجزء المتعلق بالجهاد واللعان والذور وغيرها، أما النسخة التي اشتغلت عليها فهي من تحقيق الباحث ماحي قندوز حول مسائل الضحايا والعقيقة، دكتورا علوم إسلامية، جامعة منتوري قسنطينة، 2011م.

عامة<sup>1</sup>، وقد يفسر هذا الإقصاء من دائرة اهتمامات الباحثين والمؤرخين بشح المادة التاريخية في المقام الأول لذا أهملت الموضوع، ومع هذا فإن بعض الدراسات الجادة التي عدت إليها مهمة على مستوى التنظير للموضوع وكذا على مستوى المنهج، وتكمن أهمية المراجع المعتمدة في هذه الدراسة في معرفة المقدس في البنية الذهنية لمجتمع المغرب الأوسط، ولعل أهمها على سبيل الذكر لا الحصر:

### أولاً: الدراسات المغربية:

تجدر الإشارة إلى أن مؤرخي المملكة المغربية كان لهم السبق في طرق هذا الموضوع وما شابهه من المواضيع المتعلقة بتاريخ الذهنيات والأفكار، ومن بين أهم الدراسات أذكر:

- دراسة رحال بوبريك<sup>2</sup> للمقدس بصفة عامة، وحقل القداسة عند النساء أو التصوف لدى الإناث والمواسم التي تقام لهن في كتابه "بركة النساء".
- دراسة نور الدين الزاهي<sup>3</sup> في كتابيه: "المقدس الإسلامي" و"المقدس والمجتمع"، يمكن القول بعد الاطلاع على المؤلفين أنه نادراً ما نجد رأي أو تعليق المؤلف الخاص، فهو ناقل طرح وجهة نظر كل من روجي كايوا وإلياد مارسى و إميل دوركهائم حول المقدس والمجتمع، والمقدس الإسلامي وقارن بينهم، ونجد في كتابيه عنوانين مختلفين لكن يحملان نفس الطرح ونفس النصوص مكررة وفيها تشابه تام، ومع هذا يعد نور الدين الزاهي بخوضه غمار البحث في المقدس قد أسهم بشكل كبير في إزالة اللبس حول الموضوع .
- دراسة عبد الرحيم العطري<sup>4</sup> بعنوان: "بركة الأولياء" درس فيه المقدس الأوليائي، والاعتقاد ببركة الأولياء وما تعلق بها من كرامات في إطار الممارسات الشعبية، وما اقترن بها من ضرائحية وشعوذة، منقبا عن الرموز والطقوس

1 - من بين أهم هذه الدراسات التي اطلعت عليها أذكر:

- عمر، بلبشير: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 على 9/12-15م - من خلال كتاب المعيار للونشريسسي، - أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران ( الجزائر)، 2010م.

- عبد المالك، بكاي: الحياة الريفية بالمغرب الأوسط من القرن 7-10/13-16م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة (الجزائر)، 2014م.

- هناء، شقطي: الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكونة في نوازل مازونة، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة 02 ( الجزائر)، 2013م.

2 - بركة النساء- الدين بصيغة المؤنث، ط1، الدار البيضاء- المغرب: دار إفريقيا الشرق، 2010م.

3 - المقدس الإسلامي، ط1، الدار البيضاء - المغرب: دار توبقال للنشر، 2005م؛ والمقدس والمجتمع، الدار البيضاء- المغرب: دار إفريقيا الشرق، 2001م.

4 - بركة الأولياء - بحث في المقدس الضرائحي-، ط1، الدار البيضاء- المغرب: شركة المدارس للنشر والتوزيع، 2014م

الأثروبولوجية، ورغم تخصيصه "لمدينة سلا المغربية" كمجال للدراسة، إلا أنه أفادني بشكل كبير في الجانب التنظيري وفي ضبط المفاهيم.

- دراسة عبد الله زارو<sup>1</sup> في كتابه "الشيخ والمريد"، تحدث عن العلاقة الجدلية بين الشيخ والمريد ومدى قوتها وسطوتها على المجتمع، وكيف أن مكانة الولي تكاد تكون مكانة مقدسة لا يمكن المساس بها، وليس من السهل الوصول إليها.

- دراسة عبد الله الحمودي<sup>2</sup>، لطقسي "بلومان" و"بوجلود" وهما طقسان مغربيان يقام بهما بعد يومين من عيد الأضحى درسهما وجمعهما في كتابه "الضحية وأقنعتها - بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب".

- الدراسة التي أنجزها الباحث محمد حقي في موضوع "الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط"، وهو بحث ضمن تاريخ الذهنيات ويعد عملاً أكاديمياً مهماً جداً، لأن ما كتب عن موضوع الموت لحد الآن لم يتجاوز بعض المقالات أو الإشارات في بعض الأبحاث، وإن اهتمت بدراسة المقابر أكثر من اهتمامها بموضوع الموت كمؤلفات وليام مارسي<sup>3</sup>.

- كما كان لكتاب عبد الهادي البياض الموسوم بـ "الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6-8 هـ/12-14 م)"<sup>4</sup>، إسهام كبير في معرفة ذهنيات وسلوك الإنسان المغربي أوقات الشدة والمحن، وبين إرجاع إنسان المغرب لأسباب الكوارث والقحوط لعوامل غيبية وميتافيزيقية، ولجوئه للتقرب للأولياء والسحرة والمشعوذين عن طريق تقديم الهدايا والقرابين، بغية حماية أنفسهم وأهليهم من هذه الكوارث.

- إبراهيم القادري بوتشيش<sup>5</sup> كان له دور كبير في رسم معالم تاريخ الفئات المهمشة والمستضعفة، والذي أفادني كثيراً من حيث تحديد الخلل الذي سقطت فيه الكتابة التاريخية الإسلامية الوسيطة، ورصد موقفها من تاريخ المهمشين في كتابه "المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي"<sup>6</sup>، والذي يعد حجر الأساس لإعادة الاعتبار لهذه الفئة

1 - الشيخ والمريد - البنية المارقة، ط1، الدار البيضاء - المغرب: دار إفريقيا الشرق، 2014م.

2 - تر: عبد الكريم الشرقاوي، ط1، الدار البيضاء - المغرب: دار توبقال للنشر، 2010م.

3 - مارسي وليام: مقتنيات متحف تلمسان، تع وتق: أرزقي شرقي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2011م.

4 - ط1، بيروت: دار الطليعة للنشر والتوزيع، 2008م.

5 - تجدر الإشارة إلى الدراسة التي قام بها الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش والذي دعا من خلالها إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بنظرة علمية شمولية، وخلخلة الكتابات التقليدية وتطهير ما علق بها من هنات وشوائب اختلقتها التخريجات الاستعمارية المتحاملة، وللمزيد حول رأي القادري بوتشيش ينظر "النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالمغرب الإسلامي (ق 5-6 هـ/12-13 م)"،

مجلة التاريخ العربي، (الرباط)، مجلد 7، ع22/2002م، ص ص 247-272.

6 - ط01، القاهرة: دار للنشر والتوزيع، 2004م.

تاريخيا، وثابت مساهمتها الفعالة في صنع التاريخ، عن طريق تتبع سيرورة الحياة اليومية لهذه الفئات واستخلاص الحقائق والمعطيات التاريخية من خلال إعادة كتابة التاريخ وتمحيصه.

- أهم دراسة اعتمدت عليها هي الدراسة التي قام بها عبد الغني منديب<sup>1</sup>، إذ تطرق فيها إلى المقدسات والطقوس والمعتقدات والممارسات السحرية التي سادت بلاد المغرب، والممارسات الموسمية بين الصريح والمضمر، وكذلك الطقوس الجنائزية كطقوس عبور، معرجا على السوسيوولوجيا الاستعمارية واستمرار أطروحة البقايا الوثنية التي حاولت طمس التاريخ الوطني بهدف خدمة أغراضها الاستدمارية.

### ثانيا: الدراسات الجزائرية:

- أما الدراسات التي قام بها المؤرخون والباحثون الجزائريون في هذا المجال فهي قليلة نجد على رأسها:
- دراسة نور الدين طوالي<sup>2</sup>، الذي بحث في إشكالية المقدس في المجتمع الحضري، وإن كانت فترة الدراسة تمس الفترة الحديثة بعد استقلال الجزائر، إلى أنه مهم جدا من الجانب التنظيري للموضوع، خاصة فيما تعلق بطقوس العبور من ولادة وحج وزواج وموت وغيرها.
- دراسة عبد العزيز فيلاي في أطروحته " تلمسان في العهد الزياني - دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية"<sup>3</sup> في الفصل الثالث من الباب الثاني من الجزء الأول، في حديثه عن الحياة العامة لتلمسان عاصمة المغرب الأوسط وما شملته من عادات وتقاليد، فقد تطرق للحديث عن بعض الطقوس كعادة دفن الجنائز، وزيارة الزوايا والمقابر والأضرحة، وقد أفادني بشكل كبير في البحث، إذ تحدث عن العادات الاجتماعية والبدع والخرافات والانحرافات السلوكية.
- دراسة الباحث الصديق ثياقة، فبالرغم من كونها دراسة في علم الاجتماع إلا أن لها علاقة وطيدة بموضوع البحث في المقدس تاريخيا وأفادني الدراسة كثيرا في المجال التنظيري للأطروحة<sup>4</sup>.
- الباحثة سمية مزدور في دراستها الأكاديمية حول: "المجاعات والأوبئة بالمغرب الأوسط"<sup>1</sup>، تناولت فيها أوضاع المغرب الأوسط زمن الأزمة، وكشفت عن العديد من الممارسات والطقوس المقدسة والقضايا التي أنتجت المجاعات والأوبئة

1 - الدين والمجتمع: دراسة سوسيوولوجية للتدين بالمغرب، ط2، الدار البيضاء - المغرب: إفريقيا الشرق للنشر، 2010م.

2 - الدين والطقوس والتغيرات، تر: حسن البعيني، ط1، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1989م.

3 - الجزائر: مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2002م، جزءان.

4 - المقدس والقبيلة - الممارسة الاحتفالية لدى المجتمعات القصرية بالجنوب الغربي الجزائري- زيارة الرقاني نموذجاً- رسالة تخرج لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة وهران ( الجزائر)، 2014م.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من الأبحاث التاريخية حول المغرب الأوسط تناولت أوضاعه الاجتماعية والدينية في ثناياها، لكن دون إشارة تذكر للمعتقدات والطقوس السائدة به، بما فيها من السلوكات الاجتماعية والتي نظم للبحث فيها، ومن هذه الدراسات نذكر ما قام به الباحث خالد بلعربي في مؤلفه "الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان ( 633-681 هـ/1187-1235)<sup>2</sup>، خصص مؤلفه للمرحلة الأولى من تاريخ الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، وكذا دراسة بوعياذ محمود، بعنوان، "جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي1282م) دراسة تاريخية وحضارية"<sup>3</sup>، ومؤلف حساني مختار تحت عنوان: "تاريخ الدولة الزيانية"<sup>4</sup> ودراسة الطمار محمد بن عمرو<sup>5</sup>، ومؤلف دهبنة عطا الله<sup>6</sup>، والذي تضمن معلومات حول تأسيس الدولة الزيانية وتعرض تلمسان للحصار، مما مكنا من رسم صورة حول تغيير ذهنية المجتمع زمن الحصار والخوف، بالإضافة إلى الدراسات الأثرية المحلية<sup>7</sup>، ودراسات أخرى وإن تفاوتت درجة الاستفادة منها مثل دراسة: بوعزيز يحي<sup>8</sup>، وشاوش محمد بن رمضان والغوثي بن حمدان<sup>9</sup>، وبوزياني الدراجي<sup>10</sup>، وحاجيات عبد الحميد<sup>11</sup>.

- 1- "المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط ( 588-925هـ/1192-1520م) "، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري (قسنطينة)، 2009م.
- 2 - خالد، بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان ( 633-681 هـ/1235-1282م) دراسة تاريخية وحضارية ، ط1، قسنطينة- الجزائر: دار الألفية للنشر والتوزيع ، 2011م.
- 3 - محمود، بوعياذ: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.
- 4 - مختار، حساني: تاريخ الدولة الزيانية، ط1، الجزائر: دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م، 3 أجزاء.
- 5 - تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1984م.
- 6 - الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.
- Le Royaume Abdelouadide a l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er et d'Abou Tachefin 1er, Alger, 1985.
- 7 - بلوط عمر: فنادق مدينة تلمسان الزيانية - دراسة أثرية، ط1، الجزائر: مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، 2001م.
- Fatima Zohra Bouzina Oufriha : Tlemcen – Capital Musulmane Le Siècle D'or du Maghreb Central , Alger: Dalimen,2011.
- 8 - تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر: منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1985م؛ وكتاب موجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيط، ط02، الجزائر: ديوان المطبوعات: 2007م.
- 9 - باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ط2، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، جزاءن، 1995م.
- 10 - نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م
- 11 - أبو هو موسى الثاني - حياته وأثاره- ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.

أما فيما يخص الدراسات الاستشراقية<sup>1</sup> الاستعمارية<sup>2</sup> حول الموضوع، فبغض النظر عن أهدافها الأيديولوجية، فإنها تطرقت في مجملها للحديث عن البعد الوثني للمقدسات والمعتقدات والممارسات الطقوسية في المغرب الإسلامي ككل والمغرب الأوسط بشكل خاص، مجندة في ذلك جل بحوثها الاجتماعية والانثربولوجية متتبعة الظواهر المقدسة والممارسات الطقوسية في محاولة لطمس التاريخ الوطني وتشويهه على رأسها نذكر:

الدراسات التي قام بها الأخوين جورج ووليام مارسي<sup>3</sup> Georges et William Marcais والتي تمت تحت رعاية مصلحة معالم الجزائر التاريخية، التابعة لإدارة الاحتلال الفرنسي بالجزائر سنة 1902م، فقد ركز فيها الأخوان في على الجانب الفني والمعماري لعاصمة المغرب الأوسط تلمسان، أعطتنا هذه الدراسة صورة تقريبية عن النمط العمراني السائد آنذاك وعلاقته بتقديس بعض الأماكن دون غيرها، مثل الزاوية والضريح والمقبرة والجبل. أما مؤلف وليام مارسي حول "مقتنيات متحف تلمسان"، فيعد أقدم وثيقة حول مجرد مقتنيات متحف تلمسان سنة 1898م، فقد جرد شواهد القبور والكتابات الجنائزية، ومن خلالها يمكن التعرف على بعض الفئات البرجوازية في المجتمع، بسبب استعمال الرخام المشوي في شواهد القبور، كما أورد كذلك أسماء بعض النساء الصالحات التي أغفلت المصادر الوسيطة ذكرهن، وهو ما مكنا من رصد بعض الأولياء من النساء بالمغرب الأوسط الوسيط.

- دراسة ألفرد بل في كتابه "الإسلام في بلاد البربر"، فقد تحدث عن الاعتقاد بالقوة الرمزية التي يتمتع بها الصالحاء وشيوخ التصوف، وقدرتهم على منح البركة، وهو ما نستشفه من خلال تقريب وتقديم السلاطين المغرب الأوسط لهم، واعتقاد العامة في كرامتهم باستجابة الدعاء والشفاء من الأمراض وغيرها.

---

<sup>1</sup> - الإستشراق: هو علم تاريخ شعوب الشرق وحضارتهم ولغاتهم وأدابهم وفنونهم ومعتقداتهم، نشأ بدافع ديني في الغرب وجعل دراساته في خدمة التنصير الذي مهد للاستعمار، فالإستشراق في مراحله الأولى عاش في كنف الكنيسة ترعاها وتوجهه، إذ لعب دورا كبيرا في التحضير للاستعمار السياسي والثقافي والعسكري، والاستشراق لازال يعمل على الرغم من أن جاك بيرك قد أدلى بتصريحات عام 1975م أعلن فيها أن زمن الإستشراق انتهى، وتقرر أن يطلق على أي مؤتمر للإستشراق مؤتمر العلوم الإنسانية. شوقي، أبو خليل: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ط2، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1998م، ص6.

<sup>2</sup> - أشار الباحث عبد الغني منديب في كتابه سوسيولوجيا التدين بالمغرب، ط2، المغرب: أفريقيا الشرق، 2010م. على ذكر العديد من رواد المدرسة الإستشراقية على رأسهم: ويسترماك والفرد بل وأرنست غيلنر وغيرهم.

<sup>3</sup>-Marcais, Georges :Tlemcen Viele et D'histoire, paris: éditionlaurens collection, 1950.

Marcais Georges et William : Les Monuments Arabes de Tlemcen, Paris: Albert Fontemoing Editeur, 1903.

- روجيه كايوا في كتابه "الإنسان والمقدس"<sup>1</sup>، الإشكالية الرئيسية التي يطرحها الكتاب هي: هل لا يزال المقدس يتمتع بالسطوة عينها؟ ويمارس حضوره السابق؟ أم أنه توارى لصالح طرائق جديدة ابتدعها البشر للتعبير عن أعواضهم تلقاءها كاللعب والحروب.
- ادmond دوتي في كتابه "الإسلام الجزائري"<sup>2</sup>، في فصول من عمله حول المقدس، تطرق لشعائر المسلمين وشعائر الصلحاء والأولياء والشرفاء ومعتقداتهم، كما تطرق لممارساتهم أثناء طقوسهم.
- أما في مؤلفه "الدين والسحر في شمال إفريقيا"<sup>3</sup>، فقد خصصه للحديث عن الكرنفال في حديثه عن بقايا المعتقدات السحرية القديمة، وكذا تطرق لبعض الممارسات وطقوس الطبيعة.
- وله كتاب آخر تحت عنوان: "ملاحظات حول الإسلام المغربي"<sup>4</sup>، درس فيه ظاهرة التدين في المغرب العربي، وأنه يعتمد على الوساطة التي أسسها الولي الصالح بين الإنسان وربّه، كما تحدث عن ظهور الولي الصالح المعروف بالمرابط، ودوره الديني والثقافي والسياسي في التأثير على المجتمع المغربي، ومن ثم انتشار ظاهرة تقديس المرابط واشتغارها في شمال إفريقيا، في إشارة إلى تقديس الأولياء.
- وله مؤلف آخر تطرق فيه لشعائر المسلمين والصلحاء والأولياء والشرفاء يدور حول (المرابطين)<sup>5</sup>، كما أبدى فيه اهتمامه بمظاهر للاحتفالات في الأعياد الدينية.
- وقد أزره في طرحه ريني باسي في كتابه "أبحاث حول دين البربر"<sup>6</sup>، الذي تحدث فيه عن الجذور التاريخية للتدين عند البربر، بما في ذلك عادة التقرب للآلهة والقيام بطقوس خاصة، محاولا إرجاعها إلى بعدها الوثني السحيق وهو نفس الطرح الذي تبناه مارسيل موس<sup>7</sup> وحاك بيرك<sup>8</sup> و إميل درمنغن<sup>9</sup> وغيرهم من المستشرقين. وفي الختام لا يسعني إلا أن أثنى الشناء الحسن على المشرف البروفسور مفتاح خلفات نظير دعمه ومساندته لي، فجزاه الله عني خير الجزاء.

<sup>1</sup> - ترجمة: سميرة باشا، ط01، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010م.

<sup>2</sup> -Edmond douuté, l islam Algerien en l an 1900 , Alger: Giralt, 1900.

<sup>3</sup> \_\_\_\_\_ Magie et Religion dans l'Afrique du Nord : Alger : typographe Adoulphejourdan Imprimeur- libraire- Éditeur 1909.

<sup>4</sup>\_\_\_\_\_ Notes sur Lislam Maghribein- Marabouts:Extrait de la Revue de l histoire des Religino: Tomes xi et xii,paris:ErnestlerouxEditer,1900.

<sup>5</sup>- \_\_\_\_\_ : Les Marabouts, extrait de Revue d'histoire des Religions, Paris, 1900.

<sup>6</sup> - René Basset: Recherches sur la Religion des Berberes: Revue de l histor des Religions, Paris: Ernest lerouxEditeur, 1910.

<sup>7</sup> - الهبة وطقوس البوتلاناش، تر: المولدي الأحمر، ط1، بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية ، 2011م.

<sup>8</sup>Jacques, Berque : Structures sociaux du Haut Atlas, Presses Universtaires de France, paris, 1955.

<sup>9</sup>Emile, Dermenghne,: le culte des saints dans l'islam Maghrébine, Édition Gallimard, paris, 1954.

# الفصل التمهيدي

# المقدس بحث في الماهية والعلائق.

المبحث الأول: المقدس والمدنس.

أولاً: المقدس في المدونة العربية.

ثانياً: ماهية المقدس.

1/ التعريف اللغوي.

2/ التعريف الاصطلاحي.

ثالثاً: مفهوم المقدس عند علماء الاجتماع وعلماء الأديان.

رابعاً: ماهية المدنس.

1/ تعريف المدنس

المبحث الثاني: موقع الطقس في مجال المقدس.

- ماهية الطقس.

الطقس لغة.

الطقس اصطلاحاً.

- ماهية الأسطورة.

الأسطورة لغة.

الأسطورة اصطلاحاً.

المبحث الثالث: رمزية الطقوس وعلاقتها بالاعتقاد.

- الرمز.

- المعتقد.

المبحث الرابع: الاستشراق ومقدس الاختراق.

- مؤرخو المدرسة الفرنسية ونظرية البعد الوثني لمقدسات المغرب الأوسط.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

ما من شك في أن الإنسان بالمغرب الأوسط عاش في عالم ثنائي يجمع بين الغيبيات والواقع، وأنه في وجوده كان أسيراً لأساطير ومحرمات ومقدسات ومدنسات، تناولت كل مقومات هذا الوجود<sup>1</sup>، ومع هذا نادراً ما طُرح تساؤل حول حقيقة المقدس والمدنس في مجتمع المغرب الأوسط؟ على أي أساس أصدرنا حكماً بأن هذا الشيء مُقدس أو مُدنس؟ أو بمعنى آخر، لماذا قد يعتبر مكان أو زمان مقدساً بينما غيرهما يوصف بالمدنس، ما هو مصدر حكمنا على فعل أو طقس أو معتقد بأنه مجرد من القداسة؟

ولأن الدرس المعرفي الحدائثي اقتحم ما كان مهمشاً ومرفوضاً ومسكوتاً عنه، وعهد إلى استعادة الموضوعات الغربية ودفع بها إلى مختبرات الباحثين ومنهجياتهم، نجده قد تمكن من الولوج إلى قضايا كنا نضنها بديهيّة ومألوفة ومعروفة، فإذا به يبرزها ويقدمها في صيغ إستشكالية ونقدية، حيث توسعت مجالات المعرفة وانضمت إليها تخصصات كبرى، دشنت رهانات نوعية فيما يختص بالظاهرة البشرية وملازمتها التاريخية<sup>2</sup>.

وللغوص في غمار المغامرة البحثية حول المقدس في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط، ارتأيت بدءاً توضيح معاني المقدس والمدنس ومختلف التعاريف اللصيقة بهما، حسب عديد المؤرخين والباحثين في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية، بغية تبسيط المفهوم وتوضيحه لفهم العلاقة بين الدلالات والمرجعيات الطقوسية، وتمظهراتها في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط، بالإضافة إلى تسليط الضوء على جانب لطالما عُيب من الدراسة التاريخية بحجة فصل العلوم عن بعضها.

### المبحث الأول: المقدس والمدنس.

#### أولاً: المُقدس في المدونة العربية.

بداية يجب ضبط مفهوم المقدس وفق ما ورد في المصنفات العربية لمعرفة مدى تقارب المقدس المراد دراسته مع هاته التعاريف، فأصل المُقدس في "لسان العرب" من قَدَسَ، تَقَدَّيسَ، أي تَنَزَّيه الله عز وجل، والقُدُسُ تنزيه الله تعالى، وهو المتَقَدِّسُ القُدُّوسُ المُقَدَّسُ، ويقال: القُدُّوسُ فَعُولٌ من القُدُسِ، وهو الطهارة، والتَقَدِّيسُ هو التطهير والتبريك، وتَقَدَّسَ أي تطهر، يعني لفظ المُقَدَّسُ من الناحية اللغوية التنزيه والطهارة والتزكية والتبريك<sup>3</sup>.

1 - مهدي، طه مكّي: "التقديس والمقدسات دراسة في فلسفة الدين"، مجلة العلوم الإنسانية كلية التربية والعلوم الإنسانية جامعة بابل، مج 22 - ع 1، مارس 2015م، صص 58-70، ص 58.

2- الحاج، أمينة دواق: "المقدس والسرديات الكبرى"، سلسلة ملفات بحثية الدين وقضايا المجتمع الراهنة: المغرب: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث 18 أكتوبر 2016، ص3.

3- أبي الفضل، جمال الدين محمد ابن منظور بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي: بيروت، 1999م، مج 6/ 167-168.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

وقد يطلق المُقَدَّس على الله في صيغة فُدوس ومُقَدَّس ليعني الطهارة والتنزيه، كما قد يرتبط بالمؤمن، فهو محدد في الأنبياء وأقطاب الصوفية والولاية ليدل على الصلاة والتكبير والتطهير، أو قد يرتبط بالملائكة كونها خلقت من الطهارة، كما يمكن أن يكون المكان هو المقدس كبيت المقدس والمسجد الحرام بمكة المكرمة، فكرامتها لضمها مكان مُقَدَّس هو الكعبة المشرفة، أما ما ارتبط بالزمان كالأشهر الحرم التي يطغى عليها الحظر والمنع والاحترام الناتج عن حرمة الأوامر اللاهية<sup>1</sup>.

يتمظهر المقدس في شكلين متعارضين هما الطاهر ( الطيب) والدنس ( الخبيث)، إنها عناصره الأساسية على اعتبار أن الطاهر سيكون على صلة بالسماوي الديني، بينما الدنس سيكون على صلة بالجال السحري الجني<sup>2</sup>، وأي مجتمع يعيد إنتاج معطياته من خلال المقدس والمدنس، والجال والذات والتقابلات أو الأزواج، وفي ظل هذه التقابلات يتحول المقدس إلى أهم رهان سياسي، وبالضبط في مجتمعات يلعب المقدس فيها دورا مهما في استراتيجيات الشرف، العِرض، البركة، والكرامة<sup>3</sup>، كمجتمع المغرب الأوسط.

المقدس الإسلامي غالبا ما ارتبط بالدين في ثنائية الحلال والحرام، المسموح والممنوع، لكن نجده كذلك قد ينفك من خلال هذا الارتباط الديني إلى ما هو دنيوي، فقد يعد أي انتهاك للعرف انتهاك للمقدس، لأن الإنسان لا يتخلى عن المقدس بل يتخلى عن نمط من التقديس، فهو لا يخرج من الدين ولكنه يخرج من نمط التدين، فالقداسة ليست إلا وعي الإنسان بما يقدر، وبالتالي ليست ثمة أشياء مقدسة بل هناك شعور إنساني يقدر فيوجد المقدس<sup>4</sup>.

ولكننا بحاجة إلى مراجعة نقدية تستثمر ما هو حي وفاعل في التراث والتاريخ، لأنه حي وفاعل في حاضرنا بإثارته الجيدة المحمودة التي تعزز تعايشنا وتوحدنا وتنوعنا معا، ولأن التاريخ حركة الإنسان وفعاليتها في علاقته الجامعة بين المقدس والدنيوي، فالمقدس يتمثل في إحالة الأشياء التي تبدو دنيوية إلى ممارسات وإلى طقوس وليس إلى معنى مستقل<sup>5</sup>، فاستعمال هذا اللفظ يبدو معقولا ومستساغا أكثر على لسان رجال الدين، فإن لفظ مقدس

1- نور الدين، الزاهي: المقدس الإسلامي، ص 29. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ﴾ سورة التوبة الآية 5؛ وقوله: ﴿ غَيْرَ مُجْلِي الصَّيِّدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ سورة المائدة، الآية 1، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ المائدة، الآية 95.

2- نور الدين، الزاهي: المرجع السابق، ص 27.

3- عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 10.

4 - كريمة بريكي: "في منابت التقديس وآفاقه" ضمن سلسلة ملفات بحثية، ص 41

5- عامر، عبد زيد الوائلي: تجديد العلاقة مع المقدس رهان تفكيك رغبة الموت: سلسلة ملفات بحثية، ص 6.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

قبل كل شيء صفة تحيل إلى أشياء إلى ممارسات إلى طقوس وليس معنى مستقل، وبالفعل فالأنثروبولوجيا<sup>1</sup> هي الأولى التي حولت النعت إلى اسم وزعمت بناء المقدس مفهوما مستقلا<sup>2</sup>.

إن المقدس عنصر مكون للظاهرة الدينية ويمثل محور التجربة الاعتقادية للمؤمن، ولكنه في الوقت نفسه ينتمي إلى عالم مفارق، ويصمد أمام كل محاولات العقلنة<sup>3</sup>، فالإنسان يصنع مقدساته إنه يختلقها ويلفقها، بمعنى أن تكوين أي فكرة عن ما هو مقدس، إنما تخضع لفهم الإنسان ونظريته بشأن وجوده ووجود العالم الذي يحيا فيه<sup>4</sup>، فالمقدس ظاهرة أبدية موجودة في الحياة البشرية، وإحدى البنى العميقة في الوعي واللاوعي البشري في التاريخ الفكري، وما تاريخ المغرب الأوسط إلا جزء لا يتجزأ من هذه المعادلة، وعليه فمقدسات مجتمع الدراسة ليست كلها وليدة الدين، بل هناك مقدسات صنعها واحتلقها إنسان المغرب الأوسط وأحاطها بهالة من القداسة، فلا يمكن المساس بها أو نقدها أو الطعن فيها، كالقدرات الخارقة التي يتمتع بها الأولياء من طي الأرض والمشى على الماء وتكليم الموتى.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن القداسة ليست صفات في الشيء أو في المكان، بل هي نتيجة تقييم الإنسان للأشياء والظواهر، فالمقدس ينصرف إلى موجود بعينه متعال ومتفارق، وتكون قداسته من نفسه، ثم تنتزل إلى ما يصدر عنه ويرتبط به، من كتب ووصايا ووعود وهياكل وأماكن وبيوت وأزمان وأيام، فالثقافات لم تتوقف على مدى تاريخ طويل، من ممارسة التقديس وإنتاج ضروب من المقدس، تُخضع لها وبها البشر وتلزمهم بعدم انتهاكها أو حتى التفكير فيه، وذلك عبر التعالي بضروب من الأفكار والنصوص بل وحتى الأشياء والأشخاص من حدود التاريخي والواقعي، وإطلاقها في فضاء المفارقة والتسامي ليقدها البشر ويضعونها خارج حدود القابل للتفكير والفهم<sup>5</sup>.

يصعب حصر مفهوم المقدس من وجهة نظر المدونة العربية، أو داخل الثقافة الإسلامية، لأن لهذا المفهوم حضورا عميقا وعريقا في متواليات التعاريف والمقاربات والتأويلات التي طالها الفكر الإنساني.

---

1 - هي علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا، شاعر مصطفى سليم: مرجع سابق، ص56؛ وحول أنواع الأنثروبولوجيا ينظر حسين، فهم: مرجع سابق، ص17 وما بعدها.

2 - معاذ، بن عامر: السرديات الكبرى من الكبريات الأنطولوجية إلى الصغريات الأخلاقية - سلسلة ملفات بحثية، ص13.

3 - زهير، الخويلدي: "الفلسفة الدينية بين تحديات القدسي واستجابات السرد" سلسلة ملفات بحثية، ص31.

4 - عبد الجبار، الرفاعي: إنفاذ النزعة الإنسانية في الدين، ط2، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين - دار التنوير، 2013م، ص22-23.

5 - علي، مبروك: ما وراء تأسيس الأصول - مساهمة في نزع أقنعة التقديس، ط01، القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع، 2007م، ص24؛ مهدي طه مكي: مرجع سابق، ص61.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

ويعد المقدس وبكل المقاييس موضوعا إشكاليا، مفعما بالمطبات التي تمتزج فيها ندرة المتون النصية التاريخية، بالتعقيدات المنهجية التي تفرضها طبيعة موضوع بهذه الشاكلة<sup>1</sup>، خاصة وأن فكرة المقدس أصبحت اليوم من الموضوعات كثيرة الإقبال عليها، على أن هناك من يخرجها من التاريخ، وهو ما جعلها موضع خصام وجدل<sup>2</sup>، وعليه كان للمقدس تعريفات كثيرة في المدونة العربية، لكنهم أجمعوا على أن المقدس يمثل كل ما يجب احترامه لارتباطه في غالبته بالدين، ذلك أن الدين هو تعطش النفس إلى المستحيل، إلى ما هو بعيد المنال ويفوق التصور، فالدين يناشد اللامتناهي والنور، وهو النزوع نحو قطع العلائق مع الكينونة والوجود معا، أو الرغبة في تجاوز الوجود نحو ذلك العدم الذي يكمن فيه النور الأعظم، إنه رغبة في التحرر تماما من أغلال الكينونة<sup>3</sup>.

من هذا المنظور تتخطى الطبيعة القدسية للدين المساحات الخاضعة لسلطة العقل في التفسير والإدراك والتبرير، وتقفز إلى المساحات اللاعقلانية، والتي يمكن تسميتها بالاعتبارات الغيبية والعناصر الميتافيزيقية، ويقدر ما يكون القدسي غير عقلائي وغامضا ومتكتما، يجوز على قيمة مضافة ويتميز بالرفعة والسمو والتعالي، يقدر ما يتعرض للنقد العقلائي والتفسير المنهجي، ويفقد هذه القيمة الاعتبارية ويصبح أمرا بديهيًا<sup>4</sup>، وعليه وجب علي التساؤل هنا عن إمكانية ضبط مفهوم للمقدس يكون شاملا، أو على الأقل مفهوم يصب في خدمة البحث، من هذا المنظور أقدم بعض التعريفات، بعد تعريفه في المدونة العربية والإسلامية لأن لها السبق الزمني على بقية التعريفات.

<sup>1</sup> - عبد الهادي، البياض: مرجع سابق، ص 07.

<sup>2</sup> - كريمة، بريكبي: مرجع سابق، ص 41. ألخت الدراسات المختصة على هذه المفارقة الذاتية حتى تواضع عليها جل الذين تناولوا مسألة المقدس بالدرس، بدءا بمن اعتبر أول من اقترح عليه مقارنة جيدة لهذا الإشكال، وهو رودولف آتو في مؤلفه "فكرة القدسي التقصي على العلل الغير عقلائي وعن علاقته بالعامل العقلائي" صدر عن دار المعارف الحكيمة، سنة 2010، وقد تبعه كل من : الياد مارسي في كتابه: المقدس والمدنس ، ترجمة: عبد الهادي عباس الحامي، ط01، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م. / le sacré et profane وروجي كايوا في مؤلفه: الإنسان والمقدس / l'homme et le sacré، وجورج باتاي في: theorie de la religion واتفقوا جميعا على أن المقدس هو ما يقع خارج ما نقتح أن نسميه اليومي بدل اللفظ الشائع المدنس.

<sup>3</sup> - زهير، الخويلدي: "الفلسفة الدينية بين تحديات القدسي واستجابات السرد" - ضمن سلسلة ملفات بحثية-، ص 31.

<sup>4</sup> - زهير، الخويلدي: المرجع السابق، ص 31.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

ثانيا: ماهية المقدس.

1/ **التعريف اللغوي:** وردت لفظة المقدس في اللغات القديمة مع اختلاف معناها، إلا أن أقرب تعريف يخدم البحث هو إرجاع المقدس للأصل اللاتيني للفظ: **سَاكْرُسْ سَاكْرُسْ SACRE-SACRIS**، ويشير اللفظ إلى الكاهن، **سَاكْرُوسْ سَاكْرُودَيْتْسْ SACERDOTIS- SACERDOS** والذي يتعلق بالطبع بالايتمولوجيا نفسها<sup>1</sup>.

وتشير الكلمة اللاتينية **SACRE** التي اشتق منها مصطلح **SACRED** (المقدّس)، إلى التمييز بين ما هو متعلق بالآلهة وما لا علاقة له بها، أي كان التعبير المحدد للمقدّس، فإن هناك تقسيما ثقافيا شاملا إلى حد ما، يشكل المقدّس وفقا له ظاهرة مميزة ومبجلة ومختلفة عن كل الظواهر الأخرى التي تشكل المدنس أو الدنيوي<sup>2</sup>.

### 2/ **التعريف الاصطلاحي:**

ثمة تعريفات عدة تطرح كمرادفات لهذه الكلمة، وفي هذا الإطار نجد أن المقدس يأتي في مقابل المدنس أو مقابل للدنيوي، فالرموز والطقوس تشكل جوهر المقدس، بل إن الولوج إلى المقدس وإدراكه يتطلب في كل حين الانتباه للطقس والرمز، فالمقدس هو طاقة رمزية بممارسات طقوسية، فعن طريق الرموز تتأني قراءته<sup>3</sup>.

من خلال هذا التعريف يتضح أن الإشكال القائم حول ضبط ماهية المقدس الديني أو الدنيوي، ينطلق أساسا من خلال فهم علاقة المقدس بالرمز والطقس وماهيتهما في حد ذاتها، وهو ما سأجيب عليه في الصفحات الموالية، في المقابل نجد هناك من يشترط لتحديد ماهية المقدس ربطه بالمدنس في علاقة تضاد، كالباحث نور الدين الزاهي الذي تساءل قائلا: « هل يمكن اعتبار البحث عن ماهية المقدس مدخلا مؤديا للامسك به، أم أن البحث عن هاته الماهية إعلان بدئي بأننا سنتحرك خارج سلطته ومجاله<sup>4</sup> » أي داخل سلطة المدنس.

ويتجلى تعقد العلاقة بين المقدس والمدنس في الاختلافات الحاصلة بين الباحثين حول تحديدها، فمقابل من يجعل المقدس متماثلا مع الإلهي أو مع الديني، نجد من يؤكد الانفصال التاريخي بين المقدس والمؤسسات الدينية المقدسة<sup>5</sup>، ويتجلى المقدس المراد دراسته في مجالات طبيعية كالأمكنة والأنهار والأشجار، ويتعداها إلى ما فوق الطبيعة كالكائنات السماوية، كما أنه يتجلى في الزمان كأيام الأعياد ودورات الفصول، ويجلى في الأشخاص

1 - معاذ، بن عامر: مرجع سابق، ص12. وتعرف الايتمولوجيا بأنها علم أصل الكلمات، وتبحث عن العلاقة التي تربط الكلمة بكلمة قديمة هي الأصل، للبحث عن المعنى الأصلي والأولي للكلمة.

2- أندريه ، لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، ط2، بيروت - باريس: منشورات عويدات، 2001، مج 1، ص1229.

3- عبد الرحيم العطري: مرجع سابق، ص17-20.

4- نور الدين، الزاهي: المقدس والمجتمع، 32.

5- نور الدين، الزاهي: المقدس الإسلامي، ص 19.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

كالأنبياء والصلحاء والأولياء والشرفاء، وكذا في اللغة والأساطير والشعائر والطقوس، وغير ذلك من أشكال تنظيم الإنسان لعلاقته مع العالم وفق اعتبار المعنى والقوة<sup>1</sup>.

ثالثا: مفهوم المقدس عند علماء الاجتماع<sup>2</sup> وعلماء الأديان.

تتقاطع مسألة المقدس مع جميع المجالات المتعلقة بالعلوم الإنسانية، كعلم الاجتماع والفلسفة وتاريخ الفكر، واهتمام علماء الاجتماع بدلالة المقدس الاجتماعية مستمد بشكل كبير من مسائل علم اجتماع الدين<sup>3</sup>، الذي هو أحد فروع علم الاجتماع، وعلى أي حال فإن هناك خلاف كبير حول الأصول الاجتماعية الدقيقة لما يدعى بالمقدس، من هنا فإن مفهوم المقدس يرتبط أكثر بعملية تصنيف بعض النشاطات الاجتماعية بوصفها نشاطات دينية مقدسة تخضع لتغيير دائم.

يمكن القول أن ما هو مقدس هو نتاج ممارسة أنثروبولوجية ليس الدين العنصر الأوحيد فيها، بل هناك عناصر شتى تتشابه فيها، منها النفسي والاجتماعي والتاريخي والمعرفي والسياسي، وتتضافر معا في إنتاج هذه الممارسة، والمقدسات تنتقل من جيل إلى جيل آخر، دون أن تكون محل تساؤل وبحث، لأنها وليدة الفعل الإيماني والثقافي للأمة<sup>4</sup>، وهو الحال بالنسبة للمقدسات المتوارثة في المغرب الأوسط، والتي سأتطرق إليها بشيء من التحليل والتعليل والتعليق من خلال هذه الدراسة.

1 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 23.

2- علم الاجتماع يعني بدراسة أفعال الأفراد في المجتمع ضمن نظرية التفاعل الاجتماعي أو نظرية التأثير والتأثر، فالعلوم الوضعية هي علوم تفسيرية خارجية، في حين أن العلوم الإنسانية بما فيها علم الاجتماع هي علوم روحية تفهيمية وعلوم تأويلية داخلية. جميل، حمداوي: مرجع سابق، ص 13.

3 - Michel Carrier et Daniel Vidal: Penser Le Sacré Les Sciences Humaines et L invention Du Sacre, les Archives de sciences sociales des religions, n 136,éditions EHESS, Montrel libre , 2005,p115-283, p 116.

4 - مهدي، طه مكي: مرجع سابق، ص 61.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

أولاً: المقدس عند علماء الاجتماع.

### 1/ المقدس عند رائد علم الاجتماع إميل دوركهايم:

إن دعوة إميل دوركهايم إلى ذوبان كل العلوم في إطار واحد وهو "السوسيولوجيا"، يعد بمثابة زلزال في حقل الكتابة التاريخية<sup>1</sup>، ذلك أن التاريخ في نظره لا يمكنه أن يكون علماً إلا إذا قام بالتفسير، ولا يمكن أن يفسر إلا عندما يقوم بالمقارنة، وعندما يقوم التاريخ بعملية المقارنة فإن التمييز بينه وبين السوسيولوجيا ينعدم، واعتبر أن المقدس هو السمة الأساسية لتعريف الظاهرة الجينية، علماً بأن القداسة في ذاتها تنتج عن المجتمع نفسه، وبالتالي فالمقدس والمجتمع هما شيء واحد<sup>2</sup>.

إن المعتقد الديني حسب هذا الطرح هو شأن جمعي بالضرورة اشتركت عقول الجماعة في صياغته، وقامت الأجيال المتلاحقة بصقله وتطويره وهو جمعي لأكثر من سبب، فمن غير الممكن أن يقوم الفرد بصياغة معتقد خاص به، مما يؤدي إلى سلوك متضارب مع الآخرين، وكذلك دوام واستمرار أي معتقد يتطلب إيمان عدد كبير من الأفراد، وإلا اندثر وفقد تأثيره حتى في نفس من أوجده، ويتألف المعتقد عادة من عدد كبير من الأفكار الواضحة والمباشرة، والتي تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات وتوضح الصلة بينه وبين عالم الإنسان، وغالباً ما تصاغ هذه الأفكار في شكل صلوات وتراتيل<sup>3</sup>، فبقدر ما يحيل المقدس داخل سياق تعارضه مع المدنس إلى ما هو طاهر وخالص، فإن المدنس يحيل إلى ما هو دنيوي ونجس<sup>4</sup>.

فدوركهايم في كتابه "الأشكال الأولية للحياة الدينية" عرف المقدس بأنه تعارض مع الدنيوي، والأشياء المقدسة هي تلك التي تحميها المحظورات وتعزلها، أما الأشياء المدنسة فهي ما تنطبق عليها هذه المحظورات، والتي ينبغي أن تظل بعيدة عن الأولى<sup>5</sup>، كما حدد قدسية المقدس بما يعارضها بشكل كامل عن مجال المدنس، فالمقدس

---

1 - شهدت الكتابة التاريخية نقلة نوعية من حيث المواضيع والمناهج، قادتها المدرسة الفرنسية والألمانية للمزيد حول هذا الموضوع ينظر وليد، موحن: "مدرسة الحوليات الفرنسية ظروف النشأة وأهم الأفكار" مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الإنسانية، ع11، مارس، 2017م ص ص170-177. إن هدف السوسيولوجيا هو: فهم الفعل الاجتماعي وتأويله، مع تفسير هذا الفعل المرصود سببياً بربطه بالآثار والنتائج، ويقصد بالفعل سلوك الفرد أو الإنسان داخل المجتمع، مهما كان ذلك السلوك ظاهراً أو مضمراً، صادراً عن إرادة حرة أو كان نتاجاً لأمر خارجي جملي، حمداوي: جهود ماكس فيبر في مجال السوسيولوجيا، ط1، الرياض- السعودية: دار الألوكة للنشر، 2015م، ص 12.

2 - Emile, Darkheim: les formes élémentaires de la vie religieuse, éditions Presses Universtaires - de France, paris, 1968. p37؛ عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص18.

3 - فراس، السواح- دين الإنسان- بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني-، ط4، دمشق: دار علاء الدين، 2002م، ص48-49.

4 - Emile Darkheim: op.cit.p 583؛ نور الدين، الزاهي: المقدس والمجتمع، ص33؛ المقدس الإسلامي، ص17.

5 - Emile Darkheim: op.cit.p 583؛ معاذ، بني عامر، مرجع سابق، ص13؛ نور الدين، الزاهي: المقدس والمجتمع، ص33.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

حسبه لا يلتقي بالمدنس ويلاامسه إلا لكي ينتفي أحدهما ويظل الآخر قائما، وبسبب ذلك يتشكل كل طرف بوصفه نظاما خالصا ومتجانسا ومختلفا ومتعارضا وموازيا للطرف الآخر<sup>1</sup>.

لا يستطيع المقدس التعايش مع ما يعارضه ويهدمه وينفيه ( يقصد المدنس ) سوى بكيفية مفارقة ومتوازية وهو نفس الطرح الذي تبناه جون كازيف<sup>2</sup>، وعلى رأي دوركهائم فالأديان نسق موحد من المعتقدات والممارسات ذات الصلة بأشياء مقدسة، أي بأشياء حرام أو محرمة، فلكل أمة ثوابتها ومقدساتها والدين هو العمود الفقري والمحور الرئيس لهذه الثوابت وتلك المقدسات، والعقائد والأفكار والقيم، فكل دين هو منظومة من المسلمات التي تحظى بالقداسة<sup>3</sup>.

فالمقدس إذاً لا يمكن أن يوجد في هذا العالم دون شهادة أو علامة أو أيقونة دالة عليه، فالأماكن والأشياء الأرضية لا تستمد قداستها إلا من كونها ذات علاقة معينة مع السماء<sup>4</sup>، وهو الأمر الذي جعل للمقدس مجالات متعددة، إن إسقاطات دوركهائم للمرجعية الثقافية اليهودية والمسيحية للمقدس على ثقافات مختلفة ومغايرة، الأمر الذي دفع الباحثين أثناء بحثهم عن المقدس إلى إيجاد الديانة حيث لا توجد<sup>5</sup>، ولهذا أرى شخصيا أن إسقاطات دوركهائم ليست في اختلاف الديانات فقط، بل تعدتها للمجتمع فهو يقصد المجتمع الأوربي، بينما أنا بصدد دراسة مجتمع مغربي مسلم في العصر الوسيط، وعليه فالطرح لا ينطبق كلية لكن الفكرة موجودة في جميع المجتمعات ومختلف الحضارات.

من خلال طرح دوركهائم يمكن القول: بأنه أحدث نقلة نوعية من الدين كسلوك فردي أو عقيدة إلى مفهوم أوسع إلى الحياة الدينية، إذ رأى أنه من أجل فهم الفكر الديني لا بد من الرجوع إلى الأصول الأولى لانبثاق المقدس، والذي يعد المجتمع هو مصدره الوحيد، وإذا ما عملنا بنظرة دوركهائم فإن أصل المقدس في المغرب الأوسط هو المجتمع، وما أقره من سلوكيات وممارسات للحياة الدينية وفق العقيدة الإسلامية.

<sup>1</sup> - نور الدين، الزاهي: المقدس والمجتمع، ص33؛ المقدس الإسلامي، ص 17؛ Emile Darkheim:op.cit.p538

<sup>2</sup> - نور الدين، الزاهي: المقدس والمجتمع، ص33؛ المقدس الإسلامي، ص17؛ Jen, cazneuve: ؛Emile Darkheim:Ibid.p37  
Sociologie du rite (tabou- magie- sacré), éditions Presses Universtaires de France, paris, 1971, p334.

<sup>3</sup> - مهدي، طه مكي: مرجع سابق، ص61.

<sup>4</sup> - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص33 نقل على Dermenghne, Emile: le culte des saints dans l'islam  
Maghrébine, Ed Gallimard, paris, 1954 , p 11.

<sup>5</sup> - نور الدين، الزاهي: المقدس والمجتمع، ص35؛ Laura levé Makarius ,les sacré et la violation des interdits, éditions payot, paris,1974, p 367.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

وبناءً على هذا الطرح رأت الباحثة صافية مناد في حديثها عن المقدس والمجتمع أن العلاقة بين الإنسان والمقدس أو بين الإنسان والله بصفة خاصة وجب أن تكون علاقة محبة لا علاقة خوف وصرع وهو ما يبدو جلياً في أشعار الصوفية<sup>1</sup>، ذلك أن كل صور المقدس وتمثلاته تتغير حسب ثقافة الإنسان وواقعه المعيش، وحتى حسب نوع السلطة التي تحكمه والثقافة التي اكتسبها والعادات التي تربى عليها، فكلها تمثلات لواقع يؤسس لعالم تقديسي، ففضاء المقدس يعد مفتوحاً وغير متناهي، يتعدد بتعدد الروايات التاريخية والثقافة والجغرافيا البشرية، وهذا ضمن أنثروبولوجيا الدين وسوسيولوجيا الدين وعلم نفس الدين والهرمونيطيقا<sup>2</sup>.

المقدس عند الباحث الفرنسي ليفي مكاربوس في كتابه "المقدس وانتهاك المحرمات"، ذكر أن البحث في المقدس هو في ذاته إبطال لمفعول قدسيته، بل إنه شكل من أشكال انتهاك المحرم<sup>3</sup>، بمعنى أننا بمجرد تفكيرنا في البحث عن المقدس فنحن نزيل عنه صفة القداسة لأننا سنخضعه للمساءلة والعقل وهو ما يتعارض معه.

ليس البحث في التصور الثقافي للمقدس حكراً على ميدان علم الاجتماع، لأن نظرية التحليل النفسي والأنثروبولوجيا أدلت بدلوها في محاولة ضبط المقدس من خلال تحليل فرويد للدين في كتابه الطوطم والتابو<sup>4</sup>، بالنسبة إليه فإن الرابط بين الطوطمية والمقدس يبدو واضحاً في نواحي معينة من تطور الدين، وقد بقيت آثاره في الأسطورة التاريخية والخرافة، وكثيراً ما كانت الحاجة البيولوجية والخوف والجهل والمحرم والطوطم، هي التي تشكل الأرضية التي نبت فيها المقدس والدين والأسطورة<sup>5</sup>.

---

1 - من أبرز النماذج في الحب الإلهي رابعة العدوية والتي لقت بشهيدة العشق الإلهي، وهي أول من تكلم في الحب الإلهي بين الصوفية المسلمين للمزيد حول أشعارها في الحب الإلهي ينظر: عبد الرحمان بدوي: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، ط02، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1962م، ص 61 وما بعدها.

2 - أثر المقدس والدين على ذهنية الفرد والمجتمع واستعمالات السلطة، مجلة متون، جامعة مولاي الطاهر: سعيدة، مج12/ع2، 2020، ص ص 76-89، ص 80-81. أما الهرمونيطيقا فهي علم التأويل والتفسير، وهي مدرسة فلسفية تشير لتطور دراسة نظريات تفسير دراسة وفهم النصوص في فق اللغة واللاهوت والنقد الأدبي. معتمصم، السيد أحمد: الهرمونيطيقا في الواقع الإسلامي بين حقائق النص ونسبية المعرفة، ط1، بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص18.

3- نور الدين، الزاهي: المقدس الإسلامي، ص 17؛ والمقدس والمجتمع، ص32-33؛ Laura levé Makarius: op.cit. p8.

4 - سيغوند فرويد: الطوطم والتابو، تر: بوعللي ياسين ومر: محمود كبيبو، ط1، اللاذقية- سوريا: دار حوار للنشر والتوزيع، 1983م.

5- ياروسلاف، ستينكفيتش: العرب والغصن الذهبي- إعادة بناء الأسطورة الذهبية-، تر: سعيد الغانمي، ط1، الدار البيضاء- المغرب؛ بيروت- لبنان: نشر المركز الثقافي العربي، 2005، 99؛ جيمس، جورج فرايزر: الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، تر: نايف الخوص، دمشق- سوريا: نشر دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2014م، ص12-13؛ كريمة بريكي: مرجع سابق، ص41.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

ثانيا: المقدس من وجهة نظر مؤرخي الأديان:

### 1/ المقدس عند مؤرخ الأديان مارسي الياذ:

مفهوم المقدس عند مؤرخ الأديان مارسي الياذ والذي كان له السبق في خوض عملية البحث عن المقدس وماهيته، وأكد على وجوب الخروج من فخ التعارض بين المقدس والمدنس، لأنه يترجم في الأغلب كتعارض بين حقيقي ولا حقيقي، على اعتبار أن المقدس غير متماثل مع الإلهي ولا مقابل فقط للدنيوي بل هو تجل له<sup>1</sup>، فلفظ التجلي هو الذي سمح بتجاوز الثنائيات التعارضية، ومن ثم إعلان أشكال التواصل القائمة بين المقدس والمدنس، وهو ما يشاطره الرأي فيه الباحث والمفكر عبد الرحيم العطري في قوله: «المقدس هو فقط تجلي للإلهي (للديني) في الزمان والمكان، والطقوس والجسد والسلوك والعمران والهندسة والطبيعة... الخ، ومن حيث هو كذلك تظل إمكانية العبور من الزمن العادي إلى الزمن القدسي<sup>2</sup>»، أي إمكانية الانتقال من المدنس إلى المقدس، ومن المقدس إلى المدنس حاضرة على الدوام.

إن المقدس موضوع لا حد له لأنه لا يعني مؤرخ الأديان والعالم بالأعراف وعالم الاجتماع فقط، وإنما يعني المؤرخ وعالم النفس والفيلسوف، فمعرفة الأوضاع التي يضطلع بها الإنسان المتدين واختراق عالمه الروحي، هي إجمالا تعد تقدما في معرفة عامة للإنسان<sup>3</sup>.

فالأشخاص المقدسون والمبجلون يظهر تقديسهم في شخصية الولي الصالح صاحب الكرامات والخوارق، أما الأشخاص المدنسون فوجودهم في المجتمع غير قليل، فمنهم السحرة والمشعوذين وضاربي الرمل وغيرهم، وعمل هؤلاء على إيجاد مكانة لهم داخل تراتبية المجتمع، عبر امتهان عقول العوام والسذج ليحققوا مكسبا ماديا وآخر اجتماعيا، وهو ما سأستعرضه بنوع من التحليل والتعليل في الفصول القادمة من هذه الأطروحة.

أما المقدس في القاموس الأنثروبولوجي، فهو صفة يطلقها المجتمع على أشياء وأماكن وأعمال يعتبرها واجبة الاحترام، فيقيم لها طقوسا دينية لاعتقاده باتصالها بعبادة الإله، أو الآلهة، أو المعبودات والقوى فوق الطبيعية، أو لأنها ترمز إلى القيم الأساسية للمجتمع، ولهذا فهي مصنونة من العبت أو التخريب<sup>4</sup>.

1 - مارسي، الياذ: المقدس والمدنس، ترجمة: عبد الهادي عباس المحامي، ط01، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م، ص17.

2 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص19، Mirssia, Eliade: Aspect Du Mythe, Édition Gallimard, paris, 1963, p 61

3 - مارسي، الياذ: المرجع السابق، ص146.

4 - مصطفى، سليم شاكرا: مرجع سابق، ص837.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

وهناك تعريفات أخرى جاء بها مجموعة من الباحثين والمؤرخين أهمها تعريف جوزيف شلهود الذي يرى بأن المقدس يعانق في نفس الوقت كلا من الطاهر والنجس، بينما الدين موجه نحو القداسة<sup>1</sup>، بينما يعرفه روجي كايوا بوصفه مقولة الحساسية والتي تعتبر ركيزة للديني وكذا الإحساس بالاحترام الذي يغمر المؤمن<sup>2</sup>، فالمقدس هو ما يثير الخوف ويبعث على الثقة والاحترام<sup>3</sup>، أما الأساطير والمعتقدات فتحلل مضامينها بطريقتها الخاصة، والطقوس تستعمل خاصيتها، أما الأخلاق الدينية فإنها مشتقة منها، بينما الكهنوتية تمنحها، والقبور والأمكنة المقدسة وكذا الآثار الدينية تبثها في المكان وتحذرهما، ومنه تعد الديانة هي إدارة المقدس<sup>4</sup>.

بناء على هذا التعريف فإن للمقدس خاصية قد تكون ثابتة أو عابرة لبعض الأشياء، كالأدوات المستعملة في الشعائر والطقوس، وبعض الكائنات كالمملك والرهبان، وبعض الأمكنة كالقبور والأماكن المرتفعة، وبعض الأزمنة كأيام الآحاد ورأس السنة<sup>5</sup>، ويتمظهر هذا الطرح في مجتمع المغرب الأوسط في تقديس الأضرحة وقبور الأولياء، وكذا الزوايا كأماكن مقدسة بالإضافة إلى تقديس الأيام كالجمعة ويوم عاشوراء وغيرها، وإن لم ترتبط بظاهرة دينية.

يبدو الحديث عن التعارض بين المقدس والديني شيئا غريبا عن المقدس ذاته، فالطقوس تكشف الكيفية التي يشرف بها نظام العالم على توزيع المقدس، تلك الكيفية التي يسمها غموض المقدس من جهة إنشطاره إلى مقدس احترام يحيل إلى نظرية المحرمات، ومقدس انتهاك يحيل إلى نظرية الفعل<sup>6</sup>، ويرتبط مقدس الاحترام بالوضع الاجتماعي، بينما يتصل مقدس الانتهاك بالبذل والهدر والإسراف، فداخل مقدس الانتهاك وفضائه الطقوسي لا سلطة هناك سوى لسلطة الجسد، وهو يبدد ويهدر طاقاته من دون احترام للممنوعات أو المحرمات أو القواعد الضامنة للوضع الاجتماعي<sup>7</sup>، ولا أدل على هذا من سلطة الجسد في الشطحات الصوفية، أو التغلب على هذه السلطة عن طريق تمرغ الجسد ومحاربه في منعه من التمتع بملذات الحياة، بإخضاعه لتجربة التجويع والتكشف وإرهاقه بالعبادات، والتي فاضت بذكرها كتب المناقب الصوفية.

1 - joseph, chelhod: les Structure du sacré chez les Arabes, paris: maisonneuve et larose, 1964, - p42.

2 - Roger, caillois: Op.cit.p, p 18.

3 - op.cit. p 18 -19.

4 - Ibid, p 18.

5 - Ibid, p 18.

6 - نور الدين، الزاهي: المقدس الإسلامي، ص24.

7 - نفسه، ص24.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

أما في موسوعة لالاند الفلسفية، يعتبر المقدس موضوع احترام ديني من قبل جماعة من المؤمنين، فالكائنات أو الأشياء المقدسة هي تلك التي تدافع عن المحرمات وتحميها، بينما تكون الكائنات أو الأشياء المدنسة هي الخاضعة لتلك المحرمات، والتي لا يجوز لها الاتصال بالأولى إلا بموجب عبادات وشعائر محددة<sup>1</sup>.

رابعاً: ماهية المُدَنَس:

### 1/ تعريف المدنس:

المدنس في "لسان العرب"، من الدَنَس في الشياب، أي لطح الوسخ، ونحوه حتى في الأخلاق، والجمع أدَنَس، وقد دَنَسَ يُدَنَسُ دَنَسًا، فهو دَنَس، أي توسخ<sup>2</sup>، أما في القاموس الأنثروبولوجي فالمدنس يعني كل شيء دنيوي خارج عن نطاق الدين، وكل سلوك لا يمت إلى الطقوس بصلة، ويرى الباحث جون كازينييف أن المدنس ينحصر في اللاسوي، أي في كل ما لا يتطابق مع مألوف الرؤية، حيث يقول: « يكون مدنسا كل ما يشارك من قريب أو من بعيد، مباشرة أو بالملامسة، في انقلاب النظام الطبيعي أو النظام الاجتماعي<sup>3</sup> ».

يمكن القول أن المدنس هو كل ما هو قدر ومكروه، وهو ما يجعلنا في مواجهة حقيقة أنه ليس كل قدر أو مشكوك في نظافته مدنسا، فكيف نفسر إذا صورة الحجاج الذين يغطيهم الغبار والتعرق ويكونون في حالة إحرام، حيث يسمح لهم بأداء الشعائر الأكثر قداسة، وإن حيوانا للذبح مهما كان نظيفا يعتبر مدنسا، عندما لا يجري ذبحه حسب تعاليم الشريعة الإسلامية، لكنه يعد صالحا للاستهلاك، ولو كان وسخا مادام ذبحه قد جرى حسب ما يأمر به الدين، وعموما يظل مفهوم المقدس والمدنس، من المفاهيم التي قلما نعثر عليها داخل البحوث والدراسات التي تعالج مثل هذه المفاهيم بمنطق العلم والبحث العقلي.

1 - أندريه، لالاند: مرجع سابق، ص 1229.

2 - ابن منظور: مصدر سابق، مج 6/ ص 88.

3 - جاك كازينييف وآخرون: عشرة مفاهيم كبرى في علم الاجتماع، البلد: دار المنظومة- نشر معهد الإنماء العربي، مج 6/ ع 37-38، ص

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

### المبحث الثاني: موقع الطقس في مجال المقدس

كان الطقس ومازال موضوع بحث وتقصي في العديد من الدراسات والتي حاولت ضبط مفهومه، خاصة وأن المعاجم العربية القديمة لم تورد المصطلح في معناه الذي أريده، بل أوردته بألفاظ مماثلة كالمناسك والشعائر وغيرها، وسأحاول ضبط ماهيته بما يخدم موضوع البحث.

أولاً: ماهية الطقس:

#### الطقس لغة:

الطقس جمعه طقوس ويقصد به النظام والترتيب، ويقصد به كل ما يتعلق بالشعائر والطرق الدينية، ومصطلح الطقس الموجود في معاجم اللغة العربية قصد به حالة الجو وتقلبها من حال إلى آخر، ولم أعر على تعريف يفيد المعنى الذي أريده، وأجمعت هذه المعاجم على أن الطقس هو طريقة العبادات والاحتفالات الدينية عند المسيحيين وعليه لا بد من الرجوع إلى أصل كلمة طُقُس RIT المشتقة من الكلمة اللاتينية RITUS، والتي تعني الاستعمال المقدس، ففي الدين يعني الطقس مجموع الحركات التي تمارسها في ظرف معين، أو مجموعة القواعد المستعملة في العبادات، حسب الاستعمال الذي ينص عليه هذا أو ذاك الدين<sup>1</sup>.

ويعني الطقس في حياة المجتمع كذلك العادات والتقاليد، كما يعني أنواع الاحتفالات المرتبطة بمعتقدات ماورائية<sup>2</sup>، أكثر من دلالاتها على مجرد عادات اجتماعية، وهي أنماط من العمل المتكرر في نوع من الثبات<sup>3</sup>، ومنه فالطقوس مجموعة من الممارسات أو المحظورات المتعلقة بالمعتقدات السحرية أو الدينية، وعليه يمكن تعريف الطقس بأنه واقعة ثقافية تؤشر على رمزية المجتمع، وعلى تاريخ من القيم والمعايير التي تم التوافق عليها، فباتت تستعمل بشكل تكراري مضبوط ومنمط اجتماعياً<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Mauris, Davan: Dictionaire Du Francais, Presses Universtaires de France, Paris, 1976, p

1062. حنان، حمودا: "الماء كمنشط انثروبولوجي لإنتاج الطقوس بواحة سكرة جنوب المغرب"، مجلة إضافات (جامعة محمد الخامس الرباط)، ع33-34 / شتاء ربيع 2016، ص145.

<sup>2</sup> - عبد الرحيم، العطري: بركة الأولياء، ص27

<sup>3</sup> - jean, cazeneuve: op.cit, p13.

<sup>4</sup> - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص27؛ حنان، حمودا: مرجع سابق، ص145.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

### الطقس اصطلاحا:

الطقس اصطلاحا يعرف بأنه الشعائر والمناسك والأعمال الدينية التي تشكل الجانب العملي من العقائد واللاهوت<sup>1</sup>، وتعبّر عن بعض جوانب الميثولوجيا<sup>2</sup>، وتكسبها صفة الديمومة والاتصال مع اللاهوت، وهي وسيلة للتعبير من أجل الانخراط في عالم خارج الإطار التجريبي<sup>3</sup>، فالطقس بذلك يمثل تقليدا أو إجراءات متقدمة اكتسبت هبة دينية لهالة التقديس أو الاحترام الكبير لهذه الطقوس، وهي بمثابة بقايا لعادات أو معتقدات دينية بائدة<sup>4</sup>.

فالطقس كان سلوك فردي أو جماعي فهو يلتزم بمجموعة من القواعد التي تشكل طقوسيته وأبرزها التكرار<sup>5</sup>، وهي الصفة الأولية التي يضطلع بها الطقس، وهي وظيفة الاسترجاع الجماعية المستندة لأصول الأسطورة والدين<sup>6</sup>، ويعكس الطقس الحالة الانفعالية التي تصاحب الأسطورة، ولعل الإيقاع الموسيقي والرقص كانا أول أشكال هذا السلوك الانفعالي، الذي تحول تدريجيا إلى طقس مقنن وهو ما نجده في الاجتماعات الصوفية، ويتراقق تقنين الطقس وتنظيمه في أطر محددة ثابتة مع تنظيم التجربة الدينية وضبطها في معتقدات واضحة يؤمن بها الجميع، ويرون فيها تعبيرا عن تجاربهم الفردية والخاصة، وبذلك يتحول الطقس من أداء فردي حر إلى جماعي ذي قواعد وأصول مرسومة بدقة<sup>7</sup>، وما يهمنا هنا هو البعد المقدس لهذه الطقوس.

يقوم الطقس الحر الفردي جنبا إلى جنب مع الطقس الجماعي المنظم، وقد كانت الصلاة في المعابد وإنشاء التراتيل والإنشاد أبرز مظاهر الطقس المنظم قديما، وبشكل عام يمكن القول بأن أية صورة ذهنية لا تخرج من عالم الفكر إلى عالم الفعل، هي صورة معرضة للتحجر أو التلاشي والزوال<sup>8</sup>، وعليه فالطقس هو تصريف اجتماعي

1- اللاهوت: أو الألوهية علم يبحث في وجود الله وذاته وصفاته ويقوم مقام علم الكلام عند المسلمين ويسمى أيضا علم الربوبية. خزعل، الماجدي: متون سومر، ط1، عمان: الأهلية للنشر، 1998م، ص309.

2 - علم الأساطير المتصلة بالآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال الخارقين عند شعب من الشعوب، وبدل مصطلح أسطورة فإن معظم المؤرخين يستعملون كلمة التاريخ المقدس، أو القصة المقدسة. Alan, Dundes: The Meaning Of Folklore: The Analytical Essays Of Alan Dundes, university press of colorado: 1984, p41-42.

3- نور الدين، طوالي: مرجع سابق، ص 34-35.

4- عزام، أبو حماد مطور: الفلكلور والتراث الشعبي ( الموضوعات ، الأساليب، المناهج)، ط1، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع ، 2007م، ص10.

5 - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص121؛ عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص27؛ الصديق، ثياقة: مرجع سابق، ص88.

6 - نور الدين، طوالي: المرجع السابق، ص35.

7 - فراس، السواح: دين الإنسان، ص 52-53؛ حنان، حمودا: مرجع سابق، ص146.

8- فراس، السواح: دين الإنسان، ص54.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

لسلطة المقدس حسب جون ميزوناف في كتابه "السلوكات الطقوسية"، حيث يشير في المقدمة إلى أن مصطلح الطقس يحمل عموماً معنيين، أحدهما خاص يدل على الممارسة أو الحفل الديني، والآخر عام يدل على العادة أو التقليد<sup>1</sup>، ومنه فإن الطقس يقوم على سمتين أساسيتين هما المرجعية الدينية الماورائية، والسمة الثانية هي التكرار والثبات، فالطقس هو كل عمل يقوم به شخص بمفرده أو جماعة من المتدينين سواء قلوا أو كثروا، مثل الصلاة عند المسلمين والحج<sup>2</sup>، ويعتبر من عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل إلى جيل عبر الزمن، وتتميز بوحدة أساسية مستمرة<sup>3</sup>

وعليه فالطقس هو الأفق الذي تتبين داخله كل أنماط المقدس سواء في أشكالها الرمزية التخيلية أو اللغوية والجسدية والأضحوية، أو في أشكالها المادية والاقتصادية والسياسية<sup>4</sup>، ويغذيها التراكم الاجتماعي للعادة والتقاليد والأفكار، فيصبح المعتقد ذا قوة أمره قاهرة، فهو يأمر في حالة الإيجاب ويقهر في حالة السلب<sup>5</sup>، ويصبح الطقس هو الأسلوب الذي ترتب به السلوكات الدينية والتي عادة ما تكون احتفالية بسبب ما يتخللها من ممارسات يسيطر عليها الطابع التنظيمي.

إن ما يؤكد أهمية الطقس في مجتمع رمزي بالأساس كمجتمع المغرب الأوسط هو معطى الاستمرارية والانتقال عبر الأزمنة والأمكنة، فهي ممارسات تتجلى في حقل المنظومات الرمزية، وتحل أكثر في الشعائر والممارسات الدينية، وكذا في سياق العادات والتقاليد، فهي تنتقل من جيل إلى جيل آخر وتعبر عن تجذرها الاجتماعي بل والزامها الأدائي في تدبير كثير من التصرفات الاجتماعية<sup>6</sup>، إذا ما أخذنا في الاعتبار أن العادات هي نمط سلوكي يتميز عن المعتقد والطقس بأن المجتمع يقبله عموماً دون دوافع أخرى عدى التمسك بسنن الأسلاف<sup>7</sup>.

---

<sup>1</sup> - Jean, Maisonneuve: Les Conduits Rituelles, Presses Universtaires de France, paris, 2eme édition, 1995, p3

<sup>2</sup> - الصديق، ثياقة: مرجع سابق، ص 88.

<sup>3</sup> - أحمد، زكي، بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط2، لبنان: مكتبة لبنان، 1982م، 21 مجلد، مج19/ص398.

<sup>4</sup> - نفسه، ص32

<sup>5</sup> - حسن السهيلي ومحمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ط1، دمشق: دار الجليل، ص6.

<sup>6</sup> - نفسه، ص28.

<sup>7</sup> - أيكه هولنكرانس: مرجع سابق، 125/1.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

الطقوس هي مجموعة من الممارسات يقوم أفراد المجتمع بتأديتها في زمان ومكان معينين وفق قوانين مميزات يمكن تحدها الجماعة، وتقام هذه الطقوس لقيمتها الرمزية خاصة في المجتمعات الدينية كمجتمع المغرب الأوسط، وما هذه الطقوس إلا مجموعة من الأنشطة والأفعال الثابتة والمرتبطة والمتكررة داخل المجتمع، ففي الانتولوجيا وعلم الاجتماع تدل الطقوس على مجموعة من الممارسات المفروضة أو الممنوعة المرتبطة بالاعتقادات السحرية أو الدينية، وهذا حسب التفرعات الثنائية للمقدس والديني والطاهر والنجس<sup>1</sup> من جهة، وانشطاره إلى مقدس احترام ( يحيل على نظرية المحرمات)، ومقدس انتهاك ( يحيل على نظرية الحفل)<sup>2</sup>، ففي الحفل نجد الإسراف في الأكل والبذخ والسفور.

أما في الأنثروبولوجيا والتي اهتمت أكثر بتصنيف الطقوس حيث أن جيمس فرايز قد وضع تصنيفات للطقوس وقسمها إلى مجموعة من الأصناف، أشهرها الطقس الإيجابي أو السليبي، والطقس السحري أو الديني، الطقس الفردي أو الجماعي، الطقس الاحتفالي أو القرباني<sup>3</sup>، أين تقام الطقوس للعديد من الأغراض، كعيد الفطر وعيد الأضحى والمناسبات الدينية، أو لإشباع بعض الحاجات الروحية والعاطفية للمؤمنين كطقوس الاستمطار، أو لتعزيز الروابط الاجتماعية كمراسم الختان والزواج، أو كدليل على الاحترام والطاعة للولي أو صاحب الضريح، أو كمؤشر لبداية بعض الأحداث كموسم الزرع أو الحصاد مثلا، ومجتمع المغرب الأوسط أحد هذه المجتمعات الإنسانية التي أردت تسليط الضوء على تفاعله مع مقدساته عن طريق ممارسة بعض المراسم والطقوس التي تحمل خصوصية هذا المجتمع.

وتعتبر المراسم والطقوس بأنواعها المختلفة أحد سمات كل المجتمعات الإنسانية، سواء في الماضي أو الحاضر، ولا تقتصر الطقوس والمراسم على الأنواع المختلفة من طقوس العبادة، ولكنها تمتد أيضًا لتشمل طقوس العبور، ويمكن تعريف الطقس من خلال ما سبق على أنه تنظيم مركب للنشاط الإنساني، ويتضمن استخدام أساليب السلوك التي تتسم بقدرتها على التعبير عن العلاقات الاجتماعية، وهو إبداعات ثقافية بالغة الإتقان تقتضي ترابط أفعال وأقوال وتصورات أعداد كبيرة من البشر على امتداد أجيال عديدة<sup>4</sup>.

1 - منصف، المخواشي: الطقوس وجيروت الرموز- قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول، مجلة إنسانيات، كراسك، وهران: الجزائر، عدد 49، 2010م، ص ص 15-43، ص 20؛ فراس، السواح: دين الإنسان، ص 49.

2- روجيه، كايوا: مرجع سابق، ص 56.

3 - جيمس، جورج فرايزر: مرجع سابق، ص 29.

4- محمد، الخطيب، الأنثروبولوجيا الثقافية، ط2، عمان- الأردن: دار علاء الدين للنشر والتوزيع و الترجمة، 2008م، ص 59-60.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

يتوجب التمييز بين عدد من الطقوس فهناك طقوس الإباحة - طقوس التشفع والاسترضاء - طقوس التكهن - طقوس التلقين - طقوس المرور - طقوس الزراعة - طقوس السلبية أو المحظورة<sup>1</sup>، فالأمر يتعلق بمجتمع يحضر فيه الطقوسي في كل حركاته وسكناته، فما من فعالية اجتماعية إلا ولها ما يبررها ويعضدها من طقوس الأداء، والاشتغال بما يفيد حضور عنصر التوظيف والاستثمار في مختلف هذه الممارسات وهو ما يظهر بجلاء أكثر في حقل التراتيبات الاجتماعية ( وهو الأمر البارز في مجتمع المغرب الأوسط)، حيث الحاجة مستمرة لإظهار التفوق على الزبناء والأتباع والمنافسين في كل شيء، حتى في مستوى التدين واحترام الطقوس والمعتقدات<sup>2</sup>.

نستنتج من حصاد ما سبق أن الطقوس هي مجموعة من الأفعال والحركات والأقوال والأشياء المقننة، والتي تمثل مجموعة من التمثيلات التي تتكرر كل مرة عندما تحدث بشكل عرضي أو عادي وأحداث أو ظروف في مجتمع ما، مثلا الكسوف أو الخسوف أو الجفاف أو المرض أو الموت<sup>3</sup>، انطلاقا من هذا التعريف يمكن رصد جملة من الخصائص والصفات الجوهرية للطقوس.

- الطقوس سلوكيات نمطية ذات طابع تكراري، فالطقس شكل ثابت نسبيا ومتكرر أو يتوقع أن يتكرر.
- تجسد من خلال سلوكيات احتفالية جماعية أو فردية خاضعة لبعض القواعد، ومنه فهي مؤسسة أو مفروضة من قبل المجتمع.
- احتفالية حيث أنها تمارس من خلال مجموعة من الأنشطة الإنسانية، بغرض العبادة أو التقديس.
- هي رمزية وليست ذات أهداف نفعية.
- همزة وصل مع الكائنات الماورائية، إذ أنها لا تلتزم بقواعد العقل والمنطق.
- مرتبطة بالأساطير فالأسطورة هي بمثابة التعليق أو المناقشة أو تفسير للطقوس<sup>4</sup>، إن المتتبع للمقدسات والمعتقدات والممارسات والطقوس في مجتمع المغرب الأوسط يجد بأن جميع هذه الخصائص موجودة وبشكل جلي، وهو ما ستؤكداه الصفحات القادمة.

1 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 19 هامش 4.

2- نفسه، ص 40.

3 - Francois, Gresle: Dictionnaire Des sciences Humaines Anthropologie, Sociologie, Psychologie, Sociale, Édition nathan: paris, 1994, p 326.

4- موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية في منطقة تلمسان- رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا، كلية ، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان (الجزائر)، 2002م، ص 34.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

بالرجوع إلى عملية انتقال المقدس إلى مرحلة ممارسة الطقوس فهو يحتاج إلى أدوات، أهمها السرد والحكاية من أجل الظهور في العالم والتجلي في الكون والإشراق في العقول، والتحدث إلى الناس بلغة مبسطة وأشكال مرئية وأصوات مسموعة، ولكي يعبر عن رسالته في أفكار منطقية مستساغة، وعلى هذا النحو يقوم السرد بوظيفة التوسط في إبلاغ فحوى النسق الاعتقادي وأركانه، ويعمل على تفصيل أحكامه واشتقاق عناصره من مبادئه ووكلياته ورسم الحدود التي تفصله عن الدنيوي وعن المدنس<sup>1</sup>.

ومن جهة أخرى فإن السرد يحتاج إلى القداسة من أجل كسب الشرعية والظفر بالهبة، وانتزاع الاعتراف من النفوس وتشغيل آلية الاقتناع ومنظومة التصديق، ويمنحه العامل الديني الرفعة والعلو والاستقامة والنزاهة، وبهذا المعنى يؤدي المقدس دورا مهما للسرد ويمثل مركز ثقله ومنهجه التقويمي، ويزيد من حمولته وكشافته الرمزية بالمقارنة مع أشكال سردية أخرى في الحياة العامة وفي ساحة الثقافة والعلم<sup>2</sup>.

لا يهمننا كثيرا مصدر المقدسات إن كان وثنيا أو إسلاميا أو هو نتيجة تفاعل بينهما، بقدر ما يهمننا استمرارها وتأثيرها على ذهنية مجتمع المغرب الأوسط في زمن غلبت عليه الذهنية الاستسلامية واجتاحتها الكوارث والطواعين، وهو ما ساعد على ظهور الأسطورة وتغلغلها داخل هذا المجتمع، وعليه وجب علينا التساؤل حول ماهية الأسطورة؟ وكيف ساهمت في تشكيل الذهنية الاستسلامية التقديسية لبعض الظواهر الطبيعية أو بعض القوى الخارقة التي تنسب إلى بعض الأشخاص.

### ثانيا: الأسطورة لغة:

الأساطير والأباطيل، هي أحاديث لا نظام لها، مفردتها إسطار وإسطارة، وأسطير وأسطور وأسطورة، يقال: سَطَرَ فلان علينا، إذا جاء بأحاديث تشبه الأباطيل، ويقال: هو يَسْطُرُّ ما لا أصل له أي يؤلف<sup>3</sup>، واشتقاق كلمة أسطورة في العربية يقارب اشتقاقها في اللغات الأجنبية، فكلمة (MYTH)، مشتقة من الأصل اليوناني (MUTHAS) وتعني قصة أو حكاية<sup>4</sup>، وعادة تكون هذه الحكاية الرمزية التأسيسية والتي من طبيعتها أنها تكتسي بغلاف خارجي يبدو وكأنه غير قابل للتصديق، كأن تتكلم الحيوانات أو تهبط النجوم على الأرض،

1- زهير، الخويلدي: مرجع سابق، ص20.

2- نفسه، ص20

3- ابن منظور: مصدر سابق، 363/4.

4- فراس، السواح: دين الإنسان، ص56.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

وتتميز الأسطورة بانشقاقها الداخلي بينما تتظاهر بقوله وما تريد تسريه ضمينا، فليست كلها أباطيل وليست كلها حقائق<sup>1</sup>.

### الأسطورة اصطلاحا:

يمكن القول بأن الأسطورة هي حكاية مقدسة ذات مضمون عميق، يكشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان<sup>2</sup>، ولأن الأسطورة التي يعيش عليها شعب من الشعوب تشكل جزءا لا يتجزأ من ذاكرته وضميره ومن بنيته مجتمعة، لذلك لا يهون عليه هدمها بسهولة<sup>3</sup>.

الأسطورة تعطينا الإحساس بالوحدة بين المنظور والغيبي، بين الحي والجامد بين الإنسان وبقية مظاهر الحياة<sup>4</sup>، ولكي تؤسس الأسطورة لا بد أن تعتمد في جانبها على خلق نظامها الخاص، وهو نظام قوة الماورائيات، وهو نفس الدور الذي تلعبه الميتافيزيقيا في الثقافات المتطورة<sup>5</sup>، ويعبر عنها بطريقتين: الأولى: تتبدى بالطقس، والثانية: ذهنية تتبدى بالأسطورة<sup>6</sup>، وفي هذا الصدد يقول مارسلي إلياد: «الأسطورة تحكي تاريخا مقدسا، بيد أن زاوية تاريخ مقدس تعادل كشف أسطورة، لأن شخصيات الأسطورة ليست كائنات بشرية، فالأسطورة إذن هي التاريخ لما سبق حصوله في الزمن الأول، والأسطورة تكشف القداسة المطلقة<sup>7</sup>».

ويرى مارسلي إلياد أن الطقوس والأساطير تبقى عموما آلية يصعب إيجاد تحديد دقيق ووحيد لها، ففي أغلب المجتمعات القديمة والتقليدية تحتوي الأساطير أو الطقوس على حقيقة ثقافية معقدة جدا، والتي يمكن تفسيرها ومناقشتها من وجهات نظر متعددة، وهي ذاتها حكاية مقدسة تدور زمنيا عن أصل عمليات الخلق الأولى وتحتمل أبعادا أسطورية، ويتم عبورها بواسطة ممارسة الطقوس والمتمثلة حسب مارسلي إلياد بتجليات المقدس، وهي تؤدي أيضا وظيفة حيوية وتضامن المبادئ الأخلاقية وتضمن فعالية الاحتفالات الطقوسية وتقدم القواعد العملية المحددة لفعل وممارسة الإنسان، وبالتالي فهي عنصر أساسي من الحضارة الإنسانية<sup>8</sup>.

1 - ياروسلاف، ستيكفيتش: مرجع سابق، 16،

2 - فراس، السواح: الأسطورة والمعنى - دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، ط1، دمشق: منشورات دار علاء الدين، 1997م، ص14.

3 - مهدي، طه مكي: مرجع سابق، ص58؛ إلياد، مارسلي: المقدس والمدنس، ص6-7؛ رفيق، حبيب: المقدس والحرة، ط1، القاهرة: دار المعارف، 1998م، ص11.

4 - صالح، ابن حمادي: دراسات في الأساطير - المعتقدات الشعبية -، ط2، تونس: بوسلامة للطبع، 1983م، ص5-10.

5 - فراس، السواح: الأسطورة والمعنى، ص21.

6 - نفسه، ص147.

7 - إلياد، مارسلي: المقدس والمدنس، ص73-74.

8 - حنان، حمودا: مرجع سابق، ص147.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

ومن هنا يتضح أن هناك علاقة وطيدة بين الطقس والأسطورة: فهناك طقوس تمارس من دون مرجعية ميثولوجية، وهناك أساطير دون طقوس، لكن نجد أساطير نشأت من أنواع الطقوس، ووجود طقوس نشأت عن أساطير، وتعتبر الكرامة في الطقس عن الفكرة كما يعبر السلوك والحركة عن الصورة الذهنية التي تنشأ أثناء التفكير<sup>1</sup>، وهو ما يدعونا لتساءل هل نشأ الطقس من الأسطورة أم نشأت الأسطورة من الطقس؟

قد تتحول الأسطورة إلى دين، أو يتم امتصاصها من خلال السيطرة الدينية المثالية، إذا ما اعتبرنا أن الأسطورة تفسير وتأويل لشعائر دينية، وهي على العموم لا تؤلف إلا بعد ما تزول أو تضع الفكرة البدائية التي دعت إلى اتخاذ تلك الشعائر أو التقاليد<sup>2</sup>، فالأسطورة عادة لا تشرح كيف بدأت الشعائر والعادات، بل إنها بنفسها تحتاج إلى تفسير، ولذلك تفسر بواسطة العادات التي تتعلق بها<sup>3</sup>، فالأسطورة لا تعرف مؤلفاً معيناً فهي ظاهرة جمعية.

والأسطورة هي نتاج الطقس الأسبق عليها في تاريخ الدين، فالطقوس المؤسسة منذ زمن مغرق في القدم، تفقد بمرور الأيام معناها وغايتها، وتتحول إلى إجراءات غامضة لا يعرف ممارسوها والقيمون عليها مدلولاتها ومضامينها، وهنا تأتي الأسطورة لكي توضح أصل الطقس ومعناه، وتقدم تفسيراً مقنعاً لتلك الإجراءات التي تناقلتها الأجيال<sup>4</sup>، ولأن الرصيد الاعتقادي دائم لاستمرار هذه المعتقدات بالغ الضخامة ويمتد بجذوره إلى مراحل تاريخية موعلة في القدم، فإن العامة في المغرب الأوسط لم يكونوا بمنأى عن هذه السيطرة لمدة طويلة.

أما عن زمن الأسطورة فإن أحداثها تجري في زمن مقدس غير الزمن الحالي، ومع ذلك مضامينها أكثر صدقاً وحقيقة بالنسبة للمؤمن من مضامين الروايات التاريخية، التي قد يشكك فيها ويعطي لنفسه الحق في تصديقها أو تكذيبها<sup>5</sup>، هذه الحرية في التصديق من عدمه قد يتحكم فيها المنطق العقلي أحياناً، لكن سلطة الأسطورة ليست من البرهان العقلي لأنها تلجأ إلى الخيال والعاطفة، وهو ما يجلبنا إلى ظاهرة الكرامة الصوفية في مجتمع المغرب الأوسط، والتي انطبقت عليها مميزات وخصائص الأسطورة، من حيث الشكل، السلطة، والمشروعية، وامتدادها الزمني الطويل (تاريخ الزمن الطويل) .

1 - فراس، السواح: الأسطورة والمعنى، ص146.

2 - عبد المعيد، خان محمد: الأساطير العربية قبل الإسلام، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937م، ص3.

3 - عبد المعيد، خان محمد: المرجع السابق، ص9.

4 - فراس، السواح: الأسطورة والدين، ص145؛ علي، زيعور: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1997م، ص73.

5 - فراس، السواح: المرجع السابق، ص13.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

برجعونا للأسطورة في الفكر الإسلامي فإننا نجدها تعتبر ضرباً من الوهم والكذب والباطل، ولهذا نجد الكثير من المفكرين المعاصرين دعوا إلى ضرورة تفعيل العقل للنظر في المفاهيم ( المقدس والطقس)، ومن بين هؤلاء المفكرين نجد محمد أركون الذي نوه إلى الموقف السلبي اتجاه هذه المفاهيم : وحسب رأيه فإن فكر المسلمين بقي فترة طويلة يوصف بالجمود والانغلاقية<sup>1</sup>، وهذا الانغلاق طبع وطغى على المدونة الوسيطة خاصة المناقبية<sup>2</sup> الراضية للتشكيك في ما ورد من أساطير حول الأولياء والصلحاء، وهو ما منع إعمال العقل في نقل أخبار الكرامات والخوارق، وهو ما يفسر الكم الهائل من الروايات الخوارقية التي تزخر بها المدونة الوسيطة.

### المبحث الثالث: رمزية الطقوس وعلاقتها بالاعتقاد

#### أولاً: الرمز:

لا يمكن الاختلاف في كون الإنسان كائن رمزي، فالرموز والطقوس تحديداً تشكل أساس التفاعلات الاجتماعية للأفراد والجماعات، بل إن تاريخ الإنسان وفي مختلف المجتمعات هو تاريخ رموزه وإشارات ومعانيه، كما أن المجتمع حسب قول ليفي ستراوس: « يعبر عن حركيته بصورة رمزية أكثر منها مادية، وذلك عن طريق العادات والطقوس والمؤسسات»<sup>3</sup>. فالرمز يحمل القراءة والمضادة، ويفتح الباب أمام احتمالات التأويل نظراً لكونه علامة في البدء تحتاج إلى قراءة، فالرمز هو علامة اصطناعية مختزلة اختزالاً تكثيفياً، وبما أنها كذلك فهي حاملة بالأساس لقيم ومعتقدات وتمثالات، فكل رمز هو حمال أوجه ودلالات للمعنى<sup>4</sup>، فعن طريق الاستعمال الدائم يتكرس الرمز وتتأسس سلطته التأثيرية، كما أنه عن طريق تطبيق الرمز وتقديسه وتصريفه في المجال تتوطد هذه السلطة وتصير موجبة للخضوع والهيبة في البناءات الخاصة مثلاً : المساجد - الزوايا والضرائح- وقباب الأولياء المتجهة نحو السماء والتي تؤسس للسلطة الرمز من خلال حضورها المجالي<sup>5</sup>، وهو ما ستكشف عنه هذه الدراسة.

لظالما قامت الرموز المصرفة أثناء ممارسة الطقوس على تقوية سلطة الطقس وحدث الاحتفال به، وبالتالي ضمان استمرارية مضامين أسطوريته التأسيسية، كقصص أسطورية مجسدة لثقافة شفاهية يتناقلها أفراد المجتمع جيلاً

1 - محمد، أركون: معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، تر: هاشم صالح، ط1، بيروت: دار الساقي، 2001، ص38.

2- التفسير المعجمي للفظة منقبة يحيل على الطريق الضيق بين دارين والأثر العميق في الشيء وكرم الفعل والمفخرة والأخلاق الحسنة، أما النقيبة فهي يئُ الفعل والطباع الفطرية في مدلولها الشخصي التي تعني النفس أو الخلق أو الطبيعة، كما يمكن أن تعني كلمة نقيبة أيضاً نفاذ الرأي، وهو ما دفع الشراخ إلى إقامة علاقة بين الأصل الجرد للكلمة أي نَقَبَ ومدلوله المجازي الذي يقصد به فُكْ طُلَسَمَ وَكَشُفَ سِرِّ دَفِين. عيسى لطفي: مرجع سابق، ص28.

3 - كلود ليفي ستراوس: الأسطورة والمعنى، تر: صبحي حديد، ط1، المحمدية: دار الملتقى للنشر والتوزيع، 2006، ص25؛ عن عبد الرحيم،

العطري: مرجع سابق، ص 25

4- نفسه، ص 26؛ حنان، حمودا: مرجع سابق، ص145.

5عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص26.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

بعد جيل، والدالة في كنهها على النظام الاجتماعي وعاداته وتقاليده وبنية أعرافه، وتتنوع هذه الطقوس ما بين الممارسات التمثيلية لمواضيع متكاملة الأدوار من حيث رموزها ودلالاتها، وما بين العمليات الذهنية الموقعة للتصورات والتمثيلات الثقافية والاجتماعية والدينية القدسية المصبغة على موضوع رمزية المقدس<sup>1</sup>.

وتأسيسا على ما سبق فإن الرموز من الناحية الأنثروبولوجية، هي بمثابة آلية يتم توظيفها لترجمة مضامين وصور المقدس بكل تجلياته، فالرموز هي حاملة لدلالات الخصب والغيث والتضامن، وكذا لقيم الاتصال بالطبيعة عبر ممارسة طقوس العبور، التي يمكن اعتبارها بمنزلة محطات سوسيوثقافية تكررية تؤرخ لرموز المقدس المائي، وهي غالبا ما تمارس لتصريف قيم ومعايير الواقع الطبيعي والمناخي الصعب وتكريسه رمزيا وطقوسيا<sup>2</sup>.

ثانيا: أنواع الرموز المقدسة ( الرمزية المائية وتقديس العيون المائية أنموذجا):

تنوعت الرموز المقدسة التي تم توظيفها في المغرب الأوسط بين الأشكال والألوان، من ذلك شكل حذوة الحصان والهلال والنجمة والخمسة واللون الأخضر والأبيض وغيرها، وكان الماء أكثر هذه الرموز حضورا واستعمالا فالحديث عن بنية الرمزية المائية وتقديس العيون المائية بالمغرب الأوسط، يحيلنا إلى البحث في دلالات "الماء" وكيف أصبح رمزا مقدسا، خاصة في بيئة أقل ما يقال عنها أنها بيئة ذات طبيعة زراعية يكثر فيها استعمال الماء.

إن المتأمل في هذه الممارسات الطقوسية يجد أن الماء يحمل أكثر من دلالة، ولعل ذلك يتجلى في كون الماء مصدر الحياة كلها، أضف إلى ذلك أنه يرمز إلى دلالات كثيرة، ففي معجم الرموز ذكر في مقدمة لفظة الماء يمكن أن تحتزل الدلالة الرمزية للماء في ثلاث محاور أساسية، "مصدر للحياة" "وسيلة للتطهير" "مركز تجدد" هذه المحاور الثلاثة تلتقي في العادات القديمة<sup>3</sup>، لدى جميع المجتمعات خاصة الرعوية أو الريفية كمجتمع المغرب الأوسط.

وبتحليل القيم الدينية للمياه ندرك بشكل أفضل البنية الوظيفية للرمز، وعليه فإن الرمزية المائية هنا تلعب دورا بارزا في الحياة الدينية البشرية، فبفضل الرموز يصبح العالم شفافا وقابلا لإظهار التصاعد<sup>4</sup>، تكاد ترجع أغلب أساطير المجتمعات البشرية القديمة أصل الكون والحياة وجميع أصناف المخلوقات إلى الماء<sup>5</sup>، والتي تعبر عنها داخل قوالب معرفية أسطورية شائعة الصدى منذ القدم، كأشكال من المعتقدات والموروث الشعبي المتصل بالماء، وتترجمه

1 - حنان، حمودا: مرجع سابق، ص146.

2 - نفسه، ص148.

3 - Jean Chevalier et Alain Gheerbrant: Dictionnaire des symboles, Édition Robert lafont, paris, 1986, p 374.

4 - إلياد، مارسى: المقدس والمدنس، ص98.

5 - كان الماء موضوعا للعبادة عبر طقوس تبجل وتقدس آلهة الماء، والتي تتعدد ما بين آلهة البحار وآلهة الأنهار وآلهة الآبار والمغارات المائية، إلى غير ذلك من المجالات المائية المقدسة في بلدان شمال إفريقيا قبل الإسلام. حنان، حمودا: مرجع سابق، ص 141.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

كمضامين دالة على موضوع المقدس والخصوبة والحياة والموت<sup>1</sup>، فالمياه مستودع كل إمكانيات الوجود، فالمياه لدى بعض سكان المغرب الأوسط يستعمل في الإراقة الجنائزية كماء تغسيل الميت، وتطهيرات المواليد الجدد أو الاستحمامات الطقوسية كحمام العروسة، أو الاستحمام يوم عاشوراء، وبسبب هذه المناسبات والممارسات تتحول طبيعة المياه حسب اعتقادهم، من المياه العادية إلى مياه مقدسة تنتج صحة وخصبا، وهو ما سأطرق إليه بالتفصيل في الحديث عن توظيف الماء المقدس في المناسبات والاحتفالات وحتى الجنائز، فالمياه كما قال إلياد مارسلي تغسل الذنوب وفي الوقت ذاته مطهرة ومولدة<sup>2</sup>.

"المقدس المائي" يشكل جزءاً مهماً من بنية المعتقد لدى جميع الأمم وبخاصة سكان المغرب الأوسط، والمتمثلة بنسق من الاحتفالات والطقوس والتصورات المرتبطة حول موضوع المقدس وعلاقة الماء ورموزه بدلالات الخصوبة، حيث أثرت على البنية الذهنية والسيكولوجية والسوسيولوجية للمجتمع المغرب الأوسط الذي يحتفي بمجالات العيون كأمكنة للتبرك والتشافي من العقم ومن السحر، ويتم توظيفها كمزارات من لدن النساء طمعا في الزواج والإنجاب وفك قيود السحر إلى غير ذلك من الأشكال والممارسات التي تترجم بنية ذهنية مجتمع المغرب الأوسط الزاخرة بطقوس الزيارة والتبرك<sup>3</sup>.

### ثالثا: المعتقد:

يعرف المعتقد بأنه أحد أشكال التعبيرات الجمعية التي خرجت من حيز التأمل الذهني، ويبدو أن توصل الخبرة الدينية إلى تكوين معتقد هو حاجة سيكولوجية ماسة، لأن المعتقد هو الذي يعطي للخبرة الدينية شكلها المعقول الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها، وقد تحدثت مواجهة بين ما هو غيبي الذي يعده قدسيا في نفسه وخارج عن سيطرته، وبين ما يحدثه هذا الطقس من انفعالات تؤدي إلى حقائق معينة، في حين ينتج عن هذه المواجهة ما يسمى بالمعتقد الذي تصوغه الجماعة من أجل إسقاط التجربة الداخلية على العالم الخارجي<sup>4</sup>.

يمكن القول أن المعتقدات هي مجموعة الأفكار والمبادئ التي تبناها الناس ويؤمنون بصحتها، ويتم الاتفاق على أهميتها وصحتها لفترة زمنية معينة.

1- حنان، حمودا: مرجع سابق، ص 141.

2- إلياد، مارسلي: المقدس والمدنس، ص 99.

3- حنان، حمودا: المرجع السابق، ص 142.

4- فراس، السواح: دين الإنسان، ص 47.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

### المبحث الرابع: الاستشراق ونظرية مقدس الاختراق.

لاحظ بعض الأكاديميين والمؤرخيين على رأسهم الأستاذ الباحث عبد العزيز فيلاي في كل ما أنجزه رواد المدرسة التاريخية الفرنسية، في معظم مصنفاتهم حول تاريخ الجزائر في عصورها المختلفة، فوصفها بالعنصرية والتطرف والابتعاد عن الموضوعية أكثر من غيرها، باعتمادها على مصادر يونانية<sup>1</sup> ورومانية<sup>2</sup> وبيزنطية، وهي عناصر كان بعضها محتلا لهذه الربوع ومستغلا لشعوبها، بحيث نظر مؤرخو هذه المصادر إلى بلاد المغرب وأهله نظرة تتسم بالكثير من التشويه والتحامل، يريدون بذلك أن يؤثروا على مجرى الأحداث والتطورات ويغيروها، عن طريق خلق نظريات وفرضيات عديدة تتصل بتاريخ بلاد المغرب القديم<sup>3</sup>، محاولين إرجاع مقدسات سكان المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص إلى المقدسات والمعتقدات الوثنية، في محاولة لإزالة أي علاقة للموروث الحضاري المغاربي بالدين الإسلامي.

لذا يمكن القول أن موقف عبد العزيز فيلاي وغيره من المؤرخين الجزائريين الذين يشاطرونه الرأي، الذي جاء انطلاقا من اطلاعه على ما جاء في كتب القدماء وموقفهم من أهل المغرب، بأنهم أناس غير متحضرين يجسدون كل مظاهر التخلف والهمجية، ولا يمكن المحافظة على السلم والأمن معهم، ولا يمكن اعتبارهم من سلالة البشر، كما تم وصفهم بأنهم يجبون بطبعهم الفوضى<sup>4</sup>.

وهو الرأي الذي عارضه الباحث عبد العزيز فيلاي، وذكر أن المدرسة التاريخية الفرنسية لم تتورع في التحامل على المجتمع المغربي في عصوره المختلفة، بأحكام ظالمة مليئة بالقرارات الخاطئة التي بنتها على افتراضات وتخمينات اختلقتها للتنكر لحضارتهم، والتجني على أعلامهم وثقافتهم وطبائعهم وتزوير حقائقهم وتزييف أخبارهم، ليس بالاعتماد على أمهات المصادر الأساسية والسند التاريخي الحقيقي، وإنما على الأفكار الواهية والانطباعات المغرضة والتأويلات الخالية من الصحة، بالرغم من محاولاتها الاحتفاظ بالمظهر الأكاديمي في كتاباتها وتدوينها، إلا أنها

<sup>1</sup> - اليونان بالضم ثم السكون ونونين بينهما ألف موضع منه إلى سبعة فراسخ ومنه أيضا إلى البلقان سبعة فراسخ وهي من قرى بعلبك، ياقوت الحموي: الحموي أبو عبد الله ياقوت الرومي: معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1977م، ص453.

<sup>2</sup> - جبل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم، فيقال بلاد الروم، سمو كذلك لشقرهم بني الأصفر، مجدها شرقا تركيا جنوبا الاسكندرية وغربا الأندلس . الحموي: مصدر سابق، 97/3-98؛ العمري: مصدر سابق، ص213-214.

<sup>3</sup> - عبد العزيز فيلاي: "المؤرخون الفرنسيون والأمن الفكري في المغرب الكبير"، ص.ص9-52، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، عين مليلة - الجزائر: دار الهدى، 2012م، ص11.

<sup>4</sup> - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص11؛ عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: المغرب، 1996م، ص124، 133.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

كانت تخفي في كثير من الأحيان دوافع كامنة للسيطرة والهيمنة على السكان المحليين الأصليين<sup>1</sup>، وانطلاقاً من هذا الرأي سأحاول تتبع بعض الكتابات والدراسات الفرنسية بالمغرب الأوسط لتتعرف على مواقف أصحابها، وكيف نفسر بقاء بعض المعتقدات والمقدسات والعادات الوثنية طيلة العصر الوسيط واستمرارها لما بعده؟

من أهم الكتابات نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتابات الفرد بلعن الدين الإسلامي لدى البربر وكتاب إدموند دوتي السحر والديانة في إفريقيا الشمالية، بالإضافة إلى كتاب ريني باسات عن عبادة المغارات في المغرب والجزائر، وهي دراسة ميدانية قدمها لنيل شهادة الدكتوراه من كلية الآداب بالجزائر جمع وصنف فيها عددا هائلا من الأساطير والمعتقدات المرتبطة ببعض الكهوف والمغارات الموجودة في مختلف مناطق المغرب<sup>2</sup>.

وتسجيل ما كتبه إدوارد مونتي عن عبادة الأولياء المسلمين في إفريقيا الشمالية، وجاك كاريت في المرابطين والطرق الدينية الإسلامية في الجزائر وغيرهم من المؤرخين، حاولوا إرجاع أصل كل ما هو مقدس في المغرب الوسيط إلى أصول تخدم أهدافهم.

يرى جاك باركفي كلامه عن مكانة المقدس في تاريخ المغرب الإسلامي أنه جمع لمدة طويلة الصوري والملموس أكثر وأحسن من أي نمط آخر من أنماط الممارسة الاجتماعية، بحيث وإن هو لم يشكل سوى وجهها من أوجه النظام المغربي، إلا أنه كان وجهها فاعلا ومفكرا، من وجهة نظر المؤرخين الاجتماعيين<sup>3</sup>، إذ ذكر جاك بارك: « إن الحياة الطقوسية تنحصر على الأقل فيما يخص القرية في احتفالات دورية، تدعم إيقاع الفصول وتحمي السلامة القانونية وتحافظ على النظام الزراعي والدفع الجماعي»<sup>4</sup>، كما دعم جاك بارك فكرة البقايا الوثنية بقوله: « كل شيء بدأ وانتهى بالرقص، فمن الممكن القول أن الله ما زال حاضرا في هذا المغرب العربي المعفر والمذهب، لقد وصل صدى الرسالة السماوية كصوت آت من الصحراء يمتزج بهذه الأناشيد الوثنية المنبعثة من حوض البحر الأبيض المتوسط»<sup>5</sup>.

1 - عبد العزيز فيلاي: "المؤرخون الفرنسيون، ص11؛ وذكر عبد الله العروي أن المؤرخ الغربي يلجأ إلى تفسير الظواهر بمنطقه الفاسد، دون أن يجرا أحد على توبيخه، مجمل تاريخ، ص83-84

2 - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص35.

3 - Ulemas Fondateurs insurges du Maghreb xvii siele, la Biblitheque Arabe Éditions sindbed, Paris,1982,P245.

4 - عبد الغني، منديب: المرجع السابق، ص 48، جاك بيرك جاء للمغرب سنة 1898م ونشر كتابه الطقوس والمعتقدات سنة 1926م، كما اشتغل مراقب مدني ممثلا للاستعمار الفرنسي بمركز البروج ثم امنانوت، وله دراسة حول الموثائق الرعوية لقبيلة بني مسكين سنة 1936م، ثم دراسة أخرى بعنوان: البنيات الاجتماعية في الأطلس الكبير سنة 1955م.

5 - jaques, Berque: Dépossession du Monde, Éditions seuil, paris, 1964, p9

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

إن الدراسات السوسولوجية خاصة الفرنسية التي تحسب على التراث الكولونيالي، تمحورت حول الإسلام المغربي وممارساته، تفيد أن سكان المغرب بعد دخول الإسلام لم يعيدوا إنتاج نفس الإسلام التاريخي، بل أنهم حافظوا على إيمانهم بمعتقداتهم الوثنية التي ورثوها عن سابقينهم، والتي انصهرت بدورها مع نمط تدينهم الإسلامي، وعليه فإن المقدسات عندهم سواء الدينية أو المدنية كانت مشبعة بهذه المعتقدات الموروثة، ومنه تطرقهم للمقدسات في المغرب الوسيط كان من منظور الدراسات الكولونيالية والدراسات الأنجلوساكسونية، التي انطلقت من التوجهات الفكرية والسوسولوجية التي حكمت هذه الفترة والتي استقلت على مستوى الموضوع والمنهج والمفاهيم.

فبالرغم من كون العلوم الاجتماعية الكولونيالية قد قاربت المجتمعات المغربية كلها بخلفيات إيديولوجية مستوحاة من المشروع الاستعماري الذي كان يؤطرها، فإنها استعملت من الناحية التحليلية النظريات والأدوات المفاهيمية التي كانت سائدة في وقتها<sup>1</sup>.

وردا عليهم يمكن تسجيل رأي الباحث فراس السواح عن الممارسات الطقوسية فهو يرى بأنها مجموعة من الأفعال المتعلقة بأسلوب التعامل مع المعتقد، وأن الطقوس ممارسات فردية أو جماعية تترجم ما يشعر به المعتقد من إيمان داخلي ولا تقتصر وظيفة الطقس في ترجمة الأفكار والمعتقدات، وإنما تهدف إلى إحيائها واستمرارها فهي أيضا مجموعة من الأسباب والوسائل التي تعيد خلق الإيمان بشكل دوري،<sup>2</sup> والطقس - ممارسة الفعل الاحتفالي في قالب طقوسي - واقعة ثقافية تؤشر على رمزية المجتمع وعلى تاريخ من القيم والمعايير التي تم التوافق عليها، فباتت تستعمل بشكل تكراري مضبوط ومنمط اجتماعيا<sup>3</sup>.

وكدليل على حركية المقدس وعدم احتكارها فيما قبل إسلام سكان المغرب، فإن الباحث نور الدين الزاهي يرى بأن المقدس ينتمي إلى جهة الرمزي وبفضل هذا الانتماء تتشكل تعبيراته بالصور والرموز المتجذرة في عمق التخيل الجمعي لتظهر بألوان متعددة داخل المعرفي والطقوسي والمجالي والسياسي<sup>4</sup>، بينما غيره يرى أن أي مجتمع يعيد إنتاج معطياته من خلال المقدس والمدنس والمجال والذات والتقابلات أو الأزواج، وفي ظل هذه التقابلات يتحول المقدس إلى أهم رهان سياسي، وبالضبط في مجتمعات يلعب المقدس فيها دورا مهما في استراتيجيات

1 - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص 28

2 - فراس، السواح: دين الإنسان، ص 47 و 54.

3 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 27.

4 - نور الدين، الزاهي: المقدس الإسلامي، ص 7.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

الشرف والعرض والبركة والكرامة<sup>1</sup>، وهو ما ينطبق على مجتمع المغرب الأوسط، لذا نجد أن السلاطين الزيانيين بالمغرب الأوسط عملوا على احترام وتقريب كل من يملك سلطة روحية وقدرية سواء الفقهاء أو المتصوفة أو حتى أصحاب الكرامات لما يضيفه هذا الأمر من شرعية لهم.

من هنا بدت لنا عمليات إعادة الترتيب المتتالية للمقدس هي التي تحي وتحرك تاريخ المغرب من الداخل، أكثر من التقلبات السياسية ومن القليل الذي نعرفه عن الاقتصاد أو نستحضره من الاثنولوجيا<sup>2</sup> والاثنوغرافيا<sup>3</sup>، في حين أن هناك من رأى بأن ممارسات الأفراد تُكوّن الشعور الجمعي اتجاه المقدس، معتبرين أن المقدس هو إحدى مقولات الإحساس التي يبنى عليها السلوك الديني التي تمنحه خاصته النوعية وتفرض على المؤمن شعورا مميزا بالاحترام، يحصن إيمانه ضد روح النقد كما تجعله بمنأى عن الجدل العقيم بوضعها إياه خارج نطاق العقل وما ورائه<sup>4</sup>، ملاحظا أن التاريخ المغربي في قراءته لذاته منح أولوية ثابتة للديني<sup>5</sup> على عكس القراءات الاستشراقية.

ومنه نستنتج أن أعمال المستشرقين قد اضطبغت بمنهج تأويلي واضح، في محاولة منهم لإثبات كيفية أسلمة كل الطقوس التي تطرقوا إليها بالدراسة من خلال تركيزهم على البقايا الوثنية، التي لم تتعرض لعملية الأسلمة كما سموها وهو المنهج الذي تبنته المدرسة الفرنسية، خصوصا أنه يسعى إلى إصباح المعنى على مختلف الطقوس والمقدسات المدروسة.

من خلال طرح أفكار وأراء بعض المؤرخين الفرنسيين حول الممارسات الطقوسية والعادات بالمغرب الإسلامي فإن موقف المتبنى لا يختلف كثيرا عن موقف المؤرخ عبد العزيز فيلاي حول هذه الكتابات، كون المؤرخين الفرنسيين لم يحجموا عن ذكر المبالغات والمغالطات والأخطاء والتناقضات المعتمدة في تاريخهم للفترة القديمة، كما لم تخل كتاباتهم من الانحراف والتلفيق والتعصب العرقي والديني والايديولوجي خدمة للهيمنة والسلطة<sup>6</sup>.

1 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 10.

2- نيللي، سلامة العامري: الولاية والمجتمع- مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقيا في العهد الفصي، منوبة- تونس: منشورات كلية الآداب، (د.ت)، ص 33، ص 20-21. الإثنولوجيا تهتم بدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الإثنوغرافية، بهدف الوصول إلى تصورات نظرية أو تعميمات بصد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية، من حيث أصولها وتطورها وتنوعها. حسين، فهميم: مرجع سابق، ص 15

3 - الاثنوغرافيا تعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة. نفسه، ص 14.

4- روجي كايوا: مرجع سابق، ص 36.

5 - نيللي سلامة: المرجع السابق، ص 20-21.

6- عبد العزيز فيلاي: المؤرخون الفرنسيون، ص 12.

## فصل تمهيدي : \_\_\_\_\_ المقدس بحث في الماهية والعلائق.

بالإضافة إلى الأحكام المسبقة والنعوت السلبية للحياة الاجتماعية والدينية والعقدية، وضرب الوسائل الوجدانية والروحية والهوية والتاريخ والانتماء الجغرافي والحضاري للشعوب المستعمرة، كانت من أهم العوامل المتحكمة في الكتابات الكولونيالية، وهي نظريات مبالغ فيها تدل دلالة واضحة على أن مؤرخي هذه المدرسة ابتعدوا عن المنهج العلمي السليم في علاج القضايا التاريخية والاجتماعية والمواضيع الحضارية، باعتمادها على زرع الشكوك في مقومات الشخصية المغربية ومكوناتها، وفي أصولهم وطبائعهم وقامت بتغذية النعرة القبلية والطائفية وإذكاء نارها، حتى تسود وتمكن من تهجين الأهالي ومسحهم وتغريبهم، ليسهل لها بذلك القيادة والسيطرة عليهم وعلى مقدراتهم الوطنية.

اشتركت الدراسات الكولونيالية في استنتاجاتها العامة حول البقايا الوثنية للمقدسات بالمغرب الأوسط، كما اشتركت في طريقة المعالجة ومنهج القراءة والتأويل في قراءة وفهم مغزى الظواهر المدروسة واعتمدت على نفس المنهج المبني على الملاحظة المباشر في جمع وتصنيف المعطيات الاثنوغرافية.

# الفصل الأول

## المعتقدات الشعبية والمقدس.

المبحث الأول: المعتقدات الشعبية والممارسات الطقوسية.

أولاً: الاعتقاد في سلطة الجن.

ثانياً: الاعتقاد في العين والحسد.

ثالثاً: التطير والفأل:

المبحث الثاني: السحر والشعوذة:

أولاً: السحر

ثانياً: الشعوذة.

ثالثاً: التفريق بين السحر والطلاسم والمعجزة والكرامة:

1/ المعجزة والسحر:

2/ السحر في المغرب الأوسط بين أحكام الشريعة والمدرسة الاستشراقية.

3/ التداخل بين الدين والسحر.

رابعاً: الكهانة والتنجيم.

1/ الكهانة والعرافة.

2/ صناعة النجوم (التنجيم):

3/ وجه إلحاق التنجيم بالسحر:

المبحث الثالث: البدع والخرافات وتأثيرها على الفرد والمجتمع.

أولاً: تعريف البدعة

ثانياً: نماذج من البدع.

1/ بدعة تعليق التمام.

2/ بدعة التحية.

3/ ظهور الحركات الدينية متطرفة بالمغرب الأوسط.

4/ علم الرمل.

5/ قراءة الكف.

6/ النظر في الكتف.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

سادت المعتقدات الشعبية المقدسة مجال واسع من ذهنية سكان المغرب الأوسط<sup>1</sup>، خاصة في ظل الظروف الصعبة التي واجهها هذا المجتمع في الفترة موضوع البحث، والتي شهدت صراع عسكري وحروب مع الدول المجاورة، إنضافت إليها الكوارث الطبيعية والجوائح والأوبئة التي حلت به.

للبحث عن المعتقدات الشعبية المقدسة في المغرب الأوسط، يمكن القول أنه لا يمكن عزلها عن أصلها الأسطوري أو الميثولوجي، فالمعتقدات يؤمن بها الناس لتعلقها بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي<sup>2</sup>، وتنتج المعتقدات عن الخبرة الدينية الفردية، والتي خرجت بدورها من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني<sup>3</sup>، ومنه فالمعتقدات الشعبية هي تلك الأفكار والأحاسيس التي تحرك الناس إزاء الظواهر الطبيعية والشاذة، كتصورات الناس عن الزلازل والرعده والخسوف وغيرها، فيشعر الإنسان بالخوف اتجاه هذه الظواهر، وكذلك تصورات الناس عن أسرار بعض الظواهر الفيزيائية والنفسية، كالأحلام والنوم والولادة والخصاب والموت ورؤية المستقبل، فالمعتقد إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري، لذا يُكره الإنسان على تصديق فكر أو رأي أو تأويل أو مذهب، وسوف نرى أن "العقل غريب عن تكوين المعتقد، ولا يأخذ العقل تبرير المعتقد إلا بعد أن يتم تكوينه"<sup>4</sup>.

لعل من أبرز المعتقدات الشعبية انتشارا وتقديسا عند بعض سكان المغرب الأوسط، هو الاعتقاد بالتنبؤ والتكهن واستشراف المستقبل والتطلع لمعرفة الغيب، بالتوسل إلى الأولياء والأضرحة عن طريق التقرب إليهم

---

1- ضَبَّطُ ابن خلدون للمغرب الأوسط وتقسيمه له كان قبليا أكثر منه جغرافي إذ قال: « بلاد المغرب الأوسط موطن قبائل زناتة من وادي ملوية غربا إلى واد الشلف والزاب شرقا، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا، إلى إقليم تيهرت جنوبا، والأقاليم الممتدة من الجزائر غربا إلى بجاية شرقا بلاد صنهاجة، أما بجاية وقسنطينة فمواطن كتامة وعجيسة وهوارة » العبر، 17/6 وما بعدها، وكثيرا ما طَرَح الضبط الجغرافي للمغرب الأوسط في العصر الوسيط إشكالا كبيرا بين الباحثين بين ضبطه قبليا أو جغرافيا أو سياسيا، فقبائل المغرب الأوسط من طبيعتها الترحال والتنقل بحثا عن الماء والكأ، وكذلك الأمر بالنسبة للسيطرة السياسية على الأراضي، فهي لم تستقر لدولة بعينها فحتى الموحدون ملكوا المغرب الأوسط نظريا لكن عمليا لم يتمكنوا من السيطرة على جميع أقاليمه بل دليل توظيفهم للقبائل الهلالية من أجل جمع الضرائب من القبائل المتنعة، أضف إلى ذلك ما شهدته المغرب الأوسط العديد من الحروب والصراعات السياسية بينه وبين المغرب الأقصى والأدنى، ويرى الباحث عيسى، ابن الحاج في خاتمة دراسته حول زناتة أن السبب وراء تفادي معظم الباحثين للحوض في تفاصيل بطون قبائل زناتة، هو التعقيد والغموض اللذان يحيطان بالظاهرة، والتي لم يستطع أكثر المتخصصين في الشأن القبلي كابن خلدون من تحديد حدود الاتصال والانفصال بين زناتة والآخر، وبدا واضحا صعوبة تحديد المجال الجغرافي لزنانة طيلة العصر الوسيط بشكل دقيق، بسبب الانتشار الكبير وكثرة التفرعات القبلية. " زناتة المغرب الأوسط القبيلة والمجال"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، ع1، مجلد3، جانفي 2020، ص ص 173-195، ص193؛ وللمزيد حول الموضوع ينظر الدراسة التي قام بها الباحث عبد القادر بوعقادة الموسومة ب: " هل المغرب الأوسط خرافة"، مجلة عصور الجديدة، ع 21-22، ماي 2016م، ص ص 60-75.

2 - محمد، الجوهري: الدراسات العلمية للمعتقدات الشعبية، ط3، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993م، ص49؛ نورة، عبيدي وفوزية، خميسي: "المعتقدات الشعبية في الأسرة الجزائرية من طقوس الولادة حتى نمو الطفل": مجلة تاريخ العلوم، ع9 سبتمبر 2017م، جامعة الطارف- الجزائر، ص ص 135-141، ص 136.

3 - فراس، السواح: دين الإنسان، ص 47.

4 - غوستاف، لوبون: الآراء والمعتقدات، ترجمة: عادل زعيتر، ط01، مصر: منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014م، ص17-18.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

بالقربان والأضاحي والنذور والزيارة، وذلك للحصول على البركة، أو لتحقيق أغراض دينوية باستخدام عدة وسائل، لإخضاع القوى فوق الطبيعية لإرادة الإنسان واثقاء شرها<sup>1</sup>، عن طريق ممارسة عدة طقوس إستراتيجية تختلف حسب كل مرحلة من مراحل دورة الحياة بدءاً بالولادة وصولاً إلى الوفاة، وتقوم بهذه الطقوس "الجماعة الشعبية" أقصد شريحة عريضة من المهمشين في مجتمع المغرب الأوسط، لتتقي بها أخطار يعتقد أنها تهدد حياة أفرادها، بكائنات غير منظورة وذات طبيعة سحرية، ولاسترضاء هذه الكائنات وطلب بركتها، من خلال التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء أو أموات<sup>2</sup>، ولم يقتصر البحث عن معرفة ما تحبأه الأيام لدى الفئات الدنيا بل حتى بعض النخب السياسية من أمراء وقادة لجئوا لمثل هذه الطقوس .

ولا يمكن فصل هذه الطقوس عن سياق المقدسات، إذ لم يجد إنسان المغرب الأوسط غير الممارسات الطقوسية ذات الطابع الديني أو الدنيوي ليعلق عليها معتقداته، في ثنائية متناقضة ومتضادة يختلط فيها القدسي الإلهي بالسحري والوضعي الدنيوي.

---

<sup>1</sup> - محمد، الجوهري: علم الفلكلور، ط1، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1998م، ص64؛ وهيب، أبي فاضل: موسوعة عالم التاريخ والحضارة - حضارات العالم القديم-، ط1، بيروت: نوبليس، 10 مجلدات، ص174.

<sup>2</sup> - صالح، بن فوزان: البدعة- تعريفها - أنواعها - أحكامها، ط3، الرياض - السعودية: المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد، 2003 م، ص36.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

المبحث الأول: المعتقدات الشعبية والممارسات الطقوسية:

تصنف المعتقدات بأنها كل ما هو من عمل الإيمان، ومتى استعان المرء في تحقيق صحتها بالتأمل والتجربة أصبحت هي والمعرفة أمران نفسيان، يختلفان من حيث المصدر اختلافا تاما، إذ يعتبر المعتقد كناية عن إلهام لا شعوري ناشئ عن علل بعيدة من إرادتنا، والمعرفة عبارة عن اقتباس شعوري عقلي قائم على الاختبار والتأمل<sup>1</sup>، فمجتمع المغرب الأوسط مجتمع مؤمن وله معتقداته الراسخة التي لعبت دورا رئيسيا في تكوين البنية الذهنية المؤمنة بالغيب مما كرس بعض الآراء والمعتقدات.

ولتكوين هذه الآراء والمعتقدات وذيوعها وجوه خارقة للعادة، تجعل المؤمنين بها يعزونها إلى مصدر إلهي، ومما يشيرون إليه هو أنهم يعتقدونها مع مخالفتها لأكثر منافعهم وضوحا<sup>2</sup>، ويشتمل عالم المعتقد على سننه ومنطقه<sup>3</sup>، فمنذ القديم حاول العلماء عبثا أن يدخلوا فيه مستعنين بمناهجهم وأساليبهم، فكان الناس في الماضي يعزون المعتقدات إلى مصدر إلهي، مما جعلهم يعتقدونها غير مجادلين فيها، وذلك لأن مصدر المعتقدات اللاشعوري وغير الإرادي يمنحها قوة عظيمة، فللمعتقدات دينية كانت أم سياسية أم اجتماعية شأن كبير في التاريخ على الدوام، إذ لا تلبث المعتقدات بعد أن تصبح عامة أن تصبح قطوبا جاذبة تجذب حولها كيان الشعوب، وتطبع سمتها على كل عنصر من عناصر حضارتها<sup>4</sup>.

لذا نجد أن المعتقدات السائدة في المغرب الأوسط أصبحت جزءا من كيانه وحضارته مستندة على المنطق الديني، الذي يقوم مقام العلل الطبيعية كعزائم موجودات، أو قوى علوية تجب خشيتها ومداراتها لأنها ذات أهواء وتأثير في جميع الأفعال، ويمكن رصد قوة المنطق الديني في مجتمع المغرب الأوسط على الخصوص عند أصحاب النفوس الدينية، ذلك أنها في نظرهم تتجلى في الشخص بإسناده قدرة سحرية لا تأثير للعقل فيها، إلى موجود أو شيء معين أو قوة مجهولة، وتختلف نتائج هذه النفسية بحسب النفوس، فهي عند بعضهم دعامة لمعتقدات دينية معلومة تتراءى لهم أنها صادرة عن شيء يقال له ألوهيات، والقوى العلوية هي عند آخرين أمر مبهم، لكنها ذات سلطان وقدرة، وحينئذ تبدو روح التدين في هؤلاء على شكل إحدى الخرافات أو الأساطير<sup>5</sup>، ولا أدل على ذلك

1 - غوستاف، لوبون: مرجع سابق، ص 17.

2- نفسه، ص 16.

3- يقسم غوستاف لوبون المنطق إلى خمسة أنواع: منطق الحياة- المنطق العاطفي - منطق الجموع- المنطق الديني - المنطق العقلي. ص 62، والمنطق

الديني عنده هو نتيجة لما في الإنسان من روح دينية، وهذه الروح التي كانت عامة بين الناس في القرون الغابرة لا تزال منتشرة. نفسه، ص 62.

4- نفسه، ص 18.

5- غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص 76.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

من وجود بعض الخرافات والأساطير والمعتقدات السحرية وتغلغلها داخل مجتمع المغرب الأوسط والتصديق الجازم بها.

لا شك أن سيطرة المنطق الديني على البشر امتدت زمنا طويلا، فهو بإيجاده القوانين والعادات والأديان قد ولد جميع الأوهام التي سيرت النوع الإنساني حتى يومنا هذا<sup>1</sup>، وهو ما يفسر استمرار بعض المعتقدات في مجتمع الدراسة والتي كانت سائدة قبل العصر الوسيط ووصولها إلى وقتنا الحالي، فالمعتقدات لا تكون ذات قوة إلا إذا أصبحت مثلا أعلى مقبولا بوجه عام<sup>2</sup>، وتعود الأسباب والعلل الداخلية للمعتقدات إلى الخلق - المثل الأعلى - الاحتياجات - المنفعة - الحرص، أما العوامل الخارجية فترجع إلى التلقين - الانطباع الأولي - الاحتياج إلى تفسير - الألفاظ - الصيغ والصور - الأوهام - الضرورة<sup>3</sup>.

دلت التجربة والاختبار على أن للأمم ذات الماضي الطويل آراء ومعتقدات واحدة في بعض المواضيع<sup>4</sup>، وأن لكل شعب أخلاق جامعة مشتركة بين أكثر أفرادها، فتلك الأخلاق تحدث في الشعب آراء متشابهة<sup>5</sup>، ومجتمع المغرب الأوسط لم يشذ عن القاعدة، فتاريخه الطويل تحت حكم الزيانيين<sup>6</sup> الذي تعدى ثلاثة قرون ونصف (633-962هـ/1235-1555م)، كان كفيلا بالحفاظ على بعض المعتقدات التي كانت سائدة قبله واستمرارها لما بعد.

إن القسّمات الذهنية الاستسلامية الناتجة عن علاقة واضحة بين ضعف الوعي الديني وتدني مستوى الإدراك العلمي، مقابل التعلق بأحكام التنجيم والسحر والعرافة السائدة في المغرب الأوسط، علاقة تنبه إليها ابن خلدون (ت808هـ/1405م) في عصره، كتابت من ثوابت الذهنية التواكلية العاجزة، مبيّنا أن الذي حمل الناس على ذلك في الغالب هو: «التشوف إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر، ولقد نجد في المدن صنفا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه، فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه، فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها، وكثير من ضعفاء العقول،

<sup>1</sup> - غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص78. والمنطق الديني عنده هو نتيجة لما في الإنسان من روح دينية، وهذه الروح التي كانت عامة بين الناس في القرون الغابرة لا تزال منتشرة. ص62 .

<sup>2</sup> - نفسه، ص105.

<sup>3</sup> - نفسه، بعدها صفحات متعددة 105-115.

<sup>4</sup> - نفسه، ص129.

<sup>5</sup> - نفسه، ص50.

<sup>6</sup> - بنو زيان نسبة إلى زيان بن ثابت بن محمد بن سدوكس بن أطاع الله بن علي بن يمل بن يزكي بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس الثاني، وبذلك ينسبهم النسابة إلى الفرع الثاني من بني عبد الواد المنتسبين إلى بني القاسم. عبد الرحمان، بن خلدون: العبر، 5-7/6؛ مجهول: زهر البستان، ص16.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعايشة والعداوة، وأمثال ذلك ما بين خط رمل ويسمونه المنجم، وطرق بالحصى والحبوب ويسمونه الحاسب، ونظر في المرايا والمياه ويسمونه ضارب المنديل، وهو من المنكرات الفاشية في الأمصار<sup>1</sup>.

إن العقلية التواكلية التي تحدث عنها ابن خلدون (ت808هـ/1401م) في عصره والتي سبقت الإشارة إليها، زاد من تفاقمها الظروف الصعبة التي سادت المغرب الأوسط من حروب وفتن ومجاعات وطواعين وغيرها والتي سيأتي ذكرها لاحقاً.

### أولاً: الاعتقاد في سلطة الجن:

لا يمكن الحديث عن الممارسات والطقوس المقدسة في مجتمع المغرب الأوسط، أيًا كان تقييمنا لها دون البحث في تاريخ حدوثها ومراحل تطورها وكيفية بقائها على مر التاريخ، ففوق العديد من الكتابات والدراسات التاريخية<sup>2</sup>، التي اهتمت بتاريخ منطقة شمال إفريقيا وعادات تدينها وطقوسها ومقدساتها وممارساتها، رجحت أن المجتمع المغربي لم يكن ليتخلى عن عاداته وتقاليده بسهولة، وهو ما يرجح بقاء بعض المقدسات ذات الأصل الوثني وليس جميعها كما رجحت لذلك المدرسة الاستشراقية، بحجة أن الإنسان الأمازيغي كان إنساناً طقسياً يمارس شعائره الدينية الأسطورية عبر نقل الطقس والسحر والقران والإيمان بالجن، والقوى الخارقة وعبادة الحيوانات والقوى المختلفة.

اعتقد بعض ساكنة المغرب الأوسط في وجود كهوف ومغارات يسكنها الجن، يقدمون للناس خدمات كثيرة شريطة استعطافهم والتقرب منهم، فجن المغارات لهم قدرة على إبراء الأمراض المستعصية واستشفاء المستقبل وجلب الحظ وإبعاد سوء الطالع<sup>3</sup>، وساد هذا الاعتقاد في بعض مناطق المغرب الأوسط خاصة المناطق الجبلية التي تكثر بها المغارات والكهوف، والتي نسجت حولها العديد من الأساطير والخرافق.

ولأن المعتقدات التي كانت سائدة رجحت أن الجن تفضل منابع المياه والمواقد النارية التقليدية حيث تعمل المرأة وتوجد باستمرار، فإن صلتها تتعمق أكثر بما يجعلها عملياً أشد عرضة للإصابة بأذاها<sup>4</sup>، لذا تم الاحتفاء بمجالات العيون كأمكنة للتبرك والتشافي من العقم ومن السحر، وتم توظيفها كمزارات من لدن النساء طمعا في الزواج

<sup>1</sup> - المقدمة، ص 209-210.

<sup>2</sup> - أورد ستيفن أفزال أن: « الشعب المغربي من أكثر الشعوب خضوعاً لعاداته القديمة وسلوكياته الموروثة من أجداده البربر، فمنذ العصور الأولى والمؤرخون يسجلون صفات البربر الدائمة المتسمة بالقلق والطمع والميل إلى الشغب والنزعة إلى الغضب والثورة ». Stiven, Gsell: Histoire.

Ancienne de l'Afrique du Nord, librairie Hachette, Paris, 1926, en 8 tom, t 6/p278 et t5 p 137

<sup>3</sup> - Henri, Basset: Le Culte Des Grottes au Maroc, Maison Bastide, Alger: Jourdan Jules carbonel, 1920, p7 وتجدر الإشارة أنه تم ذكر إله واحد يسكن المغارات هو الإله باكاكس. محمد العربي عقون: مرجع سابق، ص 236.

<sup>4</sup> - Emile, Deermenghen: op.cit, pp 143-145.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

والإنجاب وفك قيود السحر واسترضاء ساكنتها من الجن إلى غير ذلك من الأشكال والممارسات التي تترجم بنية ذهنية الإنسان في المغرب الأوسط، الزاخرة بطقوس الزيارة والتبرك<sup>1</sup>.

في المقابل نجد أن الباحث محمد أركون يدعونا لقراءة العلاقة بين الأسطوري والمقدس والخرق والعجيب المدهش، ويرى بأن البناء الأسطوري لا يميز نسيج الشعوب القديمة البدائية فحسب، بل هو حاضر في كل مراحل التطور البشري، وأن الأساطير التي ينتجها المجتمع كقيلة بالإجابة عن الحاجات التي تواجهه في احتكاكه بالواقع، وأن المجتمع الإسلامي له تصورات ونظراته الخاصة للأساطير وفق عقيدته ومنطقاته، وأن الشعوب الأولى ارتبطت بأنماط حياة شكلت ثقافة قصصها وأساطيرها ونظرتها للحياة<sup>2</sup>.

وهو ما سجلته في مجتمع المغرب الأوسط ذلك أن الاعتقاد في قدرة وسلطة الجن على الناس من أكثر المعتقدات شيوعاً وتأثيراً، حيث حوت المدونة الوسيطة عدد غير قليل من القرائن والأدلة التي تتحدث عن التصديق بسلطة الجن وتحكمها في مجريات حياة الناس، إلى درجة جعلت بعض فئات المجتمع يقصدون الأماكن التي يعتقدون بوجود الجن بها، لذا أقاموا لها طقوساً مقدسة خاصة لاسترضائهم وتجنب أذاهم، وأصدق صورة لهذا الاعتقاد هي التي نقلها لنا الوزان فقال: «يوجد حمام مكون من عين ماء ساخن يتدفق بين أحجار ضخمة - سمي واد السلاحف ويعرف اليوم بحمام سيدي مسيد- تعيش فيه السلاحف تعتقد النساء أنها شياطين وإذا اتفق وأصيبت إحدى النساء بالحمى أو غيرها تقول أن سبب ذلك يرجع إلى السلاحف وللتخلص من الداء تذبح على الفور دجاجة بيضاء تضعها في إناء بريشها الكامل ثم تربط حول الإناء شمعتين وتحمله إلى العين حيث تتركه، وكم من الظرفاء من اتبعوا امرأة وهي تتوجه إلى العين حاملة معها الإناء والدجاجة وأخذوا الإناء بعد انصرافها ثم طبخوا الدجاجة وأكلوها<sup>3</sup>» من خلال النص نلاحظ التضارب الصارخ بين فئتين لكل معقده، الفئة الأولى ترى بأن هذا الطقس والقربان سيكون كفيلاً باسترضاء الجن وبالتالي تحقيق الشفاء، أما الفئة الثانية فاستغلت سداجة الأولى واسترضوا بطونهم.

على هذا الأساس ساد الاعتقاد بأن الجن كائنات تطرق في الغالب الأماكن المظلمة والموحشة والقدرة، كمخارج المياه والبرك الراكدة والمغارات والغابات المقفرة، وهي الأماكن التي يتعطل فيها كل كلام سوى كلام الله<sup>4</sup>، وقد تدخلت عوامل مختلفة في تكريس هذه المعتقدات الغيبية وتقديسها، منها سرعة تصديق العامة بل حتى الإيمان بها، فمن خلال استقراء الماضي يتضح وجود ديانات وثنية ومعتقدات شعبية متنوعة سبقت إسلام سكان

<sup>1</sup> - حنان حمودا: مرجع سابق، ص142.

<sup>2</sup> - محمد، أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، تر: هاشم صالح، ط6، بيروت: دار الساقي، 2012، ص269.

<sup>3</sup> - مصدر سابق، ص59.

<sup>4</sup> - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص124.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

المنطقة، طغت على عقلية السكان بعضها محلي<sup>1</sup> وبعضها وافد من الشرق، تمخض عن هذه المعتقدات القديمة اعتقادهم بوجود أرواح الجن داخل مختلف العناصر الطبيعية من عيون وأنهار وأحجار وجبال وأشجار<sup>2</sup>، ومجتمع المغرب الأوسط لا يخلو من مثل هذه المعتقدات.

ولأن المقدس ظل موزعا في الطبيعة على نطاق واسع فهناك اعتقاد في عديد الأرواح والجن التي تسكن الصخور والمغاور والأشجار والينابيع، خاصة وأن الإسلام لا ينفي وجود الجن، وهو ما سمح باستمرار الاعتقاد في الأرواح الخفية وما يرتبط بها من طقوس وشعائر، تعود في الواقع إلى العصور القديمة<sup>3</sup>، واعتقاد أن الجن يسكنون الجبال والصخور، فمظاهر المقدس الأكثر محسوسة والأكثر انتشارا في العالم هي التي أُحْتُفَظَ بذكرها، وهو ما يمكن تسميته بالحدث الطوبوغرافي وأولها الجبل وحتى الصخر<sup>4</sup>، وهو ما يجعلنا نتساءل عن السبب الذي جعل سكان المغرب الأوسط يعتقدون بسكنى الجن في الجبال ولماذا تم إضفاء صفة القداسة على الجبل هل ترجع لشكل الجبل في حد ذاته أو أن قربه من السماء هو الذي يسوغ توقيره؟ إن استمداد القداسة من الأرض ومن السماء يبدو متعارضا فكيف يسبغ الارتباط بالأرض والعلو في السماء صفة القداسة؟

حول تحليل معتقدات سكان المغرب في المغارات والجبال لا بد من التنويه للدراسة التي قام بها الباحث رينيه باسييه، والتي تبنى فيها المنهج التاريخي الاثنوغرافي<sup>5</sup>، حيث اعتمد على الوثيقة في تأريخه للأحداث والملاحظة الميدانية في المجال الاثنوغرافي، إذ يعتبر كتابه "عبادة الكهوف في المغرب" من أشهر كتاباته، حيث أبرز مختلف الطقوس والمظاهر التي تمارس داخل هذه الكهوف، وأن كل الطقوس الممارسة بها تعود في أصلها إلى ممارسات وعادات سابقة، وركز في كتابه هذا على منطقة المغرب الأقصى، ولم أجد فيه إشارات إلى مناطق من المغرب الأوسط، لكن في المقابل العمل الأكثر أهمية والذي اشتغلت عليه هو مقاله حول التدين عند البربر حيث قال فيه: «ما يلزمنا دراسته بالدرجة الأولى هم السكان المغاربة صناعتهم وعاداتهم ومؤسستهم وكذلك الأعراف

1 - من أشهر الآلهة الإفريقية ذات الأصل المحلي نجد الإلهة تانيت وهي الحامية والمرافقة للنساء الحوامل والإله آمون أو هامون واقترن بالشمس كما له قرنان. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى عين مليلة- الجزائر، 2008م، ص 215-218.

2- عبد الوهاب، بنمنصور: قبائل المغرب، الرباط: المطبعة الملكية، 1968م، 287/1؛ ومن نماذج الجبال التي تمت عبادتها في المغرب الأوسط سواء في العصر القديم أو الوسيط نجد الأطلس فهو عندهم إله ومعبد في نفس الوقت، والجبل المطل على قرارم وسد بني هارون والجبل المطل على مدينة القل هو سيدي عاشور، والجبل المطل على أم بواقي هو سيدي رغييس أما الجبلان اللذان يطلان على باتنة فهما سيدي علي وسيدي لعل. محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص 234.

3 - نفسه، ص 224.

4 - نفسه، ص 233.

5 - الأثنوغرافيا نوع من فروع الأثنوبولوجيا، وتعنى بوصف الشعوب وتحليل عاداتهم وطبائعهم وأسلوب معاشهم، انطلاقا من المشاهدة الميدانية، فهذا ما نجده بشكل دقيق في كتب الجغرافيا الإنسانية. Marcel, Mouss: Manuel Déthnographie, Édition payot: paris,1926,p9

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

والمعتقدات<sup>1</sup>»، والذي أورد فيه أنه أيا كان الرأي حول الجذور المعقدة للشعوب التي تسمى بربر والتي تحتل شمال إفريقيا من البحر المتوسط إلى السودان والأطلسي إلى غاية حدود مصر، فإن البحث في معتقداتهم يرجع إلى دينهم القديم<sup>2</sup>، وهو الحكم الذي لا يجزأ الحقيقة حول تبنى سكان شمال إفريقيا لنفس المعتقدات، كما يقول بأن الكتابات اللاتينية في إفريقيا سجلت عبادة المغاربة للجبال والصحور لأنها توفر لهم الحماية ضد الرياح، لذا اعتقد المغاربة في وجود جني الجبال<sup>3</sup>.

والاعتقاد في سلطة الجن وقدرتهم ظهر بعض الناس ممن ادعوا معرفتهم بعلم الجن وأنهم يجوزون كتباً لاستحضار الجن أن هناك عدد كبير من العفاريت تحت خدمتهم كما زعموا أنهم يقتلون الجن<sup>4</sup>، وهو الأمر الذي ساعدهم في بسط سيطرتهم على السذج من الناس بحجة قدرتهم على إخراج الجن من المسوسين بسؤال الجن بعد ذكر اسمه وكيف دخل الجسم، ومن أرسله ويطلب منه الخروج ومغادرة الجسد<sup>5</sup>.

في المقابل حفظت لنا المدونة الوسيطة بعض الطرق التي جابه بها إنسان المغرب الأوسط أذية الجن منها أن المعزم يقوم بكتابة بعض الحروف ثم يرسم دوائر فوق التنور ويخط على يد المصروع أو جبينه بعض الإشارات بعدها يبدأ في عملية الرقية<sup>6</sup>، لكن كثيراً ممن تصدروا للرقية ذكروا أن "البسملة" كفيلة بطرد الجن وإبعاد خطره، فمن أهم وظائف البسملة "الوظيفة الوقائية"، في سعى إلى الاحتماء من كل التأثيرات السيئة الناتجة عن أرواح الجن، هذه الكائنات غير البشرية واللامرئية التي يعتبر الاعتقاد في وجودها من صميم جوهر الكون، فوجود ونشاط هذه المخلوقات مسألة غير قابلة للتشكيك<sup>7</sup>، ولاتقاء أذى الجن فإن ذكر آية «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»<sup>8</sup> كفيلة بغلبة الجن فهي من آيات الغلبة<sup>9</sup>.

Recherches sur la Religion, p-133 : Lh-1

op.cit, P1, 2, 3. -2

ipid , p6. -3

4 - الونشريسي: المعيار، 11/171.

5 - الوزان: مصدر سابق، 1/265.

6 - أحمد بن علي البوني: شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف، ط02، بيروت: مؤسسة النور، 2006م، ص253. حول هذه الدوائر ينظر الملحق رقم 01.

7 - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص123-124. الدليل القطعي على وجود الجن عند سكان المغرب الأوسط والمسلمين بصفة عامة هو وجود سورة في القرآن الكريم باسم "سورة الجن" وهي سورة مكية كلها عدد آياتها 28 آية.

8 - ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ سورة النمل، الآية 30.

9 - تحدثت الباحثة fanny, colonna عن دور آيات الغلبة لدراسة وفهم الدين والمجتمع، خاصة في مجتمع يسيطر عليه التعليم التقليدي للقرآن والثقافة الدينية كمجتمع الجزائر مع ظهور حركة عبد الحميد ابن باديس الإصلاحية، صحيح أن الفترة الزمنية التي درستها متأخرة مقارنة بفترة الأطروحة إلى أنها أشارت إلى استمرارية الاعتقاد في قدرة آيات الغلبة منذ زمن طويل أي بداية من الفترة الوسيطة على طرد الجن. : les versets de

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

اعتقد بعض الناس أن للبسملة خواص وبركات خفية، فمن كتبها ووقفها لم يَحترق بالنار ولم يدخلها، وذلك لزعمهم أن عدد حروفها تسعة عشر وهو نفسه عدد الملائكة الموكلين بالنار (الزبانية)<sup>1</sup>، ورغم بحثي إلا أنه لم يقع بين يدي حديث صحيح صريح يؤكد هذا القول، وعليه أرى أن الاعتقاد في سلطة الجن وقدرته على التأثير في الناس سلبا من خلال التلبس أو الإصابة بالمرض أو إلحاق الضرر هو من جعلهم يسعون لإيجاد طرق وقائية لجنب وقوعهم تحت تهديد الجن أو طرق لعلاجهم في حال تسلط عليهم نفر من الجن، في المقابل وردت بعض النوازل عن قدرة بعض الجن إمامة الآدميين للصلاة إذا كان الجن مسلما وهي مسألة فيها اختلاف كبير غير أن هناك من صدقها بل وأجاز إمامة الجن، فكان الجواب على فتوى رفعت فحواها هل تجوز الصلاة خلف الإمام إذا كان جنيا مؤمنا؟ فكان الجواب أنها تصح لأنه مكلف ولأن الرسالة لنا ولهم<sup>2</sup>، إن ورود نازلة بهذه الشاكلة تؤكد لا محالة على مدى ترسخ فكرة سلطة الجن وأعتقد أن التصديق بصحتها تشمل فئات قليلة داخل المجتمع ولا يمكن تعميم الاعتقاد بها.

وتعدى الأمر حد استعمال البسملة للوقاية من الجن، فهناك من شُهد له حسب المصادر أنه حاز قدرات خارقة بتواصله مع الجن حتى زعموا أنه كان يقرئهم، فمما رُوِيَ أن أحد سكان تلمسان<sup>3</sup> عاصمة المغرب الأوسط، وهو الشيخ أبو يعقوب التفرتي من الأولياء الكبار المشهور له بالدين والعلم، كان يُقرأُ الإنس والجن بمسجده والناس يسمعون صوت الجنان، وحدث أن دخل عليه حَنَسٌ عظيم ففر الحاضرون منه، فقال الشيخ: دَعُوهُ، دَعُوهُ، ففرب منه وناولهُ فتمرغ ثم نزع الشيخ بَرَاءة (ورقة) من فمه، فاستدعى الشيخ القلم والدواة وكتب

---

linvincibile, "permanence et changements dans l Algérie contemporaine", paris, press de sciences, Biblioger gloss index, 1995, p2.

1 - أحمد بن علي البوني: مصدر سابق، ص41.

2 - المغيلي المازوني أبو زكريا يحيى بن موسى بن عيسى (ت883هـ/1478م) الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: ماحي قندوز، جامعة وهران، 2011م، ص413.

3- تلمسان قاعدة ملك المغرب الأوسط ودار مملكة زناته على قدم الزمان، مدينة عريقة التمدن قديمة الآثار، عذبة الماء كريمة المنبت كثيرة الخصب، رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم، اقتعدت على سفح جبل الورنيد، مدينة علم وخير ولم تزل دار العلماء والمحدثين. مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 9/ 176-177؛ مجهول: الحلل الموشية والأخبار المراكشية، تع: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء- المغرب: دار الرشد الحديثة، ط1، 1979م، ص186؛ يحيى، ابن خلدون: مصدر سابق، 85/1؛ عبد الرحمان، ابن خلدون: العبر، 7/156.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

أسفل البراءة وردھا إليه والناس ينظرون فانصرفوا خارجا، فأجاب الشيخ أنه رسول الجن من أرض العراق، بعثه أصحابه بسؤال إلینا فأجبناه<sup>1</sup>.

### ثانيا: الاعتقاد في العين والحسد.

يعتبر الاعتقاد في العين والحسد من أهم المعتقدات التي سادت مجتمع المغرب الأوسط وطغت على ذهنية ساكنته، وليس غريب أن تنتشر هذه الأفكار وسط هذا المجتمع ذي البنية الدينية والثقافية الغيبية خاصة وأن القرآن الكريم ذكر الحسد في أكثر من موضع<sup>2</sup>، ومما زاد في ترسيخ هذه الظاهرة ظهور ما يسمى "التمايز الاجتماعي" الذي أفرز شريحة مسكوت عنها، تدهورت معيشتها وتغير تفكيرها، فلجأت في الأخير إلى أساليب جديدة للهروب من الواقع، فوجدت في هذا العالم الغيبي مبتغاها، بسبب تركيبها الذهنية لينساق وراءها مجموعة كبيرة من السذج الجاهلين للعواقب الوخيمة، فكانوا السابقين للتصديق بالعين والحسد، وفي هذا يقول ابن خلدون (ت808هـ/1401م): «من قبيل هذه التأثيرات النفسية الإصابة بالعين، وهو تأثير من نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مدركا من الذوات أو الأحوال ويفرط في استحسانه، وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عمن اتصف به، فيؤثر فساده، وهو جيلة فطرية أعني هذه الإصابة بالعين<sup>3</sup>» وعن عدم قدرة الإنسان في التحكم في إصابته غيره بالعين يضيف قائلاً: «قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يُقتل، والقاتل بالعين لا يُقتل، وما ذلك إلا أنه ليس مما يريد ويقصده أو يتركه وإنما هو مجبور في صدوره<sup>4</sup>»، وعليه فالإصابة بالعين الغرض منها إلحاق الأذى والضرر والشر<sup>5</sup>، وهي من أكثر المعتقدات شيوعاً وتقديساً في مجتمع المغرب الأوسط.

1 - يحيى، بن خلدون: مصدر سابق، 107/1. إن ورود ذكر هذه الحادثة تؤكد لا محالة على ذهنية سكان المغرب الأوسط المؤمنة بالجن إلى حد التصديق في هذه الرواية دون الطعن فيها أو تضييق صدقها بل ونقلها على لسان يحيى ابن خلدون في بغيته وهو من أهم مؤرخي المغرب الأوسط في العصر الوسيط.

2 - من بين الآيات التي أكدت وجود الحسد أذكر قول الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَمُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ سورة البقرة الآية 109، وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ سورة النساء الآية 54، وكذلك قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِّتَأْخُذُوا ذُرُوعًا تَضَعُونَهَا أَلَمْ يُؤْتِكُمْ يَدَيْكُمْ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ فُلْنِ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُدُونُوا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ سورة الفتح الآية 15 وقوله: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ سورة الفلق الآية 5.

3 - عبد الرحمان، ابن خلدون: المقدمة، ص315.

4 - عبد الرحمان، ابن خلدون: المقدمة، ص315.

5 - سعدي، محمد ظاهر: " ظاهرة الاعتقاد في الإصابة بالعين بين المقدس والديني"، مجلة الثقافة الشعبية، 1996م العدد 4، ص58.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

لذا ساد الاعتقاد في أنه يمكن الاحتماء والتحصن واتقاء شر العين الحاسدة بوضع "الخمسة المقدسة"<sup>1</sup> وهي طقوس خارج أحكام الشريعة، وما قدسيتهما إلى لما ترمز إليه من أهل البيت (الرسول ﷺ وابنته فاطمة وزوجها علي وابنيها الحسن والحسين)، فالخمسة استعملت للوقاية من جميع أشكال الحسد والعين، أما الحسد فلا يختلف عن الإصابة بالعين، فهو لا يصيب هدفه إلا إذا صدر من عين حاسد، ومنه فالحسد حسب البعض يرجع إلى أن الحاء والسين والذال أصل واحد وهو حَسَدٌ<sup>2</sup>، وهو تمنى زوال نعمة الآخرين، سواء تمنّاها الحاسد لنفسه أم لا فهذا حسد مذموم، أما إذا تمنى مثل نعمة غيره دون أن يتمنى زوالها عنه، فذلك غبطة وهي محمودة<sup>3</sup>، أما عن أعراض الحسد فإنها تظهر على المال والبدن والعيال بحسب مكوناتها، فإذا وقع الحسد على النفس يصاب صاحبها بشيء من أمراض النفس، فلا يستقر له حال أو فكر أو مقال<sup>4</sup>.

ومن الحوادث التي أُرِجِعُ سببها للحسد وإن لم تكن بالمغرب الأوسط إلا أن نفس التفكير والمعتقد كان سائد، هي حادثة غرق أسطول أبي الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348م) بسبب العواصف، إلا أنها لم تحدث حسب ذهنية التعليل الخرافي تحت تأثير عوامل الاضطرابات الجوية وهيجان البحر، بقدر ما نسب ذلك إلى سهام العين، ذلك أنه حسب علم أهل البصائر أن عين الحاسد أصابت، فكان ذلك بالسحب الذوالح<sup>5</sup> أي المثقلة بالأقطار الغزيرة، ويرجع تفسير ابن الخطيب (ت776هـ/1365م) لغرق سفينة أبي الحسن المريني سنة (749هـ/1348م) بسبب شؤم الوقت، ويتضح هذا جليا في قوله: «ركب البحر في الفصل المَحْذُور والوقت المشؤوم<sup>6</sup>»، وأورد ابن مرزوق (ت781هـ/1466م) في مسنده أنه لما نزل بظاهر بجاية صحبة الأمير أبي عمر تاشفين بن علي (ت763هـ/1378م)، خرج لهم الشيخ الصالح الولي المكاشف المخصوص برؤية الأموات ومحادثتهم أبا عبد الله محمد ابن موسى اليجري البجائي، استدعاه وأمره للخلوة معه وفيما قال له: «اعلم يا ولدي

1 - الكف أو الخمسة هي يد آلهة الرزق والخصوبة تانيت في قرطاج، وآلهة الوفرة والحماية عند الهندوس، وهي كف مريم أخت موسى عند اليهود، وكف مريم أم عيسى عند النصارى، وكف فاطمة بنت محمد عند الشيعة، وتعد تعويذة لطرد الشر وجلب الحظ.

2- أبو الحسن، أحمد بن فارس ابن زكريا الرازي القزويني: معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، مج1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008، مجلدان، ص294.

3 - أبو زكريا، يحيى بن شرف النووي: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، شرح: محمد بن صالح العثيمين، مصر: دار العقيدة للتراث، 257/4؛ عبد القادر، أبو طالب: علاج الحاسد والمخسود والعائن والمعيون، الدمام- السعودية: مكتبة المتنبئ، 2005م، ص6.

4 - محمود، نبيل بن محمد: تيسير الرحمان في علاج السحر والمس والعين وأمراض الجان، ط2، بيروت: دار العالمية للنشر والتوزيع، 2004، ص262.

5 - النميري، مصدر سابق، ص 100؛ عبد الهادي، البياض: مرجع سابق، ص 134.

6 - ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، تونس: المطبعة العمومية، 1898م، ص82 وأنشد قائلا:

وَرَكِبَ اللَّجَّةَ فِي فَضْلِ الشَّنَا \*\*\* وَقَدْ طَعَى الْمَوْجَ عَلَيْهِ وَعَعَنَا  
فَعَطَبَ الْأَسْطُولُ وَابْنَتُ الرِّجَا \*\*\* يَا عِبْرَةَ قَدْ دُهِتْ مِنْهَا الْحَجَا

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

أن السلطان أبا الحسن (731-749هـ/1331-1348م) سيموت غريباً<sup>1</sup>، كناية على أنه سيموت بعيداً عن أهله ومملكه في إشارة مضمرة لمعرفة الغيب، والاعتقاد في الحسد كان سائداً في مجتمع المغرب الأوسط هو الآخر، إذ لم يكن بمعزل عن انتشار مثل هذه المعتقدات بسبب التأثير المتبادل بين المجتمعات المغاربية.

### ثالثاً: التطير<sup>2</sup> والفأل:

تطلع إنسان المغرب الأوسط لمعرفة ما تحبأه الأيام القادمة، بغية الاستعداد لها خوفاً من حملها أنباءً سيئة، وهو ما شغل تفكيره وذهنيته أكثر من توقعه للأخبار السارة، ومنه كان هذا التطلع للوقوف على كائنات الأمور ومستقبلاتها ومغيباتها، فهو بالطبع يتشوقها ويروم معرفتها على قدر استطاعته وبحسب طاقته، شوقاً للوقوف على الأمور الكائنة قبل حدوثها من جهة وأخذ الأهبة لها، ولهذا المعنى انساق الإنسان إلى الفأل والزجر، إذا عدم جميع وجوه الاستدلال من أشكال الفلك وحركات النجوم، وربما عدل إلى التكهن وصدق بكثير من الظنون الباطلة<sup>3</sup>، فالذين يلقبون أنفسهم بأحرار الفكر لنبذهم قواعد الدين، يعتقدون الشعور بالأمور قبل وقوعها أو يعتقدون بالفؤول والطوابع<sup>4</sup>.

تبدأ هذه التكهنات عادة بتوقع الأسوأ عن طريق ما يعترضه من إشارات وأمارات، وهو ما أطلق عليه لدى مجتمع المغرب الأوسط بالتطير فما المقصود منه؟ وما هي علاماته؟ وكيف أثر التطير على مقدسات ومعتقدات وطقوس ساكنة المغرب الأوسط؟

**الطيرة لغة:** الطيرة، والتطير بمعنى واحد، فالتطير مصدر من الفعل تَطَيَّرَ يَتَطَيَّرُ، والطيرة اسم المصدر، ويقال: تَطَيَّرْتُ من الشيء، وبالشيء، ويكون في التشاؤم والتسعد<sup>5</sup>.

**الطيرة اصطلاحاً:** هي كل ما يُعْتَقَدُ في كونه سبباً في إلحاق الشر والأذى، بغض النظر عن هذا المسبب سواء كان مسموعاً، أو مرئياً، حيواناً، أو جماداً، أو زماناً، أو مكاناً، أو شخصاً، أو نباتاً، أو عدداً، أو نحو ذلك، كالمرأة والمسكن والمركب، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفر أو امتنع بها عما عزم عليه فقد قرع باب

<sup>1</sup> - ابن مرزوق: المسند، ص 467.

<sup>2</sup> - والتطير قديم الوجود في الأمم، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن فرعون وقومه تطيروا بموسى عليه السلام ومن معه: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحُسْنَىٰ قَالُوا لَنَا هٰذَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. سورة الأعراف، الآية 131، وقبل ذلك تشاءم قوم صالح بصالح عليه السلام: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾، سورة النمل، الآية 47، وكذلك أصحاب القرية تطيروا برسول الله فقالوا إنا تطيرنا بكم قال الرسل الثلاثة لأهل القرية: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ نَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (19)﴾. سورة يس، الآية 18-19.

<sup>3</sup> - يحيى، الشامي: تاريخ التنجيم عند العرب وأثره في المجتمعات العربية والإسلامية، ط1، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة، 1994م، ص7.

<sup>4</sup> - غوستاف، لوبون: مرجع سابق، ص76.

<sup>5</sup> - ابن منظور: مصدر سابق، 513\_512/4.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

الشرك<sup>1</sup>، ومن ذلك التشاؤم<sup>2</sup> من الشيء المرئي، أو المسموع وغيرهما، وهناك آخرون تشاءموا برؤية بعض الطيور، كالغريان والبومة وغيرها أو برؤية الأعور<sup>3</sup>، ووصل الأمر ببعضهم بتنظيف البيت وكنسه عقب سفر من سافر من أهله<sup>4</sup>.

ومما يدخل في مبحث الطيرة العيافة، وهي: زَجْرُ الطير، وتغييرها، وإرسالها، والتفاؤل، أو التشاؤم بأسمائها، وأصواتها، وممراتها؛ فعن العيافة يكون الفأل، أو التشاؤم<sup>5</sup>، لذلك كانت العرب تزجر الطير والوحش، أي تُنقِرُها، وترسلها، وتتفاءل أو تتشاءم بها، وليس مجتمع المغرب الأوسط ببعيد عن مثل هذه المعتقدات والممارسات وهو ما ستكشفه الصفحات التالية.

لا شك بأن اعتقاد بعض سكان المغرب الأوسط في أن تلك الأفعال ستخبره بما تحمله قادم الأيام من أخبار الغيب واعتقاد أنها تجلب له النفع، أو تدفع عنه الضرر، هو اعتقاد خاطئ لأنه يدخل في باب الشرك حسب رأي الفقهاء<sup>6</sup> حتى أنهم ادخلوها في باب السحر، واعتبر فاعل هذه الأمور، ومفسرها لنفسه أو للناس ساحرا، وإن كان صاحب تلك الأعمال لا يعتقد أنها فهو كذب، وغش، وبهتان، عن طريق الاستعانة بالشياطين على كشف بعض الأمور، واتخاذ ذلك وسيلة يخفي بها صنعه<sup>7</sup>.

1- شمس الدين، أبي عبد الله محمد ب أبي بكر ابن القيم: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تق: علي بن حسن، مر: بكر بن عبد الله، ط1، السعودية: دار ابن عثمان للنشر والتوزيع، 1996م، 246/2، 311/3؛ عبد الله، محمد ابن مفلح المقدسي: الآداب الشرعية، تح: شعيب أرنؤوط وعمر القيام، بيروت: الرسالة للنشر والتوزيع، 1999م، 357/3\_363.

2- وسمي التشاؤم تطيرا لأن العرب كانوا في الجاهلية إذا خرج أحدهم لأمر قصد عش طائر فهيجه، فإذا طار الطائر جهة اليمين تيمن به ومضى في الأمر ويسمون الطائر في هذه الحالة (السائخ)، أما إذا طار جهة اليسار الإنسان تشاؤم به ورجع عما عزم عليه، وكانوا يسمون الطائر في هذه الحالة (البارخ)، فجاء الإسلام فأبطل هذا الأمر ونهى عنه وشدد في التكثير على فاعله، ورد الأمر إلى سنن الله الثابتة وإلى قدرته المطلقة. محمد، بن عبد العزيز الخضير: خطر التطير والتشائم، الرياض- السعودية: دار الوطن للنشر، (د.ت)، ص6.

3- بعض الناس يتشاءم برؤية الأعور ومثال ذلك أن أحد الولاة خرج لبعض مهماته فاستقبله رجل أعور فتطير به، وأمر به إلى الحبس فلما رجع أمر بإطلاقه، فقال الأعور: سألتك بالله ما كان جرمي الذي حبستني لأجله؟ فقال الوالي: تطيرت بك. فقال: فما أصبت في يومك برؤيتي؟ فقال: لم ألق إلا خيرا. فقال: أيها الأمير أنا خرجت من منزلي فرأيتك فلقيت في يومي الشر والحبس، وأنت رأيتني فلقيت الخير والسرور فمن أشأمتنا؟ والطيرة بمن كانت؟ فاستحيا منه الوالي ووصله. ابن القيم: مصدر سابق، 272/3.

4- الونشريسي: المعيار، 489/2.

5- ومن اشتهر بذلك عرّاف البمامة، والأبلق الأسدي، والأجلح، وعروة ابن يزيد، وغيرهم؛ فكان بعض سكان المغرب الأوسط يحكمون بذلك، ويعملون به، في حال الأمن، والخوف، والسعة، والضيق، والحرب، والسلم، فإن نجحوا فيما يتفاءلون به مدحوه، وداوموا عليه، وإن عطلوا فيه تركوه وذمموه. ابن القيم: المرجع السابق، 229/2\_230.

6- أجمع الفقهاء على أن ادعاء معرفة الغيب شرك بالله لأن الله وحده عالم الغيب لقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ سورة الجن الآية 26، وورد ذكر كلمة الغيب أربعين مرة في القرآن الكريم كلها تؤكد على إنفراد الله بمعرفته.

7- أحمد بن ناصر بن محمد، الحمد: السحر بين الحقيقة والخيال، ط1، مكة- السعودية: دار التراث، 1988م، ص181\_182.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

وقد وصل الأمر إلى أن صار اختيار أوقات السفر يتحدد بما يسفر عنه الزجر والتطير لتفادي الفترات المشئومة، وذلك بعد صدور مؤشرات توحى بالإقدام أو الإحجام، وهذه عادة ترسخت في ذهنيات السذج كحقيقة غير قابلة للنقاش والجدل، لاسيما إذا حازت ممارسة هذه الطقوس على تزكية غير مقصودة من تصرفات أهل القلم من علماء القدوة<sup>1</sup>، ولا يفوتنا هنا أن ننوه إلى حادثة غرق سفن أبي الحسن المريني(731-749هـ/1331-1348) والتي سبق ذكرها لما عزم السفر إذ تطير الناس فيها بالوقت المشئوم.

ومن النماذج التي وردت في المصادر الوسيطة عن اعتقاد سكان المغرب في التطير والتشاؤم، تطيرهم بشجر النارج الذي كان مرادفا في مخيالهم لكارثة مدمرة، فكان ذلك سببا في عزوف الفلاحين عن غرسه، بالرغم من أنه يُسهم في التخفيف من درجة تبخر مياه السواقي والصحاريح، ومنه استغلال المياه والتقليل من خطورة الجفاف وهو ما طمسته ذهنية التفكير الخرافي<sup>2</sup>، ولا أدل على وجود هذا النوع من التطير في المغرب الأوسط وشيوعه من اعتقاد ابن خلدون (ت808هـ/1401م) حين اعتبر ذبوع هذه الممارسات مؤشرات على خراب العمران بقوله: «إن المدينة إذا كثر فيها غرس النارج تأذنت بالخراب، حتى إن كثيرا من العامة يتحاشى غرس النارج بالدور تطيرا به، وهذا الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه<sup>3</sup>»، في المقابل أورد ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) بوجود جماعة من المتصوفة رفضوا التطير بشجر النارج بل ورد ذكره في صورة الكرامة التي يتبرك بها فقال: «أخبرني أبو العباس ابن القطان وكان كثيرا ما يحضر الجمهور، قال: فيجتمع فيها صلحاء البلد وعلماء الوقت الظاهرين، أما الليالي الخاصة فيجتمع فيها بأصحابه وخواصه المتجردين المنقطعين الذين لا يعرفهم إلا من هو منهم ففيها شاهد العجائب، وذكر أن هناك من انتقدوا عدم استدعائهم لليالي الخاصة فاستدعي شيخ قال: فحضر فما كان إلا أن فرغوا من الأوراد، وقال قائلهم: وقاموا متواجدين فنظرت إلى شجرة النارج، وإلى هؤلاء وكلا يقطف منها نوعا غريبا يبيئ منها، كالسفرجل والرمان وأنواع الفواكه والرياحين، قال: فنظر إلى الشيخ فقامت مستغفرا<sup>4</sup>».

1 - عبد الهادي، البياض: مرجع سابق، ص135

2 - نفسه، ص152.

3 - المقدمة، 236.

4 - ابن مرزوق: المناقب، ص157-158.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

المبحث الثاني: السحر والشعوذة:

إن المتتبع لعادات وأنماط سلوك إنسان المغرب الأوسط، يلاحظ سيادة بعض المعتقدات السحرية، ذلك أن بيئة المغرب عدت بيئة خصبة لبروز وتغذية هذه المعتقدات وتقديسها، وقبل البحث والتقصي عنها لا بأس من معرفة ما المقصود بالسحر والشعوذة؟

أولاً: السحر

تعريف السحر:

السحر لغة: السحر في اللغة يدور حول عدة معان، فيطلق على صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، ويطلق على الخداع، وعلى إخراج الباطل في صورة الحق، وعلى كل ما لطف ودق مأخذه<sup>1</sup>، والسحر هو كل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، وجمع سحر أسْحَاژ وسُحُور، وسَحْرُهُ سَحْرًا وسحر، ورجل سَاحِر من قوم سَحْرَة، وسُحَاژ من قوم سَحَارِين<sup>2</sup>، ويطلق السحر في لغة العرب على كل شيء خفي سببه، ولذلك تقول العرب في الشيء الشديد الخفاء، أخفى من السحر، وتصف ملاحه العينين بالسحر لأنها تصيب القلوب بسهامها في خفاء، كما يوصف البيان بالسحر<sup>3</sup>.

السحر في الاصطلاح: السحر ليس نوعا واحدا يشمله حدٌ جامع مانع لكثرة الأنواع الداخلة تحته، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافا متباينا<sup>4</sup>، فقد عرفه أبو بكر الجصاص (ت370هـ/980م) بأنه كل أمر خفي سببه، وتُخِيل على غير حقيقته، وجري مجرى التمويه والخداع<sup>5</sup>، وهو ما سمي بالسحر التخيلي ويحدث عندما يقوم الساحر بإحضار شيء يعرفه الناس على حقيقته، ثم يقرأ عليه عزمته وطلاسمه ويستعين بالشياطين فيرى الناس الشيء على غير حقيقته<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - ابن منظور: مصدر سابق، 16-11/16.

<sup>2</sup> - نفسه، مج3/1952.

<sup>3</sup> - يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص35، عمر، سليمان الأشقر: عالم السحر والشعوذة، ط4، بيروت: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2002م، ص69.

<sup>4</sup> - محمد الأمين، الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشر: بكر بن عبد الله بوزيد، ط1، جدة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.ت)، 4/444.

<sup>5</sup> - أحمد، بن علي الرازي الجصاص أبو بكر: أحكام القرآن، تح: محمد صادق القمحاوي، بيروت: دار إحياء الكتب العربية - مؤسسة التاريخ العربي، 1992، 5 مجلدات، 1/51؛ سليمان، الأشقر: مرجع سابق، ص71.

<sup>6</sup> - محمود، نبيل بن محمد: مرجع سابق، ص12.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

وعرفه أبو بكر ابن العربي المالكي (ت543هـ/1148م) في قوله: هو كلام مؤلف يعظم فيه غير الله وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات<sup>1</sup>، وعرفه ابن قدامة المقدسي (620هـ/1223م) بقوله: «السحر عزائم ورقى، تؤثر في الأبدان والقلوب، فيمرض، ويقتل، ويفرق، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه<sup>2</sup>».

وعرفه الدكتور أحمد الحمد بقوله: السحر هو المخادعة، أو التأثير في عالم العناصر بمقتضى القدرة المحدودة بمعين من الجن أو بأدوية، إثر استعدادات لدى الساحر، عن طريق التخيل أو المخادعة، وما كان منه حقيقة يؤثر بالهمة، أو بمعين من الشياطين، أو بدعوى موافقة مزاج الأفلاك والعناصر، أو نحو ذلك<sup>3</sup>، أما ابن خلدون (ت808هـ/1401م) فقد عرفه بقوله: «علوم السحر والطلسمات<sup>4</sup> هي علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر إما بغير معين أو بمعين، من الأمور السماوية والأول سحر والثاني طلسمات<sup>5</sup>».

المقصود به أن يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف قلوب السامعين إليه، ويذمه فيصدق فيه ويصرف قلوبهم أيضا عنه<sup>6</sup>، ويغلب على نفوسهم ويحول الشيء عن حقيقته ويصرفه عن وجهته، وسمي السحور سحورا لأنه يقع خفيا آخر الليل، وتطلق العرب السحر على الخديعة لأنه يخفي سببها ويدق<sup>7</sup>، ولقد عرف السحر بتعاريف كثيرة

1- محمد، بن عبد الله أبي بكر ابن العربي المالكي: أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م، 4 مجلدات، 31/1.

2- أبو محمد، بن قدامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تح: محمد فارس ومسعد عبد الحميد السعدني، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م، 4 أجزاء، 64/4.

3- أحمد، الحمد: مرجع سابق، ص17.

4- الطلسمات جمع طلسم هي كلمة يونانية معربة، وهي تعني الخطوط والكتابة التي يستعملها الساحر يزعم أنه يدفع بها الأذى، مازجا بين القوى السماوية وبين قوى الأرض، يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطباع السفلية، وتعني أيضا كل ما هو مبهم، وعلم الطلسمات علم مادته الفلك وأنواع المولدات، وصورته كمال الهياكل، وغايته الطباع وتحرير وقته، وإجراء بخوراته، وهو علم يستخدم للشفاء من العلل وطرد الهوام وحفظ ما يطلب حفظه في الأزمنة المتطاولة. داود، بن عمر الأنطاكي: تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، الطبعة الأخيرة، بيروت: المكتبة الشعبية، 1979، 154/2؛ عبد عون، الروضان: موسوعة تاريخ العرب - تاريخ ممالك - دول - حضارة، ط3، الأردن: الأهلية للنشر، 2009، جزوان، 1/ 663؛ يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص29 و36؛ ويرى أبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي: أن حقيقة الطلسم معكوس اسمه وهو مُسَلَطٌ، لأنه من جواهر القهر والتسليط يفعل فيما له ركب فعل غلبة وقهر، والطلسم هو اسم السلجموس وهو استنزاع قوى الأرواح العلوية ويوقعون على الجميع اسم السحر، غاية الحكيم في الأرصاد الفلكية والطلاسم الروحية والتنجم، تح: هريتر، ط1، بيروت: دار الحجة البيضاء، 2008، ص18.

5- عبد الرحمان، بن خلدون: المقدمة، ص311.

6- مجد الدين، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 2005، ص405.

7- سليمان، الأشقر: مرجع سابق، ص67.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

متباية وذلك لكثرة الأنواع الداخلة تحته والتي لا يتحقق قدر مشترك بينها، ولاختلاف المذاهب فيه بين الحقيقة والتخيل<sup>1</sup>، ولجوء الساحر إلى التعزيم الذي يوجب على الجن الأبالسة متعددي الأشكال تحقيق نواياه<sup>2</sup>.

فالسحر يطلق على معان الخداع وتخيلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذ عما يفعله لحنفة يد، وما يفعله النمام بقول مزخرف<sup>3</sup>، ويقال: الرجل مطبوب، أي مسحور، ويقال: كنوا عن السحر بالطب تفاقولا<sup>4</sup>.

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن السحر ثابت<sup>5</sup> لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾<sup>6</sup> وأضاف البعض أن السحر عبارة عن عقد قراءات ونفثات<sup>7</sup>، يتوصل بها الساحر إلى الإضرار بالمسحور فمنه ما يذهب العقل ومنه ما يوجب العقد، يعني تعلق الإنسان بغيره تعلقا شديدا، ومنه ما يوجب الصرف يعني انصرافه عن غيره انصرافا كاملا<sup>8</sup>، والسحر ممارسة تستخدم عناصر خفية أو مادية للتأثير في الواقع ومن أجل بلوغ غرض محدد،

1 - نبيل، بن محمد محمود: مرجع سابق، ص 11.

2 - توفيق، فهد: العجيب والغريب في إسلام العصر الوسيط، تر و تق: محمد أركون وآخرون، ط1، المغرب- الدار البيضاء: 2002، ص111؛ أحمد، أبو حاق: معجم النفائس الكبير، ط1، الأردن: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م، ص829-830؛ محمد، الفضيل بن القاضي الشيبهبي الزرهوني: الفجر الساطع على الصحيح الجامع، تح: عبد الفتاح الزينبي، ط1، 18مح، بيروت، مكتبة الرشيد، 2009، 28/13-29؛ أبو القاسم، الحسين بن محمد بن الفضل: الاعتقادات، تح: شمران العجلي، ط1، بيروت: دار الأشراف للتجارة والطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص159. ويقول غوستاف لوبون بأن الشيطان كان يظهر لهم على شكل ضفدع هر كلب أسود وكان يطعم أنصاره طعاما من الجيف. مرجع سابق، ص 206.

3 - أبو القاسم، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار، مكة- السعودية: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م، 298/1؛ سليمان، الأشقر: مرجع سابق، ص97؛ ووردت آيات قرآنية في ذلك قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ سورة الأعراف، الآية: 116، وقوله: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقَوْا فَأِدَّآ جِبَالَهُمْ وَعِصْبَهُمْ يُحْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمَا تُسْعَى﴾، سورة طه، الآية: 66.

4 - ابن مفلح المقدسي: مصدر سابق، 83/3؛ عبد القادر، عرفات العشا حسوني: الأحاديث القدسية مع شرحها وما صح عن أحاديث الملائكة الكرام والجان، دار الفكر للطباعة، 2003، ص253.

5 - أكبر دليل على ثبوت وجود السحر حقيقة هو عدد المرات التي ذكر فيها في القرآن الكريم إذ وردت كلمة سحر 42 مرة، وكلمة ساحر 14 مرة، وكلمة مسحورا 3 مرات، وكلمة مسحورين مرة واحدة، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ سورة البقرة الآية 102، وقوله: ﴿ يَا تُوتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (113)﴾ سورة الأعراف الآية 112-113، بالإضافة إلى الحديث المشهور في أن النبي ﷺ سحر في مُشَطِّ ومُشَاطَّة وحف طلعة ذكر ووضع السحر في بئر ذروان، والذي رواه بخاري ومسلم لكن أبو بكر الجصاص شكك في صحة الحديث ونسبه إلى الملحدين. مصدر سابق، 49/1.

6 - سورة الفلق، الآية: 04.

7 - النفثات المقصود بها النمامون لروابط الألفة والمعقولون لها، بما يلقون عليها من ضرام نائمهم، وأراد الله تعالى أن يشبههم بأولئك السحرة والمشعوذين، والنفث النفخ الرقيق بالريق. محمد، عبده: تفسير القرآن الكريم، ط1، القاهرة: مطبعة المنار، 1927م، ص184.

8 - النووي: مصدر سابق، ص473.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

وتحدد القوى المؤثرة وكذا الغاية أو الغايات الموجودة<sup>1</sup>، وهناك من ربط بين السحر والطب الشعبي، وأرجع بأن الممارسات الغير محسوسة المتمثلة في السحر والتمايم والتعاويد والرقى وغيرها هي من أشكال الطب الشعبي<sup>2</sup>.

حسب المعجم الفرنسي لعلم الاجتماع تعني كلمة السحر عملية تستهدف الفعل ضد قوانين الطبيعة بواسطة السحر، كما يعرف المعجم نفسه بأنها هي القدرة على إيذاء الآخرين من خلال عمل روحي<sup>3</sup>، ومنهم من يقول: أن السحر هو ما يورث الحب أو البغض، وأنها أمور خيالية توجب تأثيرا في النفوس تقع بسببها مفسد على حسب ما تشكلت به النفوس من تلك الأفعال التي تظهر من فعل السحر ولا حقيقة له عند التحقيق<sup>4</sup>، ومنه فالسحر مجموعة من الأفعال والممارسات التي تسمح لممتنها التأثير على الآخرين بفضل سيطرته على القوى المختبئة، لذلك فإنه يقوم على طقوس وتقنية تنفذ ذلك الاعتقاد.

يطلق على السحر اسم العلم الزائف أو العلم الكاذب<sup>5</sup>، وهو أكبر دليل على وجود السحرة الكذابين الذين يطالبون بالمال لشراء العقاقير والبخورات<sup>6</sup> والطلاسم<sup>7</sup>، في المغرب الأوسط وحواضره خاصة الطلاسم من بلاد السودان وغرب إفريقيا.

أما عن مصادر تعلم السحر والوقاية منه في بلاد المغرب الإسلامي فترجع أساسا لما كان يعرف بالعلوم المهجورة لما فيها من الضرر والتي كانت سائدة بالمشرق العربي، وكانت كتبها مفقودة بين الناس إلا ما وجد في كتب الأمم الأقدمين، ومن أمثلة ذلك "الفلاة النبطية من أوضاع أهل بابل"<sup>8</sup>، فأخذ الناس منها هذا العلم ونفذوا فيه ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل "مصاحف الكواكب السبعة" و "كتاب طمطم الهندي"<sup>9</sup>، أما في المشرق

1- مصطفى، واعرب: المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب، ط1، الدار البيضاء- المغرب: دار الحرف للنشر والتوزيع، 2007م، ص14.

2- اعتبرت الباحثان نوار عبيدي و فوزية خميسي أن السحر وما ارتبط به طبيا شرعيا في مقالهما: المعتقدات الشعبية، ص135.

3- مصطفى، واعرب: المرجع السابق، ص14.

4- أبي القاسم، بن أحمد البلوي التونسي البرزلي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002م، 6 أجزاء، 228/6.

5- الماجدي، حزقل: بحور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، ط1، عمان- الأردن: دار الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م، ص32-33.

6- ولع الناس بالبخور وله معتقدات بإبطاله السحر وطرده الأرواح الشريرة شفاء شخص مصاب بالعين أو لجلب الخط، كما جمع بين مناسبات الزواج والولادة والعزاء والموت. المرجع السابق، ص34.

7- عبد الرحمان، ابن خلدون: المقدمة، 245.

8- بابل هي مدينة بالعراق على ضفتي الفرات، كانت عاصمة البابليين أيام حكم حمورابي (1792-1750 ق م)، وقد اشتهر أهلها بالسحر واستفاض العلم به مع نص القرآن عليه. سليمان، الأشقر: مرجع سابق، ص15

9- عبد الرحمان، ابن خلدون: المقدمة، ص311.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

فعرف جابر بن حيان (ت196هـ/815م) بكبير سحرة هذه الملة<sup>1</sup>، ثم جاء مسلمة بن أحمد المجريطي (ت397هـ/1007م) وعرف بإمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات، فلخص كتب السابقين في السحر في كتابه "غاية الحكيم في الأرصاد الفلكية والطلاسم الروحية والتنجيم"<sup>2</sup>.

لما كان السحر ظاهرة إنسانية تداولته جميع المجتمعات البشرية على اختلاف معتقداتهم ومقدساتهم، فإن مجتمع المغرب الأوسط لم يكن بمنأى عن الاعتقاد في السحر وممارسته وتقديسه بل حتى التصديق بقدرة السحرة، وفي هذا الصدد نورد نص ابن خلدون (ت808هـ/1401م) حول الموضوع إذ قال: «بالمغرب صنف من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحرية، يعرفون بالبَعاجين، وهم الذين ذكَّرتُ أولاً أنهم يشيرون إلى الكساء أو الجلد فيتخرق، ويشيرون إلى بطون الغنم بالبَبعج فتنبَّعج، ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البَعاَج، لأن أكثر ما ينتحل من السحر بَبعجُ الأنعام، يهرب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها، وهم مُستترُّون بذلك في الغاية خوفاً على أنفسهم من الحكام، ولقيت منهم جماعة وشاهدت أفعالهم هذه، بذلك أخبروني أنا لهم<sup>3</sup>».

وعن انتحال بعض سكان المغرب الأوسط للسحر كمصدر للمعاش وتدرجهم عليه حتى كان السحر عندهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية وإشراك روحانيات الجن والكواكب، سُطرت فيها صحيفة عندهم تسمى "الخَيرِيَّة" يتدارسونها، وأنهم بهذه الرياضة والوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم، وأن التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوى الإنسان الحر من المتاع والحيوان والرقيق، ويعبرون عن ذلك بقولهم إنما نفعل فيما تمشي فيه الدراهم<sup>4</sup>.

استدل ابن خلدون (ت808هـ/1401م) بما شهدته في عصره وحكا طرفاً من ذلك، وما سمعه من حكايات من الهند والسودان والترك، وروى عمل الطلسمات وعجائب الأعداد المتحابة ( ر ك ر ف د) وقال إنها مجرية<sup>5</sup>، وقال: أن أهل المغرب ينسبون كتاباً للإمام الفخر بن الخطيب في السحر اسمه "السِرُّ المَكْتُومُ" لا يعرفه أهل المشرق، وبسبب رواج السحر في المغرب فقد تحدث ابن خلدون (ت808هـ/1401م) عن طائفة السحرة البعاجين الذين يشيرون إلى الغنم فيبيعون بطونها ويستزقون من تهديد الرعاة بذلك، وقال أنه شاهد ذلك بنفسه.

<sup>1</sup> - له سبعون رسالة في الكيمياء ومعرفة تكوين المعادن وتخلق الأحجار والجواهر. نفسه، ص316.

<sup>2</sup> - نفسه، ص311-312.

<sup>3</sup> - نفسه، ص313.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 313.

<sup>5</sup> - عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، 312.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

ومن بين الأسماء التي أطلقت على الساحر اسم "المعزّم"، والذي يعتبر قادرا تماما على إنقاذ من اعتراهم مس من الشيطان لسبب واحد هو أنهم يوفقون أحيانا في ذلك، ويطلق عليهم أيضا "الزَيْرَاجَة" أي مخاطبة الأرواح لا يربطون عملياتهم بنصوص بل يعتبرونها جزءا من العلوم الطبيعية<sup>1</sup>، ونسب ابن خلدون الزَيْرَاجَة للمتصوف أبي العباس السبتي<sup>2</sup>.

ولأن السحر حقيقة كما جاء عند ابن خلدون (808هـ/1401م) سلفا، فإنه حقيقة سوسولوجية وانثربولوجية شددت اهتمام عديد العلماء، أمثال إدموند دوتي<sup>3</sup> وبرونيسلاف لينوفسكي<sup>4</sup>، وجيمس فريزر ومارسال موس وغيرهم من الباحثين الذين اهتموا بدراسة السحر بالبلدان المغاربية، فالسحر ليس ظاهرة متعالية عن المجتمع ومشاغله ومكوناته بل شمل جميع الفئات، فهو منذ البدء وليد المجتمع وحاجاته إلى تحقيق تطلعاته، والإنسان البدائي لم يكن قادرا على استيعاب كل ما هو منطقي وعلمي، فالتجأ بالتالي إلى الطبيعة وإلى ما يحكمها لتفسير بعض الظواهر، معتبرا أن السحر موجه إلى الحالات التي يصعب فيها الفهم، وهذا النوع من التفسير سموه ب: "تخفيض مستوى الضغط" واعتماد السحر "كمقاربة تعويضية" لما استحال فهمه، وقالوا لا يوجد أناس مهما كانوا بدائيين دون دين وسحر<sup>5</sup>.

إن رياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل، فهي لذلك وجهة إلى غير الله، فلهذا كان السحر كفرا<sup>6</sup>، ويرجع هذا الأمر لتعطش الإنسان في كل وقت إلى كشف مصيره وإلى نيل المعونة من قوى علوية يعتقد أنها محيطة به، ومن هذا التعطش

<sup>1</sup> - الوزان: مصدر سابق، 264/1.

<sup>2</sup> - إبراهيم القادري، بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين - المجتمع - الدهنيات - الأولياء -، ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1993م، ص119.

<sup>3</sup> - كتابه السحر والدين في إفريقيا الشمالية: هو في الأصل دروس ألقاها إدموند دوتي في المدرسة العليا للآداب، التي كان أستاذا بها في الجزائر، وبدأت في ديسمبر 1905، وهو تاريخ إلقاء المحاضرة الأولى التي قدم بها الكتاب. وفي سنة 1909 نشر الكتاب بالجزائر عن مطبعة تيبوغرافي أدولف أوردان، وبعد قرن من تأليف إدموند دوتي لمؤلفه "الدين والسحر في إفريقيا الشمالية"، قام الناقد الأدبي فريد الزاهي الباحث بالمركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس - السويسي، بترجمته إلى العربية سنة 2008. وصدر عن دار مرسم للطبع والنشر بالدار البيضاء. ترجم سنة 2008.

<sup>4</sup> - السحر والعلم والدين، تر: فيليب عطية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995؛ الكتاب الأصلي Bronislaw Malinowski Robert Redfield: Magic Science And Religion and other Essays, With An Introduction By Wareland Press, 1954, p 72-73.

<sup>5</sup> - Marcel Mauss: Sociologie Et Anthropologie, precede par claude levestrauss 13 édition - 1954. Essai Sur Le Don Forme et raison de léchange dans les sociétés archaïques in sociologie et anthropologie, paris, puf quadrigé édition, 1989.

<sup>6</sup> - عبد الرحمان، ابن خلدون: المقدمة، ص312.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

بدأت أنواع السحر المختلفة ولقد تعاطت الشعوب جميعها فن السحر في جميع أجيال التاريخ<sup>1</sup>، وصولاً إلى الفئات المتخصصة بهذه الممارسة بالمغرب الأوسط، وما يؤكد وجود هذه الفئات بل وتغلغلها في المجتمع هو تفسير ابن خلدون (808هـ/1401م) للنفوس الساحرة على مراتب ثلاثة:

- النوع الأول: المؤثر بالهمة فقط من غير آلة ولا معين، وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر<sup>2</sup>.
- النوع الثاني: بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد، ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الأول<sup>3</sup>.
- النوع الثالث: تأثير في القوى المتخيلة، يَعْمَدُ صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة، فيتصرف فيها بنوع من التصرف، ويلقي فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصده في ذلك، ثم ينزلها إلى الحس من الرائيين بقوة نفسه المؤثرة فيه، فينظر الرءون كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك كما يحكى عن بعضهم، ويسمى هذا عند الفلاسفة السَّعُودَةَ أو الشَّعْبَدَةَ<sup>4</sup>، فما المقصود بها؟ وما الفرق بينها وبين السحر؟ وهل هما شيء واحد؟

---

<sup>1</sup> - غوستاف، لوبون: مرجع سابق، ص206؛ يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص34-35. حول أنواع السحر ينظر: الرازي محمد، بن أبي بكر شمس

الدين: **حدائق الحقائق**، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، ط 1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2002م، 143/8 - 149

<sup>2</sup> - نفسه، ص312.

<sup>3</sup> - نفسه، ص312.

<sup>4</sup> - نفسه، ص312.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

ثانياً: الشعوذة.

الشَعْوَدَةُ بسكون العين ومصدرها شَعَوَدٌ، وهي خفة اليد وتنسب إلى أعمال السحر والاحتيال<sup>1</sup>، وهي كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين<sup>2</sup>، وحسب غوستاف لوبون فإن الشعوذة نوع من التلقين<sup>3</sup>، وقال الثعالبي: لا أصل لقولهم مُشْعَبْدٌ وإنما هو بالواو<sup>4</sup>، والشين والعين والبدال ليس بشيء، والشعوذة ليست من كلام أهل البادية<sup>5</sup>، وهي السرعة، وقيل هي الخفة في كل أمر، والشعوذي هو رسول الأمراء في مهامهم على البريد وهو مشتق منه لسرعته، ويقال شَعَوَذَ الرجل أي احتال على الناس<sup>6</sup>.

أما السحر والشعوذة تكون على يد عبد بعيد من ولاية الله، وتكون بفعله وباستعانه بالشياطين فينالها بكسبه<sup>7</sup>، ويستخدمون الجن فيظهرها الله على أيديهم فتنة لهم وفتنة بهم وتكديبا لهم، فأية النبي، وكرامة الولي، وشعوذة المشعوذ، وإهانة الكذاب المفتري، كلها أمور خارقة للعادة لكنها تختلف على حسب من أظهرها الله على يديه<sup>8</sup>.

ومنه فالشعوذة هي القدرة على التضليل وإيهام الناظرين، وعادة ما يدعي المشعوذ شأنه في ذلك شأن الساحر أنه صاحب بركات وله خدام من الجن، وذلك من أجل بث الطمأنينة في المتلقي وجعله يستأنس به وبقدراته، ولكن في الأصل هو يستخدم آليات تضليل وخداع بحسب شطارته<sup>9</sup>.

إن الشعوذة وإن كانت تشترك مع السحر في بعض الجوانب، فإنها لا تحمل نفس دلالاته، فالشعوذة هي ضرب من ضروب التخيل والخداع والإيهام وادعاء البركة، وتستند إلى عبقرية المشعوذ في إيهام الفرد بأنه يفعل أفعالاً سحرية تشد الناظر، لكنها في الحقيقة ليست كذلك فهي بذلك القدرة على المراوغة دون الاستناد إلى نفس الوسائط التي يعتمد عليها الساحر، وهذا ما نجد تأكيداً له عند الباحث زهير الحريري من خلال اعتباره الشعوذة حيل

1- أبو محمد، عبد الله بن أبي زيد القيرواني: جامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تح: محمد أبو الأحضان وآخرون، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة - تونس: المكتبة العتيقة، 1983م، ص236.

2- الفيروز أبادي: مصدر سابق، ص334.

3- غوستاف، لوبون: مرجع سابق، ص110.

4- أحمد، أبو حاقه: معجم النفايس الكبير، ط1، الأردن: دار النفايس للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م، ص972.

5- محمد، بن أبي بكر شمس الدين الرازي: مصدر سابق، ص619.

6- أبو الذهب، أشرف طه: المعجم الإسلامي، ط1، القاهرة: دار الشروق، 2002م، ص344.

7- للمزيد ينظر: تقي الدين أحمد بن ابن تيمية الحراني: مجموعة الفتاوى، ط3، المنصورة- مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م؛ شرح

العقيدة الواسطية، شر: محمد بن صالح العثيمين، ط6، السعودية: دار ابن الجوزية للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ص482.

8- النووي: مصدر سابق، ص126.

9- محمد، زهير الحريري: السحر بين الحقيقة والخيال، ط1، دمشق- بيروت: دار الإيمان، 1985م، ص122.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

وخداع وتضليل ليست من السحر المقصود حقيقة، لأنها تتم دون الاستعانة بالأشياء التي يقولها الساحر ويعتمد عليها في سحره، فهي أقرب إلى أن تكون حركات خفة تعتمد على المهارة والسرعة في عمل الأشياء، وحيل وتمويه مع خداع البصر الرائي وجعله يرى أشياء ليست موجودة<sup>1</sup>.

تعتبر الشعوذة والفكر الخرافي من المعتقدات المقدسة في جل المجتمعات الإسلامية خاصة مجتمع المغرب الأوسط، ثم إن المقدس كان دائما حاضرا في ثقافة هذا المجتمع، وتبقى المعتقدات الغيبية مرتبطة بالتدين، وهي من المظاهر الكثيرة التي يتجلى فيها اعتقاد بعض سكان المغرب الأوسط، في الدجل والشعوذة وانتشار سلوكيات وطقوس في مناطق كثيرة من بواديه وحواضره، وارتباطها بأشخاص وهميين أحيانا يعتقدون بأن لهم قدرة فائقة على حل المشاكل الاجتماعية، خاصة عند فئة النساء مثل مشاكل الزواج والإنجاب، وجلب الرزق بالنسبة للرجال، ولعل الدوافع وراء اعتقادهم بهذا الخفي الذي يتحكم في مظاهر الطبيعة هي التدين والجهل الذي ينشر مثل هذه الأفكار، وحسب الباحث عبيد بوداود فإن هذا الأمر هو ما ساهم في انتشار المعتقدات الخرافية حول كرامات الصوفية، التي لا يمكن أن نجد لها تفسيراً علمياً عقلياً منطقياً، وهذا ما سمح لعدد كبير من المشعوذين والدجالين انتحال صفة المتصوفة، وترتب على ذلك ظهور مظاهر الانحراف والغلو في الطرق الصوفية<sup>2</sup>.

في مقابل الدين نجد ظاهرة السحر والشعوذة ومعرفة الغيب والتي كانت منتشرة في بعض مناطق المغرب الأوسط منذ القدم، واستمر الربط بين الطقوس الدينية وبعض الممارسات المرتبطة بالسحر حتى عهد الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، ويتضح لنا هذا جليا في ظهور جملة من الممارسات الغريبة والقريبة من السحر والشعوذة وهي ما عرفت في المصادر "بالرقادة" وهو مصطلح يشير على حالة نفسية تعترى الإنسان بسبب غيبوبة طويلة ينسلخ فيها عن الوجود مدة ثلاثة أيام عن طريق النوم العميق، وبعد اليقظة يصير المعنى عليه يتكلم بنوع من الهذيان، فإذا صحا في اليوم الموالي أتى بعجائب مما يكون في ذلك العام من خصب أو جذب أو حرب<sup>3</sup>.

وأكثر ما نجد السحرة والمشعوذين من منتحلي المعاش في البوادي والأرياف لبعدها عن أعين المحتسبين والفقهاء والقضاة، ولسيادة الذهنية الغيبية والإتكالية أكثر بهذه المناطق، وفي هذا يقول ابن خلدون (ت808هـ/1401م): «ومعظم هذا الصنف لدينا بالمغرب من طلبة البربر المنتبذين بأطراف البقاع ومساكن الأغمار، يأوون إلى مساجد البادية ومُوهُونَ على الأغبياء منهم أن لديهم صناعة الذهب، إلى أن يظهر العجز وتقع الفضيحة فيفرون إلى موضع آخر، ويستجدون حالا أخرى في استهواء بعض أهل الدنيا بأطماعهم فيما

1 - محمد، زهير الحريري: المرجع السابق، ص18.

2 - حول مظاهر الانحراف في الطرق الصوفية بالمغرب الأوسط ينظر: عبيد، بوداود: التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م) - دراسة في التاريخ السوسيوثقافي، الجزائر - وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003م، ص 249-261.

3 - إبراهيم، القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص115.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

لديهم، وهذا صنف لا كلام معهم لأنهم بلغوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقه<sup>1</sup>، وبما أن السحر يقوم أساسا على أفعال غريبة بخداع الحواس والأعصاب، والإيحاء إلى النفوس فهو لا يغير من طبيعة الأشياء، ولا ينشئ حقيقة جديدة، لكنه يعمل شيئا يؤثر في جسم المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، بهدف تحقيق مكاسب مالية بالدرجة الأولى أو لرغبتهم في التحكم والسيطرة على الناس تسخيرا لخدمة مصالحهم.

تبعاً لذلك يرى الباحث عبد الهادي البياض أن من بين وسائل التأثير التي يمارسها السحرة المشعوذون هي تضمين وصفاتهم الخرافية أعدادا وترية لما لها من أثر في تصديق العوام، للتعليل المرتبط بها والإغرائية في ذلك، فغالبا ما يتقاعس العوام السذج عن العمل، في انتظار ما يؤول إليه أمر التغيير المناخي<sup>2</sup>، كما شاعت بالمغرب الأوسط ظاهرة الاستعانة بالسحرة والمشعوذين للبحث عن كنوز الأمم السابقة واستخراجها، معتقدين بإمكانية ذلك دون إعمال لعقولهم منجرين وراء الخرافات، ونقل لنا ابن خلدون (ت808هـ/1401م) صورة لهم في قوله: «ضعفاء العقول في الأمصار يحرصون على استخراج الأموال من تحت الأرض ويتبعون الكسب من ذلك، ويعتقدون أن أموال الأمم السالفة مختزنة كلها تحت الأرض، محتوم عليها كلها بطلاسم سحرية لا يفيض ختامها ذلك إلا من عثر على علمه، واستحضر ما يحله من البخور والدعاء والقربان، فإذا لم يعثروا على شيء ردوا ذلك إلى الجهل بالطلسم الذي حُتم به على ذلك المال<sup>3</sup>».

من خلال قول ابن خلدون يمكنني الجزم أن الاعتقاد في قدرة السحرة لم تكن حكرا على سكان البوادي البعيدة والمقفرة، فهام سكان الأمصار المترفة أكثر حرصا على الاستعانة بالسحرة وتصديق مزاعمهم بل حتى الرفع من مكانتهم، وهو الأمر الذي أثار جدلا حول الحد الذي يمكن أن يبلغه السحرة في تأثيرهم في الناس وتأثر الناس بهم.

اختلف في مقدار ما يبلغه الساحر بسحره تأثيرا على غيره، أو فعلا يفعله هو أو يفعله في غيره<sup>4</sup>، وهناك من يرى بأن بعض الأعمال التي تدخل في باب السحر نجد بعضها فيمن يتصفون بالكرامة، فالساحر والولي كلاهما يدعي القدرة على الطيران في الهواء، وأن يستدق جسمه حتى يدخل من كوة ضيقة، ويتنصب على رأس قصب، ويمشي على الماء، وهو ما سأعرج عليه في حديثي عن كرامات الأولياء في الفصل القادم.

<sup>1</sup> - عبد الرحمان، ابن خلدون: المقدمة، ص 327.

<sup>2</sup> - عبد الهادي، البياض: مرجع سابق، ص 136.

<sup>3</sup> - عبد الرحمان، ابن خلدون: المصدر السابق، ص 244.

<sup>4</sup> - حول تأثير السحر وما يمكن للساحر فعله ينظر: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح الإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، إيش و تح: شعيب الأرنؤوط، ط01، بيروت: دار الرسالة العالمية، 2013م، 26 مجلد، 222/10.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

أكبر دليل على تفشي هذا المعتقد هو اعتراف ابن خلدون (ت808هـ/1401م) بوقوفه على الكثير من هذه الممارسات ومشاهدته لها وذلك في قوله: «وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها، وعابنتها من غير ريبة في ذلك، هذا شأن السحر والطلسمات وآثارهما في العالم، فأما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد أن أثبتوا أنهما جميعاً أثر للنفس الإنسانية، واستدلوا على وجود الأثر للنفس الإنسانية بأن لها آثاراً في بدنها على غير المجرى الطبيعي وأسبابه الجسمانية، بل آثار عارضة من كيفيات الأرواح تارة كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور، ومن جهة التصورات النفسانية الأخرى، كالذي يقع من قبل التوهم، فإن الماشي على حرف الحائط أو على الحبل منتصب إذا قوي عنده التوهم السقوط سقط بلا شك<sup>1</sup>».

بالإضافة إلى ما سبق فقد شاع تعليل حدوث الكوارث الطبيعية في المغرب الأوسط بتأثير السحر والطلاسم، دون إعمال للعقل أو تفكير أو رفض، ذلك أن السحرة عملوا على تعطيل الحواس الإدراكية لدى المجتمع بهدف تغييب الوعي، وتحقيق المنفعة المادية.

### ثالثاً: التفريق بين السحر والطلاسم والمعجزة<sup>2</sup> والكرامة.

حدث لغظ كبير حول تداخل السحر والطلاسم وبين المعجزة والكرامة في المغرب الأوسط، ذلك أن هذه المعتقدات التي كانت سائدة آنذاك قد فرضت نفسها على فئة من الناس اعتقدت بصدقها وتبنت مذهبها، بل هناك من دافع عنها لحد أنه اعتبر كل مكذب بها أو شاك في صدقها من القوم الجاهلين، وسأورد بعض هذه الاختلافات قصد تبسيط وتقريب الفهم، فهناك من اعتبر أن الفرق بين المعجزة والكرامة يقوم على أن المعجزة يتوجب إظهارها، أما الكرامة فيجب إخفائها، وأن المعجزة تكون للأنبياء بينما الكرامة تكون للأولياء<sup>3</sup>، وقيل أن عقوبة الأنبياء حبس الوحي والمعجزات، وعقوبة الأولياء إظهار الكرامات<sup>4</sup>، فالفرق بين المعجزة والكرامة هو أيضاً

1- المقدمة، ص313-314.

2 - المعجزة أمر خارق وخارج على المؤلف، وهي أيضاً أمر لا يخضع لقانون ولا يسري بناموس ولا يتبع سنن الله في خلقه، ومن هنا تبدو المعجزة كشيء خارق ومعطل للنظم المتقنة البديعة التي يراها رجل العلم، إذن المعجزة كل ما عجز العقل البدائي أو العادي عن تعليقه، والمعجزة فعل ناقص للعادة تقصر عنه قوة البشر، ويختص بمن يدعي السفارة بين الله وبين البشر، وهي نوعان حسي وعقلي، فالحسي ما يدرك بالعيان وتقع عليه المشاهدة كطوفان نوح عليه السلام وناقاة صالح، أما العقلي فهو أبلغ في القوة وأدل على الصدق وأبعد من الشبهة، ويجب أن تكون المعجزة موافقة لطباع المبعوث إليهم وملائمة عقولهم، كذلك كانت أكثر آيات موسى عليه السلام، لأنه في زمنه ظهر السحر وتوفرت دواعي الناس حتى تلقوا فيها الغاية. عبد المحسن، صالح: الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998م، ص9. أبو القاسم، الحسين بن محمد المفضل: الاعتقادات، تح: شمران العجلي، ط1، بيروت: دار الأشراف للتجارة والطباعة، 1977م، ص128-129؛ الأصفهاني: مصدر سابق، ص129-131

3 - الرازي: مصدر سابق، ص255-256.

4- الرازي: مصدر سابق، ص256.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

بين السحر والكرامة، لأن الكرامة لا تجيء على يد ساحر مفتر، والفرق بين المعجزة والسحر هو بخاصة رسمه ويجعل أسبابه لأكثر الناس<sup>1</sup>.

أما رأي ابن خلدون (ت808هـ/1401م) حول الفرق بين السحر والطلسمات فيرى بأن السحر اتحاد روح بروح، أما الطلسم فهو اتحاد روح بجسم، ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية بالطبائع السفلية، والطبائع العلوية هي روحانيات الكواكب، ولذلك يستعين صاحبها في غالب الأمر بالنجامة<sup>2</sup>، وسأنتظر للنجامة وما يتعلق بها في الصفحات القادمة.

### 1/ المعجزة والسحر:

أما عن الفرق بين المعجزة والسحر<sup>3</sup> حسب الفلاسفة في مقدمة ابن خلدون (ت808هـ/1401م) فالمعجزة حسبهم هي قوة إلهية تبعث على النفس ذلك التأثير فهو مؤيد بروح على فعله ذلك، والساحر إنما يفعل ذلك من لدن نفسه وبقوته النفسانية وبإمداد الشياطين في بعض الأحوال، فبينهما الفرق في المعقولية والحقيقة والذات في نفس الأمر، يستدل ابن خلدون (ت808هـ/1401م) على التفرقة بينهما بالعلامات الظاهرة، وهي وجود المعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير، وللنفوس المتمحصة للخير والتصدي بها على دعوة النبوة، والسحر إنما يوجد لصاحب الشر وفي أفعال الشر في الغالب، من التفريق بين الزوجين وضرر الأعداء وأمثال ذلك والنفوس المتمحصة للشر هذا هو الفرق بينهما عند الحكماء الإلهيين<sup>4</sup>.

إن المتفحص لقول ابن خلدون (ت808هـ/1401م) يتضح له أن الفرق بينهما يقوم على أسس:

- أولاً: صاحب المعجزة نواياه خير عكس الساحر نواياه شر، كالتفريق بين زوجين مثلاً، ويهدف إلى إيصال الضرر للغير وخذاعهم.
- ثانياً: المعجزة لها مدد إلهي رباني، عكس الساحر الذي يعتمد على قواه النفسية والشياطين بدليل قوله: « وقد يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثير في أحوال العالم وليس معدوداً من جنس السحر، إنما هو بالإمداد الإلهي لأن طريقتهم ونحلتهم من أثار النبوة وتوابعها ولهم المدد إلهي، وإذا اقتدر أحد منهم على أفعال الشر لا يأتيها، لأنه متقيد فيما يأتيه بذره للأمر الإلهي... فلذلك لا يعارضه شيء من السحر»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الرازي: مصدر سابق، 277/6

<sup>2</sup> - عبد الرحمان، ابن خلدون: المقدمة، ص314.

<sup>3</sup> - الرازي: المصدر السابق، ص255.

<sup>4</sup> - عبد الرحمان، ابن خلدون: المصدر السابق، ص314.

<sup>5</sup> - عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، ص314.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

لقد لازم السحر المجتمعات البشرية منذ ظهورها<sup>1</sup>، وبقي منتشرًا لدى بعض الطبقات الشعبية في مجتمع المغرب الأوسط، خاصة أمام الأعراض الغامضة التي شغلت تفكيرهم وإيمانهم بوجود قوى خفية هائلة تسيطر عليهم من كل حذب وصوب، فحاولوا بكل الوسائل استعطافها والتقليل من بطشها بتقديم القرابين المختلفة لها، للحصول على للحماية وهو الحال في جميع المجتمعات المغاربية الوسيطة، ويؤكد هذا الطرح أنواع القرابين التي ورد ذكرها عند مارسيل ماوس كالمح والدم والريق، الحديد، الأحجار البلورية، المعادن الثمينة، الرماد، شجرة التين، البخور، فهي تتوفر على قوى سحرية عامة، وكذلك الصلوات والأدعية بما فيها طقوس سلبية مثل المحرمات والجن<sup>2</sup>، وهذه القوى ذات الفعل السيئ قد تأتي في نظر الرجل العامي من النجوم البعيدة تنقلها الطيور، أو من جوف الأرض حيث الموت والفتنة، وحيث تدفن الأموات وتنقلها الأفاعي والثعابين الفتاكة الحاملة للسموم<sup>3</sup>.

### 2/ السحر في المغرب الأوسط بين أحكام الشريعة ورأي المدرسة الاستشراقية.

إن شيوع ظاهرة السحر والكهانة في المغرب الأوسط، وبروز فكرة تقديس بعض السحرة لما لهم من قدرة على الإتيان بالخوارق وتعلق قلوب بعض الناس بهم جعل الفقهاء يقولون: بأن السحر والطلسمات كلها بابا واحدا محظورا، لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهمننا في ديننا، والسحر حاصل ضرره بالوقوع ويلحق الطلسمات لأن أثرهما واحد، وكالنجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير، فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله، فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نسبة الضرر، وخصه بالخطر والتحريم<sup>4</sup>، كما نهي الإسلام عن ظاهرة السحر، وشن حربا واسعة على الكهان والسحرة والعرافين واعتبر رسول الله ﷺ السحر واحدا من أخطر الجرائم السبعة الكبرى<sup>5</sup>، ووردت آيات قرآنية في النهي عن عمل السحر منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - إن هذه الملازمة أساسها الاعتقاد الجازم بأن السلطة الحقيقية هي سلطة السحر خاصة في العصور الوسطى . Laura, levé Makarius: les sacré et la violation, p 15.

<sup>2</sup> - Sociologie Et Anthropologie, p 93-96

<sup>3</sup> - قناتي، شحاتة: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، ط2، بيروت: أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م، ص17.

<sup>4</sup> - عبد الرحمان، ابن خلدون: المقدمة، ص314.

<sup>5</sup> - يعتبر السحر من السبع الموبقات فقد روي أن رسول الله سحر كما سبق الذكر، حتى كان يُحِيلُ إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، فأُنزل الله عز وجل عليه المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد، قالت عائشة رضي الله عنها: كان لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها إلا انحلت. ابن حجر العسقلاني: مصدر سابق، 10/226-227، وكان لابد للمحتسب من محاربة السحرة وفي ذلك قال الجليلي:

وَمَنْعُ مَنْ اسْتَفْعَلَ بِالْكِهَانَةِ وَالْحَطِّ وَالسِّحْرِ مَنْ أَبَانَهُ. ص42.

<sup>6</sup> - سورة طه، الآية 69.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

تحدث إدموند دوتي في دراسته حول السحر في شمال إفريقيا عن نشأة الفكرة السحرية والمقدس، وركز على الطقوس السحرية<sup>1</sup> والغايات العملية للسحر، وعلى العلاقة القائمة بين السحر والعلم والدين<sup>2</sup>، ودور السحرة والكهنة والعرافين، كما تطرق للحديث عن الكرنفال<sup>3</sup> والأعياد الموسمية<sup>4</sup> وطقوس الطبيعة وغيرها من المواضيع<sup>5</sup>، ورأى دوتي أن سكان الشمال الإفريقي اضطروا مع مجيء الإسلام إلى التحايل من أجل المحافظة على معتقداتهم الأصلية، وذلك بتكييف هذه المعتقدات الوثنية مع مقتضيات الدين الجديد، عن طريق مزجها بطقوس وممارسات دينية إسلامية، ذلك أن الإسلام وبالرغم من قدرته الكبيرة على التأثير، لم يكن بوسع القضاء كلياً على جميع الطقوس الوثنية القديمة، وبالتالي تمت أسلمتها<sup>6</sup>، خاصة أن الطبيعة كانت مثار خوف في ظل سيطرة التفكير الميتافيزيقي، و على هذا الأساس كان للعوامل الطبيعية أثر كبير في ظهور البدع والعادات والتقاليد والأعراف ذات التأويلات المختلفة، فقوى الطبيعة أثرت في بروز ذهنيات خرافية وأخرى سحرية، كشكل من أشكال التعبير والعجز عن فهم العوامل المؤثرة في الاضطرابات المناخية<sup>7</sup>.

كما أنه أقر بعدم ملائمة النظرية الطوطمية لتفسير الحضارة الإسلامية التي درسها، والتي اعتبرها أكثر تطوراً من حضارات أخرى طبقت عليها تلك النظرية، وتطرق بعد ذلك إلى الفرضية التي سادت في وقته لدراسة الديانة الإسلامية، وهي النظرية التطورية وفرضية البقايا الوثنية التي طرحها إدوار فيستر مارك، والذي رأى مثلاً بأن عاشوراء مهرجان وثني تمت أسلمته بأن تحول توقيتته من نهاية السنة الفلاحية ليدرج ضمن التقويم الهجري، ويؤكد على أنها طقس شمال إفريقي لا ينتمي إلى الإسلام ولا إلى الوثنية العربية بل كان سائداً عند البرابرة القدماء قبل

<sup>1</sup> - Magie et Religion , p58.

<sup>2</sup> - Ibid, p307

<sup>3</sup> - أرجع دوتي ظاهرة الكرنفال إلى وقت طويل قبل مجيء الإسلام لبلاد المغرب، وتحدث عن الكرنفال في ورقلة وكذا في الشمال الإفريقي، إذا قال عن الاحتفال بعاشوراء مثلاً: « تأتي في اليوم العاشر من محرم في أول سنة هجرية، هذه الفترة سماها عيد الفول، وقال: هو اليوم الذي تضرب فيه الأرض أي اليوم الذي نشأت فيه الأرض، وفي المساء يرتدوا أفنعة الحيوانات كالجمال والأسد والنعام، كما علق على أنواع اللباس في هذا الكرنفال (القندورة الطويلة، الشاشية الحمراء)، وأشار إلى بعض الطقوس كالمشي حافي الأقدام، والأعين المثبتة على الأرض، وهي المظاهر الاحتفالية التي أرجعها حسب رأيه إلى تمصهم للأساطير القديمة. Ibid, p497, 498.

<sup>4</sup> - وصف دوتي الأعياد الموسمية كليلة عاشوراء والتي وصف الاحتفال بها بالفنطازية الشعبية وقال: « بأن الاحتفال بعاشوراء ليس ليلة واحدة بل يمتد جميع ليالي الشهر». Ibid, p499.

<sup>5</sup> - ومن هذه المواضيع الاحتفال في الأغواط، ميزاب، توفرت، بسكرة. Ibid, p500, 541.

<sup>6</sup> - Ibid , p15.

<sup>7</sup> - عبد الهادي، البياض: مرجع سابق، ص 10-11.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

مجيء الإسلام<sup>1</sup>، أما عن شهادة دوتي بعدم ملائمة النظرية الطوطمية لحضارة المغرب الإسلامي فهذا راجع لخصوصيتها.

إذا كانت الطقوس الطبيعية والزراعية قد فقدت الشيء الكثير من أشكالها الأصلية بفعل عملية الأسلمة، فإنها لم تنقرض وحافظت على استمرارها في الوجود، بيد أنه لم يكن من المتيسر رصدها والكشف عنها دون خبرة وحنكة الإثنوغرافيين والسوسولوجيين<sup>2</sup>، ويرجع دوتي وجود البقايا الوثنية في احتفالات سكان شمال إفريقيا إلى قدرة الطقوس بشكل عام على الاستمرارية، فمعظم هذه الطقوس كانت في الأصل ذات مغزى ديني ثم تحولت إلى مجرد طقوس سحرية، فعندما يتغير المعتقد يستمر الطقس في الوجود ويبقى كما تبقى تلك الصدقات الأحفورية للرخويات الغابرة، التي تساعدنا على تحديد الفترات الجيولوجية، فاستمرارية الطقس إذا هي بسبب وجود هذه البقايا المتناثرة هنا وهناك<sup>3</sup>.

من خلال ما سبق يمكن القول بأن إدموند دوتي قد تجاوز المجال الخاص بالظواهر الدينية، ليقترب تصورا أنثروبولوجيا كاملا للثقافة المغربية التقليدية وعلاقة الإنسان المغربي بهذه الثقافة، وقد اصطبغت أعماله بمنهج تأويلي، هذا المنهج حتمه التواصل النظري الذي يقيمه دوتي مع المدرسة الفرنسية، ولذلك يحضر بشكل جلي منهج المقارنة عنده.

أما الباحث جان نويل فيري في مقاله حول "أنثروبولوجيا المغرب وضعيتها وأفاقها"، بأنه خلال الفترة الاستعمارية هناك أعمال مساهمة من الدراسات اللاهوتية، حيث ارتبطت مقارنة المجتمع بصورة أكبر للدراسات النقدية للنصوص القديمة، وكذلك بالعناية المقدسة بالعادات الناجمة طبعاً عن التراث الشفوي وعن الذاكرة الجماعية، لقد انتهى هذا الأمر إلى اعتبار الممارسات نفسها كأنها نصوص تملك لغتها وقواعدها الخاصة، وهذا سيؤدي إلى دراسة المعتقدات وليس الأفراد المعتقدين ولا الكيفية التي يعتقدون بها<sup>4</sup>.

### 3/ التداخل بين الدين والسحر.

في الدراسة التي قام بها ألفرد بل حول الدين الإسلامي لدى البربر، وضح السبب الرئيسي وراء دراسته المتعلقة بمعرفة النظام المجتمعي والديني والعقدي للدول الخاضعة لفرنسا، لمعرفة عقليتهم التي وصفها بأنها عقلية دينية

1 - Magie et Religion, p543, 544

2 - op.cit, p15

3 - Ibid, p602.

4 - Ferrie, Jean Noël: « Lanthropologie du Maroc situation artuelle et perspectives » annuiare de LAfrique du Nord, 1991, CNRS, paris, 1993, pp 1069-1077, p 1070.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

بالدرجة الأولى<sup>1</sup>، وذكر بأن أهل القبائل تعوزهم رقة الحضارة والمعرفة الدينية، ولم يكن بوسعهم فهم واستيعاب كافة المعتقدات الجديدة على نحو دقيق كمعنى التوحيد المطلق، أو حتى باقي التعاليم الصوفية الصارمة<sup>2</sup>، كما أضاف بأن البقايا الوثنية السحرية والدينية التي كانت سائدة عند البربر القدماء، قد تبنت في تمظهراتها استعمالات وتركيبات من الإسلام الرسمي الصوفي، هذا الأخير الذي قدم تنازلات كبيرة لمسايرة هذه المعتقدات المحلية<sup>3</sup>، فهناك من ربط بين الدين والسحر في مجتمع المغرب الأوسط، ولبحث في هذه الفكرة لا بأس من التعريف بالدين أولاً إذ قد سبق تعريف السحر.

الدين:

### أ- الدين لغة:

يقول ابن منظور في اللسان الدين هو: «الجزء والمكافأة ودنئته بفعله ديناً: جزيته، وقيل الدين المصدر، والدين الاسم، ويوم الدين: يوم الجزاء، وفي المثل كما تُدينُ تُدانُ أي كما تُجَازي تُجَازَى أي تُجَازَى بفعلك وبحسب ما عملت<sup>4</sup>».

### ب- الدين اصطلاحاً:

يعرف الدين بأنه تلك المجموعة المتناسكة من العقائد والعبادات، المتصلة بالعالم القدسي والتي تنظم سلوك الإنسان<sup>5</sup>، وهو المنهل لإرواء الفكر والمعرفة، وهو المنبع لإثراء الحياة الروحية<sup>6</sup>، كما تشير كلمة الدين عند العرب إلى العلاقة بين العابد والمعبود، وهي علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له<sup>7</sup>. أما إميل دوركهايم<sup>8</sup> فيعرف الدين بأنه مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة، اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معينة تسمى الملة، والدين من أهم الأمور التي ترتبط بحياة الإنسان

<sup>1</sup> -La religion Musulmane en Berberie, p09.

<sup>2</sup> - op.cit, p388.

<sup>3</sup> -Ibid, p406 .

<sup>4</sup> - ابن منظور: مصدر سابق، 204/13.

<sup>5</sup> - مهدي، محمد القصاص: علم الاجتماع الديني: المنصورة- مصر: دار النشر 2008م، ص 17.

<sup>6</sup> - صافية، مناد: مرجع سابق، ص 80.

<sup>7</sup> - محمد، عبد الله دراز: الدين- بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان- الكويت: دار القلم، 1952م، ص 31.

<sup>8</sup> - عمل دوركهايم في الفصل الافتتاحي لكتابه الأشكال الأولية للحياة الدينية (1915) لخص دوركهايم التعاريف السابقة للدين ورفضها. فقد رفض تعريف تايلور (1903) "الجوهري" للدين بوصفه "الإيمان بالكائنات الروحية". إذ ارتبط هذا التعريف بوضع تايلور للأصول الدينية في نسقٍ للتفكير كان يسميه بـ"الأرواحية" أي الإيمان بأن كل الأشياء، عضوية كانت أو غير عضوية، تحتوي روحاً أو نفساً تدجهم بطبيعتهم وبصفتهم المقدسة الخاصة. أصر دوركهايم على أن هذا التأكيد كان خاطئاً كونه أهمل الممارسات، أي الجوهر الحقيقي للدين، والتي هي أكثر أهمية من الاعتقادات، جوهر الدين تجربة لقوة أو لطاقنة غامضة خفية مقدسة مترافقة مع عواطف عميقة متضاربة من الرهبة والخوف واحترام الظواهر الطبيعية والتي تسبق عملية مفهومة

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

وأفكاره ووجدانه، فالإحساس الديني هو الذي ينتج المعتقد والتجربة المعيشية والسريرة والشعور الديني، وإن الطقوس الدينية تقوم على المعتقد<sup>1</sup>، أما التدين فهو الطريقة التي يعبر بها المتدين عن علاقته بالدين<sup>2</sup>.

ويمكن استعراض رأي عطية صقر الذي يقول بأن الدين هو: «الوضع الإلهي الذي اختاره الله لعباده ليصلحهم في الحياتين، وقد يكون عالميا بعدم اختصاصه بجنس من الأجناس البشرية، وبعدم انحصار تطبيقه في إقليم خاص أو بيئة معينة»<sup>3</sup>، أو هو «وضع إلهي لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير باطنا وظاهرا»<sup>4</sup>، وهناك من يرى بأن الدين يعبر عن نسق إيديولوجي يظهر من خلاله سلوك مميز للأسلوب الخاص للممارسات والطقوس والشعائر الفردية والجماعية، فالطقوس والمراسيم مع كونها تنبع من الاعتقاد الديني فهي أيضا مؤثرة فيه وعليه من الناحية الأخرى<sup>5</sup>، فالدين جملة من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة في النفس من جراء حبها لله وعبادتها إياه وطاعتها لأوامره<sup>6</sup>، والدين هو نسق من الرموز يعمل على تأسيس طبائع ودوافع ذات سلطة وانتشار واستمرار دائم عن الناس، وذلك عبر تشكيل تصورات حول النظام العام للوجود، مع إضفاء طابع الواقعية على هذه التصورات بحيث تبدو هذه الطبائع والدوافع واقعية بشكل منفرد<sup>7</sup>.

ويقوم الدين على ثلاث عناصر أساسية وهي الأسطورة، والطقس، والمعتقد، والتي لا نستطيع التعرف على الظاهرة الدينية في تبديها الجمعي بدون التعرف عليها مجتمعة ومتعاونة<sup>8</sup>، ذلك أن الإنسان حاول في البداية البحث عن أسرار الكون ومحاولة إخضاع الطبيعة لخدمته لكنه فشل، فاستدعى هذا الإيمان بالقوى الخارقة التي تقف وراء المظاهر المتبدية في هذا العالم، قوى إلهية معارضة له فعالة فيه<sup>9</sup>، وهو الأمر الذي جعل بعض سكان المغرب الأوسط في مرحلة تاريخية خاصة في زمن الأزمات يبدؤون في التقرب من تلك القوى لمعالجة مشاكلهم المستعصية، وتغليف ممارساتهم بالشعار الديني مستخدمين الأسطورة والطقوس.

---

الأرواح، والآلهة، وما شاكل ذلك، ومن ثم مضى دوركهام في تبني معيارين افترض أنهما سيوجدان متوافقين: التنظيم المشترك لدين الجماعة وفصل المقدس عن المدنّس.

1- فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص145؛ أوليفيه، روا: الجهل والمقدس - زمن بلا ثقافة-، ط01، تر: صالح الأشقر، بيروت: دار الساقى، 2012م، ص61.

2- نفسه، ص61.

3 - عطية، صقر: الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، الأزهر - مصر: مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الخامس، 1988م، ص10.

4- زكي، محمد إسماعيل: في الدين والمجتمع - سلسلة الإسلام والعلوم الإنسانية-، الإسكندرية: دار المطبوعات الجديدة، 1989م، ص06.

5 - هنري، برغسون: منبع الأخلاق والدين، تر: ساسي الأوربي، ط1، مصر: مكتبة النهضة، ص110.

6 - جميل، صليبا: المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م، 572/1.

7 - عبد الغني مندوب: مرجع سابق، ص65.

8 - فراس، السواح: دين الإنسان، ص43.

9 - فراس، السواح: مغامرة العقل الأولى (دراسة في سوريا وبلاد الرافدين)، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 1996م، ص11.

# الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

رابعاً: الكهانة والتنجيم.

## 1/ الكهانة والعرافة:

إن النزوع إلى معرفة المستقبل نزوع فطري رافق المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور، فكان في كل أمة أو ملة فئة أو طائفة تستأثر بادعاء المعرفة، ولها وحدها حق الاطلاع على شؤون المستقبل<sup>1</sup>، لذلك سادت الكهانة والعرافة كوسيلة لمعرفة ما يجبأه المستقبل من أحداث وأخبار، ولا بأس من التعرّيج على مفهومهما.

عن مفهوم الكهانة والعرافة قيل أنهما بمعنى واحد يطلقان على الحازي، والطبيب، وكل من يتعاطى علماً دقيقاً<sup>2</sup>، والكهانة غير العرافة والتي هي محصورة بالإخبار عن الأمور الماضية، ومعرفة الآثار والاستدلال منها على مؤثرها<sup>3</sup>، فالعراف حسب هذا القول يختص به من يزعم معرفة الأمور الماضية ومسبباتها، مما يدخل في باب معرفة أمور الغيب، وفي هذا الصدد قال القاضي عياض العراف هو الحازم والمنجم الذي يدعي معرفة الغيب وهي من العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بمقدمات يدعي معرفتها وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وهذا الفن هو العيافة وكلها يطلق عليها اسم الكهانة<sup>4</sup>

ووجدت هذه المعتقدات في مجتمع المغرب الأوسط، من يصدقها بل ويدافع عنها من عوام الناس خاصة السذج منهم، رغم النهي الشرعي عن إتيانهم فقد رُوي عن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي ﷺ: من أتى عرافاً فسأله فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً<sup>5</sup>، وذكر أن كاهنا كان بالبطحاء بإقليم تلمسان يسمى "سينا" وقد بالغ الناس في تقديسه وتعظيمه دون أن يقول أو يفعل أو يخترع لهم شيئاً، بما فيهم السلطان الزياني الذي كان يخشاه نتيجة امتلاكه لكتب السحر<sup>6</sup>.

وتعتبر الكهانة والعرافة هي أكثر أنواع السحر القديم شيوعاً<sup>7</sup>، إذ يقصد بها الاستنجاد والاستنصار بالجن والروح، وأما ما كان بدعوة أو عزيمة أو رقية أو نحو ذلك فيسمى سحراً<sup>8</sup>، وقيل: إن الكاهن والعراف هو من

1 - يحي، الشامي: مرجع سابق، ص 8.

2 - ابن منظور: مصدر سابق، 17/244\_245، و11/142؛ البرزلي: مصدر سابق، ص221/6.

3 - مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطنابي، ط02، بيروت: دار الفكر، 1920م، 4/214.

4 - أبو عبد الله محمد بن فرج الأتصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط02، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964م، 24 مجلد، 3/7.

5 - أبي الحسن مسلم بن الحاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط01، 1991م، 4/1748.

6 - الوزان: مصدر سابق، 27-29.

7 - غوستاف، لوبون: مرجع سابق، ص 206.

8 - يحي، الشامي: مرجع سابق، ص 33.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدّعي معرفة الأسرار ومعرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة سواء كان له تابع من الجن يأتيه بالأخبار، أو كان ممن يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله فيخبر عن الماضي<sup>1</sup>، والكهانات كان يتعزز شأنها أكثر ما يكون في أيام الشدائد والحن والحروب<sup>2</sup>.

### 2/ صناعة النجوم (التنجيم):

عمد إنسان المغرب الأوسط إلى تقديس النجوم ليس بعبادتها، بل بالجزم بمعرفته الطوالع والنحوس من خلال استقراء منازلها، واعتبارها بشيرا أو نذيرا لما قد تحمله قادم الأيام، لذلك كان للنجوم ومواقعها مكانة مقدسة عند بعض فئات المجتمع، ولا بأس من التعرّيج على مفهوم التنجيم كي يسهل ضبط علاقته بالمقدس في ذهنية سكان المغرب الأوسط.

### مفهوم التنجيم:

التَنْجِيمُ في اللغة من مصدر الفعل بَنَجَمَ، مأخوذ من النَجْمِ، وهو الكوكب، وهو اسمٌ علمٌ على الثُّرَيَّا<sup>3</sup>، والمنجِمُ والمتنجِمُ الذي ينظر في النجوم ويحسب مواقعيتها وسيرها ويراقب الكواكب وأحوالها<sup>4</sup>، وفي الأصل بَنَجَمَ المال إذا أداه بُجُومًا، وَبَنَجَمَ عليه الدين، ويقال: «جعلت مالي على فلان بُجُومًا معدودة يؤدي عند انقضاء كل شهر منها نجما، وقد بَنَجَمَهَا عليه تَنْجِيمًا، ومنه تنجم المكاتب ونجوم الكتابة، وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت ل حلول ديونها، والمنجِمُ والتنجِمُ: الذي ينظر إلى النجوم بحسب مواقيتها وسيرها»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - أبو سليمان بن محمد بن إبراهيم الخطابي: معالم السنن، ط01، حلب: المطبعة العلمية، 1932م، 229/4؛ محمد، زهير الحريري: مرجع سابق، ص 175\_176.

<sup>2</sup> - يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص 13.

<sup>3</sup> - انظر إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، القاهرة: مر: محمد تامر، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م، 239/5.

<sup>4</sup> - محمد، رواسب قلفدجي ومحمد، صادق تينيخي: معجم الفقهاء، ط2، بيروت: دار النفائس للنشر والتوزيع، 1988م، ص147؛ انظر أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد، جهرة اللغة، تح رمزي منير بعلبكي، ط01، بيروت: دار العلم للملايين، 1987م، 115/2.

<sup>5</sup> - نفسه، 115/2؛ يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص25.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

### التنجيم اصطلاحاً:

نَجْمَ فلان نظر في حظوظ الناس بحسب حركات النجوم وسيورها، ومن يفعل ذلك يقال له: المنجم، وعلى هذا فالتنجيم هو النظر في الحركات الفلكية<sup>1</sup>، والاتصالات الكوكبية لمعرفة أحكام النجوم من اقتضاء حركات الوقائع الكونية والأمور الأرضية، فيكون الإخبار بذلك بعد النظر في النجوم<sup>2</sup>، وقد يطلق على التنجيم علم النجوم وصناعة النجوم وعلم الأحكام، أو اسم النجامة أو صناعة النجوم<sup>3</sup>، وعموماً يقصد به ما يختص بمعرفة مدة السنين والشهور والمواقيت وفصول الأزمان وزيادة الليل والنهار ونقصاتها ومواضيع النيرين وكسوفها ومسيرة الكواكب في استقامتها ورجوعها وتبدل أشكالها ومراتب أفرقتها والاستعانة بالجداول والبراهين الهندسية والعددية. والتنجيم هو ادعاء معرفة أحكام النجوم المتعلقة بالعالم السفلي، وتأثيرات النجوم فيه، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيح بين القوى الفلكية، والقوابل الأرضية<sup>4</sup>، والعرب في مجال التنجيم لم يكونوا بدعا من الأمم، إذ هم عرفوا منذ الجاهلية ما عرف بعلم الأنواء<sup>5</sup>، وعرفه ابن خلدون (ت808هـ/1401م) بقوله: «ما يزعمه أصحاب هذه الصناعة من أنهم يعرفون الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها، من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولّدات العنصرية مفردة ومجمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من أنواع الكائنات الكلية والشخصية<sup>6</sup>».

1 - الحركات الفلكية هي على مذهب القدامى القمر - عطارد - الشمس - الزهرة - المريخ - المشتري - زحل، وذلك انطلاقاً من القول بأن الأرض هي مركز العالم الذي تدور حوله سائر الكواكب والنجوم والأجرام والفلك مجرى النجوم وفلك الشيء مستدره ومعظمه. ابن منظور: مصدر سابق، 323/10؛ . يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص26.

2 - نفسه، ص26، 25.

3- المقدمة 324. يقول ابن خلدون (ت808هـ/1401م): وما وقع في هذا المعنى لبعض أصحابنا من أهل العصر، عندما غلب العرب عساكر السلطان أبي الحسن وحاصروه بالقيروان وكثر إرجاف الفريقين الأولياء والأعداء، وقال في ذلك أبو القاسم الروحي من شعراء أهل تونس، ص 325:

يَا زاصداً الخنيس الجوّاري \*\*\* مَا فَعَلْتَ هَذِهِ السَّمَاءِ  
وَلَا نَرَى غَيْرَ زُورٍ قَوْلٍ \*\*\* أَذَاكَ جَهْلٌ أَمْ اِزْدِرَاءُ  
يَقْضِي عَلَيْهَا وَلَيْسَ تَقْضِي \*\*\* وَمَا لَهَا فِي الْوَرَى اقْتِضَاءُ  
ضَلَّتْ عُقُولُ تَرَى قَدِيمًا \*\*\* مَا شَأْنُهُ الْجُرْمِ وَالْفِتَاءِ

4- أبي علي الحسين بن عبد الله ابن سينا (ت427هـ/1037م): تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، ط2، القاهرة: دار العرب للبيئاني، (د.ت) ص110، وانظر عبد المجيد، بن سالم بن عبد الله المشعبي: التنجيم والمنجمون وحكمه في الإسلام، ط01، الطائف- السعودية: مكتبة الصديق، 1994م، ص31.

5- يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص27

6- عبد الرحمان، ابن خلدون: المقدمة، ص323.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

والنجامة بالمعنى الأوسع للكلمة ما هي إلا نوع من الكهانة التي ترمي إلى معرفة ما سيحدث في حياة الدول والأمم والأشخاص<sup>1</sup>، وقد تأخذ لفظة مُنَجِّم مدلولاً أعم وأشمل ليتعدى معناها نطاق من يتعاطى هذا الضرب من الصناعة، فتدل على ما يقوم به العائِفُ والزاجِرُ ومفسر الأحلام، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على ما كان للمنجمين من حظوة ومكانة واهتمام<sup>2</sup>.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن المنجمين في المغرب الأوسط، أصناف عدة فمنهم الدارس لهذا الفن حاصل منه على إشباع هوايته وتحقيق رغبته في النفس، ومنهم نوع آخر اتخذ من التنجيم حرفة يتعيش بها على سبيل الكسب والارتزاق، ومثل هذا النوع كمثل سواهم من الزرايين والمشعوذين الضارين بالرمل<sup>3</sup>، ودليل وجودهم هو عبد الله بن علي المنجم بن المحفوف (ت 800هـ/1397م) وهو من أشهر ضاربي الرمل<sup>4</sup> بالمغرب الأوسط عن سبب تأليفه لمثلث في علم الرمل قال: « لما رأيت الناس من سائر الأجناس مجتهدين في طلب علم الغيب، وقد اختلفوا في الوصول إليه من عدة وجوه متباينة وطرائق غير متباينة خارجا ذلك عن علم النجوم ». «

وفي هذا الصدد أورد ابن خلدون (ت 808هـ/1401م) أن التنجيم والاعتقاد والتصديق به كان سائدا بشكل كبير في المغرب الأوسط، ودعا لتفعيل دور المحتسب<sup>5</sup> في ردع من ينتحل التنجيم كصناعة لما لها من مضار على الدين والدنيا وذلك في قوله: « وقد شاهدنا من ذلك كثيرا، فينبغي أن تحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران، لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول<sup>6</sup>»، « ومن اشتغلوا بالنجامة في المغرب الأوسط محمد بن

1 - يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص 27 . التنجيم عند ابن سينا: « أنه علم تخميني الغرض منه الاستدلال من أشكال النجوم والكواكب بقياس بعضها إلى بعض، وبقياسها إلى درج البروج، وبقياس جملة ذلك إلى الأرض، على ما يكون من أحوال وأدوار العالم والملك والممالك والبلدان والمواليد والتحاويل والتساير والاختبارات والمسائل » الحسين بن عبد الله ابن سينا: مصدر سابق، ص 75.

2- يحيى، الشامي: مرجع سابق، 249.

3- نفسه، ص 253.

4 - وله مخطوط بعنوان المثلث في علم الرمل، عدد أوراقه 26، تحت رقم 6226، بمكتبة الأسد بدمشق سوريا.

5- موظف تابع للقضاء يسمى المحتسب أو متولي السوق، يتخذ معاونين ومساعدين ينتشرون في الأسواق والأزقة وظيفتهم تغيير المنكرات والتشجيع على أعمال الخير والمعروف، ويهتم صاحب السوق أو المحتسب بمراقبة السلع والموازين والمكاييل منعاً للغش والتلاعب بالأسعار، ولما كانت الحسبة أيضا هي واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم وتتفق مع القضاء في إنصاف المظلوم وإلزام المدعى عليه بالأداء وأورد المجيلدي مهام المحتسب في أبيات نقلها عن الأفتوم في مبادئ العلوم لأبي زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي ورقات 116-117

أَيْضًا فَلِلْمُحْتَسِبِ التَّمْرِيقُ \*\*\* وَالْكَسْرُ وَالْإِرَاقَةُ وَالتَّخْرِيقُ

وَالضَّرْبُ وَالطَّوْفُ بِالْمَضْرُوبِ \*\*\* وَيَتَلَفُ الشَّيْءُ الَّذِي يُعَيَّبُ. المصدر السابق، ص 38-42.

6 - المقدمة، ص 324.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

النجار(ت749هـ/1350م)<sup>1</sup>، واشتهر بتضلعه في معرفة حركة النجوم بمختلف أحكامها وقواعدها فاستخلصه السلطان الزياني أبو تاشفين لقضاء حاجاته<sup>2</sup>.

فكل من أوتي حظا من العلم أو الكهانة والزجر والعيافة يشير إلى نفسه بأنه منجم، ويضع بين يديه آلة أو أكثر مما يدل على صناعة، ليثق الناس به ويصدقوه رجالا ونساء سوقة وسُرّاة، ولا يعني هذا مطلقا إغفال الدور الذي كان يضطلع به أصحاب الفراسة والعيافة، وأصحاب الرقى والعزائم والطلسمات وسواهم ممن برعوا في هذا المجال، فاستهوا أفئدة الناس فخائم الحظ حيناً وصح حكمهم حيناً آخر، وذلك عن طريق الصدفة والاتفاق أو عن طريق الملاحظة والدرس<sup>3</sup>.

ونجد أن بعض المنجمين في المغرب الأوسط لم يكن لهم مواطن معينة يثبتون فيها لاستقبال الناس والنظر في أحكام النجوم، ولكن كان يكفي للقيام بهذا العمل بالنسبة إلى بعضهم أن يحمل ما استطاع حمله من كتب ومن أوراق وخرائط وآلات وتقاويم، ثم ينهض للانتقال بها من مكان إلى آخر ومن بلد إلى بلد ومن بيت إلى بيت معلنا عن طبيعة عمله، كأن يصبح مثلاً "المنجم" أو "المعزم" ليقبل عليه ذو الحاجات فيحكم لهذا بكذا ولذلك بكيت، أما المنجمون الذين اتخذوا لأنفسهم أماكن مخصوصة ومقاعد ثابتة، فغالبا ما كانت على قارعة الطريق أو عند رحبة الجسر أو في الساحات العامة، أو في مكان آخر يسمح موقعه باصطياد الزبائن واجتذاب الطامعين في أحكامهم<sup>4</sup>، وهو الحال في كثير من مناطق المغرب الأوسط.

وظل الاعتقاد في قدرة المنجمين على معرفة الغيب سائدا في مجتمع المغرب الأوسط لزمان طويل رغم ورود عدة آيات قرآنية تنفي قدرة غير الله على معرفة الغيب<sup>5</sup>، إلا أن هذا الاعتقاد لم يكن حكرا على العوام من الناس، فمما زاد من ارتباط الفئات الدنيا بالمشعوذين والدجالين، هو الخرافات النخبية المثقفة عن قصد أو عن غير قصد وهو ما نتج عنه تشجيع الذهنية الساذجة من خلال التنظير والتقعيد للفكر التنجيمي، فاتسعت بذلك دائرة

1 - هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن النجار الإمام الفقيه نخبه وقته من أعيان المالكية بتلمسان، توفي بالطاعون الجارف، وقيل أنه تنبأ بوقت موته، ابن مرزوق: المناب، ص192.

2 - عبد الرحمان، بن خلدون: الرحلة، ص48.

3 - يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص251.

4 - نفسه، ص253.

5 - قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ سورة الانعام، الآية 59. وقوله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ سورة نوح، الآية 26.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

التعليل الخرافي في صفوف العوام<sup>1</sup>، فكانت سداجتهم تجعلهم يصدقون كل شيء مهما كان مستحيلاً، لأن العامة تجهل نواميس الطبيعة جهلاً تاماً<sup>2</sup>.

### 3/ وجه إلحاق التنجيم بالسحر:

دراسة هذا العلم من جهة معرفة خصائص الأجرام العلوية، وأبعادها، وحركاتها ليس داخلاً في موضوع السحر، وإنما يدخل في أحد أنواعه أي من جهة السحرة الذين كانوا يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشور، والسعادة والنحوسة، وهؤلاء يعتقدون أن لهذه الكواكب إدراكات روحانية، إذا قوبلت بما يناسب روحانياتها من البخور واللباس كانت مطيعة لمن صنع ذلك، عاملة له ما يريد، وتعدى الأمر اعتقاد الناس بأن سبب الطاعون يرجع للأمر الفلكية من القرانات التي تؤثر في العالم، خاصة عند أرباب صناعة النجوم<sup>3</sup>.

ولا شك بأن الاعتقاد في النجوم باطل، لأنه المنحى الذي يتوارثه السحرة ليوحوا إلي الناس بأن هذه الأجرام العلوية تتصرف وتتحكم في العالم السفلي، وأنها فاعلة لما يحدث فيه<sup>4</sup>، هكذا تم إلحاق التنجيم بالسحر، ولهذا قال ﷺ: ( مَنْ أَقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ أَقْتَبَسَ شُعْبَةً مِّنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ )<sup>5</sup>.

ساد الاعتقاد في المغرب الأوسط بتأثير النجوم في حصول الاضطرابات المناخية، وهو نفس الاعتقاد الذي كان سائداً ببلاد العدوتين، فاخصت المناطق القاحلة في المغرب والأندلس بطقوس سحرية قائمة على التخمين والرجم بالغيب، مع الجزم أن ما يحدث من كوارث طبيعية لها صلة مباشرة بالطباع وحركات النجوم والأجرام السماوية<sup>6</sup>، ويمكن القول أن ارتباط الكوارث الطبيعية وسقوط الأمطار والجوائح بالأحكام التنجيمية التي سادت مجتمع الدراسة، يمكن إرجاعها أساساً إلى التنوع الثقافي والحضاري وانتشاره في جميع بلاد المغرب الإسلامي.

إن تركيز المنجمين على عناصر المناخ في حدوث الاضطرابات والفتن بالطوفان، تركيز يجد تفسيره في توظيف المسبقات والتمثلات الدينية، ومحاكاة المقدس في تطهير الأرض من المذنب، سيما وأن الرياح والعواصف العاتية ارتبطت في مخيال الناس الديني بعلامات الساعة والبعث، متخذة صوراً شتى لألوان العذاب والعقاب التي

<sup>1</sup> - عبد الهادي، البيضاء، مرجع سابق، ص 139.

<sup>2</sup> - يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص 139.

<sup>3</sup> - ابن الخطيب: مقنعة السائل، ص 65، وحول هذه الكواكب وما قابلها من بحورات ورموز ومعادن ينظر الملحق رقم 02.

<sup>4</sup> - انظر الجصاص: مصدر سابق، 1/52\_54؛ محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، ص 30، مج 635/1.

<sup>5</sup> - مسلم أبي الحسن بن الحاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط 01، 1991م، جزء 4، 1671/4؛ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه: السنن، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: مطبعة دار الإحياء للكتب العربية، (د.ت)، ص 527.

<sup>6</sup> - عبد الهادي، البيضاء: المرجع السابق، ص 137-138.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

استهدفت الأقوام الغابرة<sup>1</sup>، ذلك أن الأقاليم الفلكية والرمزية المتعلقة بالكواكب والأساطير وطقوس التصاعد وغيرها، تحافظ على مكان ربح في بنية المقدس، وتستمر السماء ماثلة في الحياة الدينية بواسطة الرمزية السماوية تدعم بدورها عددا من الطقوس<sup>2</sup>.

وهو ما أسهم في تغذية العقلية السحرية التنجيمية، من خلال تقريب المنجمين حرصا منهم على معرفة أسرار الغيب وكشف الطالع وقراءة القراءات، والإخبار بسعد أو نحس القابل من الأيام<sup>3</sup>، بل إن أخذ الطالع شمل المواليذ الجدد خاصة إن كانوا من أبناء الطبقة العليا، وهذا كان شيئا متعارفا عليه إلى درجة الشيوع والابتدال ليس هذا فحسب، بل هناك من إذا عزم أمرا وأراد سفرا ولبس جديدا هو الآخر كان يرجع إلى حكم المنجم قبل أن يقوم بتنفيذ ما عزم عليه أو يمضي في سفره، وإلا عد من الجاهلين أو المقصرين<sup>4</sup>.

هناك أمور يظنها بعض الناس من التنجيم، وهي ليست منه، كالعلم بحادثتي الكسوف والخسوف، فيمكن العلم بذلك بحساب النيّرين كما يعلم طلوع الهلال والبدر بحسابهما، وكذلك توقع حالة الجو وأن النجوم مسببة في سقوط المطر وهبوب الرياح، لكن هذا التوقع قائم على دراسة معينة، وبواسطة آلات خاصة بذلك، وقد تصيب تلك التوقعات، وقد تخطئ، ولكنها ليست من جنس أخبار المنجمين<sup>5</sup>.

هذا الارتباط بالأحكام التنجيمية يعكس بقايا الجاهلية والمؤثرات الوثنية الضاربة في عمق تاريخ المغرب الإسلامي كما سبقت الإشارة، لذا كان موقف الشرع الإسلامي واضحا من المعتقدات الوثنية وخاصة ما ارتبط بالاعتقاد في تأثير النجوم وفي حدوث الكوارث بسقوط الأمطار<sup>6</sup>، وهبوب الرياح كما ربطوا الظواهر الفلكية بالموت والأوبئة وغيرها، ويرجع الباحث عبد الهادي البياض أن هذا الأمر جعل المؤرخين يعتبرون هذه الظواهر مروقا وخروجا على الشريعة، فصبوا جم غضبهم على أصحابها ولم يوردوا أخبارها إلا بحيطه وتكتم كبيرين، ومن ثم لم يخصصوا لها سوى فقرات هزيلة لا تتناسب مع الدور الخطير الذي لعبته في تاريخ العقلية والذهنية المغربية<sup>7</sup>.

1 - عبد الهادي، البياض: المرجع السابق، ص132.

2- الياد، مارسى: المقدس والمدنس، ص91.

3- عبد الهادي، البياض: المرجع السابق، ص130.

4- يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص248.

5- عبد المجيد، المشعي: مرجع سابق، ص303\_320 و325.

6 - عبد الهادي، البياض: المرجع السابق، ص138.

7- إبراهيم، القادري بوتشيش: حركة المتنبيين والسحرة في الغرب الإسلامي، الإسلام السري في المغرب العربي، القاهرة: سينا للنشر، 1995، ص13.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

المبحث الثالث: البدع والخرافات وتأثيرها على الفرد والمجتمع:

انطلاقاً من قول ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) عبارة: « يستدل بالقل منه على الكثير<sup>1</sup> » حاولت تطبيق نظريته على البدع والخرافات التي كانت موجودة بشكل ملحوظ بالمغرب الإسلامي ككل لمعرفة ماهيتها وأنواعها، وكيف أثرت في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط من ناحية الممارسات والمقدسات والطقوس، لأن الإشارات الواردة في مدونة المغرب الأوسط قليلة، ولأن المعتقدات تتخطى الحدود الجغرافية للدول بفعل التأثير والتأثر المتبادل بين الشعوب، ولأن التقسيم السياسي لكيانات المغرب الإسلامي لم يراع التوطن القبلي.

### أولاً: تعريف البدعة:

لا ضير من قليل تمحيص في أصل ومعنى كلمة "بدعة" ليتضح المعنى العام، وعليه نقول حسب ما توصلنا إليه من مادة معرفية أن:

الْبِدْعَةُ لغة: الباء والبدال والعين أصلان، أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال، فالأول قولهم بَدَعْتُ الشيء قولاً أو فعلاً<sup>2</sup>، وأصل مادة بَدَعٌ للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾<sup>3</sup> أي مخترعهما من غير مثال سابق متقدم<sup>4</sup>، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾<sup>5</sup>، أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال: ابتدع فلان بدعة، يعني ابتداء طريقة لم يسبقه إليها سابق<sup>6</sup>.

ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، لكل ما خالف ما اجتمعت عليه أمة من أمور الدين، فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداء، وهيئتها هي البدعة، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة، فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، وهو إطلاق أخص منه في اللغة<sup>1</sup>، وإبداع شيء إذا لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة<sup>7</sup>.

1 - ابن مرزوق: المسند، ص287.

2 - محمد، سعيد حوى: التأصيل لمفهوم البدعة ورأيه في توحيد الأمة، جامعة مؤتة: قسم أصول الدين كلية الشريعة، 2010م، ص5.

3 - سورة البقرة: الآية 117.

4 - البرزلي: مصدر سابق، 500/6.

5 - سورة الأحقاف: الآية 9.

6 - أبي زيد القيرواني: مصدر سابق، ص107؛ صالح، بن فوزان: مرجع سابق، ص7.

7 - الخليل، أبي عبد الرحمان بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين: تح: عبد الحميد هندواوي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م، 8مج، ج1،

ص122.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

البدعة اصطلاحاً:

البدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وإنما قيدت بالدين لأنها فيه تخترع<sup>1</sup>، وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصها بالعبادات، وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة بأن قيدت بالدين، لأنها فيه تخترع وإليه يضيفها صاحبها، وأيضاً فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة، كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم، وذكر الونشريسي أن البدع أمر عظيم عند أهل العلم يخاف عليهم الخلاف فيما يعتقدون تبغضهم القلوب ويشند عليهم غضي المؤمنين ولا يخرجون من الإسلام لذلك<sup>2</sup>.

أصل كلمة البدعة من الاختراع، وهو الشيء يحدث من غير أصل سبق ولا مثال احتذى ولا ألف مثله، ومنه قولهم أبدع الله الخلق أي خلقهم ابتداءً، والبدع هي كل ما لم يبق دليل شرعي على أنه واجب أو مستحب سواء فعل على عهده أو لم يفعل، ولفظ المبتدع لا يكاد يستعمل إلا في الذم، وأما من حيث أصل الاشتقاق فإنه يقال ذلك في المدح والذم، ولهذا يقال في الشيء الفائق جمالا وجوده ما هو إلا بدعة<sup>3</sup>.

من أنواع بدع العبادات التي كانت سائدة بالمغرب الأوسط على سبيل الذكر لا الحصر والتي كانت مرفوضة شرعا لدي الفقهاء أذكر:

- وضع الحدود كالناذر للصيام قائما لا يقعد، ضاحيا لا يستظل، والاختصاص في الانقطاع للعبادة، والاقتصار من المأكول والملبس على صنف دون صنف من غير علة<sup>4</sup>، وهو شأن الكثير من الأولياء والمتصوفة بالمغرب الأوسط.
- التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته<sup>5</sup>.
- الأذكار الصوفية بأنواعها فكلها بدع محدثة لأنها مخالفة للأذكار المشروعة في صيغها وهيئاتها وأوقاتها<sup>6</sup>.
- التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيداً<sup>1</sup>.

1 - إبراهيم، أبي إسحاق بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي: الاعتصام، تد: محمد رشيد رضا، مصر: المكتبة التجارية الكبرى - مطابع شركة الإعلانات الشرقية، 1914م، 37/1.

2 - المعيار، 339/2-340.

3 - شهاب الدين، أبي محمد عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم المكنى بأبي شامة الشافعي: الباعث على إنكار البدع والحوادث، ط2، مكة: مطبعة النهضة الحديثة، 1981م، ص 18؛ البرزلي: مصدر سابق، 6/499-500.

4 - الشاطبي: المصدر السابق، 39/1.

5 - نفسه، 39/1.

6 - صالح، بن فوزان: مرجع سابق، ص 40.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

- ومن الطقوس المقدسة التي رفضها الفقهاء كذلك هي إقامة المآتم على الأموات، وصناعة الأطعمة واستئجار المقرئين يزعمون أن ذلك من باب العزاء<sup>2</sup>.

- البناء على القبور واتخاذها مساجد وزيارتها لأجل التبرك بها، والتوسل بالموتى وغير ذلك من الأغراض الشركية وزيارة النساء لها<sup>3</sup>، وشاعت في المغرب الأوسط كذلك ظاهرة زيارة الأضرحة ومقابر الصلحاء لأخذ البركة بشكل لافت.

تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من البدع توارثتها الأجيال حتى أصبحت عادة وكانت أحيانا أقوى من العبادة، ذلك أن العادة هي ناظمة الحس فهي سبب الاستمرار في أفعال الإنسان، وهي ناظمة حياة الفرد وهي دعامة الحياة الاجتماعية أيضا، والأمر الشاق في حياة الأمة هو أن تبتدع لنفسها عادات اجتماعية وألا تصمد إزاء هذه العادات<sup>4</sup>، حيث أنه على الرغم من إيضاح علماء الدين والأئمة في المساجد والدعاة على محاربة ورفض البدع<sup>5</sup> والمنكرات إلا أن هناك من يشك في أحاديثهم بسبب تراكم العادات لديهم من جيل إلى جيل وصعوبة محاربتها خاصة عند الجهال.

وبما أن الإسلام هو الاستسلام لله وأداء ما تقتضيه طاعته من عبادات، فإنه يرتبط بأعمال ظاهرة مكشوفة قد تعجزها بعض الممارسات التي سرعان ما تتحول إلى طقوس ربما تتجاوز العبادات، لتنعكس على كثير من العادات الاجتماعية في المجتمع، التي تتحول إلى تقاليد لا تلبث مع مرور الزمن أن تكتسي شيئا من القداسة، حتى حين تحيد عن الجادة وتبتعد قليلا أو كثيرا عن متطلبات الدين الصحيح وتعد من البدع المستنكرة، وهو الأمر الحاصل في بعض فئات مجتمع المغرب الأوسط والتي تجاوزت في ممارساتها بعض النواهي الشرعية.

إن مواقف الفقهاء من بعض العادات في مجتمع المغرب الأوسط، كانت تهدف إلى بناء نظام حياتي يتطلب الالتزام والانقياد والخضوع إلى قواعد وأسس دينية، تؤدي بدورها إلى وظائف اجتماعية ونفسية وضبط السلوك والأخلاق والقيم في المجتمع، خاصة في ظل رصد العديد من الممارسات التي شاعت لدى مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية، والتي تكشف عن اجتياح العقلية الخرافية لجميعها وافتقارها لأي وازع نقدي، مما أثار ارتياب العلماء

1 - الشاطبي: مصدر سابق، 39/1؛ صالح، بن فوزان: مرجع سابق، ص32 و ص39.

2 - نفسه، ص39

3 - نفسه، ص41.

4 - غوستاف، لوبون: مرجع سابق، ص30.

5 - ممن تصدى لمحاربة البدع في المغرب الأوسط نجد الفقيه محمد المعروف بالقلمي، قال عنه ابن مريم السيف المسلول على أهل البدع والأهواء الزائغة. مصدر سابق، 267، كما كانت لحمد بن مرزوق الحفيد يد في محاربة أهل البدع وكذلك الفقيه محمد العقباني. ابن مرزوق، المسند، ص204.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

والفقهاء وقرب وجهات نظرهم حول ما اعتبروه انزياح عن الدين وخروج عن الشرع والسنة، وفي الجمل فإن بعض العادات المقدسة، لم تنل رضا الفقهاء لكنها حاضرة وبقوة في المخيال الاجتماعي لبعض ساكنة المغرب الأوسط. إن ورود ذكر البدع والخرافات في المصادر التاريخية وخاصة الجغرافية منها، لكونها أكثر احتكاكا بعامة الناس، والتساؤل عنهم وعن خوارقهم وعاداتهم، وهذا شأن الجغرافيين عموما، هو دليل واضح على أن البدع والخرافات كانت منتشرة بينهم، ولأن هؤلاء السكان صدقوها أولا، ومن نقل عنهم من الجغرافيين ثانيا، وإلا لما ذكرت في تلك المصادر<sup>1</sup>، وما استدلوها بها على أحوال الناس في المناطق التي أقاموا أو مروا بها، والوقوف على أهم البدع والخرافات انتشارا بالمغرب الأوسط.

في المقابل لاقت الكثير من البدع استحسانا لدى مختلف فئات المجتمع، واتفق على جواز فعلها والاستحباب لها ورجاء الثواب لمن حسنت نيته فيها، وهي كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة غير مخالف لشيء منها، ولا يلزم من فعله محذور شرعي، وذلك نحو بناء المنابر والربط والمدارس وخانات السبيل وغير ذلك من أنواع البر التي لم تعهد في الصدر الأول<sup>2</sup>، وأورد ابن مرزوق في حديثه عن محاربة البدع والتحري في الابتعاد عنها أن السلطان أبو الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348م) حارب البدع في قوله: «ومن شدة نفرتة من البدع وحذره من الوقوع في المنهي عنه... أنه لما بني المسجد الجامع بالعباد العلوي حذاء ضريح أبي مدين (ت594هـ/1198) وتأنق في بنائه وبالغ في تشييده والإحسان فيه... قام الدهان برقم أشكال الجبس على داخل الجدران بورقة الذهب والفضة فاستحسن ذلك، وأردت أن يعمل على مثال المسجد الكائن بمنشر الجلد- يقصد مسجد ابن البناء- والجامع الذي برحبة القصر وكلاهما بتلمسان، فشرع في ذلك وعمل منه الصدر الذي على المحراب، وبعدها ابتدأ أبو الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348م) زيارة الضريح والصلاة في الجامع ودخل معه الشيخان ابنا الإمام<sup>3</sup>، فلما نظرا إلى الرقم والزواق استحسنته فقال الفقيه أبو يزيد منهما: هذا بدعة، فقال له: أوبدعة هذا،

1 - بختة خليلي: مرجع سابق، ص 279-280؛ ومن الكتب التي ألقت للرد على البدع والحوادث أذكر:

- محمد، بن الوليد ابن الوليد أبي بكر الطرطوشي: كتاب الحوادث والبدع، تح: عبد المجيد تركي، ط01، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م.

- الشافعي أبي شامة: الباعث على إنكار البدع والحوادث.

2 - الشافعي: المصدر السابق، ص22.

3 - هما عبد الرحمان بن محمد أبو يزيد (ت743هـ/1343) وأخيه أبو موسى عيسى ابنا الإمام الشريف التلمساني، من أجل علماء المالكية بالمغرب الأوسط، قتل زيري والدهما ففرا إلى تونس واستقرا بها ثم رجعا إلى المغرب الأوسط مع عمال بني مرين على أبي زيان فقرهما وابنتي لهما أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1317م) مدرسة وبنوا لهما دارين بجانب المدرسة واشتغلا بالتدريس فيها، كما اقتصهما بالفتيا والشورى، وكانت لهما بدولته مكانة عالية، عبد الرحمان، ابن خلدون: العبر، 7/133؛ يحيى، بن خلدون: مصدر سابق، 1/130 وما بعدها؛ التنسي: مصدر سابق، ص139.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

قال: نعم، قال: ولا تجدون في الشرع مسوغا، فقلا معا: لا، فدعا أبو الحسن (731-749هـ/1331-1348م) بمرح وخط خطا وقال: ما دون هذا الخط ويكف عن رقم الباقي من الجامع فمالنا بالبدع حاجة<sup>1</sup>.

ولما كان سلوك الفرد هو سلوك الجماعة مهما كان هذا السلوك ظاهرا أو مضمرا صادرا عن إرادة حرة أو كان نتاجا لأمر خارجي، فغالبا ما تؤيد الجماعة العادات التي تتوارث من تقاليد المجتمع وتراثه، إلا أنه في بعض الأحيان قد تبدو هناك عادات لا تتفق وأهداف المجتمع، والتي أسماها الباحث جميل حمداوي ب "المتغير داخل الثابت الديني أو الطقوس البدعية"<sup>2</sup>، ومع هذا فقد عُرف عن سكان المغرب قبل إسلامهم بأنهم متمسكون بعاداتهم وتقاليدهم، وأن حياتهم الاجتماعية مبنية على أساسيات، فلا يمكن لأي بربري الاستغناء عنها فهي متجذرة في عقولهم منذ القدم، فظهرت عندهم معتقدات خيلت لنا أنها من نسج الخيال والخرافات ففي مجملها هي بدع ابتدعتها هؤلاء لما كانوا يعايشونه<sup>3</sup>، وهو ما يفسر صعوبة تخليهم عن معتقداتهم.

ويحضرني هنا رأي الباحث المبروك الشيباني حول البدع، فرغم أنني لا أوافق الرأي في استعماله كلمة ( تغزو - الغازية) لما تحمله هذه اللفظة من معان يراد بها الإكراه بالقوة، إلا أنه أكد على أن مجيء الإسلام لشمال إفريقيا صحح وأزال معظم المعتقدات والبدع التي كانت سائدة قبل إسلام سكان المغرب فقد أورد قائلا: «عندما تغزو منظومة ما منظومة أخرى تعجز عن إذابتها ومحوها، فتستعمل في ذلك أسلحة مختلفة من مصادر شتى فإذا كانت هذه المنظومة الغازية دينية، فإنها تستعمل مقولات تشهيرية، هي مفاهيم تعالج بها هذا الأخير وتحاصره عاملة على نفيه وإقصائه باسم البدعة تارة وباسم الكفر تارة أخرى، وقد جاء الإسلام فعديل من مسارات بعض الممارسات الدينية والعقدية والسلوكية دون أن ينكر وجودها الجذري<sup>4</sup>».

لم يستطع إنسان المغرب الأوسط التحكم بالقوى العليا في مقابل تحكمه جزئيا في محيطه المباشر وترويضه، وكانت قوة الطبيعة تتجلى أمامه في الزلازل والأمطار والجفاف والأوبئة والأمراض والحياة والموت والقحط والفيضانات، إذ أفرزت أشكال أخرى لتجليات الطبيعية واللاطبيعية، رضخ لها ووجد نفسه مجبرا للتقرب منها، فشكلت لديه أنماط سلوكية مختلفة وغريبة وعدوانية أحيانا، كالسلب والنهب والغضب والاحتكار، وهي سلوكيات حسب عبد الهادي البياض تُرجع الإنسان إلى شاكلته الأولى، إلى الطور الوحشي البدائي الذي من خلاله يصبح

1- المسند، ص 287-288، وحول المناظرة التي دارت بين أبي مرزوق وبنو الإمام حول جواز الرقم والزواق واستعمال ورق الذهب والفضة. وذكر البرزلي كراهة التزويق والكتابة على المساجد جهة القبلة. مصدر سابق، 356/1.

2- جميل، حمداوي: مرجع سابق، ص10؛ موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص110.

3- عبد الهادي، البياض: مرجع سابق، ص10-11.

4- جماليات الجسد وطقوسه الاحتفالية في الأعياد في شمال إفريقيا، مجلة دراسات أندلسية مركز تحقيق تراث العالم الإسلامي، تونس العدد 02،

1993م، ص ص73-93، ص83؛ الصديق، ثياقة: مرجع سابق، ص2.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

إنسانا غير عاقل كما تصفه الفلسفة، ويتحول إلى مفترس آكل للنباتات والحشائش ومستهلكا ممارسا بامتياز لعالم السحر والشعوذة<sup>1</sup>، ولا أدل على ذلك مما عرفناه بعد حصار تلمسان ( 698-706هـ / 1299-1307م) فقد نالهم من الجهد ما لم ينل أمة من الأمم<sup>2</sup>، أين تغيرت ذهنية الطعام عندهم فكانوا يأكلون كل ما يدب على الأرض<sup>3</sup>، واعتمدوا على بناء المطامير والأهراء لتخزين الحبوب والطعام والملح والسمن واللحم وغيرها من المواد الغذائية التي يمكن تجفيفها وكذلك الفحم والحطب، وتبنت السلطة السياسية فكرة إنشاء مثل هذه المخازن لتخزين الأطعمة بهدف مواجهة الجماعات أو الحصار المتكررة، وكانت هذه المخازن مرتكزة في حومة المطمر بتلمسان<sup>4</sup>.

بالعودة إلى السلوكيات والذهنيات التي واجه بها إنسان المغرب الكوارث الطبيعية فإنها تدعوا إلى النبش في ظواهر ملغزة تصنف ضمن لائحة البدع والمحرمات، تجلت في ذهنيات خرافية وشعوذة وسلوكيات سحرية تنجيمية، أحيائها الإنسان وارتبط بها ارتباطا شديدا إبان المنعطفات المناخية الحرجة في حياته، ليلق عليها عجزه وآماله وآلامه<sup>5</sup>، وهو ما كان سببا في عموم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة، ففي كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحدا ممن اشتهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بتقديم الذبائح والندور لهم، وهي من عيون وشجر وحائط وحجر وبناء وطواف بالقبور<sup>6</sup>، كل هذا في سبيل استرضاء القوى الغيبية ونيل المقابل المادي لزوار هذه المواضع.

إن مختلف المواضيع والأشياء المادية التي تم اعتمادها تتحلى بنوع من القداسة حول معتقديها، خاصة ما تعلق بالنبات كالأشجار، ويمكن القول أن كل الأشجار المعتبرة مقدسة، فإن قيمتها الدينية هي التي جعلت منها نباتا معنيا به<sup>7</sup>، أو ارتباطها بحدث سياسي معين وإن كانت سابقة لفترة الدراسة زمنيا إلا أن الاعتقاد ظل متواصلا

<sup>1</sup> - عبد العزيز، فراح: تلمسان المدينة المحراب، تر: إنعام بيوض وآخرون، الجزائر: منشورات أبيك، 2011م، ص 135؛ عبد الهادي، البياض: مرجع سابق، ص 10-11.

<sup>2</sup> - عبد الرحمان، بن خلدون: العبر، 128/7.

<sup>3</sup> - تلمسى بما الحصار ثمانى سنين وثلاث أشهر، حتى أكلوا الجيف والحشرات وجميع الحيوانات من الفئران والعقارب والحياة والضفادع وغير ذلك حتى أكل بعضهم بعضا. ابن خلدون: العبر، 128/7.

<sup>4</sup> - التنسي: مصدر سابق، ص 135؛ العمري: مصدر سابق، 204/4؛ عبد العزيز فيلاي: تلمسان، 122/1.

<sup>5</sup> - عبد الهادي، البياض: مرجع سابق، ص 130.

<sup>6</sup> - شهاب الدين، الشافعي: مرجع سابق، ص 23؛ صالح، بن فوزان: مرجع سابق، ص 10.

<sup>7</sup> - الياد، مارسى: المقدس والمدنس، ص 111.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

ذهنيا، من ذلك بيعة المهدي بن تومرت (ت524هـ/1130م) التي تمت تحت شجرة الخروب<sup>1</sup>، ومع هذا فإننا نجد شجرة بالمغرب الأوسط طرحت إشكالا حول التعامل معها ألا وهي شجرة النارج بين مقدس لها، ومتطير متشائم منها وهذا ما سنناقشه في عنصر الطيرة والتطير.

كان للشجرة مكانة مقدسة في ذهنية بعض فئات المجتمع ذلك أنها ترمز للحياة في جميع المجتمعات البشرية، فشجرة الحياة بصفتها موضوعا طبيعيا لا يمكن لها أن توحى بكلية الحياة الكونية على مستوى التجربة الدنيوية، وانتخبت صورة الشجرة، لأنها تعبر عن الشباب والخلود والحكمة<sup>2</sup>، كما وردت أساطير حول البحث عن الخلود أو الشباب الدائم، تبرز في المقدمة شجرة ذات ثمار من ذهب أو أوراق عجيبة<sup>3</sup>.

ساد الاعتقاد في الأشجار سواء لقدراتها الخارقة أو التطير منها، لذلك أفتى الفقهاء بوجوب قطع الشجرة التي يعتقد فيها العوام، وفي هذا الصدد ذكر ابن الجوزية على لسان الإمام أبو بكر الطرطوشي قوله: « أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق فاقطعوها، فهي ذات أنواط<sup>4</sup> ». .

---

1 - أبو بكر، الصنهاجي البيدق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971م.

2- الياد، مارسى: المقدس والمدنس، ص110-111.

3 - نفسه، ص110-111؛ في المقابل تحدث جورج فرايزر عن الاعتقاد في الشجرة المقدسة بالغابة المقدسة، ورحلة البحث عن القداسة من خلال إيجاد الشجرة المقدسة والتي ساد الاعتقاد بها في جميع المجتمعات البشرية، لكنه استبعد من احتلالها لأهمية مميزة في التطور الديني. مرجع سابق، ص12-13.

4 - محمد، بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تح: محمد حامد الفقي، ط02، بيروت: دار المعرفة، 1975م، 4 أجزاء، 211/1؛ شهاب الدين، الشافعي: مرجع سابق، ص25.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

ثانيا: نماذج من البدع.

### 1/ بدعة تعليق التمام<sup>1</sup>:

امتاز بعض سكان البادية في المغرب الأوسط باعتقادهم في الغيبات، وهو ما سهل من إتباعهم وانقيادهم لبعض الزعماء والقادة الذين عرفوا كيفية استغلال هذا الضعف<sup>2</sup>، والملاحظ أن هذه المعتقدات الغيبية كثيرا ما كانت لها خلفية سوسيواقتصادية ونسيج ثقافي ومناخ سياسي، إذ كانت الخوارق وعمليات السحر وانتحال النبوة والكهانة وغيرها من المظاهر الاجتماعية التي تعبر عن مواقف لتجاوز المشاكل والأزمات التي كانت تسود ذلك العصر<sup>3</sup>.

وقد حاولت كل واحدة من هذه الظواهر أن تجعل الإنسان سيدا على الطبيعة، يذلل الصعوبات ويقتحم المستحيل عن طريق تحطيم المألوف والشائع، وللأسف فإن الحوليات التاريخية اتسمت بالصمت تجاه هذه القضايا، إلا أن بعض المصادر التاريخية رمت جزءاً من الثغرات حيث تمكن للباحث أن يستجلي هذا الجانب المظلم<sup>4</sup>، خاصة وأن الاعتقاد السائد لدى بعض الناس في لجوئهم إلى مجموعة من الممارسات والتي عدت وقائية في وجه الأخطار فوق الطبيعية التي كانت تلم بهم، خاصة زمن الجوائح والفتن أو حتى في ظروف خاصة تتعلق بالزواج والختان والولادة وغيرها من الأحداث، التي يمكن أن يكون فيها الإنسان ضعيفا وغير محمي في رأيهم، لهذا تم اللجوء إلى وسائل للحد من هذه الأخطار والتي أسماها الباحث عبد الغني منديب بـ "الوقائيات" التي كانت سائدة بكثرة، واتخذت هذه "الوقائيات" عدة أشكال تراوحت بين التزيين ببعض أنواع الحلبي ذات الأشكال الخاصة، أو إحراق الأبخرة وطلاء الجسد بالحناء، أو وشم أعلى الجبين أو أسفل الذقن أو الذراعين والساقين،

1 - التميمة هي عوذة تعلق على الإنسان ويقال هي الخرز، وكان العرب تعلقها على أولادها ليتقوا بها العين فأبطلها الإسلام، وأما المعاذات إذا كتب فيها القرآن وأسماء الله تعالى. ابن مفلح المقدسي: مصدر سابق، 3/65-66.

2 - ولعل من بين القرائن التي تعطي الدليل على ظاهرة الانقياد لزعماء عرفهم المغرب الأوسط اعتمدوا في إقامة دولتهم على الأمور الغيبية مثل الكهانة والسحر وضرب الرمل والادعاء بجلول روح الله، نجد ثورة الكاهنة أو ديهيا وهي قائدة بربرية حكمت شمال إفريقيا 35 سنة من (680 إلى 712 ميلادي)، هزمت الرومان ووحدت القبائل الأمازيغية حولها، كما هزمت جيش حسان بن النعمان سنة 693م، لكن سرعان ما انهزمت في منطقة طبرقة بالقرب من جبال الأوراس. عبد الرحمان، ابن خلدون: العبر، 7/12-13؛ وكذلك دعوة أبي عبد الله الشيعي والذي لقب بالمعلم، وهو ممدد الدولة الفاطمية والداعي لعبيد الله المهدي وناشر دعوته في المغرب. للمزيد ينظر: علي، حسني الخربوطلي: أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، مصر: المطبعة الفنية الحديثة، 1972. دون أن ننسى دعوة محمد بن تومرت والذي مر مخططاته لتصفية الدولة المرابطية عبر مجموعة من الخيل والمناورات والتمويهات والأوهام. إبراهيم، القادري بوتشيش: الفكر السحري والعرافة بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ضمن ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية، تيارات الفكر في المغرب والأندلس، روافد ومعطيات، منشورات كلية ندوات 5، جامعة الملك السعودي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان 1993، أبريل 26-27، ص 346.

3 - إبراهيم، القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 111.

4 - نفسه، ص 111.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

وحمل التمام والتعاويد وغيرها مما صنف ضمن دائرة السحر الأبيض<sup>1</sup>، وهي في معظمها تمائم يتم ربطها في عنق من صنعت من أجله بغية حمايته.

ارتبطت بدعة تعليق التمام بفترة المرض إذ يعتقد الكثير بأن الحالات المرضية مردها المس أو العين، مما أملى عليهم ردود أفعال تميزت بالاضطرابات والارتباك النفسي والذهني، فسعوا للخلاص من المرض وتبعاته بأي وسيلة، لذا كان لزاما عليهم البحث عن حلول لمشاكلهم وإن تنافت مع معتقداتهم، فكان طبيعيا أن ينساقوا ويستسلموا أمام فئة المشعوذين والدجالين بما أظهروه من تأثير للطلاسم السحرية أمامهم، وإقناعهم بتحقيق أمالهم دونما تفكير أو معارضة، ومثال ذلك ما أورده الوزان (ت959هـ/1551م) حول الحال التي صار عليها الناس من سيطرة المشعوذين عليهم في قوله: «ويبيعون للجمهور الجاهل أوراقا صغيرة كتب عليها كلمات ووصفات ضد مختلف الأوجاع كما يزعمون<sup>2</sup>»، ويعزى هذا كما سبق الذكر لسذاجتهم وجهلهم وأضاف قائلا: «فكانت سذاجتهم تجعلهم يصدقون كل شيء مهما كان مستحيلا، لأن العامة تجهل نواميس الطبيعة جهلا تاما<sup>3</sup>».

كما استنكرت ظاهرة زيارة النساء لبعض الرجال الذين ادعوا عليهم بالتواصل مع الجن، لمعاونتهن على التخلص مما يؤلمهن، في مثل الأمور المرضية التي تتعلق بالصرع، أو بإعراض الزوج عنها، فيكتب لها ما يسمى كتاب عطف للمرأة إذا أعرض عنها زوجها، وهي نوع من التمام تكتب في أوراق صغيرة، لجأت إليه المرأة لعقد زوجها وهو ما أنكره الفقهاء عليها، ولم يكن هذا الأمر حكرا على النساء فقد زار الرجال السحرة لنفس الأغراض لحل من عقد على امرأته<sup>4</sup>، وقيل أن كتاب العطف يطلق عليه كذلك التَّوَكُّة وهو ضرب من السحر يجب المرأة إلى زوجها<sup>5</sup>.

ومن الأدلة أن أهل زناتة كانت لها معرفة بالغة وحذق وكياسة ويد جيدة في علم الكف، ولا توجد أمم أعلم منها في هذا الشأن<sup>6</sup>، كما كان أهل مرسى الخرز<sup>7</sup> يمتازون بصفرة ألوانهم ولا يكاد يخلو عنق أحد منهم من تميمة<sup>8</sup>، وكثيرة هي القرائن الدالة على تعلق بعض سكان المغرب الأوسط بقدررة التمام على منح الحماية ودفع الضرر والإشفاء من الأمراض وهو ما سأفصل فيع لاحقا في عنصر وظيفة الزاوية.

1 - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص171.

2 - الوزان: مصدر سابق، 279/2.

3 - نفسه، 270/2.

4 - البرزلي: مصدر سابق، 380/1-381 و 230/6؛ الونشريسي: المعيار، 171/11؛

5 - ابن مفلح المقدسي: مصدر سابق، 65/3.

6 - الإدريسي: مصدر سابق، ص159/1.

7 - مرسى الخرز وهو مدينة القالة حاليا، مدينة شرق بونة، قليلة الزرع شرب أهلها من الآبار، يجلب إليها قوتها من بوادي المغرب المجاورة، وهي مدينة كثيرة الحيات. ابن عبد المنعم، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان، عباس، ط2، بيروت: مطابع هيدلبرغ، 1984، ص538.

8 - نفسه، ص538؛ البكري، مصدر سابق، ص55؛ بختة خليلي: مرجع سابق، ص279.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

في المقابل وجدت بعض التمايم والتي أجازها بعض الفقهاء والتي سميت "كتاب الحمى" و "علاج المصروعين"، ودليل ذلك نازلة جاء فيها أن بعضهم سأل عن رجل من أهل الخير والصلاح يكتب للحمى ويرقي ويعمل النُشْر<sup>1</sup> ولا يأخذ على ذلك شيئاً ويعالج أيضاً صاحب الصرع والجنون بأسماء الله والعزائم والخواتم وينتفع بذلك كله من عمله أترى له ذلك جاز أم لا؟ فكان الجواب أن ما كتب للحمى والرقى وعمل النشر بالقرآن وبالمعروف فلا بأس، أما معالجة المصروعين بالجنون بالعزائم والخواتم فعل الغرامين المبطلين فإنه المنكر والباطل<sup>2</sup>، وذكرت المصادر أن أحمد بن إدريس الأيلولي البجائي الزواوي (760هـ/1359م) وهو فقيه مالكي، أشهر من عمل الرقى فكان يرقى الناس بالفاتحة، وقال الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو للطالب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار حصل الشفاء<sup>3</sup>.

العلاج بالرقى جائز شرعاً لقول رسول الله ﷺ: ( أَعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ فَلَمَّا عَرَضُوا قَالَ: لَا أَرَى بَأْساً مِنْ اسْتِطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ)<sup>4</sup>، لهذا كان العلاج بالرقى منتشراً ومقدساً بالمغرب الأوسط، إلا أن ظاهرة التخلص من بعض الرقى وإلقاءها في الطريق، ربما لأن من كتبت له تم له الشفاء أو لعدم فعاليتها مع حالته، وقد أثارَت تساؤلات رفعت للفقهاء للفصل في كيفية التعامل مع هذه الرقى، ومن بين الأسئلة الواردة أذكر ماذا يفعل الرجل يجد اسماً معظماً ملقى في الطريق؟، هل يفرق حروفه ويلقيه، أو يغسله أو يجعله في حائط<sup>5</sup>؟.

### 2/ بدعة التحية:

ظهرت بدعة الانحناء والسجود بين يدي السلاطين في العصر الوسيط خاصة بين يدي السلطان أبو الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348م)، وجرت عادة الوافدين على الملوك بالمغرب والداخلين عليهم من أوساط وصنف الخدام أن يقبلوا الأرض أو ينحنوا كهيئة الساجد، فرفع ذلك كله، واقتصر في ذلك على تقبيل اليد

<sup>1</sup> - النُشْرُ هي حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه غلام من يعرف السر، والنشرة مشهورة عند أهل التعزيم وسمي بذلك لأنها تنشر عن صاحبها أي تجلي عنه وأجازها الطبري وغيره، وقيل أنها من عمل الشيطان. ابن مفلح المقدسي: مصدر سابق، 63/3-64.

<sup>2</sup> - الونشريسي: المعيار، 29/11 و 173/11. من بين أنواع الرقى التي كتبت حسب نوع المرض نجد رقية لوجع الضرس وكانت تبدأ ب الخاتير الكاتير الخاتير ثم ترفق بآيات من القرآن، ورقية لعلاج عرق النساء تبدأ ب ثم لزوا دون آتون، ورقية لعلاج الدماميا تبدأ ب عنشش عنترش دهنش عند قرقرش فرقرش، وأخرى لعلاج بكاء الأطفال جاء في بدايتها أسماء أهل الكهف وهم: أمليحا ومكسيا قرطوس برليس وبطايش بنوس كيدس طوطوس الكلب وبلدهم أقوس أقوس. وغيرها من النماذج الكثيرة وغير مفهومه وردت عند البرزلي: مصدر سابق، 477/6 - 478-479-480-481.

<sup>3</sup> - أحمد بابا، التنبكي (ت 1036هـ/1626م): نيل الابتهاج بتطريز الديقاج، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط02، طرابلس- ليبيا: دار الكتاب، 2000م، ص99؛ هناك من الفقهاء من عارض مثل هذه الطرق في الاستشفاء واحتجوا بقول رسول الله ﷺ: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةِ شَرِيحَةٍ عَسَلٍ وَشَرِيحَةِ مَحْجَمٍ، وَكِيَّةٍ يَنَارٍ، وَأَنْهِيَ أُمَّتِي عَنْ الْكِيِّ». أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة الجعفي البخاري: صحيح البخاري، ط01، تعليق: محمد بن صالح العثيمين، باب الواد- الجزائر: دار الإمام مالك للكتاب، 2010م، 122/7.

<sup>4</sup> - الإمام مسلم: مصدر سابق، 384/2؛ الونشريسي: المعيار، 86/11-173. ورغم استحباب الرقية إلا أنه ورد حديث في صحيح البخاري نصه أن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ الْحَنَّةُ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بَعْدَ جِسَابِ هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَطْرُقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَجْمٍ يَتَوَكَّلُونَ».

<sup>5</sup> - البرزلي: مصدر سابق، 379/1؛ الونشريسي: المعيار، 86/11 و 173.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

والقدم والبساط العلية والمتوسطة والدون<sup>1</sup>، كما ذكر ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) أن الناس كانوا يميون السلاطين بماتين عبارتين خاصة السلطان أبو الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348م) أنعم صباحك، أنعم مساءك، فجرى يوماً بحضرة شيخينا ابني الإمام ذكر هذه التحية، فقالا أنها جاهلية وأن التحية الشرعية السلام، فمحا أثر هذه التحية وعوضها بالسلام الشرعي لكل الناس<sup>2</sup>.

تورد المصادر التاريخية أن أبا الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348م) في فترة استيلاءه على تلمسان عاصمة المغرب الأوسط حارب البدع فقامت السنن في مدته على ساق وذهبت آثار ولم يبق لها انتظام ولا إتساق<sup>3</sup>، كما أسقط ألقاباً كانت منكراً جملة<sup>4</sup>، وأسقط عن أحواز تلمسان وما اشتمل عليه المغرب الأوسط من الحوادث والظلمات، كما أسقط المغارم المحدثه والمظالم المبتدعة بادية وحاضرة ومما كان يشتد عنه الاستظهار بالمنكر على الجملة والأمورات يتوصل بها إلى أكل أموال الناس بالباطل<sup>5</sup>.

يمكن القول أن أهم سبب لانتشار البدع بالمغرب الأوسط هو الظروف الصعبة سواءً الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية وحتى الطبيعية، والتي ساهمت في انتشار البدع والخرافات على نطاق واسع أكبر دليل على هذا الانتشار الكم الهائل من النوازل والأسئلة التي وردت إلى أهل الإفتاء حول التعامل مع أهل البدع منها هل يعطى أهل البدع والأهواء الزكاة وهل يجوز الصلاة وراء أهل البدع وغيرها مما حفظته لنا كتب النوازل والفتاوى على المذهب المالكي<sup>6</sup>.

### 3/ ظهور الحركات الدينية المتطرفة بالمغرب الأوسط:

إن الحركات الدينية المتطرفة والبدع المحدثه المنكرة بالمغرب الأوسط كانت تتركز على وجه الخصوص في المناطق الجبلية والحصون والقرى البعيدة والنائية عن الحواضر، حيث كان أهل تلك المناطق يغلب عليهم الجهل وقلة المعرفة بقواعد وأسس الإسلام الصحيح، مما سهل انتشار البدع والخرافات والأباطيل بينهم، ذلك لأنهم كانوا في معظمهم من السذج والعوام الذين يستجيبون سريعاً لمثل تلك البدع والخرافات التي تستهوي عقولهم<sup>7</sup>، وتفيد إحدى

1 - البرزلي: مصدر سابق، 494/6؛ ابن مرزوق: المسند، ص287.

2 - نفسه، ص287.

3 - ابن مرزوق: المسند، ص282.

4 - نفسه، ص285.

5 - نفسه، ص286.

6 - الونشريسي: المعيار، 2/337-338.

7 - الاستبصار، ص190-192.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

النوازل<sup>1</sup> بظهور حركة دينية متطرفة في قلعة هوارة<sup>2</sup> من أعمال تلمسان سنة (849هـ/1446م) تزعمها يهودي ادعى السحر والشعوذة، وكان يستخف بالمسلمين وانتهى أمره إلى سب المسلمين بأن لا أصل لهم ولا حسب ولا نسب، وأن اليهود المارونيين رؤساء شرفاء، وقد أفتى أبي الفضل قاسم العقباني آنذاك بأن هذا اليهودي يستحق الضرب الوجيع والسجن الطويل في القيد<sup>3</sup>.

ووردت عدة نوازل فيمن ادعوا النبوة، ففي نازلة عرضت على الشيخ الفقيه أبو الحسن أجاب فيها أن من تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمترد وقاله سحنون وغيره وزاد فإن لم يتب قتل وميراثه للمسلمين كالمترد<sup>4</sup>، وهناك نازلة أخرى عن رجل قال: أمرت بالكلام والذي يأمرني أن أقول ما أقول هو شبه الحية تلتوي على بطني وتقول لي إن لم تتكلم ألدغك فذلك والله شيطانه أو رأيه من الجن، لأنهم الذين يتصورون على صورة الحياة والأفاعي<sup>5</sup>.

جاء في إحدى النوازل التي وردت للشيخ أبو عبد الله محمد الثوري سنة 872هـ/1467م، أن رجلاً استضاف إلى مذهبه فئة غاوية ددع بشوكتها الجوانب والأرجاء، فاكتسح الأموال وتمادى في مذاهب الغي والضلال، وصرح أنه قد كشف له الحجاب، حتى يدِينُوا بإمامته ويستقيموا على طاعته، ومما جاء به أنه أسقط عدة الوفاة عن أزواج من قتل بسيفه<sup>6</sup>، ولم تقتصر الحركات الدينية المتطرفة على الأفراد بل هناك جماعات قاموا بتكفير المسلمين ولا يأكلون ذبائحهم ولا يُصلون خلفهم وإن كان وجودهم قليل منهم رجل يقال له داود بن

---

<sup>1</sup> - النَّازِلَةُ : النَّزْوَلُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْحُلُولُ يُقَالُ نَزَّهْتُ فَبِتَعْدَى بِنَفْسِهِ وَنَزَلَ بِحَمِّ وَعَلَيْهِمْ يَنْزِلُ نَزْوَالًا وَمَنْزِلًا بِمَعْنَى حُلٍّ وَمِنْهُ أَسْبَابُ نَزُولِ الْقُرْآنِ، وَالنَّازِلَةُ الشَّدِيدَةُ مِنْ شَدَائِدِ الدَّهْرِ تَنْزِيلٌ بِالنَّاسِ، وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَخَذَتِ النَّوَازِلُ الْفَقْهِيَّةُ فَيُقَالُ: نَزَلَتْ نَازِلَةٌ فَرُفِعَتْ إِلَى فُلَانٍ لِيَفْتِيَ فِيهَا، وَالنَّوَازِلُ هِيَ مَسَائِلُ وَقَضَايَا دِينِيَّةٌ وَدُنْيَوِيَّةٌ تُحَدَّثُ لِلْمُسْلِمِ وَيُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهَا وَسَمِيَتْ بِالْقَوَاوِي وَالْمَسَائِلِ وَالْأَسْئَلَةِ وَالْأَجْوِبَةِ وَالْجَوَابَاتِ ثُمَّ صَنَفَتْ فِيهَا مَوْلَفَاتُ فِقْهِيَّةٍ حَرَّرَ مَادَتَهَا الْعِلْمِيَّةُ أَهْلُ الْإِفْتَاءِ مِنْ قِضَاةٍ وَمَشَاوِرِينَ فِي مَوْضُوعِ أَحْدَاثٍ مَحَلِّيَّةٍ ذَاتِ صِبْغَةٍ وَاقْعِيَّةٍ رَفَعَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ مَخْتَلَفِ فَنَاتِ الْمَجْتَمَعِ لِلْبَيْتِ فِيهَا وَلِبَيَانِ حُكْمِهَا وَفَقْ مَذْهَبِ مَالِكٍ. ابن منظور: مصدر سابق، 401/6؛ وأحمد، الزاوي الطاهر: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ط2، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1970م، 5 أجزاء، 358/4؛ ومحمد، حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ط1، المغرب: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1999، ص9 و30؛ وفاطمة، بلهوارى: "النص النوازلي للغرب الإسلامي أداة لتجديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية"، مجلة عصور(وهران) ع17/جوان- ديسمبر 2011م، ص83-97، ص84.

<sup>2</sup> - قلعة هوارة أو تسمى قلعة بني راشد بولاية غليزان الحالية، كانت تقع بالقرب من تيهرت وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب. الحميري: مصدر سابق، ص470.

<sup>3</sup> - الونشريسي: المعيار، 572/2.

<sup>4</sup> - المصدر السابق، 394/2.

<sup>5</sup> - نفسه، 394/2.

<sup>6</sup> - الونشريسي: المعيار، 395/2.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

الحسن الجزنائي الذي أحدث أموراً لم تكن من قبل، ودعا الكثير إلى مذهبه ومن لم يتبعه فهو عاص حسب ما ادعاه.

تعرض الونشريسي(ت914هـ/1509م) لبعض الحركات الهدامة التي احتدمت على أيدي أهل البدع والضلالة، الذين يدعون أنهم من أولياء الله الصالحين ومن أصحاب الكرامات، ومن ذلك أن رجلاً من سكان جبل ونشريس ( بالمغرب الأوسط) كان من أهل الصلاح فزعم في سنة 855هـ/1451م أموراً لا يدعيها عاقل، فذكر أنه يرى جبريل، ويسمع منه كما يرى ميكائيل يكيل الماء، ويقول للعامّة من يشتري مني شياخته نسيخه، ويتحدث عن حمل الحوامل، ويقول لمن يراه مريضاً خذ هذه العشبة تداوى بها، فإنها كما أعطانيها رسول الله إلى غير ذلك<sup>1</sup>.

هذه النازلة عرضت على أهل الفتوى بتلمسان على رأسهم الشيخ عبد الله بن العباس والفقير أبو عبد الله ابن سعيد العقباني، فأوضحوا أن بيعته الشياخة للعوام دليل فسقه، وأن الكرامة لا تصح ولا تظهر إلا ممن تمسك بطاعة الله، وما ظهر على يديه من خارق فهو مكر واستدراج من مسالك الشيطان الواضحة الاعوجاج، لأن الله هو المنفرد بالغيب<sup>2</sup>، وردا على من ادعى معرفة الغيب، ومتى يعدم فلان أو وقت نزول المطر أو حدوث الفتن والأهوال، وما يستأثر به الله من الأخبار والمغيبات، فقليل أنه كافر يجب قتله من غير إستتابة وقيل بعد الإستتابة<sup>3</sup>

### 4/ علم الرمل<sup>4</sup>:

كان خط الرمل من أهم طرق التنبؤ بالغيب التي شاعت بالمغرب الأوسط، وقيل أن علم الرمل علم شريف وجاءت به الأسانيد الصحيحة، وقال العلماء وكتب تفسير القرآن الكريم بأن ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ<sup>5</sup>﴾ يقصد بها علم الرمل<sup>6</sup>، وهو علم صحيح وسر من الأسرار العظيمة، وتعاطى الناس بضرب خط الرمل والقرعة والفأل، رغم المحاذير الشرعية بأن من المشتغل بالكهانة وضرب الرمل وغيره من أكبر الكبائر، حتى أن بعض العلماء أجاز

1 - المصدر السابق، 2/387-388.

2 - نفسه، 2/390.

3 - نفسه، 2/394.

4 - وعلم الرمل أخذ أصله من النقطة كعلم الحرف، فإذا انفردت قيل مفردة أو مفتوحة، وإذا كانت النقطة زوجاً قيل لها شرطة وهي زوجا مسدودة، ثم انتقل إلى اليونان فعمل به أفلاطون وسقراط وفيثاغورث وأرسطو واسمه علم المنطق، أي استنطاق واستخراج الضمير، ثم انتقل إلى الهند لطمطم الهندي، واستخدمه العرب ومن المشهورين كان التابع اليماني وفي بلاد المغرب، وفي تونس اشتهر الزيناتي، ولما كانت العناصر أربعة والأساس لها النقطة الفردية جعلوا لكل عنصر نقطة النار الهواء الماء التراب وقد أنتقل هذا العلم إلى جماعة من العرب والعجم. عبد الفتاح، السيد عبده الطوخي: منع أصول الرمل المعروف بالدرة البهية في العلوم الرملية، بيروت: المكتبة الشعبية، (د.ت)، ص4.

5 - سورة العلق، الآية رقم 4.

6 - عبد الفتاح، الطوخي: الدرة البهية، يحتوي الكتاب على 80 درس في علم الرمل، وبين شروط الرمل ومنها: استقبال القبلة - الصلاة ركعتين قبل الضرب - لا يحط وقت هبوب الريح - ولا نزول المطر - ولا في قارعة الطريق - ولا عند الزوال - ولا عند شروق الشمس أو غروبها. ص4.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

تكفير المشتغل به<sup>1</sup>، وما تعاطيهم له إلا ضناً منهم أنه يطرد العوامل المسببة للكوارث والجوائح، ولمعرفة غلاء الأسعار ورخصها ونزول المطر ووقوع القتل، وحلول الفتن وارتفاعها وغير ذلك من المغيبات<sup>2</sup>.

والخط على الرمل من أبواب العرافة، إذ يستطيع العامل به أن يخبر بأشياء تحصل في المستقبل، فيكون الأمر كما قال أو شيئاً شبيهاً<sup>3</sup>، وهو كذلك الطرق الوارد في قوله ﷺ: ( العيافة والطيرة والطرق من الجبث، وفيه إبطال لدلائل النبوات وتكذيب للآيات المنزلات<sup>4</sup> ) لذلك اعتبرها من حبائل الشيطان.

وكان لعلم الرمل أو الضرب على الرمل وجود وتأثير عميق لدى بعض ساكنة المغرب الأوسط، وهناك من اختص به دون سواه، وطريقة هذه الصناعة أن الذين يتعاطونها من المنجمين جعلوا من " النقط والخطوط ستة عشر شكلاً<sup>5</sup>"، ويميزوا كلا منها باسم وشكل يختلف عن غيرها، وقسموها إلى سعود ونحوس، وشأنهم في ذلك شأنهم في الكواكب، ومسائل هذه الصناعة تخمينية يزعمون أنها مبنية على تجارب، ويربطونها بالنجوم، ويقولون: إن البروج الإثنا عشر يقتضي كل منها شكلاً معيناً من الأشكال التي اصطالحوا عليها، وقالوا: إنه حين السؤال عن المطلوب تقتضي أوضاع البروج قوى الشكل المعين الذي يرسمه الرمال على الرمل، وتلك الأشكال تدل على أحكام مخصوصة تناسب أوضاع البروج<sup>6</sup>.

وأشهر من عرف بضرب الرمل هو المهدي ابن تومرت (ت524هـ/1130م) والذي اعتبر بأنه أوجد عصره في خط الرمل<sup>7</sup>، وارتبط ضرب الرمل بمعرفة غلاء الأسعار أو رخصها أو التنبؤ بالمجاعات والجفاف، وهو ما يعكس ارتباط الفكر الغيبي للأزمة عند بعض سكان المغرب الأوسط، بظاهرة تقديس ضاربي الرمل، لذا لم يجد الناس غضاضة في ممارسة خط الرمل، بما فيهم أحد أئمة المساجد الذي اشتغل بضرب خط الرمل، وهو ما أثار حفيظة من يؤمهم، فتم تأخيرهم عن الإمامة، لأن ضرب الخط غير جائز وقادح في إمامته، ولا تجوز الصلاة خلفه<sup>8</sup>، ومن

1 - الونشريسي: المعيار، 55/12.

2 - البرزلي: مصدر سابق، 251/6؛ الونشريسي: المعيار، 133/1؛ إبراهيم، القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص117؛ عبد الهادي، البياض: مرجع سابق، ص153.

3 - البرزلي: المصدر السابق، 251/6؛ الونشريسي: المصدر السابق، 133/1.

4 - محمد ناصر الدين الألباني: ضعيف التزغيب والترهيب، ط01، الرياض - السعودية: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2000م.

5 - عبد الفتاح، الطوخي: المصدر السابق، ص4.

6 - المشعي: مصدر سابق، ص294.

7 - عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تع: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط01، القاهرة: مطبعة الاستقامة، 1949م، ص 180 265؛ إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص119.

8 - كما ورد نازلة عن أهل قرية أنكروا على إمامهم الصلاة بهم لانتحاله البدع وضربه الكف والرقص مع المداحين ليلة الاثنين والجمعة، وإذا كان يوم المولد يمشي إلى قرية أخرى ويبقى المسجد بلا إمام حتى يرجع، فكان الجواب أن هذا تلاعب بالدين. المعيار 133/1 و160/1-161.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

ذلك أيضا الحسابة والكهانة والتنجيم والقرعة<sup>1</sup> مما يشبه هذه الأشياء، وعلم الرمل يعتمد على النجوم أساسا له كما قيل<sup>2</sup>.

وارتبط ضرب الرمل باعتقاد بعض سكان المغرب الأوسط اعتقادا جازما بقوة المعادن وأسرار الحروف<sup>3</sup>، لذا سعوا إلى معرفة خصائصها وتركيبها عن طريق تدارسها وتصنيفها، وقيل أن هناك كتاب أختص بأسرار الحروف سمي "الجفر" ونسب إلى جعفر الصادق وقيل أن نسبته إليه كذب باتفاق أهل العلم، ونسبته الشيعة إلى علي بن أبي طالب<sup>4</sup> أما ابن خلدون فأشار أن واضعه هو هارون بن سعيد العجلي، أما ابن خلكان فذكر أنه رأى في بعض تواريخ المغرب أن ابن تومرت (ت524هـ/1130م) كان قد ظفر بكتاب يقال له "الجفر" وفيه ما يكون على يده وفضه عبد المؤمن وحليته واسمه، وان ابن تومرت (ت524هـ/1130م) أقام مدة يتطلبه حتى وجدته وصحبه<sup>5</sup>.

ومبنى الكلام في هذه الصناعة والتي يقصد بها صناعة (الكيمياء) عند الحكماء حسب ابن خلدون(ت808هـ/1401م) على حال المعادن السبعة، وهي الذهب، الفضة، الرصاص، القصدير، النحاس، الحديد، الخارصين، وتخليق بعض الحيوانات مع الجهل بفصولها مثل العقرب من التراب، الحيات المتكونة من الشعر، والنحل فقدت من عجاجيل البقر، لكنه رد على أهل هذه الصناعة- الكيمياء- بظلال مزاعمهم<sup>6</sup>، وقد استنكر فقهاء وعلماء المغرب الأوسط لهذه المعتقدات والممارسات.

### 5/ قراءة الكف:

أن علم النجوم، والخط على الرمل، وما يسمى بالطالع، وقراءة الكف، وقراءة الفنجان، ومعرفة الخط، وما أشبه ذلك كلها من علوم الجاهلية ومن أعمالهم التي جاء الإسلام بإبطالها، والتحذير من فعلها، أو إتيان من يتعاطاها وسؤاله عن شيء منها، أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك، لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به، وقراءة الكف

1 - الونشريسي: المصدر السابق، 1/133.

2 - يحيى، الشامي: مرجع سابق، ص 33. إدريس النبي أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب، أما هرمس يقال إنه أطلق على إدريس وهرمس عند الإغريق هو اسم لعطارد أما دانيال فنسبة للنبي؟ وما يدخل في علم الرمل، ويأخذ حكمه علم الأسرار، وهو علم باحث في الاستدلال بالخطوط الموجودة في الأكف والأقدام والجباه، بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر، وبحسب ما بينها من الفرج المتسعة، أو المتضايقة على أحوال الإنسان من طول الأعمار وقصرها، والسعادة والشقاوة، والغنى والفقر، وما شابه ذلك.

3 - اعتقد الناس أن من بين طرق علاج وباء الطاعون، طريقة أسرار الحروف والتوجه لله تعالى بالدعاء المأثور. ابن الخطيب: مقنعة السائل، ص 25.

4 - مجهول: جفر الجامع والنور اللامع، تح: حسن البري، البحرين: مكتبة فارس حسن الساعدي، 1870م، ص 16؛ عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، ص 212.

5 - أبي العباس شمس الدين أحمد بن بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 238/3.

6 - عبد الرحمان، ابن خلدون: المقدمة، ص 328.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

هي ضرب من ضروب التنجيم والكهانة، وتعتبر من ادعاء علم الغيب<sup>1</sup>، إذ كانت أصول هذا العلم معروفة عند قدماء المصريين منذ أكثر من أربعة آلاف سنة ومنذ ذلك اليوم تداولته "قبائل الموز" المنتسبين إلى المصريين القدماء ونشروه على وجه الأرض كلها<sup>2</sup>.

وتعد قراءة الكف إحدى طرق التنبؤ بالمستقبل الموجودة في المعتقدات الشعبية لدى بعض سكان المغرب الأوسط، حيث تفترض هذه الطريقة معرفة صفات ومستقبل شخص ما، من خلال النظر مليا إلى الخطوط والتعرجات الموجودة على كف الإنسان، من وجهة النظر العلمية هي مجرد علوم زائفة إذ أنه لا توجد أية أبحاث تؤكد وتساند إدعاءات العارفين بهذه الممارسة، ورفضت شهادة ضارب الخطوط فقد ورد في "منشور الهداية" في الحديث عن أبو العباس أحمد العطار بأن الوثيقة إذا كان شاهدا وحده أو مع من هو على شاكلته لا تنسب إلا للباطل والافتراء وإن كان في نفس الأمر حقا<sup>3</sup>.

وعلم قراءة اليد القلم أو العرافة اليدوية الممزوجة بالتنجيم والتأثير الكوكبي قد أدرج في كفن الإهمال حيث خيم عليه غبار النسيان، فأصابه من الإصلاح في ذلك الزمن ما أصاب غيره من العلوم، إلا أنه على الرغم من البراهين العديدة والحجج الدامغة التي قدموها لتثبت تلك الحقائق، كثيرا ما أطلقوا العنان لتصوراتهم في علم قراءة الكف وعلم الفراسة وبقية العلوم التي تبحث عن أطوار الناس وأمياهم الغريزية، وكان من المؤلفين أيضا في الشوارع المغربية وجود مشغولين بضرب الحظ أو كتابة كتب المحبة للنساء إذا أعرض عنهن الأزواج أو خاصموهن وذلك توثيق للروابط الزوجية<sup>4</sup>

### 6/ النظر في الكتف:

هو علم باحث عن الخطوط والأشكال والرموز التي ترى في أكتاف الضأن، إذ قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالتها على أحوال العالم الأكبر من الحروب والخصب والجذب<sup>5</sup>، وقلما يستدل بها على الأحوال الجزئية لإنسان معين، ويؤخذ لوح الكتف بعد طبخ لحمه ويلقى على الأرض أولا ثم ينظر فيه، ونظر إنسان المغرب في كتف الشاه لمعرفة أخبار الأحوال الجوية، وتخصص فيها بعض المشعوذين والدجاليين المعروفين بالمتوسمين ادعاء معرفة أسرار الطبيعة المكنونة في الكتف، كما ورد أن النظر في كتف الشاه وقراءتها طريقة لمعرفة الغيب، وقد برع فيها ابن

<sup>1</sup> - علم الغيب حسب ابن القيم هو علم ما كان وكل ما يكون، ومن تكلف معرفة ذلك فقد ظلم نفسه. مفتاح دار السعادة، 248/2؛ وهو حسب موسوعة لالاند الفلسفية: معرفة أو توقع المستقبل عندما يكون علم الغيب تاما يكون من الأسماء الحسنی. ص1030.

<sup>2</sup> - نجيب أفندي: علم قراءة اليد، ط1، مطبعة الهلال: مصر، 1904م، ص25.

<sup>3</sup> - عبد الكريم، الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تق وتح وتع: أبو القاسم سعد الله، ط01، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987م، ص91-92.

<sup>4</sup> - الونشريسي: المعيار: 171/11.

<sup>5</sup> - حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفتون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، ص141.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المعتقدات الشعبية والمقدس

تومرت (ت 524هـ / 1130م)<sup>1</sup>، ويعرف الناظر في الكتف بالثَّكَازُ في عرف أهل المغرب، وهي ادعاء معرفة الغيب بالنظر في العظام أو الدقيق أو في الرمل أو في كف اليد، والكلمة تحتفظ بمدلولها في تونس وتعرف بالمغرب أحيانا بخط الرمل أو الحظ أو المشعوذين والحوَّاة من النساء والرجال<sup>2</sup>، وهناك من تحايل على إيجاد حرفة في الأسواق كالعشاب والشعوذة والسحر<sup>3</sup>.

اشتهرت زناة المغرب الأوسط بهذا العلم فلهم معرفة وحدق وكياسة ويذا جيدة في علم الكتف، ولا يدري أحد من الأمم أعلم من زناة بعلم الكف<sup>4</sup>، وقد أفتى فقهاء المغرب الأوسط ممن سئلوا عن النظر في الكتف والرصاص الذائب بأنه لا يحل لأحد<sup>5</sup>، إن البحث عن المعتقدات الشعبية في المغرب الأوسط أوضحت مدى تمكن الفكر الخرافي والغيبي والتفسير الميتافيزيقي للظواهر الطبيعية، وهو ما عكس مستوى التفكير في ذهنية المجتمع بمختلف طبقاته وطوائفه، فظاهرة تقديس بعض المعتقدات والطقوس والممارسات والتي تبناه بعض سكان المغرب الأوسط كانت نتيجة اشتراك مجموعة من العوامل التي جعلت هذه المعتقدات تصبح مقدسات لا يمكن المساس بها.

<sup>1</sup> - ابن حجر، التميمي: منتهى الإعلام، ص 470 عن إبراهيم، القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 119؛ عبد الهادي البياض: مرجع سابق، ص 150.

<sup>2</sup> - عبد الرحمان، بن خلدون: المقدمة، ص 311، المجلدي: أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 1094 هـ / 1683م): كتاب التسيير في أحكام التسعير، تحقيق: موسى لقبال، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [1971م]، ص 92.

<sup>3</sup> - عمر، بن عثمان بن العباس الجرسيفي: رسالة في الحسبة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م، ص 123.

<sup>4</sup> - الإدريسي: مصدر سابق، ص 88.

<sup>5</sup> - الونشريسي: المعيار، 182/11.

# الفصل الثاني

## المقدس المدفون وبركة الزيارة.

المبحث الأول: الزاوية قطب مقدس.

أولا: تعريف الزاوية ونشأتها.

ثانيا: أنواعها.

ثالثا: الزيارة المقدسة.

رابعا: وظيفة الزاوية.

خامسا: الزاوية وظاهرة الشرف.

المبحث الثاني: الولاية والأولياء.

أولا: الولاية

أ/درجات الولاية

ب/أسس الولاية

ثانيا: الولي.

أ/البركة.

ب/الكرامة.

ج/ تقديس الأولياء.

د/ نماذج عن الكرامة.

المبحث الثالث: الأولياء من النساء.

أولا: المرأة بين القداسة والدناسة.

ثانيا: اسم النساء والستر.

ثالثا: المرأة ذلك الخطر المحقق.

المبحث الرابع: نشأة الأضرحة وأنواعها.

أولا: نشأة الأضرحة.

ثانيا: العتبة.

ثالثا: مقدم الضريح

رابعا: الضريح وعلاقته بالمجال السوسولوجي

خامسا: موقف الفقهاء من زيارة الأضرحة.

سادسا: أهداف زيارة الضريح.

## الفصل الثاني ————— المقدس المدفون وبركة الزيارة.

يختلف تقديس الأماكن باختلاف المجتمعات والثقافات، حيث نجد أماكن مقدسة أكثر من غيرها كالزاوية والضريح، وهنا نحتاج إلى تفكيك سوسيوأنثروبولوجي حتى نستوعب المعنى المادي والرمزي والمقدس لهذه الأماكن، والتي لها حضور قوي في المجتمع شأنها شأن غيرها من المقدسات الدينية، فالتقسيم السوسيومكاني<sup>1</sup> يتيح إعادة إنتاج أجزاء من المكان المقدس، فحينما نتأمل الآية الكريمة: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾<sup>2</sup>، نفهم لا محالة من أن هذا الحيز المكاني مقدس.

لا يخفى علينا أن الأماكن ذات الطبيعة الدينية على رأسها المسجد والجامع، تعد أماكن مقدسة لما تقوم به من وظيفة تعبدية مقدسة كالصلاة، لكن تقديس أماكن أخرى كالزاوية والضريح، فقدسيتهما ليست من الممارسة التعبدية، بل إلى ما يمكن التعارف عليه بأنه نتيجة الإنتاج الاجتماعي لقداسة المكان على حد قول الياد مارسي: «فالجماعة تتفق على الإعلاء من شأن مكان ما، اعتقاداً ببركة ذلك المكان أو الخوف من أهل المكان في الأضرحة والقبور والمعابد»<sup>3</sup>.

إن رحلة البحث عن المكان المقدس تحيلنا إلى قصة الناقة وبناء أول مسجد في الإسلام وهي قصة مشهورة معروفة، وعليه نجد ظاهرة الاستعانة بالعزائم والحيوانات للبحث عن هذا المكان المقدس في حالة عدم وجوده أو الاهتداء إليه، وحسبنا في ذلك ما ورد عند إلياد مارسي في قوله: «قد يلجأ إلى تطبيق نوع من التّعزيم بمعونة الحيوانات، فهي التي تُظهر أي مكان مؤهل لإقامة المعبد أو القرية، ومنه فالحيوانات هي التي كشفت قداسة المكان، وأن هذا المكان يتمتع بامتياز من حيث أنه يختلف نوعياً عن الأمكنة الأخرى»<sup>4</sup>، وهذا الاعتقاد لا تكاد تخلو منه أي حضارة بشرية على اختلاف معتقداتها.

<sup>1</sup> - علم اجتماع المكان - سوسولوجيا المكان أحد فروع علم الاجتماع يبحث في التكوين الاجتماعي والمادي للأماكن، وكيف تصبح على ماهية عليه، وما هي أهمية الأماكن بالنسبة للممارسات الاجتماعية والتغيير التاريخي، كما يهتم بفهم الممارسات الاجتماعية والقوى المؤسسة والتعقيد المادي لكيفية تفاعل البشر والمكان. Thomas F.Gieryn: A space for in sociology, Annual Review of Sociology, Vol.26, (2000), Édition Puhlified by Annul Reviews, 1975, p 463-496.

<sup>2</sup> - سورة طه، الآية 12.

<sup>3</sup> - الياد، مارسي: المقدس والمدنس، ص18.

<sup>4</sup> - نفسه، ص29. إن الاعتماد على الحيوان في تحديد المكان المقدس، يمكن الحيوان الذي من كسر رتبة التجانس ويخلق أماكن مقدسة، ويوجد للإنسان نقطة استناد مطلقة، إذ يرسل حيوان كالثور مثلاً ثم يجري البحث عنه بعد بضعة أيام، ويصار إلى التضحية به حيث يعثر عليه، ثم يقام المذبح وتشيد القرية حوله. مرسيا الياد: المقدس الدنيوي - رمزية الطقس والأسطورة- تر: نهاد خياطة، دمشق: العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م، ص26، 30، 29.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

المبحث الأول: الزاوية قطب مقدس.

أولاً: تعريف الزاوية ونشأتها.

إن مفهوم الزاوية ظل يتغير حسب الوظيفة التي تؤديها، وفي كل الأحوال ظلت على مر العصور محافظة على الخط العام وأهم المعالم والمكانة المقدسة، فالزاوية هي في الأصل ركن البناء، وكانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير في مقابل المسجد الكبير<sup>1</sup>، والزوايا جمع زاوية، وهي مؤسسة دينية ثقافية اعتمدها مذهب الطائفة الصوفية لنشر ثقافة الإسلام الطريقي الذي يعتمد التربية الروحية<sup>2</sup>، ويقوم فيها الشيخ الصوفي حيث يؤدي بها صلواته الخمس<sup>3</sup>، ويعتكف للعبادة والأوراد، كما يخدمه متطوعين ومريدين نذروا أنفسهم لذلك<sup>4</sup>، على أن يأخذوا منه العلم ومبادئ طريقتهم الصوفية، وفي المقابل تتكفل الزاوية بإطعامهم وإيوائهم شريطة أن يلتزموا بنظامها التربوي والتعليمي<sup>5</sup>، ويجب على المرید إذا ظفر بشيخ أن يقتدي بأمره ويهتدي بأقواله وأفعاله، وأدق وصف لدرجة تسليم المرید لشيخة، هي أنه يجب أن يلقي نفسه بين يديه كالبيت بيد الغاسل ويعلم أن نفعه في خطأ شيخه أكثر من نفعه في صواب نفسه<sup>6</sup>.

أما عن نشأة الزاوية فإن جذورها الأولى تعود لما كان يعرف بالخوانق<sup>7</sup> والربط<sup>8</sup> بالمشرق، بعدها احتل جماعة من الناس هذه الأماكن وامتنهوا الذكر وقراءة القرآن بها، لكن تلك الأماكن ما لبثت أن أصبحت ملجأ وملاذ

<sup>1</sup> - موسوعة دائرة المعارف الإسلامية ، ج01، دبي: مركز الشارقة للإبداع الفكري ، 1998م، ص332؛ محمد، مفتاح: الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي مقاربات وظيفية، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2014م، ص37، levi provençal: EI Article Zawiya, T.III 1934، pp 1289-1290.

<sup>2</sup> - عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 152/1.

<sup>3</sup> - نفسه، 148/1؛ خالد، بلعري: يغمراسن، ص315.

<sup>4</sup> - المهدي بوعبدلي: الرباط والفداء ( وهران القبائل) مجلة الأصالة ع13- أبريل 1973، ص3، نقلا عن مفتاح خلفات، مرجع سابق، ص 174.

<sup>5</sup> - مفتاح، خلفات: مرجع سابق، ص174؛ خالد، بلعري: يغمراسن، ص316.

<sup>6</sup> - عبد الرحمان، ابن خلدون: شفاء السائل وتحذيب المسائل، تح: محمد مطيع حافظ، ط01، دمشق: دار الفكر - بيروت: دار الفكر، 1996م، ص85. إن الطاعة المطلقة لأوامر شيخ الزاوية وإن كان على خطأ، حسب ابن خلدون وحدها من تمنح المرید القبول للتدرج في مراتب الولاية، وهو ما يثير التساؤل حول مدى الخطأ الذي يمكن أن يقع فيه الشيخ ولا يجد له معارضة من مرديه.

<sup>7</sup> - أصل الكلمة خانقاه، وهي معربة من الفارسية خانكاه ويقصد به المكان الذي ينقطع فيه المتصوف للعبادة، ويعقد فيها الطلبة مجالس الوعظ والذكر، فهي تجمع بين تخطيط المسجد والمدرسة، نشأت في المشرق حوالي القرن الرابع الهجري، وذكرها ابن بطوطة في رحلته لما زار مصر أن الزوايا بها كثيرة ويسمونها خوانق واحدها خانقة. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد: رحلة ابن بطوطة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد الرحيم، ط01، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م، ص22.

<sup>8</sup> - أطلقت كلمة الرباط على كل مقيم في ثغر مدافعا عن المسلمين، والرباط هو موضع الحرس في الأوقات التي يتوقع فيها العدو. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، ط01، مصر: دار المعارف، 1950، 185/7.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

لكل طالب راحة، حيث وجد فيها الإنسان ضالته من الطعام واللباس والشراب دون عناء يذكر، وتلا ذلك ازدياد عدد المنتظمين في سلك الصوفية بمبالغة الناس في حبس الأوقاف عليها، وتبارى السلاطين والأمراء والأغنياء في تقديم الأموال والهدايا لمرتابيها<sup>1</sup>، وأشير إلى أن الربط على ما هو مصطلح عليه في المشرق، لم يرى في المغرب على سبيلها ونمطها إلا رباط أبي محمد صالح، والزواية لأبي زكريا يحيى بن عمر غربي الجامع الأعظم منها<sup>2</sup>.

لم تصل الربط إلى درجة القداسة التي وصلتها الزوايا، ومع هذا لا يمكن إخفاء تترك الناس ببعضها، خاصة بعد ظهورها في المدن الداخلية وللدور الذي كانت تلعبه والأمن من الخوف الذي كانت تمنحه، وعليه يمكن تقسيم الربط إلى نوعين حسب الوظيفة التي تؤديها:

### 1/ الربط الساحلية لحماية الثغور:

أشارت المصادر الوسيطة إلى انتشار الربط على السواحل المغربية ككل، فيذكرون أن عددها كثير بالمغرب الأوسط<sup>3</sup>، وأسهمت بنصيب وافر في الحياة الدينية والحربية حيث أنشأت حصيصة لحراسة الثغور وتوفير الحماية<sup>4</sup>، أي أن دورها كان عسكريا بالأساس، ودليل وجودها نازلة جاء فيها أن قوما كانوا يجتمعون ليلا عقب صلاة العشاء، ومعهم قناديل يمشون فوق السور للحراسة وإيقاظ الجيش، في حالة إثارة انتباههم لمواجهة أي هجوم مفاجئ قد يقوم به العدو وهو ما يؤكد على دورها العسكري<sup>5</sup>.

لكن الونشريسي (ت914هـ/1509م) تحدث عن تغيير في دور هذه الرباطات ربما في حالة السلم، إذ كان يجتمع فيها طوائف من أتقياء المسلمين في الليالي الفاضلة لتلاوة بعض أجزاء من القرآن، ويسمعون ما أمكن من

1- كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب الأدفوي، المصري: الموقى بمعرفة التصوف والصوفي، تح: محمد عيسى صالحية، ط01، الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، 1988م، ص6.

2 - ابن مرزوق: المسند، ص413.

3- من بين أهم الرباطات الساحلية نجد رباط أبي مروان ورباط شرشال ومرسى الخرز وهنين ووهران ورباط شاعر بتلمسان قيل نسبة لصاحب عقبة بن نافع، ورباطة أبي محمد عبد الكريم بن عبد المالك المعروف بابن ييكي، ورباطة علي بن أبي نصر فتح الله البجائي وغيرها حول نماذج هذه الربط ينظر الغبريني: مصدر سابق، ص 143-176-188-189. للاستزادة ول دور الرباطات وأنواعها ينظر محمد الأمين بلغيث: فصول في تاريخ الجزائر بالغرب الإسلامي، ط01، الجزائر: أنترسيني، 2007م، ص46 وما بعدها؛ محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1987م، ص170.

4 - البكري: مصدر سابق، ص80.

5- محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص170.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

كتب الوعظ، ويذكرون الله تعالى ثم ينشدون بعض المدائح النبوية، وفي ختام اجتماعهم يأكلون ما قدم من الطعام، ويدعون للمسلمين وإمامهم ثم يفترون<sup>1</sup>.

وورد فيهم سؤال ذكره الشاطبي(ت790هـ/1388م) جاء فيه: « ما يقول الشيخ فلان في جماعة من المسلمين يجتمعون في رباط على ضفة البحر في الليالي الفاضلة يقرؤون جزءا من القرآن ويستمعون من كتب الوعظ والرقائق ما أمكن في الوقت، ويذكرون الله بأنواع التهليل والتسبيح والتقدیس، ثم يقومون من بينهم قوال يذكر شيئا في مدح النبي ﷺ، ويلقي من السماع ما تتوق النفس إليه وتشتاق سماعه من صفات الصالحين، ثم يأكلون ما حضر من الطعام ويحمدون الله ويدعون للمسلمين وإمامهم ويفترون، فهل يجوز اجتماعهم على ما ذكر؟ فأجاب بمحصله مجالس تلاوة القرآن وذكر الله تعالى هي رياض الجنة، أما الإنشادات الشعرية فإنما الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح<sup>2</sup>»، ويصف دوزي أحد الناس المرابطين فيقول: «كان منزويا عن الناس، هاربا منهم ثم تزهد وانزوى وربط على ساحل البحر<sup>3</sup>».

### ب/ ربط داخلية لتأمين وحماية القوافل التجارية من اللصوص وقطاع الطرق:

زادت حاجة الناس إلى دور المرابطين والأولياء وتقديسهم لتوفير الأمن في السبل والطرق، والذين صاروا الوسيلة الطبيعية المنقذة لقوافل التجارة ومتاع المسافرين، الأمر الذي جعل الناس والتجار يصحبون المرابط أو الولي في أسفارهم ليقبهم بحرمته وكرامته من الاعتداءات، في ظل عجز السلطة المركزية بالمغرب الأوسط على كبح جماح القبائل الهلالية، رغم أشكال التقرب والمنح والعطاءات التي كانت تخصص لشييوخهم<sup>4</sup>، ذلك أن الحضور الهلالي بالمغرب الأوسط شكل معضلة للسلطة المركزية في محاولتها لاستمالتهم والتقليل من خطرهم، خاصة في ظل ممارستهم للحراية وقطع الطريق والسابلية، ما أثر على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والذهني للمغرب الأوسط، فلم يجد الناس بدا من الاستعانة بالأولياء وتقديسهم، في محاولة لصنع هالة الحماية الروحية عليها تقف حاجزا أمام غزوات الهلاليين على تجارهم وسلامتهم، وتعتبر إقامة الزوايا والربط من أهم المظاهر الدينية والأخلاقية التي تجلت صورتها في حياة رؤساء القبائل الهلالية وأفرادها فيما بعد، حيث كرسوا حياتهم لعمل الخير

<sup>1</sup> - الونشريسي: المعيار، 105/11.

<sup>2</sup> - الشاطبي: مصدر سابق، 266-265/1.

<sup>3</sup> - محمد، مفتاح: مرجع سابق، ص37؛ عن Dozy: Supplement aux dictionnaire Arabes, T 1, paris 1967. P616.

<sup>4</sup> - الطاهر، بونايا: حركة المرابطين "حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف والرباط"، المجلة الخلدونية (بسكرة) ع9/ جانفي 2011م، ص56-73، ص 71-72.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

ونشر العلم والدين وإغاثة الملهوف والمحتاج، ومساعدة التجار والمسافرين ضد قطاع الطرق<sup>1</sup>، وهو ما يعد نقلة نوعية في حياة الهلالين وفي تعزيز دور الزوايا والربط في المغرب الأوسط.

هذا الوضع عكسه توفير الأمن والاستقرار في المواضع المخوفة، حيث أمنت الطرق ووفرت الطمأنينة للمسافرين والتجار، وقد ورد في إحدى الفتاوى أن بعض الصالحين كانوا يقيمون في المواضع المخوفة لتأمين السبل، التي كانت فيما مضى مأوى لأهل الفساد وقطاع الطرق، الذين يهاجمون القوافل والتجار لأجل النهب والسرقة<sup>2</sup>، وهو ما يبرز دور الصلحاء في منح المنطقة التي يستقرون بها جزءا من قدسيته.

بدأ دور الربط يتراجع تدريجيا لتحل محلها الزوايا كأماكن مقدسة، وحسب الغبريني (ت704هـ/1304م) في "عنوان الدراية" فإن ظهور الزوايا بالمغرب الأوسط كان أواخر القرن 6هـ/12م، وتمثل زاوية أبي زكريا يحيى الزواوي (ت 611هـ/1215م) أهمها، وكانت عبارة عن بناء صغير ملحق بالمسجد يخلو فيها الشيخ بمفرده للتعبد، وينفرد بها عن الخلق ويوكل به من يقوم له بقدر حلال من القوت، بينما كان يؤدي صلواته الخمس ويعقد مجالسه العلمية بالمسجد الجامع<sup>3</sup>، وكذلك الأمر بالنسبة لزاوية سيدي أحمد بن إدريس الأيلولي الزواوي<sup>4</sup> (ت1359/760م)، والتي كانت تأوي المتجولين ودار مجانية تطعم المسافرين والواردين إليها من الفقراء والغرباء والمحتاجين وعابري السبيل<sup>5</sup>، وأورد ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) في مناقبه عند الحديث عن والده أبو العباس أحمد بن مرزوق(681-741هـ/1282-1340م) أن معلمه الفقيه الصالح الولي أبي زيد عبد الرحمان بن يعقوب بن علي، كان صاحب كرامات وكانت سنة مجاعة وكانت داره زاوية للرواد<sup>6</sup>.

1 - مصطفى، أبو الضيف: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصر الموحدين وبني مرين 524-876هـ/1130-1472م، ط1، الدار البيضاء- المغرب : مطبعة دار النشر المغربية ، 1982م، ص ص252-254.

2- الونشريسي: المعيار، 403/12.

3- قد يكون المقصود بها زاوية أو ركن داخل المسجد ولم تكن بناء مستقلا بذاته. الغبريني: مصدر سابق، ص137-138؛ ابن مرزوق: المسند، ص413؛ عبد الرحمان، ابن خلدون: شفاء السائل، ص86؛ مفتاح، خلفات: مرجع سابق، ص174-175.

4 - هو فقيه مالكي، ينتمي على منطقة أيلولة غرب بجاية، وكان يتبع الطريقة القادرية يبق الحديث عنه في الرقية إذ أجاز الرقية بالفاتحة وبالمعوذتين، وأقسم أن لا يكتب رقية لأنه وجد إحدى الرقى مكتوبة بخط يد ملقاة على قارعة الطريق. التنبكي، مصدر سابق، ص99.

5 - ابن مرزوق: المسند، ص406-411-413؛ عبد القادر، خلادي: أبو مدين الغوث دفين تلمسان( 520-594هـ/1126-1197م)، مجلة الأصاله، ع 26، 1975م، ص 284-285؛ عبد العزيز، فيلالي: تلمسان، 149/1

6 - ابن مرزوق: المناقب، ص298-299.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

بعدها انتشرت الزوايا في بلاد المغرب الأوسط بشكل أكبر في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، نتيجة انتشار التصوف وتعدد اتجاهاته<sup>1</sup>، وقد ظهر المصطلح كمرادف للرابطة كما سبق الذكر، أي "الصومعة" التي يعيش فيها الولي وسط تلاميذه ومريديه<sup>2</sup>.

ثانيا: أنواعها:

من خلال ما سبق يمكن التمييز بين نوعين من الزوايا من حيث التأسيس ودرجة التقديس.

### 1/ زوايا رسمية أنشأتها الدولة:

لم تكن الزوايا بالشكل المتعارف عليه في القرن 7-9هـ/13-15م فقد سميت في العهد الموحيدي<sup>3</sup> (515-663هـ/1121-1269م) بدار الكرامة<sup>4</sup>، إلا أن الملوك والسلاطين الزيانيين أظهروا اهتمامهم بزوايا الشيوخ والصالحين والحبس عليها وتعميرها والنظر في مصالحها، لدورها الهام في الحياة العلمية وحركة التصوف في المغرب الأوسط، وكانوا يشملون أيضا أبناء هؤلاء الشيوخ وذريتهم بعنايتهم، ويسبغون عليهم فيضا من رعايتهم، من ذلك إعفائهم من الضرائب والمغرم السلطانية تكريما لهؤلاء الشيوخ الصالحين، وتبركا بهم وبذريتهم الصالحة<sup>5</sup>. اعتبر حكام المغرب الأوسط التقرب من الأولياء وتلبية طلباتهم ورغباتهم يحقق لهم مآرب دنيوية هامة، أهمها ضمان الاستقرار والشرعية وكسب ولاء الرعية، ومآرب أخروية بالتبرك بهم والتقرب منهم، حتى يحاطوا بالأمان والبركات والرعاية الإلهية، لأن البعض من الحكام لا يختلفون عن عامة الناس في فكرة الاعتقاد في الأولياء<sup>6</sup>، وقدرتهم على منح البركة وتلبية حاجيات الناس.

ومن الأدلة التي أسوقها في هذا المقام ما سبق ذكره أن السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1234-1282م) إلى أبي البيان واضح بالشلف، وكذلك زيارته إلى بيت الفقيه أبي عبد الله محمد بن عيسى<sup>7</sup>، فكان

1 - خالد، بلعربي: يغمراسن، ص316.

2 - موسوعة دائرة المعارف الإسلامية: ص332.

3 - تأسست الدولة الموحدية سنة(524هـ/1129م) على يد المهدي ابن تومرت كفكرة دينية ودعوة روحية، وأخذت شكلها السياسي مع عبد المؤمن بن علي، الذي بسط نفوذه على كامل المغرب الإسلامي وصولا إلى الأندلس، التي سقطت على يد المرينيين سنة 668هـ/1269م. للمزيد حول الموضوع ينظر: مجهول: الحلل الموشية، ص105؛ ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين- تح: إبراهيم الكتاني وآخرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م، ص17 وما بعدها؛ البيدق: مصدر سابق، ص29-30.

4 - مفتاح، خلفات: مرجع سابق، ص174.

5- الونشريسي: مصدر سابق، 6/171؛ كمال.

6- عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، ص146

7- هو رجل صالح ورع حج خمسا وعشرين مرة وكان ذا مكاشفات. يحيى، بن خلدون: مصدر سابق، 1/149؛ ابن مريم: مصدر سابق، ص300.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

يقرب الأولياء وفي هذا الصدد يقول ابن مرزوق (ت781/هـ/1379م): « كان أبو إسحاق إبراهيم الخياط يقصده الواحد من الناس للتوسل في قضاء حاجته، فيقوم معه فرما دخل على السلطان أبي يحيى يغمراسن في اليوم سبعين مرة، مع نحوله ومرضه وسلس كان به، فرما قيل للسلطان في ذلك فقال دعوه هذا رحمة للناس، فما قضى الله يقضى والله لا أبرمته ولا رددته فرحم الله السلطان ونفع بالشيخ<sup>1</sup> ».

اعتنى السلاطين ببناء وتعمير الزوايا خدمة للأولياء الصالحين وتقربا منهم في حياتهم وبعد مماتهم، لذا وجد بعض السلاطين والأمراء يرغبون كل الرغبة في أن يدفنوا إلى جوار الأولياء الصالحين والمتصوفين وكبار الفقهاء المعروفين بالورع والصلاح والبر<sup>2</sup> التماسا لبركتهم، فقد أوصى يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1234-1282م) أن يدفن بعد موته بجانب الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق (ت681هـ/1277م)<sup>3</sup>، وبعد وفاته دفن بجواره أبو الحسن بن النجارية، وهكذا كان قبره بين وليين صالحين<sup>4</sup>.

ومن بين أهم الزوايا التي أولاها السلاطين عنايتهم أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- زاوية أبي يعقوب (ت737هـ/1337م) التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-781هـ/1359-1388م) على ضريح والده<sup>5</sup>.

- زاوية ومسجد الحلوي (ت737هـ/1337م)<sup>6</sup>، التي أنشأها أبو عنان فارس المريني عام 754هـ / 1353م شمال مدينة تلمسان.

- زاوية ومسجد أبي مدين (ت594هـ/1198م)<sup>1</sup> بالعباد<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - المناقب، ص181؛ يحيى، بن خلدون: مصدر سابق، 155/1.

<sup>2</sup> - عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 298/1.

<sup>3</sup> - توفي بتلمسان وقبره بالمقبرة المعروفة بمسند صالح تحت الباب المعروف بباب زيري، حيث قبر أبيه وجده ابن مرزوق: المناقب: ص158؛ القصادي: مصدر سابق، ص96؛ الرصاع: مصدر سابق، ص154.

<sup>4</sup> - المناقب، ص167-170؛ يحيى، بن خلدون: مصدر سابق، 152-160/1.

<sup>5</sup> - يحيى، بن خلدون: مصدر سابق، 127/1؛ ابن مريم: مصدر سابق، 68؛ عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 149/1.

<sup>6</sup> - مسجد الحلوي نسبة إلى أبي عبد الله الشوذدي، وهو قاض إشبيلية سابقا، ولقب بالحلوي عندما استقر بتلمسان، وقد شيد هذا المسجد أبو عنان المريني عام 754هـ / 1353م، حسب الكتابة الأثرية الموجودة على العقد الذي يعلو المدخل الجامع، وهذا نصها: « الحمد لله وحده أمر بتشيد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان أبو عنان فارس، بن مولانا السلطان أبو الحسن المريني، ابن مولانا السلطان أبو سعيد عثمان، بن مولانا السلطان أبي يعقوب يوسف، بن عبد الحق أيده الله ونصره عام 754هـ»، وذكر النميري أنه من أجمل الجوامع فقد أحكمت فيه أنواع الصنائع . وكذلك ذكره ابن مريم: مصدر سابق، ص33؛ عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 110/1؛ رشيد، بورية: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: إبراهيم روح، الجزائر:

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م، ص97؛ يحيى، بوعزيز: تلمسان، ص38؛ محمود، بوعباد: مرجع سابق، ص81؛ ورد وصف معماري للمسجد عند مبارك بوطان: الموروث الإسلامي لتلمسان، ط1، الجزائر: طبع وزارة الثقافة، 2011م، ص64؛ Rossi Catherine: Les

. Cornets de Tlemcen, Alger: édition dalimen , 2011. p 96

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

زاوية وجامع الشيخ السنوسي (ت895هـ/1489م) وضحجه<sup>3</sup>.

### 2/ زوايا شعبية أسسها شيوخ الطرق الصوفية.

الزوايا الشعبية كان يؤسسها شيوخ الطرق الصوفية أو تؤسس بعد وفاتهم من طرف عامة الناس، كما كان ينشئها أهل الخير أو كبار رجال الدولة من أمواهم الخاصة، أو تشترك جماعة في إنشائها، ويوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها، وتوكل إدارتها ورعايتها إلى ناظر وجماعة من المساعدين، ويحدد الموقوفون في عقودهم الأوجه التي تصرف فيها عوائد أوقافهم وطريقة إدارتها<sup>4</sup>، من نماذجها أذكر:

- زاوية أبي عبد الله أحد كبار الأعلام سكن موضعا واتخذة خلوة، وألزم كل من دخل زاويته أن يكون سلوكه وفق السنة والسلف الصالح، وفرض عليهم سلوكا معيناً في المأكل والملبس<sup>5</sup>.
- زاوية ابن البناء بتلمسان<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأشبيلي ثم البجائي ولد باشبيلية بالأندلس حوالي 520هـ/1126م في قرية تدعى قطيانية، الملقب بالغوثن شيخ مشايخ التصوف في زمنه، تتلمذ على يد ابن حزمهم والفقير أبي الحسن بن غالب، كان رجلاً يلبس كساء خشنا وعليه هيبه، كثير القبض قليل البسط تخرج على يديه ألف شيخ، توفي في الطريق بوادي يسر لما استدعي من بجاية إلى مراكش سنة 594هـ/1198م، ودفن بالعباد خارج تلمسان، في السفح الشمالي لمنحدر "المفروش" من كتبه "أنس الوحيد ونزهة المرید في التوحيد". ابن الزيات: مصدر سابق، ص319؛ الرصاع: مصدر سابق، ص14؛ أبو الوليد، إسماعيل بن يوسف الخزرجي الأنصاري ابن الأحمر (ت807هـ/1402م): تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان - مقتطف من كتابه "النفحة النسرنية في الدولة المرينية"، تح: هاني سلامة، ط1، بور سعيد - مصر: مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع 2001م، ص83؛ ابن سعد: مصدر سابق، ص380-396؛ ابن قنفذ: مصدر سابق، ص11 والوفيات، تح: عادل نويهض، ط04، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1983م، ص297؛ يحيى، بن خلدون: مصدر سابق، 1/203؛ التنسي: مصدر سابق، 256؛ عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 1/149. عبد الحميد، حميدو التلمساني: السعادة الأبدية لأبي مدين شعيب فخر الديار التلمسانية، فاس- المغرب: المطبعة الجديدة، 1985م، عدد 64، ص39-40؛ جورج مارسى: المعالم الأثرية، ص466؛ BARGES vie célèbre Marabout Sidi - Abou- Medienne autrement vie .Bou-Medienne paris larousse librairie p1.

<sup>2</sup> - العباد مدينة صغيرة شبه ريف، تقع في الجبل على بعد ميل جنوب تلمسان، بها قبور الأولياء التلمسانيين، ومنهم أبو مدين شعيب، وقد عمر هذه المدينة بنو مرين وأقاموا بها مسجداً ومدرسة، وهما من أجمل ما شيده الصانع المريني، فالجموعة كلها تحفة فنية يندر وجود مثلها في بلاد أخرى. الوزان: مصدر سابق، 2/24؛ مصطفى، سليمان زيبس: آثار المغرب العربي، ط1، تونس: المطبعة العصرية، 1985م، ص79؛ مبارك، بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تق: محمد الميلي، الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، 2004م، جزءان، 2/351.

<sup>3</sup> - Georges et William MARCAIS : Les Monuments.p136 محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب فقيه سني موحد متصوف كثير التمسك بالسلف الصالح صاحب كرامات(ت895هـ). الرصاع: المصدر السابق، ص201؛ جمال الدين، بوقلي حسن: ابن يوسف السنوسي في الذاكرة الشعبية وفي الواقع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والإشهار، ص24؛ عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 1/149؛ Georges et William MARCAIS : Les Monuments.pop.cit136 .

<sup>4</sup> - خالد، بلعربي: يغمراسن، ص316.

<sup>5</sup> - ابن مرزوق: المناقب، ص281؛ عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 1/149؛ جورج، مارسى: المعالم الأثرية، ص467.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

- زاوية إبراهيم التازي (ت866هـ / 1461م)<sup>2</sup>.

لقد كان عدد الزوايا التي تحمل طابعا قدسيا بالمغرب الأوسط كبير جدا، دُمِرَ معظمها في الفترة الاستعمارية، وما تبقى منها على قلته أصبح هشاً بسبب القدم وعمليات الترميم بمواد وطرق مختلفة عن المواد المبنية بها أساسا، ورغم هذا لا زالت محافظة على مكانتها وقدسيتها لدى مرتاديها من الزوار. وبغض النظر عن مؤسس الزاوية وعن فخامة بناءها أو بساطتها، فمكانتها المقدسة في نفوس منتسبيها ومريديها جعلت منها ملاذا يقصده القاصدون، واشتركت جميعها تقريبا في إقامة اجتماعات الصوفية، فقد أشارت إحدى النوازل إلى إحدى الطرق الصوفية التي اعتاد أصحابها على الاجتماع بأثر صلاة الجمعة في مجلس على شيخ يختارونه، يكون أقواهم على أذكار الذاكرين وأكثرهم استنباطا وفهما لآداب المريدين، وعندما يجتمعون حول شيخهم يقوم خدسم الشيخ بإخراج سبحة منظومة، لاحصار التسيبحات والتهليلات، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ثم يحتمون ذلك بالسلام على سائر المرسلين، ثم يقرأ منشدهم بعض ما تيسر من كتاب الله ويحتمه بالصلاة على رسول الله ﷺ، ثم يقوم منشدهم بإنشاد قصيدة إما في مدح الرسول ﷺ، أو في الحض على فعل الخيرات والتحذير من الوقوع في الزلات، ثم يقرأ آخر كتاب "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"<sup>3</sup>، وبعد نهاية الذكر يتناولون طعاما، ويجزل العطاء للفقراء منهم، ثم يحتتمون مجلسهم بقراءة سورة من قصار السور والفاخرة وبعض ما ألف في توحيد الله، وعقب ذلك يدعوا الشيخ ويؤمنون على دعائه ثم يضافون شيخهم وينصرفون<sup>4</sup>.

وتأكيدا على ما سبق فقد قال ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) واصفا إحدى اجتماعات الزوايا: « أخبرني أبو العباس بن القطان وكان كثيرا ما يحضر الجمهور، قال: يجمع فيها صلحاء البلد وعلماء الوقت الظاهرين، قال: فإذا حضروا صلوا وتذاكروا فتقع الأسئلة في الأحاديث والمسائل للعلماء، وتقع المذاكرات بين المتصوفة

1- محمد بن البنا التلمساني عاش أواخر القرن 7 هـ وبداية القرن 8 هـ، هو كاتب متخلق ظريف وشاعر أديب من أهل تلمسان، وينسب إليه مسجد البنا الكائن قرب القيسارية بتلمسان. يحيى، بن خلدون: مصدر سابق، 124/1-125؛ Catherine Rossi: op.cit. p 68-69؛ محمد، بن رمضان والغوثي، بن حمدان: إرشاد الحائر، 230/2؛ مبارك بوطارن: مرجع سابق، ص62. عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 149/1.

2- هو إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي القطب صاحب الكرامات، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد كان من الأولياء الزاهدين توفي يوم الأحد التاسع من شعبان 866هـ. ابن مريم: مصدر سابق، ص 58-59.

3- من تأليف عياض ابن موسى السبتي (ت544هـ/1149م) وهو مجموع يتضمن التعريف بقدر الرسول ﷺ تح: سامي الجزار، القاهرة: دار الحديث، 2004م، 4/1-11.

4- الونشريسي: المعيار، 11/48-50.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

والصلحاء في المقامات والأحوال، بعد أن يصلوا ما تعودوه من النوافل، ويحضر الطعام ما يعمهم وينشد من حضر ممن يحسن الإنشاد ويعظ من يعظ، ولا يزالون كذلك طول ليلهم وربما يظهر عند التواجد أحوالاً<sup>1</sup>.

في المقابل ظهرت بعض الطرق الصوفية المذمومة والتي وجدت لها مریدين ومدافعين عنها وعن قدسيته من ذلك ما ذكره القاضي عياض (ت544هـ/1149م) في الشفا وغيره، في وصف مبتدعي التصوف وأن هناك قسم غلب عليهم الجهل والوقوف مع ما أحدث من رسوم، وتركوا النظر في المعارف والعارف والعلوم، فاستحوذ عليهم الشيطان وغلب عليهم الطغيان والعصيان، فاحتفلوا بالرقص والسماع والشهوات التي تثيرها الطباع، لا يقتفون شرعا ولا يجتنبون أمرا بدعا<sup>2</sup>.

ومن المظاهر المنكرة الأخرى "السَمَاعُ" فعند بعض الصوفية ليالي تعقد فيها ينشدون ويرقصون، وفي عرفهم أن السماع يولد حالة في القلب تسمى "بالوَجْدُ"، وهذا بدوره يحرك أعضاء البدن، فإن كانت الحركات غير موزونة كانت اضطرابات، وإن كانت موزونة فحينئذ تكون تصفيقا ورقصا<sup>3</sup>، وقيل السماع فيه نصيب لكل عضو فما يقع إلى العين تبكي وما يقع إلى اللسان يصيح وما يقع على اليد يمزق الثياب وتلطم وما يقع إلى الرجل ترقص<sup>4</sup>، وهو ما رفضه أحد الفقهاء وقال بأنه بدعة في جواب عن نازلة وردت في المعيار، وأنه لا يتعاطاها إلا ناقص عقل واستثنى سماع الإنشاد وأنه لا بأس به<sup>5</sup>.

وقد أنكر عليهم جماعة من العلماء مثل هذا السلوك الشائن، وصنفوا الكتب ووضعوا القصائد في ذم سلوكهم، فالإمام ابن قدامة المقدسي (ت620هـ/1223م) وضع رسالة في ذم ما عليه مدعو التصوف من الغناء والرقص والتواجد وضرب الدف وسماع المزامير، ورفع الأصوات المنكرة بما يسمونه ذكرا وتحليلا بدعوى أنها من أنواع القرب إلى الله تعالى<sup>6</sup>.

يقول الفقيه عبد الرحمان الوغسيلي (ت786هـ/1384م) فيهم: « وقد انتهى التوافق بأقوام إلى إن يقولون أن تلك الأمور من أبواب القرب وصالح الأعمال، وأنه بذلك يتم به صفاء الأوقات ونسيان

1 - ابن مرزوق: المناقب، ص157.

2- كمال الدين، المصري: مصدر سابق، ص70-71.

3 - نفسه، ص13.

4 - القشيري: مصدر سابق، ص157.

5 - الونشريسي، 29/11.

6 - كمال الدين، المصري: مصدر سابق، ص13.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

الأحوال<sup>1</sup>»، كما أشار البرزلي (ت844هـ/1440م) في قوله: « وكذا كان قوم عندنا يسمون "العسكرية" فيهم حالات ينسبونها إلى أوليائهم، وزوايا يخلطون النساء معهم<sup>2</sup>».

وهو ما أكد عليه الإمام الشاطبي (ت790هـ/1388م) في وقوله: « وقع سؤال عن قوم يتسمون بالفقراء يزعمون أنهم سلكوا طريق الصوفية، فيجتمعون في بعض الليالي ويأخذون في الذكر الجمهوري على صوت واحد، ثم في الغناء والرقص إلى آخر الليل ويحضر معم بعض المتسمين بالفقهاء، يترسمون برسم الشيوخ الهداة إلى سلوك ذلك الطريق، هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا؟ فوقع الجواب بأن ذلك كله من البدع المحدثات<sup>3</sup>».

ويصف أهل الفتوى المغاربة تلك الفئة المتطرفة من الصوفية، بأنهم طائفة أمية جاهلة ولعوا بجمع أقوام جهال، فدخلوا عليهم من طريق الدين وأنهم لهم من الناصحين، وأضاف الفقهاء بأن ما يفعله هؤلاء القوم من الرقص والتصفيق بدعة وضلال لم يسمع به في الإسلام<sup>4</sup>.

و أشار الونشريسي (ت 914 هـ/1509 م) إلى وجود طائفة صوفية أخرى من المتصوفة تسمو "بالفقراء"، كانوا يجتمعون على الرقص والغناء، فإذا فرغوا من ذلك أكلوا طعاما أعدوه للمبيت عليه، ثم يَصِلُونَ ذلك بقراءة عشر من القرآن والذكر، ثم يبكون ويزعمون في ذلك كله أنهم على مقربة وطاعة، ويدعون الناس إلى الاقتداء بهم ويطعنون على من لم يأخذ بذلك من أهل العلم، ويضيف بأن بعض النساء اقتفين أثرهن في ذلك<sup>5</sup>، وذكر أنه لم يكن أحد في المغرب من هذه الطوائف فيما سلف إلى أن ظهرت هذه الطائفة ووصفها بالأمية الجاهلة الغيبة وأنها أشد ضررا على المسلمين وأن الشاطبي (ت790هـ/1388م) والعقباني (ت 811هـ/1408م) أفتوا بأنها بدعة وفساد في عقائد العوام<sup>6</sup>.

وعن شيوع وانتشار هذه الطائفة ورد في "منشور الهداية" أن رجلا بجبال نقاوس جعل تلامذة سماهم الفقراء على طريق أهل البدع، واتخذوا الحضرة، وهي لعبة يتخذونها يراؤون بها الناس ولا يستخفون من الله، بما يأكلون ومنها يَتَمَوَّلُونَ وعليها في قضاء أوطارهم يعولون، يجتمعون لذكر المولى جل جلاله فيغيرون اسمه، ويشطحون

1- الونشريسي: المعيار، 34/11.

2- البرزلي: مصدر سابق، 426/6.

3- الشاطبي: مصدر سابق، 264/1؛ الونشريسي: المعيار، 40/11.

4- الونشريسي: المعيار، 34/11.

5- المعيار، 30/11.

6- الونشريسي: المعيار، 30/11 - 41-49-148.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

ويرقصون وربما يتضاربون، فتراهم ككلاب ناجحة ولعابهم كمياه طافحة وأنفاسهم كئيران نافحة، لا يفرقون بين واجب ومدوب ولا محرم ومكروه، ويعتقدون أن ما هم عليه هو الحق الواضح والطريق الأقوم<sup>1</sup>.

كذلك أشارت إحدى الفتاوى إلى طائفة ظهرت بالمغرب سنة (786هـ/1384م) تنتمي إلى التصوف والفقر كانوا يجتمعون في كثير من الليالي عند واحد من الناس، فيفتتحون المجلس بشيء من الذكر على صوت واحد، ثم ينتقلون إلى الغناء والضرب بالأكف والشطح، إلى آخر الليل ويأكلون في أثناء ذلك طعاما يعده صاحب المنزل، وقد أفتى الفقهاء بأن: «ما أحدثوه في الدين يعتبر بدعة محدثة لم تكن في زمن رسول الله ﷺ أو في زمن الصحابة ولا من بعدهم من التابعين<sup>2</sup>»، وأطلق عليهم مرابطو الذكر والسماع والرقص والشطح، معتبرين ما يقومون به من أبواب القرب.

ألمح الونشريسي (ت 914هـ/1509م) إلى انتشار زوايا المتصوفة والغبراء<sup>3</sup>، في شتى أنحاء المغرب كانوا يجتمعون فيها على الأكل والذكر وإنشاء الشعر، ثم يكون ويشطحون طوال الليل، ويقوم معظمهم بالرقص فيقع مغشيا عليه، وذكر بن مرزوق (ت 781هـ/1379م) في مسنده أن أبي الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348م) لما استولى على تلمسان، كانت هناك طائفة تدعى "الغبراء" وهم العيون والجواسيس وخدام الطرق، يستعملون أشياء جرت بها عوائدهم واختلفت فيها طرقهم، فينتحلونها قصدا لأكل أموال الناس بالباطل، ثم لحق بهم فيها غيرهم فيقامرون ويسخرون بالناس، ويدعون فيها منافع يخدمون ضعفاء العقول بها، ويوظف عليهم بسبب ذلك وظائف وتؤخذ منهم عنه أموال، فرفع هذا كله واشتد في عقوبته فاعليه بأنواع العقوبات فانحى في أيامه أثره<sup>4</sup>.

يمكن القول أن الزوايا الشعبية اشتركت في الطقوس الممارسة، وجدت زوايا المتصوفة المتطرفين وكانت مواضع اجتماعهم تتركز غالبا في الحصون والقرى البعيدة عن الحواضر، ليظهروا ما انطوى عليه باطنهم من الضلال، فيوهمون عوام المسلمين ومن لا عقل له من النساء، أن هذه الطريقة التي يتبعونها هي طريقة أولياء الله، وهي أعظم ما يتقرب به المرء إلى الله تعالى، فيضلون ويضلون في ذلك افتراءً على الله وعلى شريعته وأوليائه<sup>5</sup>، وهو ما ساعدهم على استمالة الناس وتصديق العامة بقديسيته.

1 - الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ط01، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987م. 120.

2- الونشريسي: مصدر سابق، 39/11-40.

3 - نفسه، 38/11؛ ابن مرزوق: المسند، ص286.

4 - نفسه، ص411-413.

5- الونشريسي: المعيار، 42/11-43.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

### ثالثا: الزيارة المقدسة:

يرجع مصطلح الزيارة في مفهومه اللغوي إلى الفعل زَارَ يَزُورُ، وبمعنى حج يحج، فمن زار المكان حج إليه، لهذا ينعت الباحثون الغربيون زيارة الأضرحة والأولياء بكونها حجا، إضافة إلى ذلك يتخذ لفظ الزيارة داخل السياق الدلالي الصلاحي معنى آخر ذي منحنى مجازي، تعضده وتسندة سلوكيات وأفعال عينية<sup>1</sup>، ومنه فزيارة الأولياء هي حج رمزي يتم الاستعاضة به عن الحج إلى مكة، فعن طريق التمسح بقبر الولي أو الثوب المغطى به، يستعيد الزائر طقس المسح بالكعبة والحجر الأسود<sup>2</sup>، ومن بين هذه السلوكيات نجد منها ما لها طابعا فرجويا بامتياز، يقترن مع احتضان وتصريف للنظام القرباني.

وللزاوية رمزية قدسية لدي بعض فئات مجتمع المغرب الأوسط، فهي تستحق الزيارة والتبرك بها سواء في حياة الشيخ أو بعد وفاته، ذلك لأن الشيخ يدفن عادة بعد وفاته في الزاوية التي أسسها، ومنه يصبح الضريح كنصب تذكاري في شكل مكان مقدس للزيارة والتبرك به، ويرث الأبناء والأحفاد الزاوية وتتحول سلطة الزاوية إلى الابن الأكبر، وهو ما حدث في الزاوية المملارية مثلا، والتي بها قبر الشيخ يعقوب المملاري (717هـ/1317م) الذي ابتعد عن تيار التصوف الفلسفي الذي يأخذ من الشطحات والرقص برنامجا له<sup>3</sup>، وهو ما جعل هذه الزاوية تأخذ مكانة خاصة في قلوب الناس، وهو نفس الشيء الذي شهدته زاوية العباد بتلمسان<sup>4</sup>.

إن إشاعة أخبار الأولياء والدعوة إلى زيارة قبورهم في المغرب الأوسط، يؤكد على استفحال ظاهرة "بركة الأولياء" والتي شاعت أكثر في أوساط العامة وأهل البادية على وجه الخصوص، لقصور تفكيرهم واعتقادهم في بركة الولي، وهذا عائد بطبيعة الحال إلى المناخ الثقافي الذي ساد بلاد المغرب الأوسط خلال ق9هـ/15م، والذي وصل إلى مرحلة الإعياء والتقعد الفكري، وإنصافا للحقيقة فإن العلماء دعوا إلى تحريم ظاهرة التبرك، وما يصاحبها من الطقوس التي يمارسها زوار الزوايا والأضرحة باعتبارها بدعة تقود صاحبها إلى الشرك، إلا أن ابن

1 - الصديق، ثياقة: مرجع سابق، ص67.

2 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص114.

3- عبد العزيز، فيلالي: "الزاوية المملارية- تأثير شيوخها الروحي والديني على الدولة والمجتمع"، ص.ص107-124، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، عين مليلة - الجزائر: دار الهدى، 2012م، ص110-111. في المقابل اختلف نظام الزوايا بالمغرب الأوسط باختلاف اتجاهات الشيوخ وأساليبهم التربوية، إلا أن تركيزهم على مبدأ التربية الروحية للمريد وما تشتمل عليه من مبادئ وقيم وعبادات وسلوك، أضحى قاسما مشتركا بين جميع الزوايا مع تقيدهم الشديد بالعلوم الشرعية، والبعد عن الخرافات والخزعبلات والشطحات الصوفية المبتدعة. مفتاح، خلفات: مرجع سابق، ص107.

4- عبد العزيز فيلالي: الزاوية المملارية، ص111-112.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

عربي(ت638هـ/1270م) دافع عنها ربما لما تكتسبه من أهمية في نفوس المريدين، أو لأنها من مقام القداسة التي لا يجب الطعن فيها<sup>1</sup>.

وهو الأمر الذي دفع بأحمد بن تيمية (728هـ/1330م) بأن يرد على مثل هذا الموقف في مؤلف خاص عنونه ب "الفصل بين أولياء الله وأولياء الشيطان"، سلك فيه مبدأ الوساطة بإقرار الاحتفال بعيد مولد النبي من جهة، وزيارة أضرحة الصالحين من الزهاد والصوفية من جهة أخرى، وبين المنتسبين لهذا التيار من المشعوذين والدجالين<sup>2</sup>، ويمكن القول أن ظاهرة زيارة الأولياء واتخاذ قبورهم أماكن مقدسة من بين الظواهر التي كانت منتشرة في بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط، حيث كان العامة من الناس يعتقدون في الأولياء ويقدرونهم ويحترمونهم ويتقربون إليهم بمختلف الوسائل لنيل بركاتهم<sup>3</sup>، كما اعتبر الولي ملاذا للمظلومين والمقهورين يرجعون إليه وقت حاجتهم، مستمدين منه القوة على أمل استرداد حقوقهم وتعويضهم عن الانكسارات والهزائم التي لحقت بهم.

وقد دعم هذه العادة العاهل التلمساني يغمراسن بن زيان ( 633-681هـ/1234-1282م) الذي كان معجبا بهؤلاء الأولياء ساعيا للتقرب منهم راغبا لنيل بركاتهم، فكان يكثر من زيارة الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن عيسى<sup>4</sup> بمدينة أغادير، واشتهر هذا الولي بكثرة حجه إلى بيت الله الحرام حيث وصل عدد حجاته إلى خمسة وعشرين حجة، وكذلك ارتحل لزيارة الولي الشهير بأبي البيان واضح في موضعه بجبل أفرشان ملتصقا بركته والدعاء له ولعقبه<sup>5</sup>، وكان كثيرا ما يجالس الصلحاء ويكثر من زيارتهم، كما كان يستقبل الولي إبراهيم بن علي الخياط في قصره، بل كان يقيم المجالس معهم إلى جانب الفقهاء والعلماء ويدير معهم المناظرات والمذكرات في

1 - ابن مرزوق: المسند، ص 415.

2 - مفتاح، خلفات: مرجع سابق، ص416.

3- خالد، بلعربي: يغمراسن، ص301؛ عبد العزيز، فيلالي: تلمسان، 390/2.

4- يعتبر أبو عبد الله محمد بن عيسى رجلا صالحا وعالما ورعا كانت له كرامات ومكاشفات يوجد قبره خارج باب العقبة يحيى، بن خلدون: البغية، 112/1

5- التنسي: مصدر سابق، ص126. ابن سعد: مصدر سابق، ص402-405؛ يحيى، بن خلدون: المصدر السابق، 149/1؛ ابن مريم: مصدر سابق، ص300. عن تفاصيل هذه الزيارة والحوار الذي دار بين يغمراسن وأبي البيان ينظر. المازوني: مناقب صلحاء الشلف، ص 132-134 خالد، بلعربي: يغمراسن، ص301؛ بوداود عبيد: مرجع سابق، ص226.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

قصرها المشهور<sup>1</sup>، وهو ما شجع الناس على إتباعه وتعظيم الأولياء وإنزالهم منزلة مقدسة فتنافسوا في زيارتهم للحصول على البركة منهم.

إن استفحال ظاهرة زيارة الأولياء والاعتقاد في كراماتهم يكشف عن طبيعة العقلية الاعتقادية المهيمنة على شريحة عريضة من المجتمع، هذا إلى جانب الحضور القوي لكرامة الولي في المشهد الصوفي، وهو ما احتفظت به الذاكرة الجماعية<sup>2</sup> على مر العصور، دون اعتبار للنوع التي وصفت بها على أنها من الخوارق التي يصعب حدوثها<sup>3</sup>، ففي حال رحيل الولي إلى دار البقاء، فإن ضريحه يغدو ملجأ لكل من انظلم أو دارت به الدوائر، وهو اللجوء الذي تتم شرعنته بمنطق الحرم الذي يمنح الحماية القصوى، فإنه يكون اللجوء السياسي والاجتماعي والصحي والنفسي... الخ، فالولي يقدم مشروعية كرامته وبركته كبديل تعدي سلوكي، لما تعذر حله وتديره إيجابيا في سجل العسر والأزمة والانحباس<sup>4</sup>.

قال ابن قنفذ (ت 810هـ/1407م): «الكرامة لا تنقطع بموت صاحبها، بل تظهر وتشتهر بركاته بعد الممات وتلوح عند قبره البركات<sup>5</sup>»، وكان ابن قنفذ يعتبر كرامات الأولياء وبركاتهم تحفظ الأبناء والأحفاد وتقهرو أصحاب الشر<sup>6</sup>، وهو ما ساعد كثيرا على انتشار ظاهرة التبرك بالأولياء، لما كان يتطلع إليه الزوار في تحقيقه من

1- خالد، بلعربي: يغمراسن، ص 301. وقصر المشور أو قلعة المشور التي قاومت صروف الدهر قرونا تتوسط المدينة، أنشأها الموحدون بعد سيطرتهم على المدينة في القرن 12م وبداخلها دور للسكنى، ومسجدها جميل ما يزال حتى اليوم، و بنا يغمراسن بن زيان قصر المشور وعمره أوائل القرن الثالث عشر عند مغادرته القصر المرابطي الذي كان موازيا للجامع الأعظم، فقد وصف التنسي منازله الجلييلة وحدائقه النضرة، وقد هدم بعض حجراته باي الجزائر، إثر ثورة قام بها التلمسانيين على الحاكمين، ثم قضى الفرنسيون على ما تبقي منها سنة 1843 واتخذوا موضعه معسكرا إلا أنهم تركوا صومعة قصيرة جميلة تدل على أنه كان للقصر مسجدا. يحي، بوعزيز: تلمسان، ص 37؛ وعبد العزيز، فراح: مرجع سابق، ص 226؛ مختار، حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، الجزائر: دار الحكمة، 2007م، ج 4، ص 9/4؛ عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 115/1.

2- يحيل مفهوم الذاكرة إلى آليات تمثل الماضي واستحضارها هذا التمثل الاستراتيجي لنسق الذهنيات والتصورات الرمزية يستدعي حفرا شاملا في الذاكرة البشرية كإنتاج اجتماعي، فهي موروث ذهني يختزل مسيرة من الذكريات الفردية والجماعية التي تغذي التمثلات المجتمعية، فالذاكرة تعد مجرد صورة عن ماضي وقع استحضاره واحتزاله تضخيمه أو تفريره وتبريره وفق حاجيات اللحظة وتناقضات الراهن غالبا ما تغلب عليها صفة القداسة. مولاي عبد الحكيم الزاوي: جدل التاريخ والذاكرة في الأستوغرافيا المغربية حفريات في الذات المغربية المقهورة بلون السياسة، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، المغرب، ص ص 1-14.

3 - مفتاح، خلفات: مرجع سابق، ص 413.

4- عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 55.

5 - ابن قنفذ: أنس الفقير، ص 7. هناك من قال بانقطاع الكرامة بوفاة الولي لأن عمل الإنسان ينقطع بوفاته كما جاء في الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ». صحيح مسلم، ص 1631.

6- ابن قنفذ: أنس الفقير، ص 10.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

أمنيات ومصالح دينوية<sup>1</sup>، وجرت العادة<sup>2</sup> أن يقدم هؤلاء ندورا عند زيارتهم لأضرحة الأولياء، وغالبا ما يعملون إلى تعليق حرق وشرائط معقودة على قبر الولي الصالح، وحتى في الأشجار المجاورة لضريحه<sup>3</sup>، وهو ما يؤكد أن المجموعة البشرية في حاجة دائما للمقدس الأوليائي، ليس من أجل تدبير حياتها الدينية فقط، بل من أجل إثراء علاقاتها وتقوية حظوظ مواجهتها للسلطة المتوزعة طولا وعرضا في المجتمع<sup>4</sup>، وهذا هو الأهم.

### رابعا: وظيفة الزاوية:

تعددت المعتقدات في القدرات والحوارق التي يمكن حصولها عبر زيارة الزوايا، لما تمنحه من هالة قدسية وقدرة على تخطي الصعاب وحل المشاكل، لذا سادت في المجتمع ذهنية تقديس الزاوية التي شكلت مكانا مقدسا لا يمكن المساس بها أو بهيبتها، وأهم الوظائف التي أنيطت بها الزوايا على رأسها أذكر:

**1/ الإشفاء من الأمراض وعلاج الحمى:** يبدو أن عجز العديد من الناس الفقراء عن دفع أجره الطبيب لأجل التداوي ووجود بعض الأمراض المستعصية، أودى بهم إلى البحث عن سبل أخرى للعلاج مهما كان نوعها، فكانوا يلجئون إلى الأولياء كأطباء لهم خاصة بالقرى والمداشر النائية البعيدة عن المدن، ومن العلاج الذي استهوى شريحة العوام العلاج بالتمائم والعزائم على الرغم من اتصاله بأمور السحر والشعوذة وكذلك لجئوا للعلاج بالرقية<sup>5</sup>، فكان حمل التمام التي يكتبها الأولياء في الزوايا بمثابة طقوس وقائية لدفع ضرر محتمل حدوثه، ومنه فحمل التمام كان مقبولا من الجميع ومنتشرا على نطاق واسع بالمغرب الأوسط كما سبقت الإشارة إليه في الفصل الأول.

كما كان يعتقد بكلام الطلسم أو الكلام المكتوب المذاب في الماء من الآيات القرآنية وغيرها وبأثرها في الشفاء، إذا كانت مكتوبة من طرف ولي صالح، لذا ذهب الناس للزوايا قصد أن تمنح لهم الرقى والتمائم بغية

1 - حوان، غويتيسولو: أضرحة وزوايا وطوائف طقوس زيارة الأولياء في الإسلام المغربي، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مجلة المناهل العدد 81/80، السنة 29، وزارة الثقافة المغربية، 2007م. ص 430.

2 - العادة هنا مقصود بها مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان السلوك التي تنشأ في الجماعة بصفة تلقائية، لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها، وتمثل ضرورة اجتماعية تستمد قوتها من هذه الضرورة، لذلك من الصعب على الأفراد الخروج على مقتضياتها لذلك هي مفهوم يستخدم للإشارة إلى مجموع الأنماط السلوكية التي تبقى عليها الجماعة، وتتأقلمها عن طريق التقليد والتفاعل مع الآخرين. جلال، مدبولي: الاجتماع الثقافي، ط1، القاهرة: دار الثقافة، 1979، ص 79-80.

3 - حوان، غويتيسولو: مرجع سابق، ص 430.

4 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 8-9.

5 - خليلي، بختة: مرجع سابق، ص 294.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

العلاج أو الوقاية من الأمراض، ومن بين من اشتغل بالرقى للعلاج نجد ابن فرغوس<sup>1</sup> الذي كان يرقى المرضى وأبو العلاء المديوني (ت735هـ/ 1334م)<sup>2</sup>، واشتهر أبي البيان واضح بإبراء العاهات من ذلك أنه صنع حجاباً لزوجته السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/ 1234-1282م)<sup>3</sup>.

ويمدنا البرزلي (ت844هـ/ 1440م) بنماذج من الرقى كرقية عسر الولادة فيقول: « يكتب في صفحة ثم تغسل وتسقى منها المرأة ثلاث، فيكتب بسم الله الرحمان الرحيم لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم، بعدها يقع محو الكتابة وتذوب بالنفخ في الماء، ثم يتحلل ويدخل في جسد المريض، اعتقاداً منهم أن الطلسمات المذابة في الماء من خلال الحو، تؤدي إلى تذويب الألم والمرض واضمحلاله<sup>4</sup>»، قد تكون مثل هذه الرقى التي تحوي ألفاظاً أعجمية وكلمات غير مفهومة أو طلاسماً كتبت من طرف منتحلي الولاية بغية الحصول على مقابل مادي لهذه الرقى التي يصنعونها، والتي تدل على نوع من الممارسة السحرية.

وعلى نفس الشاكلة ذكر مثال آخر تمثل في أن كتابة بعض الألفاظ الأعجمية على خرقة كتان أزرق، ويجعل فيها بيضة الدجاجة ويشويها في النار، فإن البيضة تطيب ولا تحرق للخرقة فيأكلها المحموم ويجعل قشرها في الخرقة المذكورة ويربطها في عنقه، فإنه يبرأ بإذن الله ولا ترجع الحمى إليه أبداً<sup>5</sup>، ويختلف الطلسم باختلاف الزمن الذي يتم فيه وغرضه، وهو أنه يحتوي على كلمات ورسوم ورموز مكتوبة ومحفورة أو بارزة ملونة وغير ملونة، وكلها في غاية الصعوبة، وصنع الطلسم لا يقدر عليه إلا كل ساحر عاتي شاخ وداح في مهنته، ويستمر مفعوله بضعة أيام ثم يفسد، إلا إذا تكرر منه ما يمكن بضعة شهور<sup>6</sup>.

ولقد تعدى الأمر في التمايم والرقى المصطلحات الغير مفهومة والرموز المبهمة، فهناك من المشعوذين والدجالين من استغل قصيدة البردة لابتزاز الأموال والاحتيال على صغار الأحلام وضعفاء العقول، واتخذوا منها تمايم وتعاويد وشرعوا يوهمون الأغرار بفوائد هذه التمايم ومنافعها ويتقاضون على ذلك ما يملأ جيوبهم<sup>7</sup>.

1- ابن مرزوق: المناقب، ص217.

2- ابن مريم: مصدر سابق، ص70.

3- المازوني: صلحاء، ص211-221.

4- البرزلي: مصدر سابق، ص488/6.

5- الونشريسي: المعيار، 11/ 172.

6- سليمان، الأشقر: مرجع سابق، ص108.

7- البويصري شرف الدين محمد بن سعيد، ديوان البويصري، تح: محمد سيد الكيلاني، ط1، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1955م، ص30.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

في المقابل ذكرت المصادر الوسيطة بعض الأولياء الذين اشتهروا بالقدرة على علاج الأمراض دون توائم أو رقى، مثل سيدي أبي سعيد الشريف الحسني، والذي اشتهر بأنه مجاب الدعوة وله كرامات باهرة، ما زاره ذو عاهة إلا براء ولا صاحب حاجة إلا قضيت<sup>1</sup>.

من خلال ما سبق يتضح مدى التصديق الجازم لدى بعض سكان المغرب الأوسط في القدرات والحوارق التي يتمتع بها الأولياء، ذلك أنه في اعتقادهم يملكون القدرة على تغير مجرى الحوادث والأشياء، ويشفون الأمراض المستعصية التي لا ينفع معها علاج طبي<sup>2</sup>، فالحسن أبركان (ت 868هـ/1464م) مثلاً تمكن من إشفاء مصاب بمرض جلدي اسمه "آكلة" عن طريق ريقه بالتفل على موضع المرض<sup>3</sup>، واشتهر أبو العباس بن مرزوق بأنه يشفي المرض بدليل علاجه لولده ابن مرزوق الخطيب وكان كثير المرض في صغره حيث عجز الأطباء عن مداواته<sup>4</sup>.

كما كان بإمكانهم ترويض الحيوانات المفترسة ومصاحبة الجن<sup>5</sup>، ولا يخفى علينا ما حوته مناقب ابن مرزوق (ت 781هـ/1379م) من ذكر الأولياء الذين تمتعوا بقدرة الحديث مع الوحوش المفترسة وترويضها على رأسها الأسد الذي ذكر أكثر من مرة فأبو يعزى يلينور بن ميمون اشتهر بترويضه للأسود<sup>6</sup>، وذكر كذلك من كان من الأولياء وله قرين من الجن، وإن دل على شيء فإنما يدل على ما يحوزه الولي من كرامات وقدرات منحت له وحده دون سواه.

**2/ الالتجاء:** شكلت الزوايا منذ نشأتها درعا للحماية والالتجاء وهذا سبب كثرتها بالمغرب الأوسط، فالالتجاء إليها زمن الجوائح والأوبئة والمجاعات والقحوط والتي كانت تحصد الأرواح، وتدخل البلاد في حروب وصراعات مستمرة حول الماء والكلاء والأرض وصنوف المعاش، لهذا كله تقدم (الولاية/ الزاوية) متنها واشتغالها كخلاص دنيوي سماوي، عبر قيمتها وممارساتها القائمة على السفر والهجرة إلى منازل القرية والوصل<sup>7</sup>، وعلى دورها في منح المأوى والغذاء زمن الأزمة، ومما حفظته لنا المصادر أن الولي أبي يعقوب (ق 8هـ/14م) دفين بني حلوان بالقرب من مازونة زاره جماعة من الفقراء برسم الزيارة، فلم يجد ما يطعمهم فأخذ حبلاً وفأساً وسار إلى مكان وأحضر منه تراباً أو رملاً واقتلع شيئاً من بصل العنصل، وجاء بذلك إلى أهله وأمر زوجته بطبخ الأكل

1 - ابن مرزم: مصدر سابق، ص 71-72.

2- الميلودي، شغوم: المتخيل والقدسي في التصوف الإسلامي - الحكاية والبركة، مطبعة فضالة: المحمدية، 1991م، ص 27.

3 - ابن مرزم: المصدر السابق، ص 80.

4 - ابن مرزوق: المناقب، ص 228.

5- الميلودي، شغوم: المرجع سابق، ص 27؛ عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 39.

6 - التادلي: مصدر سابق، ص 218.

7 - عبد الرحيم، العطري: المرجع السابق، ص 54.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

للفقراء، فلما كشف ما بالحمل إذ بالرمل تحول دقيقا والعنصل صار لحما سمينا، صنعت لهم منه طعاما كثيرا فأكلوا حتى شبعا<sup>1</sup>.

إن الحديث عن مثل هذه الكرامات وكثرة وقوعها سمي ب"انقلاب الأعيان"<sup>2</sup> كانقلاب الحصى جواهر، وانقلاب ماء البحر عذبا، ولبعضهم نشارة الخشب دقيقا، ولبعضهم الحطب ذهباً وهذه الأشياء مذكورة في الرسالة القشيرية وغيرها.

### 3/ التعليم:

اعتبرت الزوايا من بين أهم المؤسسات التعليمية إلى جانب المدارس والتي ساهمت بشكل كبير في نشر التعليم الديني لدى الشرائح الدنيا في مجتمع المغرب الأوسط<sup>3</sup>، كما ساهمت في تعليم الأوراد والأذكار التي اقتصت بها الطرق الصوفية، ودرس بها المريدين بعض المصنفات والنقول والتفاسير وغيرها.

### 4/ إقامة الاحتفالات:

هناك الكثير من الزوايا التي ساهمت في صنع الفرحة كونها مركز احتفال، لكن احتفالات الطرق الصوفية والمواسم، طغى عليها البعد الروحاني وال فولكلوري وامتزجت فيها الخرافة بالسحر والدين بالشعوذة، وتم تغليف المقدس بالمدنس، خاصة وأن الطرق الصوفية بالمغرب الأوسط سيطرت وبشكل جلي على كل مظاهر الحياة وتفاعلت مع ثقافة المجتمع وتجاربه التاريخية، مما جعلها تُكوّن ثقافة خاصة ظهرت من خلال التمثلات الفردية والجماعية في الطقوس والممارسات الاحتفالية، عبر مؤسسة الزاوية التي أصبحت مكان مقدس لإقامة الاحتفال عند بعض سكان المغرب الأوسط.

مع اختلاف الطرق الصوفية اختلفت الممارسات الاحتفالية داخل الزاوية، وأود هنا أن أنوه إلى أنه لا يوجد خلاف في كون الطرق الصوفية في المغرب الأوسط تستمد مرجعيتها الدينية من السيرة النبوية الشريفة، وتتخذ من شخصية الرسول ﷺ النموذج المقتدى في السلوك والفعل، وهذا ما أكده نور الدين الزاهي حينما قال: «ترى أغلب الطرق الدينية المغاربية بعودة سلاسلها الصوفية إلى الشاذلي فالجنيد فالنبي، باستثناء الطريقة القادرية التي تربط ذاتها بعبد القادر الجيلاني، والتجانبة التي تعتبر ذاتها منحدره من النبي مباشرة<sup>4</sup>»، على الرغم من هذا فقد شابتها ممارسات أفرغت بعض الزوايا من هدفها الحقيقي.

<sup>1</sup> - المازوني: صلحاء، ص 274.

<sup>2</sup> - المزيدي: مرجع سابق، ص 123.

<sup>3</sup> - خالد، بلعربي: يغمراسن، ص 315.

<sup>4</sup> - نور الدين، الزاهي: بركة السلطان، ص 16.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

وقد طالت تلك الطرق الصوفية الكثير من الانحرافات والسلوكات الشاذة التي أخرجتها من مجال المقدس إلى المدنس، من خلال بروز جملة من البدع التي تفتشت في وسط مريديها، خلال الاحتفالات والتي تنطلق بالتهليل والتصلية على الرسول ﷺ والذكر والسماع الصوفي، لكن سرعان ما يتم العبور إلى المدنس من خلال طقوس الحضرة والجذب<sup>1</sup>، لأن كثيرا ممن يسمون بالأولياء الصالحين ويقصدون بالزيارة، وما يشاع عنهم من خرافات وقدرات ومعجزات وكرامات، تؤكد لنا بعض الطقوس الاحتفالية المصاحبة لتعظيم آثارهم.

### خامسا: الزاوية وظاهرة الشرف<sup>2</sup>:

تنبع القداسة في الإسلام الشعبي من رافدين مختلفين، رافد تربوي والآخر وراثي، ويستند أولهما في إقامة مشروعيته على تربية روحية تنتقل من جيل إلى جيل، بواسطة سلسلة من الأولياء الصالحين حسب قواعد الطوائف الصوفية، حيث ترتقي هذه السلسلة لدى بعضها إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وتُعبّر سلسلة الأجداد على نقط التداخل والانشطار التي تحدد هوية الفئات الاجتماعية ونوعية العلاقات القائمة بينها<sup>3</sup>، أما الثاني والذي انتشر على نطاق واسع في البادية، فيفترض انتقال الكرامات الروحية من مؤسس الزاوية إلى أحد أبنائه أو كافة ذريته<sup>4</sup>.

ارتبطت الزاوية بظاهرة الشرف والانتماء إلى النسب المقدس وبيت النبوة، حيث أجمعت نصوص النوازل الفقهية والمناقب والتصوف والتاريخ على مفهوم موحد لماهية الشرف والشرفاء، في كونه كنية كان يختص بها كل من كان ينسب إلى الحسن والحسين ابني فاطمة وعلي رضي الله عنهم جميعا، بوصفهم يمثلون أصول هذه الظاهرة ومصدر المشروعية فيها<sup>5</sup>، ففكرة الشرف ظهرت بقوة مع المهدي بن تومرت (ت524هـ/ 1130م) في

<sup>1</sup> - الجذبة في بعض الكتابات المحلية والأجنبية ممارسات همجية متخلفة، فيما الأمر بالنسبة للباحث والسوسيولوجي الأنثروبولوجي يبدوا مختلفا عن هذه الأحكام، فالجذبة اشتغال طقوسي رمزي على الجسد والروح. عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص6.

<sup>2</sup> - حول البوادر الأولى لظهور فكرة الشرف في المغرب الأوسط خاصة بتلمسان وأحوازها، وكيف خص الشرفاء ببيت خاص داخل الزاوية كزاوية إبراهيم التازي (ت1461/866م) ينظر: الطاهر، بونابي: "خطاب الشرف في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط - مقارنة في مستوياته ضمن نص النوازل والمناقب والتاريخ"، ص ص 143-181، ضمن كتاب: المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل، تنسيق بوية مجاني، بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2011م، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي جامعة منتوري قسنطينة، ص 145-146-152.

<sup>3</sup> - عبد الله، الحمودي: الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة والقداسة - ملاحظات حول أطروحات كلينر، ضمن كتاب: الأنثروبولوجيا والتاريخ، ص.ص 60 - 80، حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، ط2، ، الدر البيضاء - المغرب: دار توبقال للنشر، 2007م، ص65.

<sup>4</sup> - خوان، كليمنصو: مرجع سابق، ص 430؛ مفتاح، خلفات: مرجع سابق، ص412.

<sup>5</sup> - محمد، بن مرزوق الحفيد: إسماع الصم في إثبات الشرف للأمم: دراسة وتح: مريم الحلو، ط2، وجدة: المغرب، مطبعة الشرق، 2006م، ص227. نقلا على الطاهر، بونابي: خطاب الشرف، ص 149.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

ربط نسبه بفاطمة بنت الرسول ﷺ، والخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي (ت 558هـ/1163م) الذي ربط نسبه بعلي بن أبي طالب، كما كانت تلمسان وآفاقها مركزا للتنفيذ السياسي والروحي لآل البيت من بني إدريس بن عبد الله وأخويه محمد وسليمان<sup>1</sup>، ووجد بعض الناس من أصل بربري صعوبية في إثبات انتمائهم للنسب الشريف لأن الشرفاء عرب منسوبون للحسن والحسين<sup>2</sup>، وبالتالي لم يكن بإمكانهم نيل المكانة الاجتماعية والحظوة التي نالها غيرهم من الشرفاء.

كان العامة ينظرون إلى النسب الشريف على أنه نسب مقدس ومصدر للبركة، مرتبط بالإرث السلالي وكامن في الشريف الورع التقوي الصالح الخير، وهي صفات من عطايا الرسول ﷺ، التي أودعها في ذريته وكانت تمثل بالنسبة لمجتمع المغرب الأوسط دليل القدرة وتحقيق حاجات الفرد<sup>3</sup>، كما كانت الزاوية تخص الشرفاء بطقوس خاصة في الضيافة، بل أن هناك من الزوايا من كان في هيكلها العمراني بيت خاص بالشرفاء، مثل زاوية إبراهيم التازي<sup>4</sup> (ت 866هـ/1461م)، وهو ما جعلها قبلة للمنتسبين إلى حقل الشرف، والطامعين في كرم الزوايا وخصوصية الضيافة<sup>5</sup>، فظاهرة الشرف أعطت لصاحب الزاوية قدسية خاصة أصبغها بدوره على البناء والحُدام والمريدين.

كان الانتساب لآل البيت من أهم الأمور التي تنافس الناس في إثباتها، حيث ظهرت فكرة الانتساب لآل البيت عن طريق "الأم" وهو ما أثار جدلا بين منكر ومقر لهذا النسب<sup>6</sup>، وكان الحرص على النسب الشريف لا يقتصر على الأولياء فقط بل تنافس سلاطين المغرب الأوسط في إثبات نسبهم الشريف لإعطاء الشرعية للسلطة

1 - موسى، لقبال: " زناتة والأشراف الحسينيون في جبال تلمسان والمغرب الأوسط"، مجلة الأصالة، الجزائر: 1975م، ع26، ص ص 91-98.

2 - الونشريسي: المعيار، 549/2.

3 - محمد، العمراني: الشرف والمجتمع والسلطة ( الشمال المغربي نموذج) من القرن 10 إلى 13 هـ/16-19م، الرباط: دار أبي الرقراق للطباعة والنشر والتوزيع، 2015م، ص 104-105.

4 - هو إبراهيم بن محمد بن علي اللتي التازي القطب صاحب الكرامات، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد كان من الأولياء الزاهدين توفي يوم الأحد التاسع من شعبان 866هـ. ابن مريم: مصدر سابق، ص 58-59.

5 - ابن سعد: مصدر سابق، ص 107؛ الطاهر، بونايب: المرجع السابق، ص 152.

6 - من بين المنكرين للنسب الشريف من جهة الأم يحتجون بأن الابن ينسب للأب وهو موقف فقهاء تونس، أما فقهاء بجاية وعلى رأسهم المشدالي (ت 731هـ/1331م) فيقر بهذا النسب، ونجد من الفقهاء من وقف بينهما كموقف فقهاء المغرب الأوسط كابن مرزوق والمقري (ت 758هـ/1357م) و أبي عبد الله الشريف (ت 771هـ/1369م) و أبي سعيد العقباني (ت 811هـ/1408م) الونشريسي: المعيار، 12/193؛ وللزيد حول الموضوع ينظر الدراسة القيمة التي قام بها الباحث نصر الدين، بن داود: "الشرفاء في المجتمع المغربي خلال القرنين 8-9هـ/14-15م) من خلال كتاب إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم للمراكشي القسنطينس الأكمه و إسماع الصم في إثبات الشرف للأم لابن مرزوق الحفيد التلمساني"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، عدد20، ص ص 308-316.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

حسب الظروف والتطورات التاريخية والسياسية، وكان أهل المغرب يحرصون على توثيق الأنساب وتشهيرها حفاظاً على أصالة النسب عامة والنسب الشريف في الدوحة المحمدية الشريفة خاصة<sup>1</sup>.

وردنا على من نفى وجود النسب الشريف وصعوبة إثباته بعد المائة السابعة أو الثامنة ورد عند الونشريسي بأن هذا ادعاء ضعيف وقول باطل<sup>2</sup>، بل أن هناك نازلة وردت عند الونشريسي في رجلين تخاصما فقال أحدهما ولم يكن ينتمي للنسب الشريف: لعن الله الشرف فكان جواب النازلة أنه في حالة ثبت عليه قوله تضرب عنقه وإذا لم يثبت عليه ذلك صفد في الحديد وضرب بالسوط ضرباً وجيعاً على سفهه وقلة دينه وجرأته<sup>3</sup>

المبحث الثاني: الولاية والأولياء:

أولاً: الولاية:

الولاية بالفتح، جاء في لسان العرب أن الولي هو اسم من أسماء الله تعالى وهو الناصر، وقيل المتولي لأمرور العالم والخلائق القائم بها<sup>4</sup>، والولاية بالكسر اسم ومعناها النصر، وعليه فالولاية بالفتح أظهر في النسب والنصرة من قولهم ولي بين الولاية، أما بالكسر فهي الإمارة من قولهم وإل بين الولاية<sup>5</sup>.

تدل الولاية لغة على الإمارة والسلطان، كما تحيل على القرب والنصرة، فالولي في قواميس اللغة هو المحب والصديق والنصير والكفيل<sup>6</sup>، والولاية هي قيام العبد عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكن<sup>7</sup>، والولي يدل على من تولى الله أمره وحفظه من العصيان، ولم يحل نفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال<sup>8</sup>.

ليست الولاية عند الصوفية مجرد هجرة إلى السماء، إنها موقف مما يعتمل في الأرض، فبركة الأولياء تنشأ من فح المتناقضات القائم بين الكائن والممكن دنيوياً، ففي اللحظة التي تتواتر فيها الأزمات ويعز فيها

1 - نصر الدين، بن داود: مرجع سابق، ص316.

2 - المعيار، 548/2.

3 - نفسه، 376/2.

4 - ابن منظور: مصدر سابق، ص406. قال تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 256 ومنه فإن الله هو مصدر سلطة الولي، وليس باستطاعة البشر وضع حد لها.  
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ سورة المائدة، الآية 57.  
﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة يونس، الآية 62.

5 - عبد الرزاق، القشاني: معجم اصطلاحات صوفية، تح: عبد العال شاهين، ط01، القاهرة: دار المنار، 1992م، ص54.

6 - عاصم، إبراهيم الكيلاني: الولاية والولي عند السادة الصوفية في الشريعة والطريقة والحقيقة، ط1، بيروت: دار الكتب ناشرون، 2010م، ص19.

7 - عبد الرزاق، القشاني: المرجع السابق، ص54.

8 - نفسه، ص54.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

الإنصلاح، يبرز الصلاح كجواب تعبدي صوفي على عسر الفهم والتكيف مع المحيط، ولهذا نلاحظ أن رد الفعل اتجاه الطبيعة كالكوارث والجوائح، أو اتجاه السلطة كالاستغلال والتسلط، فالأفراد يبحثون عن ملاجئ مادية أو معنوية لمواجهة الواقع المتأزم والديني، بما يكتنزه من قيم التفاوض مع الواقع، وإمكان تجاوزه يصير حلا إيجابيا للكثيرين<sup>1</sup>، وعليه فالولاية لا تصدق ولا تنكتب إلا بالمثل والنموذج، فالأخذ عن السلف والابتداء بالمريديّة، هو ما يُنتج الاعتراف بها، فحسب معتقدات الصوفية من لا شيخ له فالشيطان شيخه، ومن لم يمت تحت بيعة شيخ مات في الترهات والضلال، وكل سالك طريق يحتاج فيه إلى دليل مرشد عارف ناصح<sup>2</sup>.

كما أن الولاية تنبني في ظل علاقات متوترة بين السلطة والمجتمع، بحيث تستحيل رفضا للتدبير السلطوي، وخروجاً عليه مواجهة له بطريقة أو بأخرى، بدءاً باختيار المنفى المحلي إلى إنتاج الخطاب المضاد والممارسة المناقضة للسائد محلياً<sup>3</sup>، أما الولي فهو المتمسك بالطاعة على وجه القرية، والولي له معنيان:

المعنى الأول: فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وهو من يتولى الله تعالى أمره في قوله: ﴿إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾<sup>4</sup>، بمعنى لا يكله إلى نفسه لحظة.

المعنى الثاني: فَعِيلٌ مبالغة من فَاعِلٍ، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان<sup>5</sup>.

يتوجب التأكيد على أن الولاية من المسائل المقدسة في المغرب الأوسط، إذ تعد درجة عليا تتحصل لصاحبها وطالبها بعد كثير مجاهدة ومكابدة طول الطريق، ويلزمها الإرادة ومعها المجاهدات، وحسب الصوفية فإن أوسط الطريق المحبة ومعها الكرامات، وآخر الطريق المعرفة ومعها المشاهدات، فإذا تمكن في هذه المراتب لا يجرى عليه أحكام التلوين وصار سباحا في بحار التوحيد وسر التفريد، يكون وليا نائبا للأنبياء وصادقا من الأصفياء<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص34.

<sup>2</sup> - عبد اللطيف، الشاذلي: التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري، سيلا- المغرب: مطبعة سلا، 1989، ص121؛ عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص48.

<sup>3</sup> - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص54.

<sup>4</sup> - سورة الأعراف، الآية 196.

<sup>5</sup> - القشيري: مصدر سابق، ص117.

<sup>6</sup> - نفسه، ص117-118؛ عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص36.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

ومن أرباب المجاهدات والزهد في المغرب الأوسط، الذين وصلوا درجة كبيرة في الولاية ولهم مكانة مقدسة في المجتمع، نجد الشيخ محمد بن عمر الهواري (ت843هـ/1440م)<sup>1</sup>، وأحمد الغماري (ت874هـ/1468م)<sup>2</sup>، والحسن بن مخلوف الشهير بأبركان (ت857هـ/1453م)، والذي أسماه محمد التنسي (ت899هـ/1494م) بالولي الزاهد<sup>3</sup> القطب الغوث<sup>4</sup> شيخ الزهاد وقدوة العباد<sup>5</sup>.

### أ/ درجات الولاية:

صحيح أن الولاية أمر مقدس لدى فئة كبيرة من مجتمع المغرب الأوسط، ولا يصل إليها إلا أرباب المجاهدات، لكن لا يتساوى الأولياء في درجات الولاية فهناك عدة مراحل ومحطات يمر بها الولي حتى يصل إلى قمة الهرم، ولا بأس من التطرق لدرجات الولاية بنوع من الشرح ليس بالطويل الممل ولا القصير المخل.

بداية فإن الأسطورة تصنف الولي وأمثاله في إطار مقولات معينة سلفا مثل كريم، فاضل، يقوم الليل، ويصوم النهار<sup>6</sup>، ولهذا وجب للولي أن يتدرج في سلم الولاية والتي تبدأ درجاتها "بالسالك" وتنتهي ب "قطب الأقطاب"، فأولياء الله لهم مراتب وأحوال فهم على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة، فمنهم من تجتمع له الحالات والمقامات<sup>7</sup> كلها، ومنهم من يحصل من ذلك ما شاء الله، وما من طبقة إلا لها لقب خاص من أهل الأحوال التي يظهر عليها، ومنهم من يحصره عدد في كل زمان، ومنهم من لا عدد له لازم يقلون ويكثر<sup>8</sup>، قال ابن

1 - هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري نسبة إلى هواره، ولي عارف بالله القطب صاحب الكرامات، نشأ في طلب العلم جمع بين الخطابة والتدريس، استقر بوهران أين يقع ضريحه، توفي سنة 843هـ. الرضاع: مصدر سابق، ص 86؛ ابن مريم: مصدر سابق، ص 288-236؛ ابن سعد: مصدر سابق، ص 17.

2 - ابن سعد: مصدر سابق، ص 46 و 186.

3 - الزاهد هو كل من أخرج الدنيا من قلبه واحتقرها واستصغرها وأدخل هم الآخرة. أبو طالب، المكي: قوت القلوب، مصر: المطبعة المصرية، 1932م، ص 169.

4 - الغوث هي درجة من درجات الولاية والقطب يسمى غوثا باعتبار التجاء المهوف إليه وهي درجة لا تتحقق إلا بعد طول مجاهدة وعمق عرفان. عبد الرحيم العطري: مرجع سابق، ص 37.

5 - ابن مريم: مصدر سابق، ص 74-93؛ التنسي: مصدر سابق، ص 185.

6 - عبد الله، الحموي: مرجع سابق، ص 84.

7 - المقامات هي مكاسب وهي استيفاء الحقوق المرسومة شرعا على المقام من معاملات ومجاهدات ورياضات، والمقام هو استيفاء حقوق المراسم وإلا لم يترق إلى المقام الذي بعده، فعلاقة المقامات بعضها ببعض هي علاقة ترق، قد تكون بلا أسماء بل مجرد ترق في عشرة مقامات، من المشاهدة الأولية - الأحدية - الأقربية - البصرية - العلمية - الفاعلية - الحياتية - المحبوبة - مراقبة التوحيد الشهودي. بلغري، عبد القادر: "أسس القراءة وآليات التأويل في النص الصوفي - غفيف الدين التلمساني في شرح مواقف النفري"، أطروحة دكتورا علوم في اللغة والأدب العربي تخصص قضايا الأدب ومناهج الدراسات النقدية المقارنة، جامعة قاصدي مرباح (ورقلة)، 2016 م، ص 50.

8 - محي الدين بن عربي: أهل المراتب والأحوال، تج: محمد عبد الرحمان الشاغول، ط، 1 القاهرة: دار جوامع الكلم، 2009م، ص 20.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

مرزوق (ت781هـ/1379م) في المناقب: « رأيت من الأولياء في صغري بتلسمان خلائق<sup>1</sup>»، ومنه نستدل على العدد الهائل من الأولياء في المغرب الأوسط ككل، وحسبنا في ذلك قوله في موضع آخر: « يستدل بالقل منه على الكثرة» وهكذا فإن نموذج تلمسان وعدد أوليائها يمكن تعميمه على باقي حواضر المغرب الأوسط.

تجدر الإشارة إلى أن الحال عند الصوفية وقتية، كالسكر والصحو والغيبة والرضى، ومن شروطها الصبر مع البلاء والشكر مع النعمة، فالصدق والإخلاص أصل كل حال<sup>2</sup>، ومن الألقاب التي حفظتها لنا المتون النصية الوسيطة عن درجات الولاية، خاصة كتب المناقب نجد: السالك - المجذوب - البهلول - الوند - الجرس - البدل - النقيب - النحيب - البهالي - الصالح - الملامتي - الغوث - القطب - وقطب الأقطاب في قمة الولاية، وهي درجة عليا لا تتحقق إلا للجامعين الأحوال والمقامات، فالقطب يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهي درجة لا تتحقق إلا بعد طول مجاهدة وعمق عرفان<sup>3</sup>، ولا يناله إلا الولي العارف الكبير القدر الصالح<sup>4</sup>، مثل أبي مدين شعيب الغوث قطب الأقطاب (ت594هـ/1198م).

أما طبقات الأولياء حسب أبو الحسن علي بن محمد المراكشي في مؤلفه "مناقب الأولياء وصفة سلوك الأصفياء" التي وردت عند الباديسي (كان حيا 722هـ) في المقصد الشريف:

أ- الطبقة الأولى من الأولياء: هم قوم لا يخرجهم الله تعالى عن الخلق، يشتغلون بما يشتغل به الناس من سائر الحرف والمكاسب، ولا يأكلون إلا من كد أيماهم<sup>5</sup>.

ب- الطبقة الثانية: لا يشتغلون بمكسب أشغلهم المسبب عن السبب، ما لهم حرفة غير عبادة الله تعالى، ويكون قوتهم على الله لأنه كافل أمرهم ويرزقهم على يد من يشاء من عباده المؤمنين<sup>6</sup>.

ج- الطبقة الثالثة: يأكلون من القدرة ويشربون من القدرة<sup>1</sup>.

1- المناقب، ص300، ونفس الشيء قاله عن بجاية: « ودخلنا بجاية المحروسة فلقينا بها من الأولياء خلائق». ص301.

2- ابن الزيات: مصدر سابق، ص38. وأورد أبياتا على لسان أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر حول الغيبة والصحو عند أبي مدين شعيب فقال:

شُعَيْبٌ وَلِيَّ اللَّهِ سِرُّ عِبَادِهِ \*\*\* أَبُو مَدِينٍ مُعْنِي الْأَنَامِ بِفَخْرِهِ

فِيَا جَنَّةَ الْمَأْوَى وَيَا عِلْمَ الْهُدَى \*\*\* وَيَا نَاشِرًا عِلْمَ الْإِلَهِ بِأَمْرِهِ

حَضَرَتْ وَلَمْ تَحْضُرْ وَغَيْبَتْ وَلَمْ تَغِبْ \*\*\* وَمَا كُنْتُ فِي كُلِّ بَجَانِبِ طُورِهِ

فَتَوَرَّكَ نُورُ اللَّهِ يَهْدِي لَهٗ وَهَلْ \*\*\* عَلَى أَحَدٍ فِي النَّاسِ إِطْفَاءُ نُورِهِ . ص98-99.

3- عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص37 إبراهيم، عاصم: مرجع سابق، ص31.

4- ابن مرزوق: المناقب، 149.

5- عبد الحق، بن إسماعيل الباديسي: المقصد الشريف والمنزح اللطيف في التعريف بصلحاء الريف: تح: سعيد آعراب، ط2، الرباط: المطبعة الملكية

1993م، ص20.

6- نفسه، ص22-23.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

حسب هذه الطبقات عم بين الصوفية اعتقاد بأن الإنسان إذا إرتاض وجاهد في العبادة، فإنه قد يلتحق بالملائكة الكرام، حتى أن بإمكانه الطيران في الهواء والمشى على الماء، فالرياضة حسب اعتقادهم ينسلخ الصوفي بالكلية عن الحظوظ البشرية، وهذا الاعتقاد في أساسه اعتقاد البراهمة ولكنه شاع عند الصوفية وكانوا يحرصون على نشر الأخبار التي تروي طيران أحدهم في الهواء<sup>2</sup>، وكان من المصدقين بالكرامات فقد أورد لنا ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) في مناقبه ذكر العديد من متصوفة المغرب الأوسط الذين اشتهروا بالطيران في الهواء والمشى على الماء، وغيرها من الخوارق التي تتعارض مع المنطق العقلي، ورغم هذا وجدت لها مصدقين بها ومدافعين عنها، وفي المقابل ورد نص عند الونشريسي يدعو لعدم تصديقهم جاء فيه: « لا تغتروا بهم ولو أنهم يطبرون في الهواء ويمشون على الماء فلا يغتر أحدكم بما ظهر من الأوهام والخيالات من أل البدع والضلالات ويعتقد بأنها كرامات<sup>3</sup>».

### ب/ أسس الولاية:

هناك عناصر متعددة تسهم بعد طول مخاض ومجاهدة مع النفس في إنتاج الولاية وكسب الاعتراف بها وتقديس منتسبيها، وهي في الغالب تحضر مجتمعة أو متفرقة في سير عدد من الأولياء، فهناك العلم والصالح والشرف والفعل، علما بأن هذه المكونات ليست بالضرورة هي المسالك الوحيدة والممكنة لإنتاج وتخصيب الولاية<sup>4</sup>، فهناك الولاية بالوراثة أو بالإجازة أو بالمنح، وما تطرقي لأسس الولاية إلا من باب البحث عن مدى تأثيرها في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط، وتقبله لمثل هذه الأفكار والمعتقدات بل وتقديسها. تؤكد أن الهدف من جرد هذه الكرامات لا يتصل بالدفاع عن معقوليتها وثبوتيتها، ولا من أجل دحضها وتبخيسها، إذ هي على حد قول الباحث عبد الرحيم العطري: « متون للاشتغال والتفكير بعيدا عن الاحتفاء أو الإنكار<sup>5</sup>»

1 - الباديسي: مصدر سابق، ص24.

2 - كمال الدين: مصدر سابق، ص18. المزيدي: مرجع سابق، 123-124. البراهمة اسم يطلق على أفراد الطبقة العليا، وهي طبقة الكهنوت أو رجال الدين عند الهندوس، والديانة البراهمية نسبة إلى براهم ومعناها الله وقيل معناها رب الصلاة، الخالق المانح للحياة. للمزيد حول هذه الديانة ينظر: أحمد، شلبي: أديان الهند الكبرى الهندوسية الجينية البوذية، ط1، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1984م، ص .

3 - المعيار، 32/11.

4 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص44-45.

5- نفسه ، ص57.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

### 1- العلم:

لم تتحدث المصادر عن علو شأن بعض الأولياء في العلم، ومع ذلك فأنتهم ارتقوا عاليا في مسالك الكرامة والبركة، وعموما فإن العلم والهجرة إليه يظل حاسما في صناعة الولي، وتمهيد طريقه إلى مراتب القرب والاتصال بالقدسي<sup>1</sup>.

### 2- المجاهدة:

الطريق إلى الولاية تنسلك عبر مجاهدة النفس وقهرها<sup>2</sup>، فكل ما يحيل على الغرائزي يصير ثانويا وغير ذي أهمية بالنسبة للسالك، ولهذا فقد كانت الكتابة المناقبية، تعج بأخبار التقشف والجلد والقناعة والعزلة التي امتازت بها حياة الأولياء<sup>3</sup>، مثل: جد ابن مرزوق لأبيه أبو عبد الله (ت 781هـ/1379م) والذي انقطع للعبادة وتخلّى وتجرد<sup>4</sup>، وكذلك جده لأمه الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن يخلق بن عبد السلام التنسي (ت 899هـ / 1494م) الذي اشتهر فتخلّى وانقطع<sup>5</sup>، كل هذا في سبيل الوصول إلى درجة القداسة في سلم الولاية.

إن أعظم مجاهدة دنيوية يمر بها الولي هي مقاومة الجوع<sup>6</sup>، فبعد الخلوة في مكان مظلم يأتي الجوع بمواصلة الصيام ثم السهر بقيام لليل ليكون الولي ميت البدن حي الروح<sup>7</sup>، ومن نماذج الكرامات في مقاومة الجوع أنه لما كان بتلمسان غلاء شديد حتى تعطلت الصلاة، فنام سيدي أحمد بن الحسن الغماري بمسجد الحلفاويين زمنا طويلا، حتى فاتت الأزمة وعاد الناس للصلاة في المساجد فلما سئل عن مدة مكوثه بالمسجد ظن أنه نام ساعة، فقبل أن الله غيبه عن فتنة الجوع كما غيب أهل الكهف<sup>8</sup>، وحدثوا عن أبي زكريا يحيى بن موسى المليحي أن أبا بكر المنادي شكا إليه الجوع في عام مجاعة وكان ذلك في أول الحر، فأمره أن يدخل في صومعة جامع مليحة

1 - نفسه، ص 45.

2 - القشيري: مصدر سابق، ص 118.

3 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 46-47.

4 - ابن مرزوق: المناقب، ص 149.

5 - نفسه، ص 151.

6 - زينب بنت الشيخ الصالح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلاي، أم جد ابن مرزوق، كان زوجها فقير وأهلها ميسورين، ومع هذا رفضت طعامهم إليها تقربا لله. المناقب، ص 150.

7 - عبد الرحمان، ابن خلدون: شفاء السائل، ص 85.

8 - ابن مريم: مصدر سابق، ص 33.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

فلما دخلها نام، فلم يستيقظ إلا في زمان حصاد الزرع، قال أبو بكر فانتبهت من نومي وقد نسيت القرآن وأكل السوس من كسائي من الجانب الذي يلي الأرض<sup>1</sup>.

من خلال ما سبق يمكن القول أن الكتابات المناقبية قد أغرقت في توصيف إنحراق العادة وإثبات الكرامة، لتجاوز الأزمة فطري الطريق يغدو بديلا لطول المسافات، وكرامة القناعة والكفاف تغدو رسالة مشفرة ضدا على البذخ والثراء الفاحش، كما أن كرامة الشجاعة والإيثار والقيم الإنسانية النبيلة، تصير انتقادا مباشرا للبؤس القيمي والاتصال مع أزمنة القدسي، ففي الكتابة المناقبية نجد تصورا إصلاحيا مضمرا ومعلنا، على اعتبار أن كتابها لم يكونوا منفصلين عن أزمنة عصورهم<sup>2</sup>، كل هذا في محاولة منهم لكشف الواقع المعاش وطرح نمط مختلف وبديل عنه لتجاوز الأزمة.

ومن صور المجاهدة الأخرى التي عمل الأولياء على حيازتها ليحوز المقدس معها نجد البعد والعزلة، فالبعد انقطاع عن الحسي عن الدنيوي عن المدنس، والعزلة مجاهدة للنفس وانتصار عليها، باعتبارها مائلة وراغبة أبدا في التعلق بالحسي والآخر، والسالك إلى مراتب الولاية يتوجب عليه إحداث القطيعة والانتصار على اللذوي، أملا في اكتناز المعنى وفي ذلك كله مجاهدة للنفس وقهر لها، بل إن هذا القهر يظهر في سير أخرى باختياره حفرة القبر مرقدًا بدل الأسرة الوثيرة، ولبس المرقع والخشن من اللباس إمعانا في تمرير الجسد في تراب الوضاعة والاحتقارية وتمرينا له على مجاهدة اللذة وتجاوزها<sup>3</sup>، فاللباس المرقع والخشن والذي استعمل في الطقوس الدينية، كانت له دلالات خاصة بصفته رمزا لمعنى المقدس، وأن من يرتديه مع قدرته على ارتداء أفخر منه، إنما هو إنسان نقي وطاهر .

### 3- الصحبة: اللقاء:

إن الصحبة والمريدية هي فترة امتحان وتعلم في انتظار بلوغ الكرامة وإثبات الصلاح، إنها إرادة لجني البركة وبلوغ الوصل وإدراك الخلافة والمشيخة، وبذلك فهما معا تفترضان سلوكا بل وتقعيدا للممارسة والعلائقية مع الصاحب والمرشد<sup>4</sup>، فكل طالب ولاية لا بد له من صاحب يأخذ عنه مبادئ الطريقة للوصول إلى الولاية، فالولي الصالح عندما يهاجر إلى الأطراف والنهايات فكأنه يريد بذلك تحقيق البدايات فالجبل في قمته هو نهاية

1 - التادلي : مصدر سابق، ص126.

2- عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص53.

3 - نفسه، ص48.

4 - نفسه، ص49.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

للأراضي صعودا نحو السماء، وبها يتحقق اللقاء مع القدسي<sup>1</sup>، ولا يكاد يوجد أحد من الأولياء دون أصحاب يتذاكر ويتزاور معهم حتى وإن كانت المسافات بعيدة وهو ما يميلنا على العنصر الموالي.

### 4- السفر:

السفر والهجرة في الانشغال على طقس المرور إلى المشيخة والولاية، فالسفر يسفر عن العيوب ويطر النفوس والقلوب، فلا بد من الفصل كي يتحقق الوصل، والفصل هنا يكون بالانتقال رمزيا وماديا من الدنيوي إلى القدسي<sup>2</sup>، فالسفر إلى القدسي يستلزم المجاهدة والاجتهاد، ويكون السفر عن طريق الرحلة الزيارية، التي يروم صاحبها السياحة في الأرض للقاء المتصوفة والأولياء وزيارة أضرحتهم وقبورهم<sup>3</sup>.

ومن أشهر الأماكن التي زارها الأولياء في أسفارهم هي أضرحة الأولياء الصالحين فقد ذكر لنا ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) واصفا العالم أبو زكريا يحيى بن الصيقل بالولي الصالح العارف إمام وقته، كان زهدا ورعا صاحب كرامات وأحوال، وكان أكثر ملازمة للمقابر والمساجد الحرية خارج البلد<sup>4</sup>، وأهم المقابر والأضرحة التي تنافس المريدون لزيارتها بالمغرب الأوسط في أسفارهم أذكر: مقبرة باب وهب<sup>5</sup>، ومقبرة باب الجياد والتي فيها مقبرتان هما عين وانزوتة<sup>6</sup> والمرج أو الخفير<sup>7</sup>، ومقبرة باب العقبة<sup>8</sup>، ومقبرة باب القرمادين<sup>9</sup>، ومقبرة باب كشوط<sup>10</sup>، ومقبرة مسند صالح بباب زيري<sup>11</sup>، ومقبرة باب الدباغين<sup>12</sup>، وأخذت هذه المقابر مكانتها من منزلة المدفونين بها ودرجة الولاية التي وصلوا إليها، ومدى تقديس الناس لهم ومكانة من زارها من غير صلحاء وأولياء تلمسان.

1 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص42-43.

2 - نفسه، ص 51.

3 - مصطفى، نشاط: "الديمغرافية التاريخية في الرحلة الزيارية بالمغرب الوسيط" مجلة كنانيش الديمغرافيا التاريخية، جامعة محمد الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع3-2001م ص ص 23-إلى 34.المغرب: دار المنظومة، 2020، ص25.

4 - ابن مرزوق: المناقب، ص173.

5 - فيها قبر أبي يعقوب التفريسي وابن تاشفين الأول. ابن مريم: مصدر سابق، ص385؛ ابن مرزوق: المصدر السابق، ص187.

6 - فيها قبر يعقوب المرغوي. ابن مريم: المصدر السابق، ص385.

7 - فيها قبر أبي يعقوب الصنهاجي. ابن مرزوق: المصدر السابق، ص199.

8 - فيها دفن محمد بن عيسى، وابن الصيقل، وابن صاحب الصلاة. ابن مريم: المصدر السابق، ص300؛ ابن مرزوق: المصدر السابق، ص174-176.

9 - فيها دفن أبو سعيد الشريف. ابن مريم: المصدر السابق، ص 89.

10 - فيها دفن أبو جمعة الكواش. نفسه، ص 89.

11 - فيها دفن أبو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق، وأبوه وجده. ابن مرزوق: المصدر السابق، ص148.

12 - التادلي: المصدر السابق، ص341.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

ظهر نوع آخر من السفر اقتصر على الأولياء دون غيرهم، ذلك أنهم يذهبون أين شاءوا ولا يشاهد الناس لهم غيبة ولو يوما واحدا، لأنهم إذا ذهبوا تركوا بديلا على صورهم يشبههم في جميع أحوالهم، حتى أن سيدي عبد الرحمان السنوسي روى أنه شاهد في بعض الأيام سيدي أحمد بن الحسن الغماري وبه جراح في جسده فلما سأله عنها أخبره بأنه شارك في غزوة بين الأندلس والنصارى وغيرها من الأماكن البعيدة<sup>1</sup>.

### البناء والمخاض

للوصول إلى أعلى درجة في سلم الولاية لا بد من هدم المدنس وبناء المقدس، فالأمر الحارق للعادة والذي يظهره الله عز وجل على يد عبد مؤمن صالح غير مقرون بالسوء<sup>2</sup>، ذلكم هو ما يدعم البناء ويعمل على تنزيده وإخراجه من مرتبة المريديية إلى المشيخة والأوليائية، وهو هدف كل مرید متدرج في الولاية بالمغرب الأوسط. أما الانفصال عن الدنيوي فهو ما يمهد للاتصال بالقدسي، فالطريق إلى الولاية تمر بمخاضات الانفصال، ولهذا تصير المغارة في الجبل أشبه ما تكون برحم مجالي، يولد منه الولي بعد حمل افتراضي<sup>3</sup>، لذا سعى معظم الأولياء بالمغرب الأوسط إلى اتخاذ المغارات منفى لهم يتدبرون فيها وما أكثرها ببلاد المغرب الأوسط ذو الطبيعة الجبلية<sup>4</sup>.

### التعالي:

الولاية مراتب تتجه صعودا، والطريق إليها مراتب أيضا تفترض التعالي والتجاوز، ومنه يصير المجال واختياره دالا على رغبة أثيرة في الانتقال من الأرضي إلى السماوي، فقمم الجبال ومغاراتها العميقة وشواطئ البحر تحيل كلها على البعيد والمتعالي، عن المشدودين إلى الدنيوي، إنه إعلان للاختلاف وطموح انفصال وتعال للاقتراب من السماء حيث الوصل والكشف والامتلاء<sup>5</sup>، والكشف حسب ابن خلدون يحدث كذلك لأل السيمياء المرتبطين في كشف الحجاب لاستنزال روحانية الأفلاك والتصرف في عالم الطبيعة بمعونة منها<sup>6</sup>، فالأصل في الكرامة الكتمان والإخفاء، لأنه بظهورها بين الناس يسمى الأولياء أهل الكشف، ولهذا سعى الأولياء بالمغرب الأوسط لإخفاء كرامتهم عن عامة الناس باتخاذهم الأماكن البعيدة والمعزولة.

1 - ابن مريم: المصدر السابق، ص35-35.

2 - عبد الله، بن عبد القادر التليدي: المطرب في مشاهير أولياء المغرب، ط2، طنجة- المغرب: مؤسسة الشمال للطباعة والنشر، 1987م، ص15.

3 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص42.

4 - من أشهر جبال المغرب الأوسط جبال مضمودة، وجبل تارني وهو جبل كبير معمور، وجبل يسمى جبل الفضل ينبع من أسفله نهر سطفسييف.

الحميري: مصدر سابق، ص135.

5 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص42.

6 - عبد الرحمان، ابن خلدون: شفاء السائل، ص84.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

ثانيا: الولي:

لا ولاية بدون ولي، فالولي هو العارف بالله تعالى، المواظب على الطاعة، المجتنب للمعاصي، المعرض عن الإتهامك في اللذات، ويسمى ولياً لأن الله تعالى تولى أمره فلا يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة<sup>1</sup>، فالولي الصالح هو من توالى طاعاته من غير تحلل معصية، وهو من تولى الحق حفظه، فأولياء الله هم أحباء الله وأعداء نفوسهم، فهم خلص المؤمنين لقرهم من الله سبحانه وتعالى، إن الله هو مصدر سلطة الولي، وليس باستطاعة البشر وضع حدود لها<sup>2</sup>، من خلال هذا التعريف يمكن القول أن الأولياء الصالحون هم أصناف من الناس، يوجد منهم العلماء والفقهاء والأمراء والقضاة والتجار والفلاحون وأصحاب المهن والحرف وأهل الثروات، وفيهم العباد والزهاد والعقلاء السالكون وأرباب الأحوال والمجاذيب<sup>3</sup>، ومنه فالولي وقاعدة الولاية ظاهرتان متلازمتان تعبر كل منهما عن الأخرى، وهذا ما يفسر أن أشخاصا مختلفين يوصفون بنفس الأوصاف عندما يتبوءون مقام الصلاح، رغم تباعدهم على مستوى المكان والزمان، بينما تنسب إليهم نفس الكرامات<sup>4</sup>.

إن السمة المشتركة بين الأولياء والتي تمنحهم الشرعية المقدسة داخل منظومة مجتمع المغرب الأوسط هي الانقطاع، فالولي في انقطاعه ومنفاه الاختياري يعلن رفضا واضحا لكل ما هو دنيوي وسياسي، كي يؤسس ويغذي بركته ويشمر كراماته، فهو يتفرغ لبناء شرعيته الأوليائية، والتي لا تتأكد إلا بعد طول اشتغال، وعديد مقدمات ومبررات، فعليه أن تفيض بركته على من حوله، وأن تلوح كراماته التي تبرر الاعتراف به وتشعرن لقب الولاية والصلاح، وإلا فإنه لن يحظى إلا بألقاب محدودة الفعالية والمكانة في سوق التبادلات الرمزية، فالعلامات لا تمنح اعتباريا في حقل القداسة، وإنما ينبغي أن تكون مبررة بعميق البركة والكرامة<sup>5</sup>.

فعندما يختار الولي الصالح قمة الجبل أو هامش المدينة أو مقابرها المطللة على البحر، فكأنه يريد تأكيد رفضه للقائم في المركز، وهجرته لخيراته الرمزية والمادية مؤثرا الانتماء إلى عالم الكفاف والندرة<sup>6</sup>، وهو ما حدث مع العالم الصالح العارف أبو زكريا يحيى بن الصيقل كما سبق الذكر، والذي كان أكثر ملازمة للمقابر والمساجد

1 - القشيري: مصدر سابق، ص 117؛ عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 36؛ إبراهيم، عاصم: مرجع سابق، ص 18.

2 - عبد الرحيم، العطري: المرجع السابق، ص 36؛ إبراهيم، عاصم: المرجع السابق، ص 18؛ عبد الله، الحمودي: مرجع سابق، ص 64

3 - عبد الله، التليدي: مرجع سابق، ص 19.

4 - عبد الله، الحمودي: المرجع السابق، ص 84

5 - عبد الرحيم، العطري: المرجع السابق، ص 43-44.

6 - نفسه، ص 41-42.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

الخربة خارج البلد<sup>1</sup>، فالصلاح يناقض الفساد والرفض يكون اختيار مجاليا، فأغلب الصلحاء في المغرب والمشرق اختاروا البعد والغربة، جوابا على ما عرفته مجتمعاتهم من سوء الأحوال خاصة السياسية<sup>2</sup>. فالولي الصالح هو الأقدر على خرق العادي وفقا لما تؤسسه الكرامة وما يتقعد تاريخيا عن طريق التواتر، فكل استعصاء للأمر يجد طريقه إلى الحل والتيسير على عتبات الضريح، بل إن كل ما يحدث يمكن أن يتم التدخل فيه عن طريق سلطة الولاية وتأثيرات الكرامة<sup>3</sup> حسب معتقدات بعض الناس بالمغرب الأوسط، فالأولياء يمتصون مخزون اللامساواة الكامن لدي فئات العوام، ولا يمكن اعتبار الأولياء مجرد كيان مواز للبنية الاجتماعية، إنهم على العكس من ذلك يوجدون بدون أي التباس داخل تراتبية وهمية معترف بها<sup>4</sup>.

أ/ البركة:

لا بد للولي من أن يحوز البركة لكي يمنحها بدوره لمريديه فالبركة تعني النماء والزيادة والعلو واليمن، فهي تحيل على العطاء وقدرة استثنائية ذات مصدر إلهي، تتوفر لبعض الأشخاص دون غيرهم، وترتبط البركة وجوبا بالمرابط، إذ يعتقد أنه مانحها، وفي هذا الصدد يقول روجيه باستيد: «البركة سائل مقدس يفيض من المرابط، ويمتد إلى كل ما يمسه هذا الولي من ثياب وماء في حياته، وبعد الموت تظل جثته محتفظة بالبركة، كما تظل البركة عالقة بقبر الولي بعد موته<sup>5</sup>»، أما الفرد بل فقد اعتمد على المنهج التاريخي الذي يدمج الأدوات السوسولوجية المتعلقة بالمقابلة والملاحظة الشخصية والرواية الشفوية، من أجل معرفة طريقة تشكل الولي وعلاقته بالبركة ووظائفها، مبرزا أن البركة هي القوة القادرة على صنع الولي في مخيلة الأفراد، وبالتالي هي العامل الرئيسي المتحكم في شكل الطقس الاحتفالي سواء الديني أو المدني، وأرجع سبب النجاح الذي لقيه التصوف الإسلامي عند البربر وسرعة انتشار مبادئه، لدمج شيوخ التصوف داخل شبكة المعتقدات السابقة، حيث نسبت إليهم قدرة منح البركة<sup>6</sup>.

مجال القداسة أو الولاية لا يشير في الثقافة العربية الإسلامية إلى الطهارة فقط بل إنه يدل أيضا على البركة، ودخل مجال هذه الدلالة إنبت وتأسست القداسة الصوفية بشكلها الفلسفي والشعبي سواء بالمشرق أو

1- ابن مرزوق: المناقب، ص173.

2- عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص41-42.

3- الميلودي شغموم: مرجع سابق، ص27؛ عبد الرحيم، العطري: المرجع السابق، ص39.

4- عبد الله، الحمودي: مرجع سابق، ص70.

5- روجيه باستيد: مبادئ علم الاجتماع الديني، تر: محمود قاسم، ط1، مصر: المكتبة الانجلوسكسونية، 1951م، ص65.

6- Alfred Bel, La religion Musulmane en Berberie, p338.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

المغرب<sup>1</sup>، إذ ارتكزت القداسة الصوفية بالمشرق على فعل الانتهاك، انتهاك الحجب والقواعد الأخلاقية، وتأسست القداسة الصوفية بالمغرب على مبدأ الانتهاك الذي جسده مناقبها وطقوسها<sup>2</sup>، يمكن القول أن بركة المؤسس وقدسيتها يصطبغ بها المجال الجغرافي، ويصبح مثل المؤسس موضوعاً للمخيلة الفردية والجماعية مما يكرس قدسيته ويجذرهما، وهذا الأمر نلاحظه كذلك في مجال تأسيس المدن الإسلامية<sup>3</sup>.

### ب/ الكرامة:

الكرامة: لفظها في اللغة اسم مشتق من التكريم أو الإكرام، بمعنى الفضل أو التفضل<sup>4</sup>. أما الكرامة في الاصطلاح فيقصد بها أمر خارق للعادة، يظهر على يد ولي تأييداً له أو إعانة أو تثبيتاً أو نصر للدين، من غير شذوذ ولا مخالفة فضلاً من الله وإكراماً، والكرامة ثابتة في الكتاب والسنة والواقع<sup>5</sup>، والمقصود بالأمر الخارق كل ما يفوق قدرة البشر فكراً وجسدياً، كقطع مسافة طويلة في زمن قصير، أو الطيران في الهواء والمشي على الماء وغيرها وهو ما سيأتي ذكره لاحقاً.

والكرامة لاحقة بمعجزات الأنبياء لكنها غير مقرونة بدعوة نبوة، كما أنها بنية أساسية في الفكر البشري، وهي كالبنية العقلانية مرتبطة بنمط مجتمعي وبأسلوب معيشي في الوجود، وممارسة لمعتقد ديني<sup>6</sup>، وترتكز الكرامة في جانبها الأكثر تجذراً في الذات الإنسانية على أنها أعماط تبدو غارقة في القدم، ومنها السحر كنموذج وسلوك قديم جداً، ويؤكد الباحث علي زيعور هذه العلاقة ويقدمها بتحليل مفصل فيقول: «لقد حوت الكرامات

1 - نور الدين، الزاهي: المقدس الإسلامي، ص28.

2 - نفسه، ص28.

3 - يرجع تأسيس الكثير من المدن إلى من اشتهروا بالولاية والصلاح، وحيث كانت أضرحتهم نواة أقيمت حولها المدن، ورغم أني لم أعثر في المغرب الأوسط على قرائن دامغة لإثبات هذا ربما لإغفال الحديث عنها من طرف مدوني العصر الوسيط أو لعدم إلمامي بجميع مصادر هذه الفترة، لكن القرائن التي سبقت وتلت فترة الدراسة تؤكد هذا الطرح من ذلك مدينة سيدي عقبة بالزاب والتي بنيت بالقرب من ضريح عقبة بن نافع الفهري، ويمكن إضافة مدينة سيدي العباس في الغرب الجزائري والتي أقيمت على ضريح ولي صالح هو سيدي العباس البوزيدي في القرن 11هـ/17م ومدينة وهران نسبة إلى الولي الصالح محمد بن عمار الهواري القرن 9هـ/15م، وكذلك مدينة مغنية التي نسبت لامرأة شديدة الورع كانت تحج سنوياً، وماتت في هذه المنطقة التي أخذت تسميتها منها في القرن 12هـ/18م.

4 - كرم: الكريمة من أسماء الله الحسنى وهو الكثير الخير الجواد، كرم علينا فلان كرامة وأكرم نفسه بالتقوى وأكرمها عن المعاصي وهو يتكرم عن الشوائب أي تنزه وأكرم نفسه عنها ورفعها والكرم شرف الرجل. ابن منظور: مصدر سابق، 3/249 406/5؛ الفيروز أبادي: مصدر سابق، 4/140

5 - ابن تيمية: مصدر سابق، ص 480.

6 - إبراهيم، القادري بوتشيش: المهمشون، ص183؛ الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصري المرابطين والموحدين ضمن جوانب من التاريخ الاجتماعي للبدان المتوسطة خلال العصر الوسيط: جامعة مولاي إسماعيل: كلية العلوم الإنسانية، مكناس، 1991، ص97؛ ينظر كذلك راشد، محمد، فتحى الحريري: كرامات الأولياء بين الوهم والحقيقة، السعودية: دار الفيصل الثقافية، العدد 211، 1994م، ص200.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

وحمّلت ونقلت إلى جانب الرموز معاني السلوكيات الخرافية، والأساطير والمعتقدات الشعبية والبطولات»<sup>1</sup>، ويضيف: «إن البطل في علاقاته الجدلية مع مجتمعه يتجاوز قوانين الطبيعة ويتحدى العلية والسببية الموضوعية، وحسب رأيه فالصوفي ممثل الله ومثله ولأجله خلقت الدنيا»<sup>2</sup>.

دعا ابن قنفذ (ت810هـ/1407م) إلى التسليم بالكرامة وبصحتها وشدد على الذين ينكرونها، واصفا إياهم بالمعاندين المحرومين السيئ الاعتقاد والكثيري الانتقاد<sup>3</sup>، وأشار الباحث الطاهر بونابي إلى أن تفصيل ابن قنفذ (ت810هـ/1407م) في قضايا البركة والكرامة والاعتقاد في الصوفية وتأصيلها حسب المنهج، ما دفع الحرج عنهم وعن المتصوفة ليستمروا في الخوض فيها بدون تردد أو تحفظ<sup>4</sup>، على اعتبار أن الكرامة هي ما يبرر الولاية ويمنحها شرعية الإنوجاد، فقد نقل المقرئ (ت1041هـ/1631م) على لسان أبو مدين شعيب (ت594هـ/1198م) أنه قال لأصحابه: «كل معجزة كانت للأنبياء، وظهرت كرامات للأولياء في هذه الأمة تشريفا وتعظيما وتكريما لنبينا محمد ﷺ فليل له: يا سيدي هل وقعت لبعض الأولياء كرامة بانقلاب العصا حية قال: نعم، وذلك في حديث طويل»<sup>5</sup>.

تعد الكرامة شرطا وجوديا بلمح الضرورة للاعتراف بالولي والسعي الدائم للاستفادة من بركته حيا أو ميتا، ذلك أن البركة لا تخضع للتقادم ولا تسقط بانتفاء الجسد ورحيله، إنها تستمر عبر الأحفاد وحتى عبر الأمكنة والأشياء التي فاضت عليها وفيها كراماته، فالضريح والمغارة والماء والتراب والخزقة والسبحة والعكاز والشجرة والحفيد والخادم، وما إلى ذلك من الأشخاص والأماكن والأشياء التي استفادت من لمسة الولي، تعد منافذ إلى كرامته وبركته، ومنه تبرر الزيارة والحج إلى آثاره الدنيوية والحرص على استقدام "باروك" الزيارة ممن لم تسعفه الظروف لجني البركة من مواقعها<sup>6</sup>، فالكرامة والحصول عليها أمر في غاية القداسة في نفوس المتصوفة والأولياء وحتى المريدين، بل تعدته إلى عامة الناس.

ومن نماذج منافذ الكرامة ما ذكره ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) في مناقبه من أن الخطيب الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي اللجام ترك له أبو مدين شعيب (ت594هـ/1198م) بعد موته: «مرقعته والمظلة التي

1 - علي، زيعور: مرجع سابق، ص21.

2 - نفسه، ص21.

3 - أنس الفقير، ص4؛ وهو ما أكده القشيري بقوله: القول بكرامات الأولياء صحيح. مصدر سابق، ص118.

4 - عبد العزيز، فيلالي: دراسات، ص143؛ الطاهر، بونابي: الحركة الصوفية، 1/289.

5 - أحمد، بن محمد التلمساني المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت:

دار الكتاب العربي، 8 أجزاء، 143/7

6 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص57-58.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

كان يجعل على رأسه، وسجاده وعكازه الذي كان يتوكأ عليه<sup>1</sup>، وهو ما منحه الكرامة عن طريق حيازته لمقتنيات أبي مدين وأصبحت له كرامات ومجابه الدعوة .

إن الغاية الأساسية من الكرامة إثبات الولاية لصاحبها وفي هذا يقول القشيري (ت465هـ/1074م) في رسالته: «أظهر الله الكرامة حتى نعرف من كان صادقا، وكلما ذكرت للشخص كرامات زاد قرب الناس منه وكان الاتصال والولاء، فجددهم يرددون قصصه وأحاديثه، يمجّدونه ويقدمون روحه، فتراهم يجسدون ذلك عبر طقوس موسمية أو يومية، يزورون قبره فيطلبون منه النصرة ورد الظلم، ويقومون ولائم الطعام في حضرته يبعون نزول بركته بينهم، ويضيف بأن ظهور الكرامات على الأولياء جائز، فظهور الكرامات علامات صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقا فظهور مثلها عليه لا يجوز<sup>2</sup>.

يورد صاحب التشوف تأكيد الكرامة حسب اعتقاده من توقيع إمام المتكلمين القاضي أبو بكر بن الطيب البصري الباقلائي(ت403هـ/1013م) الذي قال: «المعجزات يختص بها الأنبياء، والكرامات تكون للأولياء، وأن الكرامة تتحقق لمن تعمق في الزهد والعبادة عارضا عن ملذات الدنيا وأهوائها<sup>3</sup>»، ويضيف في السياق ذاته الشهرستاني(ت548هـ/1153م) في قوله: «أما كرامات الأولياء فحائزة عقلا وواردة سمعا، ومن أعظم كرامات الله تيسير أسباب الخير وإجراؤه على أيديهم، وتعسير أسباب الشر عليهم، وحيث كان التيسير أكثر كانت الكرامات أوفر<sup>4</sup>»، وأورد القشيري(ت465هـ/1074م) أن الكرامات قد تكون إجابة دعوة وقد تكون إظهار طعام في آوان فاقة من غير سبب ظاهر، أو حصول الماء في زمان عطش<sup>5</sup>.

ومن أمثلة هذه الكرامات كرامة سقيا الناس زمن العطش أن سيدي أحمد بن الحسن الغماري كان في سوق ندرومة يملاً إبريقا له بالماء في زمان الحر والعطش ويدور على الناس في السوق يسقيهم الماء إلى أن يفترقوا من غير أن يجدد فيه الماء فرد إليه الناس بالهم فأرأ ذلك الإبريق ينبع من قعره الماء كالعين<sup>6</sup>، وهي ظاهرة لا نجد لها تفسيراً علمياً وتتأني والمنطق العقلي مما يطرح تساؤلات عدة حول مدى صحتها وصدقها.

1 - ابن مرزوق: المناقب، ص171. ودفن سلاح أبي مدين ص172.

2 - الرسالة القشيرية: مصدر سابق، ص160.

3 - ابن الزيات: مصدر سابق، ص75.

4 - نفسه، ص54.

5 - القشيري: المصدر السابق، ص160.

6 - ابن مريم: مصدر سابق، ص32.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

ويؤكد ابن خلدون ( ت808هـ/1401م) شيوع التصديق بالكرامة بقوله: « وكرامات القوم أمر صحيح غير منكر، وإنكارها نوع مكابرة<sup>1</sup>»، فالكرامة تأخذ صيغا شتى تنبني على إنخراق العادة<sup>2</sup>، ومفارقتها للواقع والمعتاد تماما<sup>3</sup>، ومن صور إنخراق العادة التي وردت في المصادر انفلاق البحر وجفافه، والمشي على الماء، وطبي الطريق وإنزواء الأرض، وكلام الجمادات والحيوانات، وإبراء العلل والصبر على الجوع ورؤية المكان البعيد<sup>4</sup>، وحسب ابن قنفذ فإن منهم من يرى الملائكة ومنهم من يرى الجن ومنهم من يرى البلاد النائية ومنهم من يرى ما في السموات ومنهم من يرى اللوح المحفوظ ومنهم من يقرأ ما فيه<sup>5</sup>، وهي كلها ظواهر تتنافى والعقل.

والملاحظ أن كل كتب المناقب أقرت هذه الكرامات ونقلتها، كما أن كافة العلماء اتفقوا على تجويز خوارق العادة وإنخراقها للأولياء، ولم يخالف في ذلك أحد من أهل السنة إلا الأستاذ أبو إسحاق الأسفرائني فإنه قال مرة الأولياء لهم كرامات مثل إجابة الدعوة وموافاة ماء في بادية في غير موضع توقع المياه ومظانها ونحو هذا أما جنس ما هو من معجزات الأنبياء فلا<sup>6</sup> وسأورد بعض من نماذج أولياء المغرب الأوسط الذين حازوا الكرامات في العنصر الموالي.

وحل هذه الخوارق والكرامات قال ابن خلدون(ت808هـ/1407م): « أن المشي على الماء وامتناء الهواء والنفوذ في كتائف الأجساد، ونحو ذلك من كرامات الأولياء الخارقة للعادة<sup>7</sup>»، فهذا الفعل الخارق والذي يخرج

1- نفسه، ص118؛ عبد الرحمان، ابن خلدون: العبر، 168/5.

2 - يتخطى مفهوم العادة الاجتماعية مسألة التكرار لعملية معينة أو نشاط اللاشعوري واللاواعي لعملية ما، والنتيجة عن تكرار فعل حتى ولو كان فعلا اجتماعيا، إعادة إنتاج الأفكار الاجتماعية ثم إعادة إنتاجها مع تغير الظروف الاجتماعية أيضا، واستمرارية هذا النشاط مع استمرارية تطور المجتمع والتفاعل الدائم بين الاثنين. عاطف، عطية: المجتمع الدين والتقاليد- بحث في إشكالية العلاقة بين الثقافة والدين والسياسة، بيروت: جروس برس للنشر، 1993م، ص48.

3- يوسف، بن إسماعيل النبهاني: جامع كرامات الأولياء، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2001م، ص47.

4- نفسه، ص47. وقد وجد الكثير من أدياء الولاية ولذلك دعا المتصوفة إلى التحرز منهم وقال أبي زيد الشيخ عبد الرحمان الأخضريري حول مدعي الولاية:

وَقَالَ بَعْضُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ \*\*\* مَقَالَةَ حَلِيَّةِ صَفِيَّةِ

إِذَا زَأَيْتَ رَجُلًا يَطِيرُ \*\*\* أَوْ فَوْقَ مَاءِ الْبَحْرِ قَدْ يَسِيرُ

وَمَ يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ \*\*\* فَإِنَّهُ مُسْتَدْرَجٌ وَيَدْعِي . الفكون: مصدر سابق، ص122.

5 - أنس الفقير، ص2. تجدر الإشارة أن رواية ابن قنفذ حول كرامات الأولياء وإن وجدت مصدقا لها ومؤمن بها إلا أنها تتعارض وقدرة العقل البشري على معرفة عالم الغيب وعلى قدرة العين البشرية من رؤية الملائكة أو اللوح المحفوظ.

6 - الونشريسي: المعيار، 388/2.

7 - عبد الرحمان، ابن خلدون: المقدمة، ص329. والخارق للعادة هو خرق نظام الطبيعة المعلوم ويطلق الخارق على ما يجاوز قدرة الإنسان لا على ما يجاوز نظام الطبيعة.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

عن العادة ويفوق قدرة البشر، يعتقد بأن الله خص به صفوة من خلقه وهم الأولياء، وسأورد بعضاً من نماذج الكرامات التي حفظتها لنا المتون الوسيطة لاحقاً.

وساد الاعتقاد في المغرب الأوسط أن الأولياء يجوزون مكانة مقدسة فلا يجوز سبهم أو الطعن فيهم بل يجب التقرب منهم والتماس بركتهم فابن قنفذ(ت810هـ/1407م) قال: «إياك أن تدم من ترى منهم ( يقصد الأولياء) فإن ذلك سبب لحرمانك، واعلم أن سوء الظن أساس الحجاب بين الناس والأولياء، وحسن الظن سلامة الدين وثبوت اليقين<sup>1</sup>»، ولقد حفلت القرون من السابع الهجري إلى العاشر الهجري بالمغرب الأوسط بأخبار كرامات وخوارق هؤلاء الأولياء والمتصوفة، والتي لا يمكن أن نجد لها أي تفسير عقلي منطقي، وشابقتها الكثير من الخرافات.

كما دعا ابن قنفذ(ت810هـ/1407م) الناس إلى تلمس بركات الأولياء وكراماتهم وتحسسها واغتنام دعواتهم والتقرب منهم، وضرورة الاعتقاد فيهم بقوله: « فأولياء الله تعالى الذين إذا رآهم المؤمن عظم ربه وذكر ذنبه، يجب أن تلمس بركاتهم وتغتنم دعواتهم<sup>2</sup>»، وفي هذا الصدد ورد عند ابن الزيات (ت627هـ/1230م)<sup>3</sup> أبيات في الكرامة نصها:

لَا تَسْتَرْبِ فِي كَرَامَاتٍ يُخْصُ بِهَا \*\*\* مَنْ اتَّقَى اللَّهَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ  
ثُمَّ إِنَّ الْكَرَامَاتِ أَنْوَاعٌ إِذَا نَظَرْتَ \*\*\* كَالزَّهْرِ فِي حُسْنِ أَنْفَاسٍ وَأَلْوَانِ  
مَشِيِّ عَلَى الْمَاءِ أَوْ فِي الْجَوِّ قَدْ نُقِلَا \*\*\* وَشَبَّعَ ذِي شَعْبٍ أَوْ رِي ظَمَّانِ  
وَكَمْ أُجِيبَ وَلِيٌّ حِينَ دَعَوْتَهُ \*\*\* وَكَمْ اعْتِيَتْ وَلِيٌّ عِنْدَ إِذْعَانِ  
وَفَهُمُ مَنْ يُجِيبُهُ الْجَمَادُ وَمَنْ \*\*\* يُغَيِّبُ عَنْ دَرْكِ أَسْمَاعٍ وَأَجْفَانِ  
وَمَنْهُمْ مَنْ يَرَى الْمُخْتَارَ مِنْ مَلَكٍ \*\*\* وَمَنْ يُجَالِسُهُمْ فِي حَالِ إِخْوَانِ  
صَفُّوا فَصُفُّوا وَنَالُوا ضَعْفَ سَعِيهِمْ \*\*\* الْمَرْءُ يَكْسِبُ إِحْسَانًا بِإِحْسَانِ  
فِي عَيْشِ أَرْوَاحِهِمْ مَاتَتْ نُفُوسُهُمْ \*\*\* وَقَدْ تَمُوتُ نُفُوسٌ دُونَ أَبْدَانِ

1 - أنس الفقير، ص2؛ عبد العزيز، فيلالي: دراسات، ص 142.

2- أنس الفقير، ص2.

3- ابن الزيات: مصدر سابق، ص76.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

### ج/ تقديس الأولياء<sup>1</sup>:

إن الاعتقاد في بركة الأشخاص مثلته ثنائية الشيخ والمريد، والتي يرجعها بعض الباحثين إلى الاعتقاد في الإنسان وعبادة القديسين، فقد حاول إدموند دوتي إرجاع ظاهرة تقديس الأولياء إلى الأصل المسيحي، ولذا نجد في الفصل الأول من كتابه تحدث عن عبادة القديسين في الدين المسيحي، وظهر تقديس الرجال عند الشيعة، ورأى دوتي أن فكرة تقديس الإنسان قديمة قدم الإنسانية<sup>2</sup>، فقد عرف بربر شمال إفريقيا بتقديس السحرة والكهنة قبل مجيء الإسلام، لتظهر لاحقاً في تقديس مشايخ الطرق الصوفية والزوايا المنحدرين من النسب الشريف، لكن هذا التقديس لم يتوقف على حياة شيوخ الدين والمرابطين، بل حافظ على بقائه واستمراره حتى بعد وفاتهم<sup>3</sup>.

وهذا الأمر يعطينا فكرة حول التقرب للأولياء والصالحين وزيارة قبورهم لنيل البركة، الأمر الذي ساهم في تطبع الاعتقاد في الأولياء والصالح، وأصبح امتيازاً للتوسط بين الإنسان والله، حيث يعتبر المرابط كائن قاهر يستمد قوته من البركة الإلهية، كما أنه هناك من اليهود والمسيحيين ممن اعتنقوا الإسلام وتحولوا إلى مرابطين<sup>4</sup>، ورمزاً للتقديس وتقدم لهم القرابين والهدايا لنيل رضاهم.

تطرق إدموند دوتي في كتابه "ملاحظات حول الإسلام المغاربي": (الأولياء) لظاهرة تقديس الأولياء في المنطقة المغاربية وعرضها متسائلاً، ومفسراً أسباب انتشارها في البيئة المغاربية المسلمة خاصة لدى العامة، وتساءل على البحث عن الوسيط بين الإنسان والله عبر الولاية<sup>5</sup>، فقال: بأن الرسول ﷺ نفسه لم يسلم من هذه العبادة، على الرغم من تحريم الإسلام لها بشكل واضح وصريح<sup>6</sup>، ورصد مظاهر تقديس الأولياء في المنطقة المغاربية، ومنح تفسيرات لتجذر هذه الظاهرة باستحضار فرضيات كولدزهير، وتأصيلها لدى الأمازيغ،

<sup>1</sup> - الأولياء حسب إميل درمنغن في كتابه عبادة الأولياء في الإسلام المغربي نوعان:

- الأولياء الجيدون الذين يشكلون موضوع علم المقدسات.

- الصلحاء الشعبيون ذو الصبغة الفلكلورية. وكلاهما جدير بالدراسة من أجل تحديد فكرة القداسة بمختلف رتبها. Emile, Dermnghan:

.Op.cit.p, p 11

<sup>2</sup> - عبادة الإنسان الأنثروبولتريا Anthropolatrie عبادة الإنسان عند البربر وتبجيلهم لكهنتهم الذين كانوا يبنونهم بالغيب، هي عبادة ذات جذور وثنية.

<sup>3</sup> - إدموند، دوتي: Notessurl'islam، ص18؛ Louis Rinn : Marabouts et Khouans-étude sur L'islam en Algérie, Adolphe jourdan libraire : éditeur, 1884, p20.

<sup>4</sup> - إدموند دوتي: Notessurl'islam، ص11.11. Louis Rinn : op cit,

<sup>5</sup> - Notes surlislam, p2.

<sup>6</sup> - op cit, p3.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

واختلاف أشكال ومظاهرات تقديس الأولياء عبر المناطق، وتتبع الأثر الروحي والسياسي لتواجد الولي في منطقة معينة، وتأثير كل هذا التقديس على بعض الممارسات والطقوس في المغرب الإسلامي خاصة.

أرجع دوتي ظاهرة تقديس الأولياء إلى الإحساس الديني الذي يدفع العامة إلى تصور الله وتخيله كما يحبون<sup>1</sup>، واعتبر تقديس الأولياء ظاهرة تعود بجذورها إلى ما قبل الإسلام في المغرب الوسيط، وما سادته من ممارسات وطقوس ترجع في غالبيتها إلى الفترة السابقة، وهي الذريعة التي تبناها في طرحه حول تفسير أصل بعض الممارسات والطقوس المقدسة في الفترة الإسلامية.

في الأخير أقول بأن إدموند دوتي تبني منهج أنثروبولوجي تأويلي، يعتمد على الوصف الجزئي للظواهر المدروسة، مع البحث عن معنى الطقوس المدروسة، حيث سعى لإصباح المعنى على مختلف الطقوس الملاحظة من أجل جعلها قابلة للفهم، هذا المنهج مكنه من دراسة مظاهر تقديس الأولياء في المنطقة المغاربية، ومنح تفسيرات لتجزئتها، وربط علاقة ظاهرة زيارة الأولياء في المغرب الأوسط بالجذور الوثنية لظاهرة تقديس الأشخاص<sup>2</sup>، وهو ما جعلني أتعامل مع فرضياته وملاحظاته واستنتاجاته بنوع من الحيطة والحذر، إذ وجب علينا الأخذ بالتفسير المنطقية دون غيرها من التفسير التي تحمل في طياتها بعض أغراض الايديولوجية الاستعمارية، وهذا لا ينقص من قيمة إسهاماته في دراسة هكذا مواضيع.

في نفس السياق، نجد الأسئلة التي ينطلق منها الباحث ألفرد بل في بحثه عن مقدسات سكان المغرب في كتابه "الدين الإسلامي في بلاد البربر"<sup>3</sup> والتي كانت محكومة بفرضية أسلمة بلاد الأمازيغ، حيث طرح التساؤلات التالية:

- كيف أصبح إسلام الرسول ﷺ والخلفاء بعد ثلاثة عشر قرنا من التطور؟
  - هل لحقه تحول بهذه البلاد؟
  - ما الذي تبقى حاليا من المعتقدات السحرية والدينية التي كان يمارسها الأمازيغ قبل الإسلام؟
- مضيفا أن الإسلام المغربي المرتكز على الأولياء هو نوع من الربط بين المعتقدات القديمة والمعتقدات الإسلامية، معتبرا أن أولياء المغرب عوضوا البقايا الإلهية القديمة، لأنهم ظلوا مرتبطين بأرضهم وبأهنتهم المحلية أكثر من العقائد الإسلامية في قوله: «الله لم يعد ذلك الإله البعيد المجرد الذي لا يجرو ولا يمكن للإنسان

<sup>1</sup>-Ibid, p1

<sup>2</sup>-Magie et Religion, p597, 605.

<sup>3</sup> - عبارة عن مجموعة من المحاضرات حول الإسلام ألقاها خلال مرحلة الثلاثينات حين كان يشتغل بالتدريس في الجزائر وصدر الكتاب سنة 1938م. عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص38

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

البيسط تصوره، فقد نزل الله وسط خدامه، من خلال ممثليه في الأرض وهم رؤساء الزوايا الصوفية والصلحاء الأموات منهم والأحياء، والذين شملتهم جميعا الرعايا الإلهية<sup>1</sup> .

إن تفسير الفرد بل يصب في نفس منحى إدموند دوتي، فتفسيره لتقديس الأولياء والصلحاء بالمغرب الإسلامي حسبه، يعود إلى مخلفات وثنية لم يتخلص منها المجتمع رغم بعد المدة واختلاف العقيدة والمقدسات

د/ نماذج عن الكرامة:

انطلاقا من رأي الباحث توفيق الفهد في أن كرامات الأولياء متموقعة بين السحر والشعوذة<sup>2</sup>، يمكن القول أن طبيعة الكرامة عند الولي تشابه ووظيفة الساحر، من حيث أن كليهما يهدف لإبراز القوة والتحكم والسيطرة والاستحواذ على العقول، وإذا كانت الكرامة تأخذ من المعجزة صفة الخارق، فالولي بطبعه ينزع إلى سلوك النبي، وكرامته لا تستقر مادتها من المعجزة فحسب، بل تمتد إلى مجال يتسع ليشمل مظاهر أخرى، عرفها الإنسان في تاريخ تعامله مع القدسي مثل السحر والأسطورة.

وعليه يمكن حصر كرامات الأولياء في مواضيع مشابهة لما خصَّ به الله الأنبياء، من ذلك إحياء الموتى وتكليمهم، وانفلاق البحر، وعلمهم بالحوادث قبل وقوعها، وتمكنهم من طي الأرض واختصار المسافات، وكذلك قدرتهم على تفجير العيون المائية في الأراضي القاحلة زمن العطش، وإطلاعهم على الغيب حسب زعمهم، بالإضافة إلى قدرتهم على تكليم الحيوانات والجمادات وإمكانية إبرائهم للعلل وغيرها مما يصعب أن يصدق عقل.

بداية شكل الجسد مادة أولية في كرامة الأولياء، إذ أخضع هذا الجسد للعديد من التحديات الجسمية والنفسية بغية الوصول به إلى مرحلة تجلي الكرامة، ذلك أن الاشتغال على الجسد بتعذيبه وترويضه يفيد في تجذير النفوذ والمكانة الرمزية، بل إن الإمعان في تعذيب الجسد والصبر على التنكيل به، عُدَّ كرامة تحسب للولي وتزيد من حظوته وحضوره في سجل التنافسات الكراموية، ولذلك فابن الزيات (ت 627هـ/1230م) في عمله المناقي لم ينس التطرق إلى أوصاف الأجساد المهترئة<sup>3</sup>.

كما أن أجساد بعض الأولياء ظلت حاملة للكرامة حتى بعد وفاتهم، ففي رواية وردت عند القشيري(ت 465هـ/1074م) في رسالته نقل عن بعضهم فقال: « كنا في مركب فمات رجل عليل كان معنا، فأخذنا في جهازه وأردنا إلقاءه في البحر، فصار البحر جافا ونزلت السفينة، فخرجنا وحفرنا له قبراً ودفناه، فلما

<sup>1</sup> - Alfred, Bel, La religion Musulmane en Berberie, p338 .

<sup>2</sup> - توفيق، فهد: مرجع سابق، ص106.

<sup>3</sup> - ابن الزيات: مصدر سابق، صفحات متعددة.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

فرغنا استوى الماء وارتفع المركب وسرنا<sup>1</sup>»، على الرغم من أن القشيري (ت465هـ/1074م) لم يذكر مكان وزمان الحادثة، إلا أنه يمكن أن نستشف منها رسوخ الاعتقاد في أن كرامة الولي تبقى عالقة بجسده حتى بعد موته، وهو نفس الأمر الذي ورد في التشوف لما حدثوا عن أبو زكريا بجي ابن موسى المليحي الذي أوصى أن يدفن في رباط شاكر فلما مات حملوه على جمل، فلما وصلوا وادي تانسيفت وجدوه كثير الماء من شدة السيول لا يدخله أحد، فانفلق الوادي وجاوزوه ثم عاد كما كان<sup>2</sup>.

كما لم يفث ابن مرزوق (ت 781هـ/1379م) في مناقبه الإشارة إلى كرامات الأولياء بتلمسان دون ذكر نوعها، ففي حديثه عن جده لأمه الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (ت899هـ/1494م)، ذكر بأن له كرامات وبركة خاصة في جناحه الذي غرس أكثره بيده لكنه لم يحددها<sup>3</sup>، وكذلك الأمر مع جده الأقرب أبو عبد الله<sup>4</sup>، وأبو محمد عبد الله<sup>5</sup>، والفقير الصالح الولي أبي زيد عبد الرحمان بن يعقوب بن علي، الذي أشار بأن لديه هو الآخر كرامات<sup>6</sup>، وغيرهم كثيرون وردت كراماتهم وحوارقتهم في مختلف المصنفات الوسيطة خاصة المناقبية منها دون ضبط الكرامة التي اشتبهوا بها.

نفس الملاحظة يمكن تسجيلها في البستان لابن مريم فرغم ذكره أسماء الأولياء ممن اتصفوا بالكرامات، إلا أنه لم يذكر ما هي هذه الكرامات على وجه التحديد، لا يتسع المجال لذكرها جميعا لكن من النماذج التي وردت عنده أذكر:

- «سيدي أحمد بن عيسى الوريدي الزكوطي يعرف بأبركان، صاحب كرامات مجاب الدعوة<sup>7</sup>».
- «سيدي أحمد أبو العباس حفيد سيدي محمد بن مرزوق صاحب كرامات مجاب الدعوة<sup>8</sup>».
- «سيدي أحمد بن منصور صاحب الصلاة الخزرجي التلمساني من أهل الكرامات والأخبار بالغيب<sup>9</sup>».
- «سيدي إبراهيم بن محمد بن علي التازي أبو سالم، صاحب كرامات<sup>1</sup>»

<sup>1</sup> - أحمد فريد الزبيدي: جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال، ط01، بريلي - سيريلنكا: دار الآثار الإسلامية، 2006م، ص123.

<sup>2</sup> - التادلي: مصدر سابق، ص126.

<sup>3</sup> - ابن مرزوق: المناقب، ص151.

<sup>4</sup> - نفسه، ص149.

<sup>5</sup> - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص59.

<sup>6</sup> - ابن مرزوق: المناقب، ص298.

<sup>7</sup> - ابن مريم: مصدر سابق، ص25.

<sup>8</sup> - نفسه، ص27.

<sup>9</sup> - نفسه، ص55.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

- «سيدي أبو عبد الله الشامي أصلاً التلمساني مسكناً وداراً ذو الكرامات الباهرة والأحوال المرضية<sup>2</sup>». وتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض الأولياء ممن حازوا كرامات عدة في نفس الوقت والتي وردت في البستان، نجد سيدي أحمد بن الحسن الغماري (ت 874هـ/1468م) والذي رُوِيَ عنه من أصحابه طي الأرض والطيران في الهواء<sup>3</sup>، كما حكى هو عن نفسه: «أقمت أياماً بالمسجد جوعان، فجاءني رجلان وكان اسمهما محمد وأحمد، أخذاني وذهبت معهما فطرنا ساعة وتطوى لنا الأرض ساعة، وإذا جئنا للبحر تطوى لنا طرفاه فنجتازه بقدم واحدة، وقد جزنا على مصر بالليل ونحن في الهواء فقضينا الحج ورجعنا إلى موضعنا من تلمسان<sup>4</sup>».

انفرد بعض الأولياء بتكليم الحيوان وفهم لغاتهم حسب ما حفظته لنا المصادر، فأبو الحسن علي بن إسماعيل ابن محمد بن عبد الله بن حرزهم<sup>5</sup> يحدث الأسد، وكذلك الأمر بالنسبة للحسن بن مخلوف الشهير بأبركان الذي كان يكلم الأسد، وكان له ثعبان كبير يجرس بستانه، وروي عنه كذلك قدرته على رؤية الشيطان<sup>6</sup>، وكذلك الأمر بالنسبة لسيدي حمزة بن أحمد المغراوي الذي كان يكلم فرسه وتكلمه<sup>7</sup>.

ومن بين الكرامات كذلك أنهم حدثوا عن أبا زكريا المليحي لما جاء إلى داره ليزوره وكان طرف قوس قزح عند باب داره والطرف الآخر في موضع آخر، فلما خرج أبو عبد الله من داره قال بسم الله الرحمن الرحيم وجعل رجله عليه إلى أن هبط من الطرف الآخر<sup>8</sup>.

ومن القرائن التي حفظتها كتب المناقب في قدرة الأولياء لقضاء حوائج الناس خاصة زمن الأزمات والجوائح تخفيفاً عنهم، أن سكان العباد بواد رهيو استسقو ببركة الشيخ أبي البيان واضح زمن قحط وجفاف، فأصبح من

<sup>1</sup> - ابن مريم: مصدر سابق، ص 58.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 71.

<sup>3</sup> - وعن الطيران في الهواء يقول إلباد مارسي: «طيران الروح، معناه إلغاء العالم المشروط على المستوى الميتافيزيقي، ومنه فالطيران يعبر عن الانقطاع من المستوى الأنطولوجي والمرور من طريقة تكون لأخرى، أو بدقة أكثر المرور من الوجود المشروط لطريقة تكون غير مشروطة أي للحرية الكاملة». إلباد، مارسي: المقدس والمدنس، ص 129-130.

<sup>4</sup> - ابن مريم: مصدر سابق، ص 35.

<sup>5</sup> - التادلي: مصدر سابق، ص 172.

<sup>6</sup> - ابن مريم: مصدر سابق، ص 74-75.

<sup>7</sup> - نفسه، ص 94.

<sup>8</sup> - التادلي: مصدر سابق، ص 86.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

الغد جميع من واليه من الغدران مملوءة بماء السماء، وعرقان للشيخ قصده أهلي المنطقة بالهدايا والتبرك به والتماس الدعاء منه<sup>1</sup>، كما استسقى الناس بأبي زكريا يوهان الصنهاجي من أهل تلمسان<sup>2</sup>.

وكقريئة أخرى أن الناس لما ضاق بهم الحال بسبب القحط طلبوا من أبو زكريا يحيى بن محمد الجراوي الأقرع، وهو أحد صلحاء بلاد تادلة بالمغرب الأوسط، أن يستسقى لهم فقام ورمى بقلنسوته عن رأسه إلى الأرض وقال يا رب أسألك الغيث فما نزل من مكانه حتى مطر الناس<sup>3</sup>، وكذلك تحدثت المناقب في قدرة بعض الأولياء على رفع آفة الجراد بالدعاء، مثل ما حدث مع الشيخ أبو عبد الله محيو الهواري<sup>4</sup>، ذلك أنه في اعتقادهم عندما تلوح الإمارة وتتأكد الغرابة والفاعلية يتكاثر الأتباع والمريدين طلبا للمودة والبركة، كون الولي يستجيب لشروط عصره ويقدم الجواب الكافي على جملة من الاخفاقات والبياضات التي قد يعرفها المجتمع كالمطر/ الجفاف - الأكل/الجوع - العلاج/المرض - العدل/الظلم - الصلاح/ الفساد، فالولي يقدم البديل والمضاد لما تقدمه أو ترعاه السلطة، وبذلك يصير معارضا ومنافسا لمشروعيتها، فكونه يقدم الحلول عن طريق الخوارقي، فإنه يمارس تفوقا ماديا ورمزيا عليها، ما يوجب الرد عليه تهميشا وكبحا وأحيانا قمعا وسجنا<sup>5</sup>.

أما عن كرامات الأولياء في معرفة وقت وفاتهم، وأماكن دفنهم وتكليمهم للموتى، فقد أجلته للفصل القادم في طقوس العبور والوفاة.

1 - المازوني: صلحاء واد الشلف، 192-195.

2 - التادلي: مصدر سابق، ص114.

3 - ابن الزيات: مصدر سابق، ص183؛ المازوني: صلحاء واد الشلف، 293.

4 - ابن الزيات: مصدر سابق، ص180-181.

5 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص62-63.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

المبحث الثالث: الأولياء من النساء:

أولاً: المرأة بين القداسة والدناسة:

يتموقع حضور المرأة في الأستوغرافيا المغربية الوسيطة بين خطابين، أحدهما يعتبرها مصدرا للغواية والشرور ويخصها بدرجة دونية عن الرجل، وهنا يقدم التأريخ للمرأة على هامش المجتمع الذكوري<sup>1</sup>، والآخر يبرز حضورها الفعلي بمختلف مناحي الحياة على الأقل بالنسبة لنساء الحواضر<sup>2</sup>، فعندما يتأسس الاختلاف على اعتبارات الذكورة والأنوثة، وتصير القداسة محتجبة على النساء فقط لأنهن نساء، نجد أن العقل الذكوري الإقصائي في المدونة الوسيطة، تجنب الحديث عن قداسة المرأة وولايتها، وأحالتها على سجل المدنس، وإلا كيف نفسر هذه الولاية المنسية وكل هذا المثغور فيما يتعلق ببركة النساء<sup>3</sup>، إلا ما ورد عرضاً في بعض التنف.

على الرغم من المساواة في الجانب الإيماني بين الرجل والمرأة<sup>4</sup>، إلا أننا نستطيع تأكيد أن إبعاد المرأة من المقدس ووسم تدينها بالضعف، مؤشرات عميقة على إقصائها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني، فلئن كان الدين الإسلامي المعياري يعتبر النساء والرجال متساويين أو شقائق في الأحكام، فقد تم تغييبهن في التاريخ الواقعي للإسلام من مواقع السلطة الدينية<sup>5</sup>، ورغم هذا فقد تمكنت المرأة في المغرب الأوسط من تجاوز الصورة السلبية التي علق بها في الأدبيات الفقهية والأخلاقية، وحازت على مكانة مرموقة خلدت من خلالها صورتها، بدليل الأضرحة التي شيّدت لتخليد ذكراها المقدسة، كضريح لالة سيّتي التي دفنت على الهضبة الصخرية التي تشرف في جنوبها الغربي على مدينة تلمسان<sup>6</sup> عاصمة المغرب الأوسط، ولالة روبا ولالة تركية ولالة مغنية فيما بعد، ومنه استطاعت المرأة بممارساتها الدينية والصوفية من أخذ مكانتها في نسق الولاية والصلاح الصوفي رغم المعارضة الذكورية.

1 - نشاط مصطفى: مرجع سابق، ص30؛ يرجع الباحث زازوي موفق هذا الأمر على تصور مفاده أن المرأة كائن دنيوي يجب ألا يكون على صلة متينة بالمقدس على عكس الرجل الذي هو حامل للمقدس. جدلية الذكورة، ص 105. من المصادر التي تطرقت للمرأة كرمز للغواية والشرور نجد أبو مدين في أنس الوحيد ونزهة المريد.

2 - نشاط مصطفى: المرجع السابق، ص30 من المصادر التي تحدثت عن وصول النساء إلى درجة الولاية الصوفية نجد ابن مرزوق في مناقبه.

3- عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص101؛ رحال بويريك: مرجع سابق، ص80.

4 - قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِلِينَ وَالْقَائِلَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ سورة الأحزاب: الآية 35.

5 - عبد الهادي أعراب: مرجع سابق، ص117.

6 - جورج، مارسى: المعالم الأثرية، ص465؛ Barges: Telemcen ancienne capital du Royaume de ce nom, Paris, 1859, p 131-132-309.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

حين تصل المرأة إلى مرتبة الولاية وتنافس الرجل في الورع والصلاح، وجب عليها أن تجاهد نفسها بالرياضات والعبادات فالرياضة تصفية القلب من الرذائل والخبائث المذمومة وتزكيتها بالفضائل المحمودة<sup>1</sup>، وبالاقتراب من صورة هؤلاء النسوة الصالحات، سنجدهن يقمن على إنجاز نوع من الابتعاد عن الحياة المعتادة للنساء، لهذا نسجت حولهن جميعا صورة المرعبات المخيفات، كما ربطن بقدرات خارقة على الاتصال بالعالم اللامرئي، وهو ما أحاطهن بنوع من الغموض والغربة بالوجود بين المقدس والمدنس أو بين الديني والدنيوي<sup>2</sup>، لكن في المقابل تمتعت النساء بالبركة فكان يحملن لقب لالة مثل لالة سيدي بنت الولي عبد القادر الجيلاني بتلمسان، ومن الأمثلة عن الفضاءات الضرائحية الأثوية أذكر مسجد لالة غربية ومسجد لالة رويا بتلمسان.

لابد من الإشارة إلى انفراد ابن مرزوق (ت781هـ/1379م) كأحد أقطاب الكتابة المناقبية في العصر الوسيط برصد وتسجيل تملك المرأة للبركة والكرامة في مجتمع المغرب الأوسط، متغلبا في ذلك على العقل الذكوري الإقصائي للمرأة الذي ميز الفترة الوسيطة، وأورد في حديثه عن والدته جده لأبيه الأقرب أبو عبد الله قال: « وأمه زينب بنت الشيخ الصالح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلاي... كانت ملازمة للعبادة مع زوجها...مقتصرة عليه من القوت متورعة عن أكل طعام أبيها، مباحة لأهلها<sup>3</sup>»، كما تحدث على أن جده لأمه الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (ت899هـ / 1494م): « قد آوى إليه جماعة من عجز أهل مرسية أسكنهم في دويرة ملاصقة لداره، وكن نساء صالحات، يدخل كل ليلة فيسألن عن حالن وكان يقوم بمثوثتهن، وكان يجالسهن ويتحدث معهن ثم يعود إلى بيته<sup>4</sup>»، يمكن القول أن هناك انفتاح للنساء على مجتمع الذكوري الأوليائي عن طريق تبادل الزيارات واكتساب المعارف، لكن هذا الأمر لم يكن مقبولا دائما فكثيرة هي النوازل التي ورد الإنكار فيها على مجالس النساء في المواعظ والتذكير<sup>5</sup>.

كما أن هناك من الأولياء من سخر نفسه خدمة لأولياء الله من النساء، لكن لم تكن جميع الحلقات النسوية مرحب بها لتخلل بعضها المحضورات الشرعية، ويؤكد لنا هذا الطرح تنديد القاضي أبو الفضل قاسم العقباني

1 - عبد الرحمان، بن خلدون: شفاء السائل: ص80.

2- عبد الهادي، أعراب: مرجع سابق، ص 119.

3- ابن مرزوق: المناقب، ص 149-150.

4- نفسه، ص 156.

5 - البرزلي: مصدر سابق، 428/6.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

(ت854 هـ/1450م)<sup>1</sup>، باجتماع النساء على احتفال أو تزيين، فيحلقن دائرة على رجل غير محرم يغنيهن ويطربهن<sup>2</sup>، وفي تنديده أيضا باجتماعهن للملاهي والرقص<sup>3</sup> وفي منع استعمال البوق والعود<sup>4</sup>، ولهذا كان لا بد للنساء اللواتي تردن الظفر بموقع داخل نسق الولاية والصلاح، عليهن أن تعملن على الظهور بمظهر ذكوري، ذلك ما تبينه تلك الأوصاف الجسدية التي تقدمها تراجم بعض النساء الوليات.

إن الذهنية الثقافية في مجتمع المغرب الأوسط المكونة بالمركزية الذكورية، عملت على إقصاء ذكر النساء ودورهن في الصلاح المجتمعي، وركزت على الذهنية السحرية لدى النساء وارتياجهن للأضرحة المحلية وتقديسها، بناءً على ذهنية خرافية في محاولة للطعن في مدى التزامهن بالشعائر الدينية الشرعية وبمدى تدينهن.

في المقابل فإن الاستثناء الذي صنعه المرأة في المغرب الأوسط والذي جعل جميع المصادر الوسيطة تجمع على قدرتها وقوتها، كان مع سوط النسا والدة يغمراسن بن زيان<sup>5</sup> (633-681هـ/1234-1282م) زعيم دولة بني عبد الواد، ليس لتصونها ولا لولايتها بل لدهائها السياسي وحنكتها الدبلوماسية، فمعظم المصادر الوسيطة لم تغفل عن ذكرها خاصة في المفاوضات والوساطة بين ولدها والسلطان أبي زكريا الحفصي سلطان الدولة الحفصية<sup>6</sup> في تونس، أين أسفر توسطها عن عقد معاهدة بين الطرفين<sup>1</sup>، كما أشارت المصادر إلى أن سوط النسا

<sup>1</sup> - توفي في ذي القعدة سنة 854هـ/ديسمبر 1450م صلي عليه بالجامع الأعظم، ودفن بغريبه بالروضة قرب أبي عبد الله محمد بن مرزوق. الونشريسي: وفيات الونشريسي ضمن ألف سنة من الوفيات، تح: محمد حجي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976م، ص144؛ القلصادي: مصدر سابق، ص107.

<sup>2</sup> - العقباني: مصدر سابق، ص77.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص72.

<sup>4</sup> - نفسه، ص99.

<sup>5</sup> - هو أبو يحيى يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي ولد (653هـ/1206م) وبويع للملك يوم وفاة أخيه أبي عزة زجدان في 24 ذي القعدة سنة 633هـ/1239-1240م وكان معروفا بين قومه بالدهاء السياسي، والشجاعة والحزم وكثير مجالسة للصلحاء توفي برهيو من واد شلف منسلخ ذي القعدة سنة 681هـ وكان سنه 76 سنة ومدة خلافته 44 سنة و5 أشهر و12 يوم، وتعب والدته سوط النسا من أشهر نساء الدولة الزيانية لما تمتعت به من حنكة سياسية ورجاحة عقل. وابن الخطيب: الإحاطة، 563/1 و97/2؛ يحيى، ابن خلدون: مصدر سابق، 204/1 و207؛ عبد الرحمان، ابن خلدون: العبر، 105/7 إلى 108؛ التنسي: مصدر سابق، ص111-125-126-128؛ ابن الأحمر: مصدر سابق، ينفرد بذكر تاريخ 21 ذي القعدة سنة 631هـ كتاريخ لبيعة يغمراسن بن زيان وذكر أن مدة حكمه 50 سنة وليست 44 سنة ص13، وعبد الرحمن بن محمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ط4، بيروت: دار الثقافة، 1980م، 132/2؛ والمعسكري أبي راس الناصر (ت1238هـ): لقطه العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان، دراسة وتح: حمدادو بن عمر، ط2، الجزائر: منشورات دار قرطبة، 2012م، ص145؛ ويحيى بوعزيز: تلمسان، ص52.

<sup>6</sup> - الدولة الحفصية نسبة إلى بنو حفص الذين ينتسبون إلى الشيخ أبي حفص عمر من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة، وهم المسمون بالجماعة إلا أن اسم أبي حفص عمر كان قد سماه به المهدي بن تومرت، واسمه الأصلي هو فاصكة، وينتمي أبو حفص هذا إلى قبيلة هنتانة المصمودية، وبعد وفاته في 1 محرم 618 هـ / 1221م، خلفه ابنه أبا زيد الذي لم تدم ولايته سوى ثلاثة أشهر، ليخلفه بعد ذلك أبا محمد عبد الله الحفصي في 17 ذو

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

لقب وصفة تدل على سطوتها وهيبتها ونفاذ أمرها، وهو ما يؤكد أن المرأة حظيت بمكانة مهمة في مجتمع المغرب الأوسط سواء كانت متصوفة أو في سدة الحكم، وما أُلصق بالمرأة من صفات تعلقها بالسحر وملازمته لها عار من الصحة، إذ سجلت النصوص لجوء الكثير من الرجال للسحرة والمشعوذين من أجل قضاء حوائجهم، وهو دليل على أنها لم تكن حكرًا على النساء وهو ما ستكشفه الصفحات القادمة.

وأوردت الباحثة سوزي أنديزان أنه لاشك في أن الإسلام المرابوتي ( المرابطي) أدمج النساء الأميات الجاهلات في منظومة دينية، ومتعهن بقدر من القداسة والبركة، ففي الأضرحة وقبور الأولياء وُجدن، ويضطلعن بأعمال أساسية ومنهن مقدمات يختارهن شيخ الطريقة لينقلن البركة للراغبات في تحصيلها لقاء هدايا وأعطيات، ثم لينصتن للزائرات ويساعدنهن على تجاوز مشكلاتهن، ونقل طلباتهن إلى الله عبر سلسلة وساطة الولي والصلحاء والرسول ﷺ<sup>2</sup>، أرى أن محاولة تفسير بركة النساء المسلمات وتشبيه دورهن بدور الراهبات في الكنيسة المسيحية، فيه الكثير من اللغظ وتشويه الحقيقة التاريخية، وهذا ناتج عن تبني المستشرقين مشروع تاريخي يقوم على تشويه التاريخ المحلي وتحريفه، في ظل غياب شبه كلي للدراسات المحلية المتخصصة في مثل هذه المواضيع.

إن نظر مجتمع المغرب الوسط في العصر الوسيط للمرأة على أنها بعيدة عن القداسة، وبالتالي بعيدة عن الولاية الصوفية<sup>3</sup>، أوجب التعرف على المتغيرات التي صنعت وشكلت وصقلت ذهنية هذا المجتمع في تعامله معها، وكيف انعكست هذه النظرة على تقديس أو تدنيس المرأة ككيان اجتماعي داخل الأسرة وداخل المجتمع، بداية من مكانتها في التراتبية الوجودية والأخلاقية<sup>4</sup>.

---

القعدة 623 هـ / 1225 م، لتعود السلطة إلى بني حفص من جديد على إفريقية، فولى أبا زكريا يحيى فاس الذي أعلن عدم ولائه للموحدين، ومن هنا بدأت فكرة الانفصال سنة (626هـ/ 1228 م) الوزان : المصدر السابق، 38/1؛ أبو العباس أحمد القسنطيني ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتتح: محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي، تونس: الشركة التونسية للفنون، 1968م، ص106-109؛ خالد، بلعري، الدولة الزيانية، ص84.

<sup>1</sup> - عبد الرحمان، بشير: "المرأة المغربية في نوازل أبي القاسم البرزلي"، عصور الجديدة، ع11-12، 2013-2014م، جامعة وهران - الجزائر ص.ص 124-138

<sup>2</sup> - Sossie Andzian: Femmes et religion en islam un couple mauait clio femmes, Genre Histoire, N2, 1995, accessd on 12-09 2018 p

<sup>3</sup> - مؤسسة الولاية الصوفية هي المؤسسة التي تجسد داخل المجتمع استراتيجية الإظهار والمسرحة الطقوسيتين والصلاحيتين مثلما تجعل من الولاية والصلاح قمة التراتب ومرجعية الشرعية الدينية. نور الدين، الزاهي: المقدس والمجتمع، ص18.

<sup>4</sup> - الجليلي، المستاري: " الجسد والمقدس - قراءة في الخطاب الفقهي لابن قيم الجوزية" مجلة إنسانيات، ع31، جانفي مارس 2006م، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية - وهران، ص.ص 45-65.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

نجد أن الجسد النسوي كان تحت مظلة الحجب بحجة دناسته<sup>1</sup>، لكن هناك مواقع حصل فيها هذا الجسد على أعلى درجات القداسة خاصة في دور الأم، واعتبرت المرأة متضامنة صوفيا مع الأرض، وارتبطت قداسة المرأة بقداسة الأرض وللخصب النسوي نموذج كوني هو نموذج الأرض الأم المولدة الشاملة<sup>2</sup>، لأن الوظيفة المقدسة لجسد المرأة هي أن تكون أما، إذ صورت المدونة الوسيطة ذهنية المجتمع في المغرب الأوسط في حكمه المسبق والمطلق حول أن هدف المرأة الأول في حياتها والذي تسعى إليه هو أن تكون أما وتعد المرأة التي تنجب جديرة بالحياة والرفعة<sup>3</sup>

لم تحفظ لنا المصادر المتعلقة بفترة البحث نماذج من النصوص التي يمكن أن نستدل بها حول نظرة مجتمع المغرب الأوسط لمكانة المرأة وكيف تعامل معها تقديسا أو تدينسا، وهو ما فتح المجال أمام عدة تأويلات قد تجانب الحقيقة، خاصة وأن المستشرقين الذين اهتموا بهذا الجانب جل كتاباتهم كانت تصب حول حقيقة أن مجمع المغرب الإسلامي ككل تعامل مع النساء ككائن مدنس بعيد عن القداسة، في ظل غياب دراسات تاريخية جادة تفند هذا الطرح.

### ثانيا: اسم النساء والستر<sup>4</sup>:

أثناء بحثي وجدت تغييرا لذكر أسماء النساء ودورهن في الحياة الاجتماعية بالمغرب الأوسط داخل المدونة الوسيطة، إلا بعض النتف التي لا تلي الحاجة ولا تساعد في بناء المعرفة التاريخية، وهو ما دعاني لطرح العديد من التساؤلات عن السبب وراء هذا الحجب، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان أن من ترك عدة مؤلفات من المؤرخين لم يذكروا أسماء النساء من المحيطات بمن ولا من أهلن، فابن خلدون مثلا ورغم ما تركه من تأليف إلا أنه لم يورد ذكر اسم أي امرأة من أهله باستثناء أنه أخبر عن هلاك والدته في الطاعون، كل هذا الحجب عكسته المصنفات الوسيطة التي ذكرت بعض النساء في متونها على الرغم من أن ذكر أغلب النساء الصالحات وردن بذكر كنيتهن أو بإضافة اسم الأب مثل: أم محمد / أم الخير / أم عصفور تبعزات بنت حسين الهنتيفي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عبد القادر، محمدي: أنثروبولوجيا الجسد الأسطوري بحث في الهوية والامتداد، المغرب: مطبعة فاس بريس، 2013م، ص 19؛ فريد، الزاهي: الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، الدار البيضاء- المغرب: دار إفريقيا الشرق، 1999م، ص 30.

<sup>2</sup> - الياد، مارسي: المقدس والمدنس، ص 107.

<sup>3</sup> - نوار عبيدي وخميسي فوزية: مرجع سابق، ص ص 135 - 141،

<sup>4</sup> - لم يكن اسم النساء وحده موضع الستر في مجتمع محافظ كمجتمع المغرب الأوسط، فمنذ الصغر تبنت الأسر تربية بناتهن على الحياء وعدم الظهور أمام الرجال، حتى وإن كن في سن صغيرة إذ روي أن أبو العباس القطان لما زار أبو إسحاق التنسي في مرضه نظر لابنته وهي صغيرة في الثالثة أو الرابعة فنادها والدها يا خديجة فهربت وغطت وجهها فقال له: استحييت منك يا بني. ابن مريم: مصدر سابق، ص 29.

<sup>5</sup> - ابن الزيات: مصدر سابق، ص-162-387-388.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

ورأى الباحث رجال بوبريك أن الحضور النسوي في المدونة الوسيط نادر جدا فقال: « نبحث عن أثر النساء في كتب تراجم الأولياء الشهيرة في المغرب مثلا، لا نكاد نعثر إلا على عدد قليل منهن<sup>1</sup>»، تتبعت نظريته واخترت كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات (ت 627هـ/1230م) فاتضح معي ما يلي:

النساء الصالحات عددهن قليل مقارنة مع الرجال الصالحاء، فقد ورد فيه ذكر ثمانية نساء فقط، ولم يترجم إلا الخمسة منهن، وهذه الترجمات قصيرة وردت عرضا في الحديث عن الصالحاء من الرجال<sup>2</sup>، وقد ذكر أربعة منهن بالاسم إذ قال: «حدثني أختي ملوكة وكانت من الصالحات<sup>3</sup>» وفي موضع آخر قال: «حدثني مريم بنت يوسف بن عبد الله<sup>4</sup>، أما في ذكره للمجهولات منهن قال: «ومنهم امرأة مجهولة: رأيت قبلي مدينة أغمات وريكة على قرب من قبر عبد العزيز التونسي، قبرا يتبرك الناس به ويدعون عنده، ويذكر أنه قبر أخت عبد العزيز التونسي، وأنها انقطعت إلى عبادة الله تعالى إلى أن ماتت وهي بكر<sup>5</sup>».

وذكر في موضع آخر أنه حضر في رباط شاكرا في أحد المرات ألف من الأولياء، كانت بينهن أربعة عشر امرأة من أصل سبعة وعشرون وليا من المصامدة يخرقون الهواء: «في المصامدة سبعة وعشرون وليا يخرقون الهواء وفيهم أربعة عشر امرأة منهن عجوز<sup>6</sup>»، وكانت معظم النساء الوليات عجائز ففي بعض مناطق المغرب الأوسط كانت عجوز تختبر المرشحين للقضاء<sup>7</sup>.

لم تحفظ لنا المتون النصية لمؤرخي العصر الوسيط أسماء النساء الصالحات، إذ ندر الحديث عن أسمائهن وهو ما يعطي صورة عن قداسة وحرمة اسم النساء وعدم تداوله بين العامة، لكن شواهد القبور المحفوظة في متحف تلمسان حفظت لنا أسماء عدد كبير منهن، وهذا دليل على كتابة أسمائهن على هذه الشواهد، كأنما بعد موت المرأة تزال القداسة عن اسمها، ويمكن بالتالي الكشف عنه وكتابه على شاهد القبر.

لكن يبقى الإشكال مطروحا فالأسماء وحدها لا يمكن أن تكشف مدى صلاح المرأة وولايتها، إلا إذا اعتمدنا على أن والدها أو زوجها كان من الأولياء، ما يترتب عليه صلاحها بسبب نشأتها في هذه البيئة، وإن

1 - رجال، بوبريك: مرجع سابق، ص 27.

2- نشاط مصطفى: مرجع سابق، ص 30؛ علي، محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع، عين الشق- الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب، ص،

210-209

3- ابن الزيات: مصدر سابق، ص 134.

4 - نفسه، ص 136-137.

5- نفسه، ص 94

6 - نفسه، ص 387.

7- الوسياني: سير الوسياني در وتح: عمر بن لقمان، مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2009م، ص 278

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

أثبتنا صلاحها فمن غير الممكن إثبات كراماتها دون نص صريح، وبعد بحث وتمحيص عثرت على نص لابن مريم ذكر فيه عبارة: «زوجته من أكابر الأولياء» في حديثه عن سيدي حمزة بن أحمد المغراوي دون ذكر هل كانت لها كرامات وما هي إن وجدت؟ أما الأمثلة التي ذكرها وليام مارسى في كتابه أذكر بعضهن على سبيل المثال لا الحصر<sup>1</sup>:

القطعة الأثرية	الاسم	تاريخ الوفاة	المصدر والصفحة
شاهد قبر مصنوع من الرخام المشوي	تاحضريت بنت عمر بن يعقوب بن أبي حمو موسى بن طلحة بن غمرسان	(ت815هـ/م1412م)	وليام، مارسى: مقتنيات، ص21.
شاهد قبر مصنوع من الرخام المشوي	رقية بنت امة الحق بنت مولاي عبد الواحد بن مولاي أبي حمو	(ت823هـ/م1420م)	وليام، مارسى: المرجع السابق، ص22.
شاهد قبر مصنوع من الرخام المشوي	ملوكة بنت الشيخ عثمان بن مشعل زوجة السلطان أبي عبد الله محمد	(ت867هـ/م1462م)	نفسه، ص22.
شاهد قبر مصنوع من الرخام المشوي	الزهرة بنت السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الثابتي	(ت926هـ/م1520م)	نفسه، ص24.
شاهد قبر مصنوع من الرخام المشوي	رحمونة بنت أبي عبد الله محمد بن القاضي أبي يحيى العقباني	(ت973هـ/م1565م)	نفسه، ص27.

### ثالثا: المرأة ذلك الخطر المحدق:

لم يقتصر حضور النساء في المغرب الأوسط على دور الولاية، بل شكلت المرأة خطرا يجب تجنبه حسب السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1388م) ويتضح ذلك جليا في وصيته لابنه وولي عرشه في كتاب واسطة السلوك قال: «يا بني لا تكثر مجالسة النساء لئلا يفسرن عقلك بعقولهن، ويسترق طبعك من طباعهن، فإنهن ناقصات عقل ودين، وإن أشرن عليك بأمر فخالفن فيه، لأن عقول النساء غير موافقة لعقول الرجال، فإنك إن أحسنت إليهن قابلن الإحسان بالإساءة، ومن ضعف عقولهن أن لا يفرقن بين المحسن والمسيء فاحذر مطاوعتهن<sup>2</sup>» وأضاف في موضع آخر «يا بني إياك والميل للنساء بالكلية، فإن ذلك عين

<sup>1</sup> - لمعرفة بقية الأسماء الواردة في مؤلفه ينظر الملحق رقم: 03.

<sup>2</sup> - موسى، أبو حمو بن زيان العبد الوادي (ت792هـ/1389م): كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق: محمد بوترة، ط01، الجزائر: دار الشيماء- دار النعمان، 2012م، ص55-65.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

الأذية وسبب البلية، فإنك إن ملت إليهن بكليتك كن سبب أذيتك<sup>1</sup>»، يمكنني القول أن هذا النص فيه نوع من التحامل ومجانب للحقيقة، فعلى الرغم من ندرة المتون النصية الوسيطة التي تحدثت عن الصلاح النسوي في المغرب الأوسط، إلا أن الحقيقة التاريخية تقرر بدورهن في نسق الولاية والصلاح الصوفي والمجتمعي، وعلى سداد رأيهن بدليل دور سوط النساء وحنكتهن السياسية، فالنساء لم يكن بلية وشرا يجب اجتنابه.

### المبحث الرابع: نشأة الأضرحة وأنواعها.

إن حاجة الإنسان للتواصل مع الماضي ورفضه فكرة الانفصال والفناء، كرسست لديه فكرة عبادة الأسلاف والأجداد، فأنشأ لهم بنايات وأضرحة تخليدا لهم، كما راقص الجسد بقريهم لاسترضائهم، فكانت هذه الطقوس في لحظتها الأولى الطفرة التي تمكن خلالها الإنسان من التناسق مع روح مقدسة<sup>2</sup>، فكانت هذه الروح المقدسة هي (روح الولي)، وبدأت ظاهرة تقديس الأولياء منذ مرحلة متقدمة من انتشار الإسلام ببلاد المغرب، وقد جعلت لهم شعوب المغرب الإسلامي بشكل خاص مكانة هامة في الحياة الدينية<sup>3</sup>، وبسبب ذلك اجتمع الرقص والتعبد وغدا مظهرا واحدا ولغة واحدة، تتحاكى فيها الروح مع الجسد<sup>4</sup>، وكى يشبع الإنسان حاجته الروحية للتقرب من الأولياء قام بتقديس الأضرحة وزيارتها.

### أولا: نشأة الأضرحة.

بداية أطلق على المكان الذي يوارى به جسد الإنسان بعد موته تسميات كثيرة منها: المدفن، القبر، الجذث، الجثن، الرمس<sup>5</sup>، الرجم<sup>6</sup>، الريم، البيث، البلد، الجؤل، والجأل<sup>7</sup>، الكدبة<sup>8</sup>، اللحد<sup>1</sup>، والضريح<sup>2</sup>، ويتمحور الضريح

1 - نفسه، ص57.

2- الصديق، ثياقة: مرجع سابق، ص3.

3- جورج، مارسى: المعالم الأثرية، ص200 أطروحة جولد زهر باللغة الألمانية حول المصدر الرئيسي لتقديس الأولياء في الإسلام. Die

Heiligenverhrung in islam ap mhoha studien IIP275-378.

4- الصديق، ثياقة: المرجع السابق، ص3.

5- الرمس: هو الصوت الخفي، ورمس الشيء يرمسه رمسا، طمس أثره، ورميس دفنه وسوى عليه الأرض، ويقال لما يخفى من التراب على القبر رمس، والقبر نفسه رمس. ابن منظور: مصدر سابق، 144/16-245.

6- الرجم الحجارة التي تنصب على القبر، والرجمه هي القبر، قال عبد الله المزني: «لا ترجموا قبري» أي لا تجعلوا عليه الرجم، وأراد بذلك تسوية القبر بالأرض وأن لا يكون مسنما مرتفعا. أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ابن سيده المرسي ( 458هـ / 1065م): المخصص، ط1، بولاق، 1900م، 6/ 132

7- كلها نفس معنى القبر وقيل وسطه أو ناحيته. ابن سيده: 15/118-119.

8- ومنه أن فاطمة بنت النبي ﷺ، خرجت لعزاء بعض جيرانها، فلما انصرفت قال لها رسول الله ﷺ: لعلك بلغت معهم الكدى. أراد المقابر وذلك لأن مقابرهم كانت في مواضع صلبة. ابن منظور: مصدر سابق، 80/2-81.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

كمؤسسة حول قبر الولي الدفين، إذ تعتبر الأضرحة في الغالب بمعنى واحد، هم قبور لشخص من البشر وأحيانا من الجن<sup>3</sup>.

والضريح معلم توفرت فيه سمات العظمة والهيبية وبقيت تتقاذفه موجات القبول والرفض، وذلك راجع للنزاعات والاتجاهات المذهبية، ولا يكاد يخلو بناء أي ضريح من القبة، وهي الشكل الهندسي الأكثر شيوعا في بناء هذه المزارات<sup>4</sup>، واختلفت حولها الآراء، فمنهم من قال إنها ترمز إلى صورة متطورة للخيمة التي استخدمها البدو العرب<sup>5</sup>، فالقبة عندهم قاعة مكعبة الشكل منتفخة الأسقف، وهي ترمز بشكلها إلى الحياة الدنيا، أما السقف فيرمز إلى السماء<sup>6</sup>.

فيما يرجع آخرون وجودها لأنها ترمز للسماء، أو بالأحرى هي بمثابة الفتحة التي يمكن المرور بواسطتها من منطقة كونية إلى أخرى، من الأرض إلى السماء<sup>7</sup>، وقد أصبحت أضرحة الورعين والمتعبدين معابد خاصة، يقصدها الأوفياء والنساء بشكل خاص، واللواتي لم تكن لهن عقيدة سوى إجلال هؤلاء الصالحين، بانجاز طقوس وتضحيات وتقديم قربانين، كإشعال الشموع والنضح بماء الورد، والجاوي كل هذه المظاهر تكون ما يسمى بالزيارة<sup>8</sup>.

الضريح كبناء محتضن ومؤسس لبركة الولي الصالح، يعد الشاهد المعماري على امتدادات المقدس في الأرض، كما أنه الدعامة الوسيطة بين الأرض والسماء، فالقبة المتجهة إلى الأعلى تبرر هذه العلاقة الوسيطة وتدعمها معماريا، إن الأمر يتعلق بخزانات أرضية للقداسة السماوية كما ذهب إلى ذلك إميل درمنغن<sup>9</sup>، فالأضرحة وقبور

<sup>1</sup> - اللحد شق يعمل في جانب القبر فيميل عن وسط القبر إلى جانبه بحيث يسع الميت. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ( 125هـ/869م) صحيح البخاري، مج1-ج2/115

<sup>2</sup> - الضريح هو شق في وسط القبر، وقيل القبر كله، وقيل هو قبر بلا لحد، وسمي ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا، أو لأنه انضرح عن جانبي القبر فصار في وسطه. صحيح البخاري، مج1/ج2/115.

<sup>3</sup> - fenneke reysso Des Moussems du Marco une approche anthropologique des fetes patronales enshede sneldruk 1988 p51..150. نقلا عن عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص

<sup>4</sup> - عبد الغني، منديب: المرجع السابق، ص156.

<sup>5</sup> - محمد، السعيد: ظاهرة زيارة الأولياء والأضرحة في منطقة تلمسان وأبعادها الاجتماعية والنفسية، وهران- الجزائر: مطبوعات الكراسك، 1995، ص40.

<sup>6</sup> - dermenghem: le culte des saints, P 119.

<sup>7</sup> - عبد الغني، منديب: المرجع السابق، ص156.

<sup>8</sup> - جورج، مارسني: المعالم الأثرية، ص 461.

<sup>9</sup> -Dermenghem: Op.cit.p, p34.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

الأولياء أماكن حج يحرم فيها القتال<sup>1</sup> لقداستها، وسواء كان الضريح محليا أو مشهورا فهما مستويان في سائر بلاد المغرب في درجة القداسة<sup>2</sup>.

فالأضرحة كما سبق الذكر هي خزانات للقداسة السماوية حسب درمنغن الذي يرى بأن الإسلام عقلن المقدس، وأعطاه الله كمصدر وحيد فأصبحت القداسة بذلك من نصيب السماء، أما العالم الأرضي الدنيوي فقد رفعت عنه القداسة وألحق به الدنس، وبالتالي فإن الأماكن والأشياء الأرضية لا تستمد قداستها إلا من كونها ذات علاقة معينة مع السماء، ومن هنا نفس وجود بعض الأماكن التي تحمل نفحات قدسية كالأضرحة وبعض الأحجار والأشجار<sup>3</sup>.

### ثانيا: العتبة:

لا يخلو أي بناء من العتبة فلا بد من تجاوزها لدخول أي بناء، لكن ليست جميعها تتشابه أو بالأحرى ليست لجميعها نفس القدسية ونفس الوظيفة خاصة عتبة الضريح، فالعتبة تحدث الانقطاع وتحقق اللاتجانس، وتجاوز العتبة يدخلنا في عالم آخر مقدس يختلف على طول الخط عن المكان الآخر الدنيوي، ويعتبر تجاوز العتبة من بين الطقوس الخاصة للعبور إلى الأماكن المقدسة، إذ يرافق تجاوزها كثير من الطقوس كأن تبذل لها مظاهر الاحترام أو تلمس باليد قبل الدخول<sup>4</sup>، وهناك من ينحني في وضعية السجود لذا وجدت العديد من عتبات الأضرحة والزوايا قصيرة الطول، وذكر ابن مرزوق (781هـ/1379م) أن والده أوصاه قائلاً: «يا بني إذ أحدثت حادثاً في هذا الدار وبنيت فيها أشياء فلا تغير عتبة هذا البيت، فإن كثيراً من أفراد الأولياء وضع رأسه في هذه العتبة، وكم من ولي ممن لا يعرفه إلا صاحب هذه الدار، قد دخل هذا البيت فلا تغيره نفع الله بهم أجمعين<sup>5</sup>»، وعليه تعد العتبة أهم جزء في البناء فحتى القرابين كانت تذبح على أبواب العتبات.

بالعودة للحديث عن الضريح كرمز قدسي، فإنه يأخذ أهميته من خلال أهمية شخصية الإنسان المدفون فيه، والتي تكون في الغالب شخصية دينية هامة، كشيخ طريقة صوفية أو صاحب كرامات، أو زاهد أو مؤسس زاوية<sup>6</sup>، وهو ما يفرض طقوس معينة عند تجاوز العتبة، ورد أن السلطان الكامل محمد بن العادل الأيوبي (576-

1 - عبد الله، الحمودي: مرجع سابق، ص73.

2 - جورج، مارسى: المعالم الأثرية، ص462؛ 8 et 7 p: les marabouts, doutté:

3 - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص45-46؛

4 - اليا، مارسى: المقدس الدنيوي، ص27.

5 - المناقب، ص188.

6 - جيلالي، سراج: "زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية ضريح سيدي يوسف الشريف نموذجاً"، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا الثقافية

والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان- الجزائر)، 2015م، ص1؛ جورج، مارسى: المعالم الأثرية، ص462

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

635هـ/1218-1238م) قام ببناء أول قبة أو ضريح سنة 608هـ/1211م، إكراما لرجل تقي وعلم من أعلام الإسلام، ألا وهو الإمام الشافعي (ت204هـ/820م)، كما شيد السلاجقة بعدهم ضريحا مستقلا بذاته للإمام أبي حامد الغزالي (ت505هـ/1111م)، وكانوا يولون عنايتهم وتقديسهم لهذه الأضرحة بداية من العتبة، وسار على منوالهم سلاطين المغرب إذ أنهم بنو أضرحة مستقلة أو مندمجة للعلماء والأولياء والسلاطين، على أن هذا النوع الأخير قليل بالمغرب الأوسط عدا روضة<sup>1</sup> بني زيان بتلمسان، وضريح يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1234-1282م) المندمج ضمن الجامع الأعظم إلى جانب ضريح الإمام ابن مرزوق (ت781هـ/1379م).

وحفظت لنا المصادر الوسيطة أن السلطان يغمراسن(633-681هـ/1234-1282م) أمر بدفن الولي محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق (629هـ-681م) -وهو الجد الخامس لأبي عبد الله أحمد بن مرزوق (ت681هـ/1277م)<sup>2</sup>، -بقصره، وأوصى بدفنه إلى جواره حينما يتوفى<sup>3</sup>، كما ظل يغمراسن بن زيان(633-681هـ/1234-1282م) يلح على أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي(ت899هـ/1494م)<sup>4</sup>، الإقامة في تلمسان حتى تم له ذلك، وكان من العلماء الصالحين الأولياء كبير القدر حيا وميتا، زاهدا ورعا ذو كرامات شهيرة ومكانة عند الملوك عظيمة<sup>5</sup>، وهو الأمر الذي جعل السلطان يغمراسن بقربه ويتقرب منه ليناله حظ من البركة بقربه حيا وميتا، وتعد هذه الأضرحة أهم الأضرحة التي قدست عتباتها بتقدیس الضريح كلية، وكان لابد من الإنحاء قبل تجاوزها والدخول بالرجل اليمنى، كما كان متعارف منع النوم على العتبة حتى ولو لم تكن عتبة ضريح لأنها مكان يسكنه الجن وتفصل بين عالمين، وهو الأمر الذي مازال إلى يومنا.

### ثالثا: مقدم الضريح:

<sup>1</sup> - الروضة: الروضة لغة هي الأرض المخضرة لانتشار الماء فيها ولوجود شتى النباتات، وهي في الاستعمال الديني الحديقة أو الجنة، كما أن الروضة هي الطيب بقعة فيها أو هي البقعة الشريفة من الجنة. أنظر الرمخشري: تفسير الكشاف، تح: محمد مرسي عامر، ط2، القاهرة: دار المصحف، 1977م، 6 أجزاء، 5/5

<sup>2</sup> توفي بتلمسان وقبره بالمقبرة المعروفة بمسند صالح تحت الباب المعروف بباب زيري، حيث قبر أبيه وجده ابن مرزوق: المناقب، ص158؛ القلصادي: مصدر سابق، ص96؛ ابن الأحرر: مصدر سابق، ص60؛ الرصاع: مصدر سابق، ص154.

<sup>3</sup> عبد الرحمان، بن خلدون: العبر، 85/7؛ مفتاح، خلفات: مرجع سابق، ص302؛ جورج، مارسى: المعالم الأثرية، ص466.

<sup>4</sup> - عمرو، الطمار: مرجع سابق، ص94-95.

<sup>5</sup> - مفتاح، خلفات: مرجع سابق، ص302.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

كانت الأضرحة بالمغرب الأوسط تقوم على نظام خاص بها سمح لمقدم الضريح بأن تكون له مكانة هامة في المجتمع، فهو من يسهر على المحافظة على الضريح وصيانته واستقبال زواره، ويكون المقدم في الغالب من أفراد أو من ذرية صاحب الضريح، والذين تتوفر لهم ظواهر التوقير والاحترام<sup>1</sup>، ويحرص مسيرو الأضرحة أحفاد الولي الذين يعيشون في رأسماله الرمزي في هذا الباب على إشاعة قدرات جدهم في إنجاز المعجزات، وينسبون إليه كل المعجزات التي تسائر متطلبات العصر وتستجيب لرغبات الزوار<sup>2</sup>، ويساهم الخدام والمريدون هم أيضا في تدعيم الرأسمال الرمزي للولي صاحب الضريح، برواياتهم المتجددة حول حاجاتهم التي قضيت، ورغباتهم التي حققت بفضل مزايا وبركات الولي<sup>3</sup>.

### رابعاً: الضريح وعلاقته بالمجال السوسولوجي في المغرب الأوسط.

ذكر الباحث معروف الحاج في مقارنة بين مجتمع المشرق ومجتمع المغرب، فقال بأن النواة الأولى للمجتمع في أغلب الأحيان تكون هي المدرسة في المشرق، بينما في المغرب فهي الضريح<sup>4</sup>، ويتميز الضريح بخصوصية معمارية لا تتوفر في باقي المباني وهي ما جعلت منه مكان يشع بالقداسة حسب معتقدات بعض فئات المجتمع، ولا بأس من الإشارة إلى المعمار الضرائحي.

### 1/ المعمار الضرائحي:

العمارة الضرائحية ليست مجرد أبنية خالية من السلطة، إنها سياج احتوائي يتضمن رسائل ورموزاً، إنها تنطق بمكنون سلطاتها الرمزية وتعبّر عن انتماءاتها الأنطولوجية، فقباب الأضرحة المتجهة إلى السماء تعبّر عن دلالة التوسط بين الدنيوي والقدسي، كما ترمز إلى الرفعة والتسامي، إنها تترجم المقدس معمارياً وتعيد صياغته من داخل الدنيوي، كما تتم استعادة أشكال المقدس الديني المركزية ( الكعبة أساساً) في بناء وتطقيس الضريح، سواء من شكله المربع أو استحضر عملية الطواف بالدربوز أو تغطيته بالكساء الأخضر، في محاولات لتحيين المقدس وإسباغه على مختلف نواحي المتن الضرائحي<sup>5</sup>.

وبالرجوع إلى كساء الضريح الأخضر، تجدر بي الإشارة إلى أن سكان المغرب الأوسط استعملوا ألواناً ذات دلالات ورموز مقدسة في ضرائحهم، على اعتبار أن الألوان صفة طبيعية في الأشياء والكائنات والمخلوقات

1 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 32.

2 - عبد الغني، مندوب: مرجع سابق، ص 150.

3 - نفسه، ص 150.

4 - معروف، بلحاج: المجمع العماري بالعباد، دراسة أثرية مقارنة، حولية المؤرخ بالمركز الوطني للدراسات والبحث، ص 151-152.

5 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 33.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

وعناصر الكون ومرتبطة بالنور والظل، والألوان تحمل في ذاتها الكامنة روح الجمال ومظهره، مما يجعل كثيرا من الأشياء والمخلوقات الجامدة والحية ومظاهر الطبيعة وعناصرها تستمد جمالها من ألوانها<sup>1</sup>.

والألوان مظهر وبيئة تشاهد بالبصر، ودلالة رمزية تخضع لطبيعة المجتمع وثقافته وبيئته وعصره، علما أن نظرة المجتمعات والأفراد للألوان تختلف وتفسيرهم لها وإحساسهم بها يتباين من مجتمع لآخر ومن فرد لآخر، فاللون الأبيض والأحمر والأصفر والأسود ليس لها نفس الدلالة والمعنى، فالأحمر قد يرمز للغضب، لكنه يحمل معنى الإنارة عند البعض الآخر، بينما يعني الأبيض النبل والبراءة<sup>2</sup>، وهو عند ابن سيرين (ت 110هـ/ 729م) يحيل إلى معاني الجلالة والعظمة والتوبة والأخلاق الطيبة<sup>3</sup>.

استعملت الألوان في المعمار الضرائحي بكثرة فاللون الأبيض<sup>4</sup> وجد في الجدران والزخارف الحصية كضريح أبي مدين شعيب (ت 594هـ/ 1198م) ومسجد الشيخ إبراهيم المصمودي<sup>5</sup>، في حين ظهر بهما الزليج المتعدد الألوان، ولعل اللون الطاغبي على الأضرحة في المغرب الأوسط هو اللون الأخضر الذي طليت به جدران ضريح السنوسي (ت 895هـ/ 1489م) وبابه أما محمد بن عمر الهواري (ت 843هـ/ 1440م) فقد طليت حنياته الجدارية أيضا باللون الأخضر الداكن، وأخيرا باب ضريح الحلوي (ت 737هـ/ 1337م)، في حين غاب اللون الأخضر الداكن أو الفاتح بجدران وضريح أبي مدين شعيب (ت 594هـ/ 1198م) وإبراهيم المصمودي (ت 805هـ/ 1403م) وابن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/ 1439م)، ولعل التفسير الوحيد والمنطقي لاستعمال هذان اللونان هو أن اللون الأبيض يرمز للطهارة والنقاء، واللون الأخضر يرمز للون الجنة<sup>6</sup>، وهما لونان مقدسان يدلان على الفرح والبهجة.

1- الألفي، أبو صالح: الفن الإسلامي-أصوله، فلسفته، مدارسه، القاهرة: دار المعارف المصرية، 1974م، ص 102.

2- علي، شلق: الفن والجمال، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، 1982م، ص 41.

3- أبو بكر محمد، بن سيرين عبد الغني النابلسي: معجم تفسير الأحلام، إعداد: باسل البريدي، ط1، دمشق- بيروت: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م.

4- جاءت عادة تبييض الأماكن المقدسة المتواترة في بلاد البربر صخور- جذوع- أشجار زيتون خاوية وغيرها، من خلال إهداء يوليوس نويليوس Julius Novellus معبدا للآلهة الماورية Numen Mourorum في مدينة ساتافيس Satafis. محمد العربي، عقون: مرجع سابق، ص 247.

5- إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني (ت 804هـ) دفن بروضة آل زيان، ومسجده من أهم مساجد تلمسان. ابن مرتم: مصدر سابق، ص 66؛ مبارك، بوطان: مرجع سابق، ص 86؛ حساني، مختار: موسوعة، 18/3؛ رشيد، بوروية: "جولة عبر مساجد تلمسان"، مجلة الأصالة، الجزائر، ع 26، 1975م، ص ص 171-182، ص 176.

6- يفصل جورج مارسلي في هذه الأضرحة ويسميتها الأضرحة المقدسة. المعالم الأثرية، ص 468 وبعدها.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

### أ/ الأضرحة السلطانية:

إن مؤسسي الأضرحة السلطانية قد تأثروا ببيئات مختلفة، انعكست على هذه الأضرحة، إما ثراءً وتنميقاً، وإما زهداً وبساطة، والحق أن الأضرحة السلطانية الرسمية قد ظهرت بالمغرب الأوسط غنية من حيث العناصر المعمارية الموجودة بها، مقارنة بالأضرحة الشعبية، والأضرحة السلطانية عادة ما تكون مسبوقة بصحن وتكون جزءاً من المسجد، وأهم ضريح لشخصية ذات دم ملكي هو ضريح سيدي يعقوب<sup>1</sup>.

يعتبر مسجد الحلوي (ت 737هـ/1337م) هو الأروع من نوعه الموجود في الجزائر، فهو يأتي في الريادة من الناحية المعمارية والزخرفية ضمن الأضرحة السلطانية دون منافس، لقد شيده السلطان أبو زيان محمد بن عثمان حفيد يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1234-1282م)، فكان الضريح بسيطاً مجرداً من كل تنميق وزخرفة، وهو الوحيد تقريباً الذي لا تعلوه قبة ولا يوجد به صحن، بل يتألف من غرفة الدفن و ثلاثة كورات جدارية<sup>2</sup>، وهنا نلاحظ الفرق الكبير بين المسجد والضريح، فالأول قمة في الزخرفة بينما الضريح كان بسيطاً جداً، وتقدم لنا المصادر التاريخية لائحة بأسماء الأضرحة المشهورة عصرئذ نذكر من بينها.

### 1/ ضريح الشيخ أبي مدين بن شعيب الغوث (ت 594هـ/1198م).

وَضَرِيحُ تَاجِ الْعَارِفِينَ شُعَيْبَهَا \*\*\* زُرُهُ هُنَاكَ فَحَبَدَا ذَاكَ الْوَلِي  
فَمَرَّازُهُ لِلدُّنْيَا مَعَا \*\*\* تَمَّحِي دُنُوبَكَ وَكُرُوبَكَ تَنْجَلِي

أنشأ ضريح أبي مدين (ت 594هـ/1198م) بأمر السلطان الموحي محمد الناصر أواخر (ق 6هـ/12م)، وتجدر الإشارة إلى أن أبا مدين شعيب قد تبني سياسة الحذر اتجاه سلطة الموحدين في بجاية، وتموقع في السند الصوفي المتصل بالجنيد (ت 298هـ/911م)<sup>3</sup> والمنتمي إلى النبي ﷺ<sup>4</sup>، ولبس خرقة التصوف من يد الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت 560هـ/1165م) بسندها إلى النبي ﷺ<sup>5</sup>، وعمل بعده يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1234-1281م) على تزيين هذا الضريح، بينما قام السلطان أبو الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348م) على ترميم مبنى الضريح وتحديدته، وإنشاء مجمع يشتمل على المسجد والمدرسة

1 - جورج مارسي: مرجع سابق، ص 462.

2- رشيد، بوروية: جولة عبر مساجد، ص 181.

3 - الجنيد بن محمد الجنيد البغدادي (ت 298هـ/911م) ودفن ببغداد هو صاحب طريقة صوفية له مجموعة من المؤلفات منها تاج العارفين- رسائل الجنيد وتحتوي على 31 رسالة- كتاب الفناء- كتاب دواء الأرواح- كتاب دواء التفريط.

4- محمد العربي، أبو حامد: مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تح: محمد حمزة الكناي، ط1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2003م، ص 263.

5- مخلوف، أبو الفضل محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، لبنان: دار الكتاب العربي، 1930م، ص 164.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

والقصر، وتجدر الإشارة إلى عمليات الترميم الخاطئة التي خضعت لها الأضرحة مسحت عنها البصمة الأصلية وجعلت منها حقل تجارب.

### 2/ ضريح الشيخ السنوسي (ت 895هـ/1489م)<sup>1</sup>:

أنشأه السلطان أبو عبد الله محمد الثالث (902-909هـ/1496-1503م) المعروف بالثابتي نسبة إلى جده الثابت، وتقع روضته وضريحه في مقبرة العباد السفلى<sup>2</sup>، وضريح السنوسي ضريح بسيط ولا يعود ذلك لفقر الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، وإنما لطبيعة الولي في حد ذاته، إذ عرف بالتواضع الشديد والزهد وكرهه لزينة الدنيا الزائلة، وهو القائل عن نفسه: « طفت بهذه العوالم كلها من العرش إلى الفرش، ولم أرى منها ما يسرني، فلم آمن لشيء منها بالكلية»<sup>3</sup>، وقال أيضا: «ما عسى أن يصف الواصف من شرور ذا الوقت، وشرور أهله وقد أغنى فيه الخير عن العيان، ومن أراد النجاة بعد تحصيله ما يلزم من العلم أن يعتزل الناس جملة، ويكون جلسه بيته ويكي على نفسه ويدعو دعاء الغريق»<sup>4</sup>، وعلق على بساطة ضريح السنوسي جاك بارك قائلا: «هذا هو المعلم الذي يناسب السنوسي إن تواضعه كان سينزعج من الزخرفة المقبرية المبالغ فيها والتي تسلط على قبور العظماء»<sup>5</sup>.

### ب/ الأضرحة الشعبية ( العامية )

هناك نوع آخر من الأضرحة لا يقل قداسة عن سابقها وهي الأضرحة الشعبية أو الأضرحة البسيطة معماريا، وسميت بالأضرحة الشعبية وذلك بسبب أن من أنشأها ليس سلطانا بحد ذاته بل أنشأها زوار الأضرحة إكراما وإجلالا للأولياء وحبا وتعظيما رغم بساطتها فمعظمها لا يعدو أن يكون بناء بسيطا من الحجر المبيض بالجير، إما من النساء اللواتي زرن الولي كل جمعة أو غيرهن، وعادة ما تكون الأضرحة الشعبية مبنية ضمن مقبرة وسقفها

<sup>1</sup> - نفسه، ص 66؛ Georges et William MARCAIS : Les Monuments, p 136 محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب فقيه سني موحد متصوف كثير التمسك بالسلف الصالح صاحب كرامات (ت 895هـ). الرصاع: مصدر سابق، ص 201؛ جمال الدين، بوقلي حسن: مرجع سابق، ص 24

<sup>2</sup> - حول عمارة الضريح بالتفصيل ينظر: جمال الدين بوقلي: مرجع سابق، ص 24؛ محمد، عمرو الطمار: مرجع سابق، ص 217؛ Mohamed Benbal p 251.

<sup>3</sup> - Jacques Berque: l'Algerie terre D'art et D'histoire, Alger 1937, p 206.

<sup>4</sup> - السنوسي: شرح العقيدة الوسطى، ص 65.

<sup>5</sup> - Jacques Berque: Op.cit.p, p 206.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

بسيط، أما المحراب<sup>1</sup> فهو غير موجود عكس الأضرحة السلطانية والتي لم تخلوا من المحاريب المتجهة إلى القبلة وإن لم تستعمل للصلاة، وهي بذلك أضرحة رمزية أكثر، لا تجلب الزائر معماريا بقدر ما تجلبه روحيا ومعنويا. وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الضرائح انتشر بالمناطق النائية والبعيدة عن حواضر المغرب الأوسط والتي كانت دائما أرض خصبة لانتشار الفكر الصوفي: ففي المدن والأرياف والجبال الشاهقة والصحاري القاحلة عاش معظم المتصوفة ييثون عقائدهم مبتعدين عن صخب الدنيا ومؤثرين العزلة والعبادة.<sup>2</sup> ويبين لنا سعد الله أن أشكال الأضرحة في الجزائر وفي شمال أفريقيا عامة ثلاثة أنواع<sup>3</sup>.

### خامسا: موقف الفقهاء من زيارة الأضرحة.

رغم رفض الفقهاء للتبرك بقبور الأولياء والأضرحة لما يحمله فعل الزيارة من شرك حسب اعتقادهم إلا أن معظمهم لم يتخلى عنها، ذلك أن زيارة أضرحة الأولياء تصحبها معتقدات خاصة في قدرات الولي المدفون بالضريح والذي يعتقد أنه يمتلك القدرة على قهر الأرواح الشريرة وجلب الخير لمن يرضاهم، وإلحاق الشر بمن يسخطهم من الناس، وذلك بفضل ما لديه من بركات، هذه البركات التي اكتسبها بفعل تقربه من الحضرة الإلهية، حيث أصبحت له القدرة على التوسط بين الإله والبشر لقضاء حاجات السائلين، ولم تنته هذه القدرات الخارقة لهؤلاء المدركين بموتهم البيولوجي، ولم تنقطع صلتهم بهذا العالم وأناسه فالأولياء يضلون أحياء حتى بعد أن تختفي أجسادهم تحت الثرى في أضرحتهم فيواصلون التدخل<sup>4</sup>.

### سادسا: أهداف زيارة الأضرحة:

من أهم أشكال الزيارة المقدسة بالإضافة لزيارة الزوايا نجد زيارة الأضرحة، وتسمى أيضا قبور الأولياء والشرفاء أو الصالحين، وهي قبور مخفية عادة في أبنية تعبدية، ويعتبر الضريح في المخيال الشعبي رمز التقوى والصلاح والمنزلة الرفيعة عند الله ومكان البركة، والتي تعد سائل مقدس يفيض من المرابط ويمتد إلى كل ما يمسه هذا الولي

1 - عمارة المساجد تطورت وأضيفت إليها أجزاء من العمائر المسيحية، وقد يكون المحراب منقولا عن حنية في صدر الكنيسة والتي كانت متجهة في معظم الأحيان إلى الشرق أي إلى بيت المقدس لذلك ذكر الونشريسي أن المحراب من البدع التي أحدثت لكنه بدعة مستحسنة. المعيار، 482/2؛ ويعتبر محراب مسجد أبي الحسن الذي بناه أبو عامر إبراهيم بن يحيى بن يغمراسن أجمل محراب في العالم الإسلامي كله. رشيد، بورويبة: "جولة عبر مساجد"، ص174-175.

2 - سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (16-20م)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج1، 01، 1981م، ص262.

3 عبد المجيد، مباركي، ص54. ضريح المرابط العادي وضريح المرابط الولي وضريح المرابط الكبير المشهور الذي داعت شهرته وتجاوزت قبيلته أو مدينته. سعد الله، أبو القاسم: مرجع سابق، ص269.

4 - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص149.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

من ثياب وماء، وبعد الموت تظل جثته محتفظة بالبركة كما تظل عالقة بقبره<sup>1</sup>، أو المكان الذي مر به في حياته أو جلس فيه، فالقدسية هنا قدسية مكان أكثر من قدسية شخص، لذا فقد كان كثير من سكان المغرب الأوسط يجتمعون في حشود كبيرة في يوم الجمعة وعاشوراء وخاصة المولد النبوي وكذا الأعياد، لإقامة طقوسهم واحتفالاتهم ومواسمهم ويقصدون أولياء الله حسبهم في الأضرحة، والتي كانت القبلة المفضلة للأسر، كما كانوا يتناولون الطعام الذي يتقدم به المحسنون في هذه الأماكن.

يمكن القول أن زيارة الأضرحة تعتبر ممارسة دينية مترسخة في معظم مجتمعات المغرب الإسلامي، على الرغم من الخطاب الفقهي المناوئ لها<sup>2</sup>، والذي يرى فيها بدعة تمس جوهر التوحيد الديني للإسلام<sup>3</sup>، وهناك من قال بأن الخروج إلى زيارة قبور الصالحين والعلماء جائز طال السفر أو قصر<sup>4</sup>.

إن ظاهرة زيارة الأضرحة لها مكونان رئيسيان هما الممارسات الطقوسية كسلوك اجتماعي، والضريح كقطب رمزي دال، بحيث يمثل الضريح صورة ثابتة لها طابع قدسي، تمثل فيها الطقوس والممارسات ترجمة لأفكار ومعتقدات حول شخصية الولي المدفون داخل الضريح كمدلول، وتمثل الثنائية ضريح / ولي واقع مثالي مؤسس في المحافظة على المعتقدات والممارسات الطقوسية واستمرارها<sup>5</sup>، ويمكن الجزم أن ظاهرة زيارة الأضرحة في المغرب الإسلامي ككل والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، قد تضافرت في ظهورها عدة عوامل اجتماعية واقتصادية وتاريخية، على رأسها العامل الديني في جانبه الصوفي، إذا ما أضفنا إليه ظاهرة أسلمة المجال الجغرافي، لأن بعض ساكنة المغرب الأوسط لم يتخلوا عن طقوسهم ومقدساتهم التي كانت قبل إسلامهم، بل أضافوا إليها مقدسات أخرى كالولي، الضريح، الشرف، المرابط... الخ، وهو ما أنتج لنا ظاهرة قدسية الزيارة كمارسة، والتي اتخذت من الضريح مجال مقدس، تتداخل فيه ثنائية الروح والجسد.

<sup>1</sup> - روجيه، باستيد: مرجع سابق، ص 65.

<sup>2</sup> - اختلف الفقهاء حول مشروعية زيارة المقابر وانقسموا إلى مجيز لها، على أن تقتصر على الرجال دون النساء، وعلى قبور المسلمين عموماً والدعاء لهم، وبين منكر لزيارتها على وجه التخصيص، إذا كان المقصود بالزيارة قبر بعينه، بهدف الدعاء عنده والاستعانة وطلب المدد والعون والتمسح بالقبر، فهذا لا يجوز وعدوه بدعة منكرة، قال الطبري في تفسير الآية 21 من سورة الكهف قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنِّيهِمْ أُفْرَهُمْ فَفَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ أن من قال ابنوا عليهم بنياناً هم المشركين ليتخذوهم أولياء من دون الله (أضرحة)، بينما الففة التي قالت لتتخذن عليهم مسجدا هو الموحدون المؤمنين وهو جائز شرعاً. مصدر سابق، 640/17.

<sup>3</sup> - عبد الغني، منديب: المرجع السابق، ص 149.

<sup>4</sup> - الونشريسي: المعيار، 480/1 و 59/5.

<sup>5</sup> - سراج، الجيلالي: مرجع سابق، ص 1.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

وترجع الزيارة إلى عمليات تحيين ذكرى موت ولي صالح، حيث تتأطر هاته العملية بفعل إتمام فعل عملية التحيين، مثلما يحتفل المسلمون بالمولد النبوي قصد العيش في المقدس بفعل تلك الطقوس، فالاحتفال وما يصاحبه من طقوس هي وسيلة للعبور من الدنيوي إلى الديني، ومن الديني إلى الدنيوي، ذلك أن الطقوس تسمح بهذا الفعل، أقصد ( فعل العبور) لأنها تعيد التحيين، ولا تحتفل بذكرى ماضية أو بزمن أصلي ميثي من حيث هو الزمن المؤسس للأزمة الوجودية والتاريخية<sup>1</sup>.

رغم رفض الفقهاء بالمغرب الأوسط لمظاهر الشرك ومنها التبرك وزيارة الأضرحة في خطابهم، إلا أن واقع الحال دل على تجاوز هذه الخطابات والفتاوى، إذ تبنى الأعيان النظرية التي تزعم أن في زيارة الأولياء نوعا من الشرك ولكن معظمهم لا يتخلى عنها<sup>2</sup>، وهناك من أرجع الزيارة لما يراه الزائر بحسب معتقده وقوة الباعث عليها أو لوجود الصارف عنها<sup>3</sup>، كما أن بعضا من هؤلاء الفقهاء أنفسهم وحفظة القرآن الذين يرددون خطابهم المناهض لوجود هذه المزارات، يلجئون إليها ويستعينون بها على قضاء حوائجهم<sup>4</sup>.

ومن أبرز الطقوس المقدسة لزيارة الضريح التي لا يجب إغفالها أو تجاهلها عند دخول الضريح، هي استقبال القبلة وإفشاء السلام على صاحب الضريح دون تقبيل قبره، ثم الوقوف للدعاء وقراءة القرآن بعدها، ولا ينسى الزائر أن يتصدق أثناء خروجه على من وجدهم ملازمين لأبواب الضريح منتظرين صدقات وعطايا الزوار<sup>5</sup>، وهناك من أقر زيارة القبور والأضرحة على أن يقف الزائر مستديرا القبلة، مستقبلا بوجهه الميت، وأن يسلم عليه ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله<sup>6</sup>.

إن قوة المعتقد وتقديسه ومحاربة كل من يرفض التصديق به جعلت من الولي كائنا خارقا قادر على حل المشاكل وتلبية الحاجات، وتغيير أحوال الناس وهو الاعتقاد السائد لدى فئة قليلة العقل والإيمان من عامة الناس، إذ يلجأ الناس لضريح الولي قصد الحصول على حلول لمشاكلهم وتخفيف كربهم وأوجاعهم، معتقدين أن في الزيارة إجابة وحل وتفريغ وتفريغ للهموم والأزمات، يلجئون إليه فيعطيه، ويسألونه فيحبيهم، يجدون عنده

1 - الصديق، ثياقة: مرجع سابق، ص 81-82 .

2 - عبد الله، الحمودي: مرجع سابق، ص 62؛ ص 149، Fanny Colona: les versets de linvincibilite, p 59.

3 - الونشريسي: المعيار، 480/1 و 59/5

4 - عبد الغني، منديب: المرجع السابق، ص 146.

5 - ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 132. شاهدت في صغري في الجامع أين كنت أحفظ القرآن، وكان الجامع مبني على "ضريح الولي بوجملين بولاية المسيلة"، بعض الطقوس كتقبيل الضريح، وإيقاد الشموع، وتحضير "الروينة" وهي نوع من الطعام تصنع من القمح، وإعطاء قطع نقدية لخدام الضريح، ومع مرور الوقت زالت هاته العادات، كما تم غلق الضريح في وجه الزوار.

6 - الثعالبي أبو زيد عبد الرحمان بن محمد: العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة، مطبعة حجرية، 1899م، 1/123.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

الحل عندما تشتد بهم الأزمات، ينال عرفانهم وتقديرهم، يرفعونه إلى أعلى المراتب فيجلونه ويلبسونه ثوب الوقار والقداسة، حيث يصبح له حضور قوي بين الناس شاهداً أو غائباً، حياً أو ميتاً، فالعلاقة معه لا تنقطع بوفاته بل يزورون قبره ويسألونه بإلحاح.

ولا يكاد يخلو فعل الزيارة من تقديم أعطيات وهدايا لخدام الضريح والتي أطلق عليها هي الأخرى لفظ الزيارة ويقدمها الأتباع والزوار للشيخ أو للولي، وتتفاوت هذه الهدية حسب قيمة المدفون بالضريح وإمكانية مانحها المادية، وتشمل الأعطيات في الغالب كلا من الهدية الكبيرة ( ذبيحة زربية غطاء ضريح)، أو الهدية الصغيرة (شموع، نقود، حناء، بخور، طعام)، ووردت باسم "الفتو" عند الباحث نور الدين الزاهي، فقال بأنها عبارة عن عطاء يقدم لإحدى حاملي البركة قصد العلاج أو الدعاء أو زيارة قبر الولي الصالح<sup>1</sup>.

الزائر يلتمس بركة الولي طلباً للولد أو البنت أو الذرية عموماً في حالات العقم، أو الاقتصار على إنجاب الذكور دون الإناث، كما يلتمس بركته لإثراء المحصول الزراعي، أو الاستمطار وحماية دواب الضرع والظهر، وتيسير التجارة والعلم وسائر الأعمال<sup>2</sup>، ومن أجل الإعداد للحرب ولكن أيضاً ساعة الموت<sup>3</sup>، وتعتبر الروايات حول كرامات وقدرات الولي جزءاً من أدب شفوي مستمر ومتجدد يخص كل الأولياء إذ تنسب أكثر من معجزة وكرامة لأكثر من ولي في أكثر من مكان وزمان<sup>4</sup>، فالعبارات الطقوسية التي يرددتها الناس أثناء زيارتهم للأضرحة تصب في مجملها حول فك الكربات وتحقيق الأمنيات والنجاحات أو تخفيف الآلام وشفاء الأسقام.

وقد اعتاد بعض الناس عند زيارة الأضرحة على تقديم النذور لأجل قضاء حوائجهم، وتختلف النذور حسب إمكانيات كل شخص، فمنهم من تكون نذوره مادية من أعطيات وهدايا وزاربي والتي تتشابه والزيارة، وهناك من يكون نذره كالصوم والصدقة وإن اختلفت النذور فإن الغرض منها الوفاء بالوعد الذي اتخذ الإنسان على نفسه اتجاه الولي صاحب الضريح، وعرفانا لقضاء حاجته، اعتراف بالجميل إذا تحققت إحدى أمنياته قد يتعهد بإطعام مئة محتاج إذا وضعت زوجته الحامل صبياً طال انتصاره، لذا تم له ما أراد يقوم عندئذ باحترام تعهده تحت عاقبة الكفارة أي النكث بالعهد<sup>5</sup>، واعتبر النذر أمراً مقدساً فلا يجوز بأي شكل من الأشكال التراجع عن تنفيذ النذر في حال تحقيق المراد خشية حلول اللعنة وزوال النعمة.

<sup>1</sup> - نور الدين، الزاهي: مرجع سابق، ص 86.

<sup>2</sup> - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 58

<sup>3</sup> - الياد، مارسى: المقدس والمدنس، ص 66.

<sup>4</sup> - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص 151.

<sup>5</sup> - نور الدين، طوالي: مرجع سابق، ص 122.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

يتوفر الضريح في غالب الأحيان على رأسمال رمزي تعددي يتكون من الشرف، العلم، الصلاح، والكرامة، ويتوفر أيضا على رأسمال مادي يتمظهر في الملكية العقارية والأموال والإعفاءات<sup>1</sup>، فهي ككل الأمكنة المقدسة ليست سوى خزانات أرضية للقداسة السماوية<sup>2</sup>.

### 1/ طلب الشفاء:

لجأ بعض سكان المغرب الأوسط إلى الأولياء من أجل كتابة بعض الرقى لعلاج ما أصابهم أو أهلهم من الأسقام بعد عجز الطبيب عن مداواتهم، لكن لم تكن كل الرقى نافعة حسب اعتقادهم لذا لجئوا إلى البحث عن بدائل أخرى كان تراب الضريح أبرزها لتشافى، مثل قبر أبو محمد مع الله ابن يحيى بن يجاتن الزناتي كان يستشفى الناس بتراب قبره<sup>3</sup>، وكذلك الأمر مع أبو حفص عمر بن مسيكسو الدغدوغي<sup>4</sup> وغيرهم كثيرون.

### التجارة:

إذا سلمنا بأن زيارة الأضرحة في المغرب الأوسط كانت مشابهة وتخضع لنفس النمط العام في باقي المغرب الإسلامي، فإن أهداف الزيارة لا بد وأن تتشابه ولو في حيثياتها الكبرى، فالتجارة كانت هدفا أساسيا من خلال حضور موسم زيارة الولي، وإن لم تكن بهذه الأهمية في بداياتها لكن تطور المجتمع فرض إدخال نوع آخر من أهداف زيارة الضريح، ألا وهو الكسب المادي، إلى جانب تحقيق الأهداف الروحية والدينية، ويمكن القول في ما يخص العلاقة الدلالية بين التجارة وزيارة الضريح قد تخضع في مجملها لطبيعة نشاط المجتمع، فنجدها في المجتمع الزراعي أكثر خاصة إذا ما اقترنت بفترة جني المحاصيل الزراعية، إنضاف إليها إمكانية تبادل السلع بين سكان البوادي والحواضر.

### 2/ ربط الموثيق والعهود والاستخارة:

كانت الأضرحة في الماضي ولا زالت إلى اليوم، أماكن مقدسة تبرم فيها العهود وتعد في الموثيق بضمانة الولي دفين الضريح، إذ لا يجرؤ أحد المتعاقدين على نكث العهد الذي أخذه على نفسه، مخافة أن ينزل الولي به العقاب<sup>5</sup>، ومن الموثيق التي تم عقدها نجد عقود الزواج والبيع والشراء وغيرها، كما شكلت الاستخارة بعض أسباب زيارة الأضرحة، وذلك كون الأجوبة التي يتلقاها المستخير على شكل أحداث ووقائع، تغلب كفة اختيار على آخر أو على

1- عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص9.

2- عبد الغني، منديب: المرجع السابق، ص156.

3- التادلي: مصدر سابق، ص132.

4- نفسه، ص141.

5- نفسه، ص153.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

شكل رسائل مُرَمَّزة يبعث بها الولي المستفتى عبر الأحلام لقاصد يخبره فيها بالفتوى المنتظرة، حيث أن الأحلام في الثقافة الشعبية يتم إدراكها كلغة رمزية يتم التواصل عبرها مع العالم الآخر<sup>1</sup>.

### 3/ التخلص من النحس:

ما على الزائر إلا أن يتخلص من قطعة ملابسه ووضعتها على كوم من الشوك مخصص لهذا الغرض، فيسجن بهذا الطقس كل سوء الحظ الذي ينغص عليه حياته، ويعود إلى بيته آمنا مطمئنا، فعندما يلج الشخص إلى هذا العالم الروحي بإيمان مطلق وعارم، يصبح كل شيء ممكن التحقيق، وبدون الإيمان يتعطل كل شيء<sup>2</sup>.

### 4/ حماية مداخل البلد:

شكلت الأضرحة في ذهنية بعض فئات المجتمع ذلك الحارس الحامي لمداخل البلد، لذلك كانت معظم مداخل حواضر المغرب الأوسط تحوي أضرحة ومقابر للصالحين، وكانت ضواحي العاصمة تلمسان كلها مرصعة بأضرحة الأولياء ولا نجدتها فقط في المقابر القديمة والجديدة فحسب بل وفي معظم أرجاء الريف وفي قلب الحقول وعلى حافة الطرق والبساتين<sup>3</sup>، ومداخل المدن لحمايتها التي غالبا ما كانت تحوي قبور شخصيات محترمة ومقدسة جدا<sup>4</sup> لينال المدخل بركة جوار صالح<sup>5</sup>، واعتبر المرابط المدفون في مداخل أبواب المدن بمثابة عفريت حام لتلك المنطقة وحارس قوي للمدخل المجاور لضريحه، فعليه أن يصد العدو ويدفع المكروه من أن يجل إلى قلب المدينة<sup>6</sup>.

ومن القرائن التي حفظتها لنا النصوص التاريخية أن سلطان تونس الحفصي لما وصل أمام تلمسان بغية دخولها بالقوة تشاور مع وزرائه عن أي الأبواب سيدخل منها المدينة، واجتمع الرأي عنده على الدخول من باب الجياد، لكن قيل له أنه يحميه بومدين (ت594هـ / 1198م)، ثم عزم على الدخول من باب العقبة فقبل له أنه يحميه محمد الدواوي (ت402هـ / 1011م)، ولما عزم على الدخول من باب الزاوية ذكر له أن هذا الباب تحت حماية سيدي الحلوي (ت737هـ / 1337م)، وأخيرا قرر الدخول من باب القرميدين<sup>7</sup> لأنه لا يحميه أي أحد، وفعلا قرر

<sup>1</sup> - التادلي: مصدر سابق، ص155-156.

<sup>2</sup> - نفسه، ص156.

<sup>3</sup> - جورج مارسلي: المعالم الأثرية، ص462.

<sup>4</sup> - نفسه، ص462.

<sup>5</sup> - نفسه، ص463.

<sup>6</sup> - نفسه، ص463.

<sup>7</sup> - باب القرميدين أحد أبواب تلمسان يقع في الشمال الغربي منها، ويعتبر الحصن الدفاعي الأساسي الذي يحمي مدخل المدينة وأخذ هذا الباب اسمه من صناعة القرميد التي كانت رائجة فيه، بدليل أفران صناعة الفخار والقرميد. يحيى، ابن خلدون: البغية، 1/90؛ مجهول: زهر البستان، ص39؛ ويحي

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

السلطان الحفصي وجنوده الدخول من هذا الباب فلما عزموا الدخول لم يستطيعوا، لأن الباب تحت حماية ولي حي هو عبد الله بن منصور الذي منع تلمسان من السقوط<sup>1</sup>.

وكذلك كان الأمر بالنسبة لبقية أبواب تلمسان<sup>2</sup>، فأغادير القديمة يدافع عنها الولي سيدي وهب المدفون بالقرب من مدخل أغادير<sup>3</sup>، وباب كشوط تحت حماية معمر بن عالية من الداخل وسيدي بوجمعة من الخارج<sup>4</sup>، غير أن هذا الاعتقاد تم دحضه بدخول المستعمر الفرنسي لمدينة تلمسان واستباحتها.

### 5/ الزوايا والأضرحة كأماكن للاحتفال وإقامة الأعياد

تعود جذور العادات الاحتفالية بالمغرب الأوسط والمرتبطة بتعظيم القبور والبناء عليها واتخاذها أماكن مقدسة وبقعا للاحتفال وإقامة الأعياد إلى تاريخ ما قبل اعتناق الإسلام، لذلك فإن الدور الريادي الذي استوعبته الأضرحة والزوايا، والذي حول هذه المنظومة إلى مزاعم وطقوس ومعتقدات تتناسب مع الأفق الذهني السائد بانفتاحها على الموروث الديني المشترك للمجتمعات الزراعية المتوسطة القديمة، واستقطابها لجانب كبير من الشرائح المفقرة وحتى المهمشة داخل هذه المجتمعات، الأمر الذي يدل على عمق التحولات التي عايشتها هذه المنظومة الدينية والثقافية واتصالها العضوي بالتاريخ والإنسان<sup>5</sup>.

تعتبر ظاهرة زيارة الأضرحة والأولياء من بين الظواهر التي كانت منتشرة في المغرب الإسلامي ككل، حيث كان العامة من الناس يعتقدون في الأولياء ويقدرونهم ويحترمونهم ويتقربون إليهم بمختلف الوسائل لنيل بركاتهم<sup>6</sup>، ومنه فزيارة الأضرحة أقل ما يقال عنها أنها ظاهرة ثقافية وسلوكية أنتجت مفاهيم وممارسات خاصة، وعليه يمكن القول أن المغرب الأوسط ظل رهين هذه العادات الوثنية على مر العصور، رغم وجود فترات طغت فيها عقيدة التوحيد وإفراد الله بالعبودية بعيدا عن الممارسات الوثنية، العائدة جذورها إلى قرون ما قبل التاريخ وعصور ما قبل الإسلام، واستمر هذا الوضع لعدة قرون وحتى بعد مجيء الإسلام لهذه المنطقة، وما جاء به من نواهي وزواجر لمثل هذه التعبدات والعادات.

---

بوعزيز : تلمسان، ص 25 ؛ وخالد، بلعري، الدولة الزيانية، ص239؛ ومبارك، بوطارن: مرجع سابق، ص14؛ وعبد المالك، موساوي: دور الزخرفة في الحياة الحضارية بتلمسان ، ط1، الجزائر: دار السبيل للنشر والتوزيع، 2011م ، ص16.

<sup>1</sup> - جورج، مارسي: المعالم الأثرية، ص463-464. نقل على البستان

<sup>2</sup> - تلمسان لها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وهيب وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة، وفي الغرب باب أبي قرة. الحميري: مصدر سابق، ص 135 وهي نفسها الأبواب التي ورد ذكرها عند البكري وهذا دليل على أنها لم تتغير. المسالك والممالك، 287/1؛ وذكر يحيى بن خلدون أن هذه الأبواب هي: ف القبلة باب الجياد، وشرقا باب العقبة وشمالا باب الحلوي وباب القرمادين وغربا باب كشوط. مصدر سابق، 90/1.

<sup>3</sup> - جورج، مارسي: المعالم الأثرية، ص464.

<sup>4</sup> - نفسه، ص464.

<sup>5</sup> - لظفي، عيسى: مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر، تونس: سراس للنشر، 1994م، ص12.

<sup>6</sup> - عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 390/2؛ خالد، بلعري: الدولة الزيانية، ص301.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

لم يكن بعض أفراد المجتمع بمعزل عن اتخاذ الزوايا والأضرحة كأماكن للاحتفال، بالإضافة إلى تقديس الأولياء وأخذ البركة منهم في إقامة الاحتفالات، لتشكل البهجة بهذه البركة، وعليه فقد كان الناس خلال فترة حكم يغمراسن بن زيان (633-687هـ/1235-1281م) بالمغرب الأوسط يقبلون إقبالا كبيرا على زيارة الأولياء الصالحين<sup>1</sup>، كما كانت منزلتهم تزداد رفعة بين العامة وشعبتهم تقوى يوما بعد آخر<sup>2</sup>.

ومن نافلة القول أؤكد أنه لم يخلُ زمن من الأزمنة عبر تاريخ المغرب الأوسط، إلا وسجل جهودا ودعوات لمحاربة واستئصال العادات والمعتقدات الفاسدة والطقوس الوثنية التي لا تمت للإسلام بأي صلة، والتي تعود في مجملها إلى عصر ما قبل إسلام سكان المنطقة، وتجدر الإشارة إلى الجهود والمواقف الأولى لعلماء المذهب المالكي الأوائل من أمثال الإمام القرطبي (ت 671هـ/1272م)<sup>3</sup> الذي حرم البناء على القبور واتخاذها مساجد وقباب، والإمام أبو الوليد ابن رشد الجد (ت 520هـ/1126م)<sup>4</sup> الذي أفتى بوجوب هدم القباب والسقائف المبنية على القبور والروضات.

كما يسجل التاريخ موقف العلامة محمد المكي الناصري<sup>5</sup> الذي تأسف على مظاهر عبادة الأولياء والصالحين وغيرهم، ذاماً بعض ما يحدث عند تلك المشاهد والمقامات من ذبح لغير الله ونذر للقبور وتزويق وتحميل للأضرحة وتبرك بترايبها وأثوابها<sup>6</sup>، غير أن النصوص التاريخية دلت على وجود فئات أخرى رحبت بفكرة البناء على القبور محتجين

1- مختار، حساني: تاريخ الدولة الزيانية، ص 197؛ خالد، بلعربي: المرجع السابق، ص 301.

2- مفتاح، خلفات: مرجع سابق، ص 303.

3- مصدر سابق، 381/10.

4- كتاب مسائل أبي الوليد ابن رشد، تح: محمد الحبيب التحكاني، ط 02، بيروت: دار الآفاق الجديدة، جزءان، 1095/2.

5- كتاب التسيير في أحاديث التفسير، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 01، 1984م، 6 مجلدات.

6- كل هذه الآراء الفقهية وغيرها وردت عند ابن مفلح المقدسي: مصدر سابق، 3/ 206 وما بعدها، ومن بين أهم الأسباب لعدم جواز البناء على

القبور والتي أجمع عليها رأي الفقهاء أجملها الغماري الحسني في كتابه وهي باختصار:

أ- كون الحص والآجر مما مستهما النار ولا ينبغي أن يقترب ذلك من الميت.

ب- العلة فيه وجود الثقل على الميت والمطلوب التخفيف حوله.

ج- العلة كون البناء فيه تمييز عن سائر قبور المسلمين حوله.

د- إن البناء يمنع من دفن الغير معه.

هـ - فيه تشبه بفعل الكفار من أهل الكتاب والمشركين من أهل الجاهلية.

و- فيه زينة دنيوية ولا ينبغي ذلك لمن انتقل إلى الآخرة.

ز- يدعو إلى الجلوس على القبر وهو منهي عنه شرعا لما فيه من أذية للميت بامتئانه.

ح- يحول بين الميت وسماع النداء والذكر وتلاوة ما يتلى على قبره من القرآن وسلام المسلم عليه. الحافظ أبي الفيض أحمد بن محمد عبد الله الصديق

الغماري الحسني: إحياء المقبور من أدلة جواز البناء المساجد على القبور، ط 04، مصر: مكتبة القاهرة، 2008م، صفحات متعددة.

## الفصل الثاني \_\_\_\_\_ المقدس المدفون وبركة الزيارة.

بالرفض في حق عامة الناس أما الأولياء والصالحون فنص جماعة على جوازه بل استحبابه في حقهم تعظيماً لحرمتهم وحفظاً لقبورهم من الامتهان والاندثار الذي يعدم معه الانتفاع بزيارتهم والتبرك بهم<sup>1</sup>.

خلاصة لما سبق شكلت الزوايا والأضرحة نقطة تحول في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط، وافترق الناس بين مقدس لها محبب لزيارتها والتبرك والدعاء عندها اعتقاداً في قدرتها على المنح، وبين رافض لكل ما لم يرد فيه نص صريح بالجواز أو الحظر، ودليلنا على قوة الاعتقاد فيهما هو بقاء الزاوية والضريح على يومنا هذا قبلة للكثير من الناس الحاملين أمنيات الحاملين بقدرة دفين الزاوية والضريح على تحقيقها.

---

<sup>1</sup> - نفسه، ص 6. حول أهم الأضرحة والمقابر بالمغرب الأوسط ينظر ملحق رقم 4.

# الفصل الثالث

## انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية

المبحث الأول: الحقل الطقوسي بالمغرب الأوسط.

أولاً: شهر رمضان

ثانياً: الاحتفال بعيد الفطر.

ثالثاً: موكب الحج وطقوس العبور.

رابعاً: الأضحية وطقوسها.

خامساً: عاشوراء والزمن المتجدد.

سادساً: المولد النبوي.

سابعاً: يوم الجمعة.

المبحث الثاني: دورة الحياة وطقوسها.

أولاً: الولادة.

ثانياً: العقيقة.

ثالثاً: الختان واكتمال الذكورة.

رابعاً: الزواج.

خامساً: الاحتفال بيناير وبداية السنة الزراعية.

سادساً: السلطان والمقدس.

المبحث الثالث: الموت وطقوس الجنازة.

أولاً: أسباب كثرة الموت في المغرب الأوسط.

ثانياً: طقوس الموت.

ثالثاً: الموكب الجنائزي والصلاة على الميت.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

إن الموسم<sup>1</sup> يُخضع المقدس في تمظهره الزماني والمكاني لآلية الانتهاك، وهو ما يجعله على صلة كبرى بالتوترات الاجتماعية وأشكال التنظيم الاجتماعي القائمة، إن الموسم لحظة تجديدية لعلاقة الإنسان بحقل القداسة ورسم لمعامله وحدوده، وكذا تداخل الجماعات والفئات الاجتماعية، وهو ما يجعله ليس تجميعاً للناس فقط، ولكن أيضاً لأشكال المتخيل وأنماط المعتقدات الكونية والمحلية<sup>2</sup>.

تعد المواسم والأعياد والاحتفالات<sup>3</sup> ظاهرة طقسية وأنتروبولوجية بامتياز، غير أنها في نفس الوقت ظاهرة دينية مركزية كونها محملة بطقوس العبور<sup>4</sup> في حياة المجتمعات البشرية، كما في مجتمع المغرب الأوسط، وهذا بسبب الموروث الثقافي والتنوع الذي زخر به عبر عصوره المختلفة وصولاً إلى القرن 7-9هـ/ 13-15م، وما تشتمل عليه المواسم والاحتفالات من ممارسات محتزنة في الذاكرة الجمعية لمجتمع الدراسة، وهذا راجع لعدة عوامل جغرافية واجتماعية وثقافية، دون أن ننسى طقوس الحزن والفرح المصاحبة للموت وتبعاته كطقس عبور.

تجدر الإشارة إلى أن طقوس العبور السنوية والموسمية هي من الظواهر اللصيقة بالإنسان، فمنذ وجوده وجدت معه احتفالاته وطقوسه دينية كانت أو دنيوية، فالظاهرة الاحتفالية كصيرورة إنسانية رافقت وجود الإنسان روحاً وجسداً، فلحظة الفرح والانتصار واللقاء واستعطاف المقدس بدأت هكذا، ولأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه،

---

<sup>1</sup> - الموسم: مفعول من وَسَمَ تعني محل وزمان الموسم، أي هو معلمة الانعقاد، والوسم: هو أثر الكي، والسمة والوسام: ما وَسَمَ به البعير، والجمع وَسُومٌ، واتسم الرجل إذ جعل لنفسه سمةً يعرف بها والجميع مواسم وميَاسي، وموسم الحج سمي مَوْسماً لأنه معلم يجتمع إليه الناس، ويقال كذلك وسما بمعنى شهدوا الموسم أي حضروا ذلك الجمع . ابن منظور: مصدر سابق، مج 12/635-636.

<sup>2</sup> - نور الدين، الزاهي: المقدس الإسلامي، ص52.

<sup>3</sup> - الاحتفال هو أكثر لحظة مهمة ومقدسة في حياة الإنسان، حيث يجمع عدد من أفراد المجتمع بهدف التعبير عن وجهات نظر مشتركة، بفعالية منظمة رمزية، تؤدي في مناسبات معلومة ذات طابع ديني أو اجتماعي. أنظر: مصطفى، شاكور سليم: مرجع سابق، ص161، Geroges, Battaille: theorie de la religion, Tome7, Gallimard: paris, 1976,p312.

<sup>4</sup> - تعبر طقوس العبور عن انتقال شخص من حالة قديمة إلى حالة جديدة، كالانتقال من الحياة إلى الموت، أو التوقف عن الحياة ثم المرور إلى حياة أخرى، وهذا المصطلح ظهر للمرة الأولى على لسان "فان جنين" سنة 1909م، فكل إنسان حسب نظريته يمر بمراحل عدة خلال حياته، وتتوأكب هذه التحولات بطقوس مختلفة طبقاً لكل مجتمع، كما يقصد بها المراسيم الاحتفالية التي ترمز إلى الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وفي كل الحالات هناك عتبات جديدة يمكن تجاوزها، عتبات الصيف، عتبات الميلاد والمراهقة والرشد والشيوخوخة، وعتبة الحياة والموت، بيار، بونت وميشال، إيزار: معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، ط2، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2011م، ص634؛ بينما هناك من يرى بأن طقوس العبور تتجاوز الديني الذي عد محدوداً مهماً اتسع، إلى الاجتماعي الذي يفتح على كل مناحي الحياة الفردية والجماعية، نظراً لكون طقوس العبور تكون مصاحبة لكل تحول في المكان أو في الحالة أو الاهتمام أو في الوضعية الاجتماعية أو في الوضع العمري. عبد الحميد، بوهاها: طقوس العبور في الإسلام، تق: عبد الحميد الشريقي، ط1، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2009م، ص30؛ عمار، بن طوبال: "الطقوس وتمثالات الهوية الجمعية في رواية مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد مقارنة أنثروبولوجية"، مجلة النص، ع21، الجزائر، 2017، ص ص26-38، ص30.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

يستلزم منه أن يكون تواصلية، وإذا كانت الظاهرة الاحتفالية ظاهرة دينية، فإن الدين كان ولا يزال آلية للمؤانسة وارتباط البشرية ببعضها البعض، وبالمقدسات التي صنعتها من تساؤلها وحاجاتها وفي متخيلاتها<sup>1</sup>.

أهم الممارسات الطقوسية المقدسة في المغرب الأوسط هي الطقوس الدينية خاصة الاحتفالية، والطقوس الدورية والتي تشمل دورة الحياة، والتي لعبت منذ زمن طويل دوراً بارزاً في حياة الإنسان المتدين<sup>2</sup>، وبالتأكيد فإن طقس العبور ممثل بامتياز بمسار البلوغ والعبور من صف عمر لآخر أي من الطفولة إلى المراهقة والشباب، غير أنه يوجد كذلك طقس عبور الولادة والزواج والموت، ومن بين طقوس العبور التي سأخصها بالدرس: طقوس الاحتفال بالأعياد، وطقوس الميلاد والختان، وطقوس الزواج، والطقوس أثناء الموت وبعدها، أين تم الخلط بين المقدسات الدينية بالدينية.

### المبحث الأول: الحقل الطقوسي بالمغرب الأوسط.

لا جدال أن سكان المغرب الأوسط كغيرهم من سكان المغرب الإسلامي أبدوا اهتمامهم، بالعبادات<sup>3</sup> والطقوس الاحتفالية في الأعياد الدينية بشكل كبير، لأنها تعد أياماً مقدسة تجمع بين العبادة كالصلاة والذكر والصدقة والنسك والتهليل والتسبيح والتكبير، وبين العادة وما فيها من توسع في الطعام والشراب والملبس والزينة والمرح والسرور وسائر الأعمال المستحبة، وسيتم التركيز على عيدين دينيين هما عيد الفطر وعيد الأضحى كعيدين مقدسين، دون أن أنسى أن العرف السائد عند مجتمع المغرب الأوسط احتفالهم بالمناسبات الدينية الأخرى التي ارتقت لديهم وأصبحت أعياداً مقدسة، كاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وتجدد الإشارة إلى أن تطرفي للأعياد عند ساكنة المغرب الأوسط سيرتكز على الممارسات الطقوسية التي أحيطت بهالة من القداسة.

1 - الصديق، ثياقة: مرجع سابق، ص2.

2- الياد، مارسى: المقدس والمدنس، ص135.

3- العادات والأعراف من بين العناصر الثقافية التي تبدوا أكثر عمومية، وإن ما يحكم العادة هو التكرار والتعود، فيتعود الناس أو يعتادوا عليها، كما يأتي هنا المفهوم الاشتقاقي لكلمة عيد أو أعياداً لأن الناس اعتادوه، فالعيد يذهب ثم يعود، وهنا يتخطى مفهوم العادة الاجتماعية مسألة تكرار لعملية معينة أو النشاط اللاشعوري واللاواعي لعملية ما، والنتيجة عن تكرار فعل حتى ولو كان فعلاً اجتماعياً، فمفهوم العادة أضيق من المفهوم الاجتماعي لهذه الكلمة. عبد الغاني، عماد: سوسيولوجية الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ص152.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

أولاً: شهر رمضان.

كان لشهر رمضان قداسته عند المسلمين عامة، لكنه امتاز ببعض الخصوصية لدى مجتمع المغرب الأوسط، إذ كانوا يستعدون له منذ اليوم الأول بشراء كل ما يلزمهم من مأكّل ومشرب للفقور والسفور<sup>1</sup>، وكان القضاة يشرفون على ترقب هلال رمضان بشغف، وهم من يعلم كافة المسلمين بحلوله<sup>2</sup>، وهذا الترقب مَسَّ جميع أفراد المجتمع على اختلاف مشاربهم.

قداسة المناسبات الدينية ألفت بقدسيته على الهلال، فتحديد بداية شهر الصوم ومواعيد عيد الفطر وعرفة والحج وعيد الأضحى، وتحديد رأس السنة المحجرية كلها مواعيد مقدسة، تنبع قداستها من كونها مناسبات دينية، ومنه فالهلال الذي ينبأ بدخول هذه الأوقات أو المناسبات هو هلال مقدس.

فموعد ظهور الهلال يعد مناسبة تجعل من الفقيه المعلن عن ولادة الهلال شخصاً مهماً، فلا يمكن لأحد مهما كانت مكانته من نزع هالة الاحترام والتوقير عن الفقيه المعلن عن بدء شهر رمضان أو عيد الفطر، فهو يمثل السلطة الدينية الشرعية الوحيدة التي تمتلك حق الافتاء بشأن ميلاد أو انتهاء الهلال المقدس، وتجدر الإشارة إلى وجود هلال آخر أقل قداسة، ألا وهو الهلال الذي تدل ولادته ومنازل حركته على مواعيد ومناسبات أخرى كليلة الإسراء والمعراج والمولد النبوي وغيرها.

ومن الطقوس المصاحبة للإعلان عن باية هذا الشهر في الغرب الإسلامي ككل ما نقله لنا ابن الخطيب (ت776هـ/1365م) في وصفه لاستعداد الناس لاستقبال هذا الشهر: «حتى إذا وقف الأئمة منك على الصحيح وصرحوا برؤيتك كل التصريح، نظرت كل جماعة في اجتماعها، وتأهبت القراء لإشفاقها واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها، وتضرعت الألباب، وطلبت المواقف أواخر العُشّار والأحزاب، عندما أوقدت قناديل كأنما قد بدت من الصباح<sup>3</sup>»، إن وصف ابن الخطيب (ت776هـ/1365م) ينقل لنا صورة عن المكانة المقدسة لهذا الشهر في نفوس سكان الغرب الإسلامي بما فيه المغرب الأوسط، والتحضيرات التي يقومون بها احتفاءً بقدومه.

<sup>1</sup> - عبد الله، بن عبد الرحمن ابن الحارث بن همام أبي العباس السبتي الهواري (ت601هـ): مناقب أبي العباس السبتي، مخطوط رقم 1198، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز، 22 ورقة، ب31. مكتبة رقمية.

<sup>2</sup> - الونشريسي: المعيار، 1/149.

<sup>3</sup> - الإحاطة في أخبار غرناطة، ط2، تح: محمد بن عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973-1977م، 4 أجزاء، 1/318.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

وتعتبر فترة الصيام بمثابة طقس مرور على اعتبار أن الجسد يمر من حالة حرقة الجوع والعطش والحرمان خلال الامساك، إلى حالة النشوة بالارتواء والاشباع عند الافطار، فالصوم هو محاولة لتجاوز ما هو أرضي والارتقاء إلى ما هو علوي وسموي، ورمضان بهذا المعنى صيرورة من أجل تطهير المسلمين<sup>1</sup>.

كما يعد هذا الشهر فرصة للفقراء والمستضعفين والمتسولين كي ينالوا نصيبا من الصدقات والعطايا، وتتعدد به الزيارات بين الأقارب والجيران والأصدقاء تدعيما لأواصر المواخات في المجتمع، إذ يدعون بعضهم بعضا إلى الإفطار في منازلهم طوال شهر رمضان<sup>2</sup>، في المقابل كانت المساجد والزوايا تزين بالشموع والقناديل وأنواع البخور والعود والعنبر<sup>3</sup>، ومن العادات المقدسة فيما يخص عبادات هذا الشهر، حرص الناس على حضور صلاة التراويح، حتى في وقت القر والقيظ وشدة البرد كحضورهم بالجامع الأعظم بمدينة تلمسان<sup>4</sup>، وخاصة عندما يؤم الصلاة الإمام أبو العباس الزواوي (ت884هـ/1479م) الذي كان يتميز بحسن الصوت<sup>5</sup>.

ولكون شهر رمضان شهر مقدس تتضاعف فيه العبادة، لما ذكر من فضل التهجد والتعبد فيه وقراءة القرآن والحديث، فإن كافة الناس كانوا يواظبون على قراءة الأذكار وتأدية الصلوات بالمساجد، كما اعتاد سلاطين المغرب الأوسط إحياء هذا الشهر بالقراءة في مصحف سيدنا عثمان<sup>6</sup>، لما له من مكانة مقدسة في نفوسهم.

1 - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص138.

2- جمال، أحمد طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000م، ص345.

3 - أجاز البرزلي وغيره من الائمة المالكية تزيين المساجد بالشموع لأنه نوع من الاحترام والإكرام. البرزلي: مصدر سابق، 1/338؛ عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 1/270.

4 - ابن الزيات: مصدر سابق، ص373.

5 - هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي (800-884هـ / 1398-1479م)، متكلم وفقه مالكي، من كبار العلماء في وقته، له نظم، يقال أنه نظير عبد الرحمن الثعالبي علما وعملا، أصله من قبيلة زواوة، سكن الجزائر وتوفي بها، قال السخاوي: من المشهورين بالصلاح والعلم والورع والتحقيق، وقال عنه الشيخ زروق: كان شيخنا من أعظم العلماء إتباعا للسنة وأكبرهم حالا في الورع، من آثاره كفاية المريد في علم الكلام، منظومة لامية تزيد على 400 بيت، وتسمى أيضا الجزائرية في العقائد الإيمانية مخطوطة، في الأزهرية، شرحها الإمام محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وأثنى عليه، وله أيضا القصيد في علم التوحيد، التنبكي، مصدر سابق، ص104: وقال عنه أبي القاسم، الحفناوي نقلا عن الشيخ الفقيه الولي الصالح أبو العباس ظريف العارفين، صاحب العقيدة المنظومة اللامية المشهورة. تعريف الخلف برجال السلف: الجزائر: مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، 1906م، 1/33.

6- عبد الرحمان، ابن خلدون: العبر، 7/110-111؛ تحدث التنسي (ت899هـ / 1494م) عن مصحف عثمان بقوله: «كما كان سلاطين بني زيان الأوائل يحرصون على إحضار مصحف عثمان على عادة الموحدين، ويستصحبونه في كل حركاتهم للقتال تبركا به، ولهم في ذلك ترتيب حسن وذلك أنهم في سفرهم أول ما يتقدم بين يدي الأمير على راية عظيمة بيضاء على أطول ما يكون من العصي، ويتلوها المصحف الكريم محمولا على أضخم بختي، يوجد مجموعا في قبة حرير مربعة بأعلاها جَامُورٌ أبدع ما يكون في رأس ركن من أركان القبة، راية عظيمة تخفق بأقل ريح ولو لم يكن إلا حركة الحمل في سيره، ويتلوها بغل من أفره البغال يحمل رُبْعَةً كبيرة مربعة مُعَشَّاةً بحرير تضمنت (الموطأ والبخاري ومسلما والترمذي والنسائي وأبا

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

وهناك مناسك أخرى يقوم بها سكان المغرب الأوسط على غرار باقي المسلمين كمنسك (التَسْحُر) السُّحُور<sup>1</sup>، إذ يعد تركه نقيصة في حق هذا الشهر المقدس وفي صيامه، ولهذا استعمل الناس عدة وسائل لإيقاظهم وقت السحور، منها "النفخ في النفير"<sup>2</sup>، وغالبا ما كان مؤذنو المساجد هم من يتولى مهمة إيقاظ الناس للسحور. سبقت الإشارة إلى كثرة التعبد والنسك إلا أن المتصوفة كانوا يزيدون على ذلك لعظمة ووقديسة هذا الشهر في نفوسهم، إذ كانوا يغيرون مكان إقامتهم إلى الزوايا قصد التفرغ للعبادة<sup>3</sup>، ومنهم من كان يختم القرآن الكريم عدة مرات في رمضان<sup>4</sup>، وتعتبر ليلة النصف من رمضان ليلة مقدسة تحظى بطقوس خاصة كالتبرع بموائد الإفطار إلى المساجد، حيث تقام حلقة الذكر التي تبدأ بعد صلاة العشاء إلى غاية صلاة الفجر<sup>5</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن سكان المغرب الأوسط كغيرهم من المسلمين المغاربة كانوا يولون ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان عناية خاصة، ويحيطونها بهالة عظيمة من التقديس، فكانت على حد قول التادلي: « أعظم ليلة

---

داود)، ويليها الأمير في صدر الجيش والعساكر خلفه وعن يمينه ويساره، ظل مصحف عثمان محفوظا في خزائن ملوك تلمسان من بني عبد الواد، حتى قدم أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي يعقوب المريني إلى تلمسان في أواخر شهر رمضان سنة 737 هـ (1336م)، وافتتحها سنة 738 هـ فظفر بهذا المصحف، فاهتم به اهتماما خاصا وكان يقدمه أمامه على عادة الموحدين عند خروجه للقتال فلما كانت وقعة السعيد انتهت المصحف الكريم في جملة ما انتهت، واتفق أن وقع هذا المصحف غنيمة في أيدي البرتغاليين الذين اشتركوا مع القشتاليين والأرجونيين في موقعة طريف المعروفة في المصادر المسيحية بموقعة نحر سلاو في 7 جمادى الأولى سنة 741 هـ (1340م) وانتهت بمزيمة نكراء منى بها المرينيين، ولم يدخر السلطان المريني جهدا لاسترداد المصحف فأرسل إلى البرتغاليين التاجر أبا علي الحسن بن جهمي من مدينة آزمو ليجلس المصحف بما يطلب فيه من مال، ونجح أبو علي الحسن في مهمته وأعادته إلى السلطان أبي الحسن المريني بنفاس في سنة 745 هـ وذكر ابن مرزوق أنه أنفق في اقتناء المصحف آلاف من الدنانير الذهبية، وهكذا أعيد المصحف الأمام إلى فاس بعد أن جرد البرتغاليون أغشبية ومرزوقا ما كان على دفتيه من وشى وأحجار كريمة وأخذ ما عليه من الحلبة الموجبة لغنى الدهر وطرح عاريا، فوجده رجل ودخل به تلمسان وهو غير عالم بمقداره، وعرضه للبيع فكان السمسار ينادي عليه بسوق بيع الكتب بسبعة عشر درهما، فرآه بعض من يعرفه فأسرع إلى أمير المسلمين يغمراسن (633-687هـ/1235-1281م) وعرف به، واستمر المصحف محفوظا في خزائن المرينيين، وكان ذلك آخر العهد به إذ انقطعت أخباره منذ ذلك التاريخ.التنسي: مصدر سابق، 124؛ سحر، السيد عبد العزيز السالم: أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقا وغربا، ط01، مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 1991م.صفحات متعددة.

<sup>1</sup> - السُّحُور: - بفتح السين - طعامُ السَّحْرِ وشرائه، وبضمها: أكل هذا الطعام. فهو بالفتح اسم ما يُتَسَحَّرُ به، وبالضم المصدر والفعل نفسه. ابن منظور: مصدر سابق، مج 3، 1953/22.

<sup>2</sup> - جمال، أحمد طه: مرجع سابق، ص345. والتَفْيِيرُ أو التَّوَجُّلُالة آلة نفخ نحاسية حادة الصوت تشبه في شكلها البوق، تصدر بعض نغمات لإعلان ساعة الاستيقاظ أو الإفطار في رمضان، ولإشهار الأعراس أيضا وفي الاحتفالات والمناسبات الشعبية، ولدى طائفة عيساوة الصوفية في المغرب، وتستعمل لإعلان قدوم عيد الفطر. منير، البعلبكي ورمزي، البعلبكي: قاموس المورد الحديث، لبنان: دار العلم للملايين، 2013م، ص167.

<sup>3</sup> - ابن الزيات،: مصدر سابق، ص344.

<sup>4</sup> - نفسه، ص344.

<sup>5</sup> - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص139.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

في هذا الشهر، هي ليلة السابع والعشرين منه<sup>1</sup>، وتعتبر ليلة القدر ذروة القدسية والبركة، إذ تعد وقتاً مقدساً متميزاً تقرر فيه جميع المصائر والأقدار، وتكون فيها أبواب السماء مفتوحة أمام دعوات السائلين<sup>2</sup>.

ولعل ما يدل على أهمية هذه الليلة ما ذكره ابن الخطيب (ت 776هـ/1365م) بقوله: «الثمست الليلة التي هي خير من ألف شهر، فنشط الصالحون بك صوماً وهجر المتهجدون في ليلك نوماً، وأكملناك إن أذن الله ثلاثين يوماً<sup>3</sup>»، ويعود سبب تقديس هذه الليلة لأنها تزامنت ونزول القرآن لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾<sup>4</sup>.

وتأسياً بسيرة المصطفى عليه السلام<sup>5</sup> اجتهد سكان المغرب الأوسط كغيرهم من المسلمين، لإحياء والاحتفاء بهذه الليلة المباركة واحتفلوا بها أيما احتفال، فاجتهدوا في تلاوة القرآن في تلك الليلة بالمساجد الجامعة، مع وجوب ختم القرآن فيها وإقامة صلاة التراويح<sup>6</sup>، وهو ما جعل الناس يهجرون النوم رغبة في بلوغها وخوفاً من فوات وقتها دون نيل أجرها.

### ثانياً: الاحتفال بعيد الفطر.

تشكل الأعياد التقويم للمقدس<sup>7</sup>، والعيد كما جاء عند ابن منظور: «كل يوم فيه جمع، واشتقاقه من عادَ يَعُودُ، وكأنهم عادوا إليه، وقيل اشتقاقه من العادة لأنهم اعتادوه<sup>8</sup>»، والعيد تصور يحوي مفهومين أساسيين هما الاجتماع والتكرار، وغالب الضن أنه مشتق من عيداً الأرامية (eida).

<sup>1</sup> - ابن الزيات: المصدر السابق، ص 344. يقول ابن الخطيب (ت 776هـ/1365م): «وظلت ليلة سبع وعشرين إحدى المواسم المختصة باستحلاب الأمم وتخييم الخيم واحتفال الأسواق، إن استعماله لمصطلح إحدى المواسم المختصة دليل على أنها من بين أهم المناسبات الاحتفالية التي تنافس في إحيائها الزنانيين أمراء وعمامة. نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح: السعدية فاغية، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1989م، ص 122.

<sup>2</sup> - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص 139.

<sup>3</sup> - الإحاطة، 318/1.

<sup>4</sup> - سورة القدر، الآية، 1، 2.

<sup>5</sup> - اعتاد رسول الله ﷺ الاحتفاء بها وتلتمسها في العشر الأواخر وفي الوتر منها خاصة، وحسبنا في ذلك ما رواه البخاري (ت 256هـ) في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كان رسول ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله، وجد وشد المنزر" نفسه، 73/2، ورد في باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، رقم الحديث 2015، حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب النبي رآوا ليلة القدر في المنام في السبع فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحراها في السبع الأواخر». البخاري: مصدر سابق، 71/2.

<sup>6</sup> - ابن مزروق: المسند، ص 134، وهي من البدع المستحسنة حسب الونشريسي: المعيار، 461/2.

<sup>7</sup> - الياد، مارسي: المقدس والمدنس، ص 65.

<sup>8</sup> - ابن منظور: مصدر سابق، 318/3.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

عيد الفطر هو أول الفرحتين، جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ: « لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ حِينَ يَفْطِرُ وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ »<sup>1</sup>، ويحتفلون به في أول أيام شهر شوال بعد صيام رمضان، وفي هذا الصدد قال ابن الخطيب (ت 776هـ/1365م): « واحتفلوا بآخر ليلي رمضان، وبرؤية هلال شوال »<sup>2</sup>، عندما تثبت رؤية الهلال بشهادة الشهود أمام قاضي الجماعة بتلمسان عاصمة المغرب الأوسط، والذي يعلن بدوره على حلول عيد الفطر للمسلمين، وبحلول العيد يدفع الصائمون عن أنفسهم وعن أفراد عائلاتهم وعن المولود قبل أن يفهم أو يعقل صدقة الفطرية، وتسمى زكاة الفطر للفقراء والمساكين<sup>3</sup>، وجرت العادة أن يتم إخراجها قبل هذا اليوم حتى يمكن من الاستفادة منها ليلة العيد أو قبل ذلك بقليل، ويجوز دفعها قبيل صلاة العيد أو في أواخر شهر رمضان لشراء ما يحتاجون إليه من ملابس ومؤن<sup>4</sup>، ويظل الاحتفال بعيد الفطر ثلاثة أيام.

سبقت الإشارات التاريخية أن البرنس المغربي كان أهم ما يلبسه الرجال في المغرب الأوسط في الأعياد، «فكان كساء الصوف لا غير<sup>5</sup>»، وذلك لما وردت في مدحه من فضائل عن النبي ﷺ والتي ورد ذكرها عن ابن سعد (ت 901هـ/1496م): « عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الإيمان في قلوبكم ، وعليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة، وعليكم بلباس الصوف تجدون قلة الأكل فإنه يورث في القلب التفكر، والتفكر يورث الحكمة، والحكمة تجري في الجوف مجرى الدم، فمن كثر تفكره قل طعمه وكل لسانه، ومن كثر طعمه عظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله عز وجل بعيد من الجنة، قريب من النار<sup>6</sup>»، كما يمكن رصد ألبسة تصنع من أقمشة أخرى كالكتان والحرير والملف<sup>7</sup>، وكانت النساء أكثر حرصا على الظهور في ثوب جديد وأنيق، على أنها كانت تستعمل أيام الأعياد مختلف أدوات الزينة من الحناء المنقوشة والسواك والكحل وتتعطر بأنواع المسك<sup>8</sup>.

1- الإمام مسلم: مصدر سابق، 7/13.

2- الإحاطة، 500/2.

3- ابن الزيات: مصدر سابق، ص 460.

4 - خالد، بلعربي: الدولة الزيانية، ص 305؛ وجمال، أحمد طه: مرجع سابق، ص 345؛ وعبد العزيز، فيلاي: تلمسان: 1/ 270، عندما يتم الاعلان عن رؤية هلال العيد يسابق الناس الى اخراج زكاة الفطر التي تؤدي في البوادي على شكل حبوب. عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص 140.

5- القلصادي: مصدر سابق، ص 101.

6- ابن سعد: مصدر سابق، ص 200.

7- الملف نسيج كان يرد من بلاد الروم إلى المغرب والأندلس، وكانت الجبة الملف المصنوعة من الجوخ من ثياب الطبقة الثرية، وكان للفقهاء موقف من هذا القماش على اعتبار أنه ملين بشحم الخنزير، أنظر في هذا الأمر الونشريسي: المعيار، 3/1.

8- خالد، بلعربي: الدولة الزيانية، ص 307. وأورد ابن الخطيب (ت 776هـ/1365م) وصفا دقيقا للنساء وزينتهن في العيد في قوله: « وقد زينت العيون بالكحل، والشعور بالترجيل، وكرر السواك على مواضع التقبيل، وطوقت الأعناق بالعقود، وضرب الفكر في صفحات الحدود، ومد بالغالية على مواضع السجود، وأقبلت صنعا بأوشيتها، وعنت بأرديتها، ودخلت العروس في حليتها ورقمت الكفوف بالحناء، وأثني على الحسن وهو أحق

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

ويصف لنا ابن الخطيب (ت776هـ/1365م) حال الناس واستعدادهم لهذا العيد في قوله: « هذا هلال شوال قد طلع، وكر في منازلهم وقطع، وغاب أحد عشر شهراً، ثم رجع... فقل هو هلال الفطر أو قل هو هلال العيد، فلقه صباح مشى الناس فيه مشي الحباب، ولبسوا أفضل الثياب، وبرزوا إلى مصلاهم من كل باب، فارتفعت هممة الإسلام، وشرفت أمة محمد عليه السلام، وخطب بالناس ودعا للإمام... ثم انصرفوا راشدين... ورجعوا على غير الطريق الذي أتوا عليه<sup>1</sup>».

نستشف من كلام ابن الخطيب (ت776هـ/1365م) بأن ذهنية ساكنة المغرب الأوسط تدعوهم إلى تغيير طريق العودة من المسجد بعد انقضاء صلاة العيد، كخطوة احترازية يقومون فيها بالتخلص من كل الذنوب والآثام التي ربما لا زالت عالقة بهم من شهر رمضان، ولم تحمى بسبب تقصيرهم في العبادات أو عدم بلوغهم ليلة القدر، فتغيير الطريق كناية عن التخلص من الذنوب في المرة الأولى التي يمرون بها، ويجب عدم المرور من نفس الطريق مخافة أن تلتصق بهم هذه الذنوب مرة ثانية.

أما صلاة العيد فكانت تقام في العراء خارج أسوار المدينة أمام باب القرمادين<sup>2</sup>، ويحضرها الناس من مختلف الأعمار والفئات الاجتماعية، يتقدمهم السلطان في موكب حافل، ومن بين الطقوس الأخرى المصاحبة لهذا الاحتفال، نجد أن الناس يحضرون فيه أنواعاً من الحلوى كالكعك والمقروط والقربوش، وتقدم يوم العيد مع مشروب كالشاي والقهوة، أما في اليوم الثاني والثالث فيتوجه بعض أصحاب الطرق الصوفية لزيارة المقابر<sup>3</sup> وأضرحة الأولياء الصالحين مثل أبي مدين الغوث (ت594هـ/1198م) بالعباد.

---

بالثناء، وطلقت التوبة ثلاثاً بعد البناء وغص الذراع بالسوار، وتختم في اليمين واليسار، وأمست الثياب بأيدي الأبرار، ومشت الإمام أمام الأحرار وتقدمت الدايات بالأطفال الصغار، وامتألت الدنيا سرراً، وانقلب الكل إلى أهله مسروراً، والسلطان يهنئ الناس بالعيد. الإحاطة، 502/2

1 - نفسه: 502/2. أجمع الفقهاء على أنه لا ينبغي ترك إظهار الزينة والتطيب في الأعياد مع القدرة عليها تقشفاً لأنه بدعة، كما لم ينكروا لعب الأطفال وندبوا الرجوع من طريق أخرى غير التي ذهبوا عليها لصلاة العيد أول مرة لشهادتها وللتصدق على فقرائها. خليل أبي اسحاق بن موسى بن شعيب الجندي ضياء الدين أبو المودة: شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل، تح: محمد عليش، ط01، بيروت: دار الفكر للطباعة والتوزيع، 1984م، 463/1-464.

<sup>2</sup> - يحيى، ابن خلدون: مصدر سابق، 90/1؛ مجهول: زهر البستان، ص39.

<sup>3</sup> - محمد، بن رمضان شاوش: باقة السوسان، 2/ 51.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

### ثالثا: موكب الحج.

على غرار باقي المسلمين أبدى ساكنة المغرب الأوسط اهتمامهم الخاص بفريضة الحج، وتجلى ذلك من خلال مظاهر الاستعداد والتجهيز لأدائها، بتهيئة الثياب الخاصة بالإحرام، وعقد جلسات الحناء، مما اعتاده الناس تحضيرا لمثل هذه المناسبة، بالإضافة الى الاحتفال بالركب المتوجه إلى البقاع المقدسة بالحجاز<sup>1</sup>. وكان الحجاج يحملون معهم المصاحف والكتب الصحاح، ويقومون بتحسيسها على القراء في مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد الخليل بفلسطين<sup>2</sup>، وهي أماكن تحظى بقدر كبير من القداسة لأنها في تصور الإنسان المثقل بالتمثلات الأسطورية تمثل تجليا للمقدس<sup>3</sup>، كما كانوا لا يتوانون في إرسال "المحمل"<sup>4</sup>. كان الحجاج يتعرضون أحيانا إلى ما يصادفهم في الطريق أو قد يصابون بالأمراض الفتاكة وموت الدواب، وخطر اللصوص وقطاع الطرق من القبائل البدوية<sup>5</sup>، وذلك بسبب اختلال موازين القوى خلال المنتصف الثاني من القرن 8هـ/14م، إذ لم يعد الطريق البحري آمنا فكثيرا ما وقع الحجاج أسرى في يد النصارى، ربما هذا الأمر هو الذي دفع بأحد الفقهاء إلى المناداة بضرورة إسقاط فريضة الحج المقدسة، وإحياء فريضة أخرى لا تقل قداسة عنها وهي فريضة الجهاد في سبيل الله<sup>6</sup>.

- 
- 1- لم يقتصر الاحتفال على خروج موكب الحج، بل تعداه لاستقبال الحجيج عند عودتهم، كما حدث مع يوسف بن يعقوب الملاري أثناء عودته من البقاع المقدسة وخروج الناس لاستقباله. عبد العزيز، فيلالي: الزاوية الملارية، ص114.
  - 2- عبد العزيز، فيلالي: أبو العباس السبتي أحمد بن مرزوق التلمساني ( سيرته- مناقبه- رحلته إلى المشرق)، ص ص 222-256، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، عين مليلة- الجزائر: دار الهدى، 2012م، ص230-231.
  - 3- الياد، مارسى: المقدس الدنيوي، ص29.
  - 4- وهو عبارة عن حمل يحمل الهدايا الثمينة لحكام الحجاز والكسوة المخصصة لتغطية الكعبة الشريفة، ولا يفوتنا أن نذكر بأن الاستعداد للحج يكون في الغالب مطلع شهر ربيع الأول، إذ ينادى في الناس بحلول موسم الحج حتى يتهيأ القاصدون للحج، ببناء المنادي بين الناس معلنا لهم بقدم الموسم حتى يستعد كل واحد منهم في عقد النية، وتبدأ الوفود تصل إلى عاصمة المغرب الأوسط - تلمسان- من الضواحي والأطراف، ثم ينطلق منها الحجاج في موكب رسمي على الجمال والخيل والدواب، يخرقون المدينة في جو من الابتهاج والتهليل والتكبير، ولا سيما إذا كان الموكب يضم أحد أفراد العائلة الحاكمة فيخرج الأهل والأقارب وسكان تلمسان في بحجة وسرور لتوديعهم. عبد العزيز، فيلالي: أبو العباس السبتي، ص230-231.
  - 5- ابن مرزوق: المناقب، ص254؛ عبد العزيز، فيلالي: أبو العباس السبتي، ص231.
  - 6- حول هذا الموضوع ينظر المعيار للونشريسي في جزئه الثامن؛ أبو محمد عبد الله بن ممد أحمد التيجاني: رحلة التيجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس-ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1981م.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

### رابعاً: الأضحية وطقوسها.

لا جدال أن عيد الأضحى أو العيد الكبير مناسبة مقدسة تختلف في طقوسها عن يوم عيد الفطر، ويكون الاحتفال بهذه المناسبة في اليوم العاشر من ذي الحجة من كل سنة هجرية ويتعلق الاختلاف بين العيدين (الفطر والأضحى) في شعيرة الأضحية<sup>1</sup>، والتي تعد سنة واجبة على من استطاعها<sup>2</sup>.

وكان سكان المغرب الأوسط يستعدون لها بشراء الأضاحي، ورغم قدسية هذه الشعيرة إلا أن شراء كبش العيد لم يكن في مقدور كل فئات المجتمع، ولذلك اقتصر على الفئات الميسورة<sup>3</sup>، وتخفيفاً على غير القادرين ومساعدة لهم، كان بعض السلاطين في هذه المناسبة يشترون أعداد كبيرة من الكباش ويقدمونها للرعية للتضحية بها يوم العيد، فكثيراً ما كان الميسورون من الرعية يقومون بشراء الأضاحي ويوزعونها على الأسر العاجزة، حبا منهم في إدخال البهجة والسرور<sup>4</sup>.

سبقت الإشارة أن عيد الأضحى أهم طقس احتفالي وديني عند المسلمين، ويبدأ الاحتفال بالعيد بخروج المناادي إلى الشوارع ينادي بالعيد في اليوم التالي، ويخرج السلطان إلى المصلى في موكب مهيب ورجال الدولة في أحسن زي وخلفهم أعداد من العامة، ويسير السلطان بموكبه الذي له أبهة خاصة إلى القصر والناس يلوحون للسلطان ويدعون له<sup>5</sup>.

الطقوس المقدسة في المغرب الأوسط تبدأ بأداء صلاة العيد فجر اليوم الأول منه، وقد اعتاد الناس أداؤها في العراء خارج المساجد أسوة بالرسول ﷺ من جهة، وكذلك لكثرة عدد المصلين ذلك اليوم من جهة أخرى، كما

1 - ابن مرزوق: المسند، ص: 136. الأضحية تؤسس الصلة مع العالم القدسي، وتتحول إلى طقس عبور من الدنيوي إلى القدسي، على اعتبار أن الطقس يعمل دوماً على تجسيد العلاقة بين العالمين. عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص 127.

2 - الإمام مالك بن أنس (ت 179هـ): الموطأ، تخرّيج وتوثيق: صدقي جميل العطار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2002م، ص390.

3 - ورد عن ابن مرزوق أن الصالحة ستم بنت الشيخ أبي علي حسين بن الجلاب، أحبرته عن أبيها لما أعطى ربح دينار وقال له: اشتر لي به كبشا مليحا لأضحيتي قال: فقلت: سبحان الله هو يعرف ربح دينار لا يوجد به ما طلب وعوايده يعطيني من غير تعين فلم يمكنني مراجعته وقلت في نفسي: لعل هذا سببا فتوجهت لمواضع الشاوية وقضيت غرضي ولم يبق بيدي إلا الربح دينار، وكنت بدوار أبي منصور قال: فمر بي رجل بقطعة غنم يقدمها كبش لم أر مثله فنظرت إليه، وقلت مثل هذا ينبغي أن اشتري للشيخ قال: فقال الرجل: يا حسين! هات الربح دينار احمل الكبش للشيخ وأبلغه السلام، قال: فدهشت فأعاد على الكلام ثانية فأخذت الكبش وقبلت يده وانصرفت، فلما وصلت إلى الشيخ قال لي: يا حسين! وعليه السلام هات الكبش واسكت. المناقب، ص163.

4 - ابن الزيات: مصدر سابق، ص105. فأحد السلاطين فرق ما يزيد عن "ألف شاه" من الضأن والماعز على مختلف الفئات الاجتماعية من أمراء وحمد وقراء، حسب ما رواه المقرئ: مصدر سابق، 358/4.

5 - بوزيانى الدراحي: مرجع سابق، ص 287.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

أنها تجوز داخل المساجد أيضا ويكون على رأس المصلين الأمير أو السلطان الذي يدعو بعد الصلاة للناس بدعائه، وبعد أداء الصلاة يضحى السلطان بأضحيتيه أمام الملاء ويذبح الكبش بين يديه<sup>1</sup>، ويستعمل يده اليمنى في عملية نحر الأضحية<sup>2</sup>، وما تقدم الصلاة على نحر الأضحية إلا لاجتماع الأمة حول الإمام المضحى كاجتماعهم على الإمام المصلي<sup>3</sup>، ومن بين النوازل حول الأضحى هل هي معتبرة بذبح الإمام الذي تؤدي إليه الطاعة أو إمام الصلاة؟ فكان الجواب أن المعتبر في ذبح الأضحى الإمام الذي يصلي بالناس لأن الأضحية معتبرة بالصلاة<sup>4</sup>، الأمر الذي يقضي إلى إعلان أسبقية طقوس الكلام على طقوس الفعل، ومن ثمة سيادة الفريضة على الطقس<sup>5</sup>، كما تنطوي عملية النحر في كافة الثقافات البشرية على بعد قدسي<sup>6</sup>.

بعد إتمام صلاة العيد كما سبق الذكر، وبعد توجه الإمام لذبح أضحيته بيده خارج الجامع الكبير عند باب الضحية بتلمسان، تنقل بعدها الأضحية إلى قصر المشور<sup>7</sup>، وينتشر المصلون ليقوموا بذبح أضحياتهم<sup>8</sup> تطبيقا للآية الكريمة من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَنْ<sup>9</sup>﴾، لا يمكن الذبح قبل الإمام إذ أفتى فقهاء المغرب الأوسط بعدم جواز الأضحية قبل الإمام، ولا أدل على موقفهم من نازلة جاء فيها إذ لم يخرج الإمام

1- عبد الملك محمد الباجي، ابن صاحب الصلاة (كان حيا سنة 594هـ/1198م): تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، ط1، تح: عبد الوهاب التازي، بيروت: دار الأندلس للنشر، 1964م، ص457؛ وأفرد الإمام مالك بابا في الموطأ للنهي عن ذبح الأضحية قبل انصراف الإمام . ص296.

2 - ابن مفلح المقدسي: مصدر سابق، 3/143؛ طقس التضحية يتكون من السيرورة من المراحل الثلاث التالية: صلاة العيد، تهية الأضحية، ونحر الأضحية، ثم اعداد الوجبات الفاخرة والقيام بالألعاب الساخرة. عبد الغني منديب: مرجع سابق، ص144.

3 - يرى الباحث نور الدين الزاهي أن التضحية تحكمها ثلاثة استراتيجيات وثلاثة مؤسسات، أما الاستراتيجية في استراتيجية الإسلام النبوي واستراتيجية الجماعة الدينية السياسية، واستراتيجية الطرق والإسلام الطقوسي، أما عن المؤسسات فهناك مؤسسة الإمام المصلي والإمام المضحى ومؤسسة الولاية الصوفية، وتمحور شرعيتها جميعا حول ثلاثة قيم هي: الشرف- الجهاد- البركة. المقدس والمجتمع، ص5-6.

4 - الونشريسي: المعيار، 2/32؛ المازوني: مصدر سابق، 529.

5 - نور الدين، الزاهي: المقدس الإسلامي، ص12.

6 - Geroges, Battaille: Op.cit.p 544

7- المشور: قلعة المشور التي قاومت صروف الدهر قرونا تتوسط المدينة، أنشأها الموحدون بعد سيطرتهم على المدينة في القرن 12م وبداخلها دور للسكنى، ومسجدها جميل ما يزال حتى اليوم، و بنا يغمراسن بن زيان قصر المشور وعمره أوائل القرن الثالث عشر عند مغادرته القصر المرابطي الذي كان موازيا للجامع الأعظم، فقد وصف التنسي منازل الجلييلة وحدائقه النضرة، وقد هدم بعض حجراته باي الجزائر، إثر ثورة قام بها التلمسانيين على الحاكمين، ثم قضى الفرنسيون على ما تبقي منها سنة 1843 واتخذوا موضعه معسكرا إلا أنهم تركوا صومعة قصيرة جميلة تدل على أنه كان للقصر مسجدا. يحيى، بوعزيز: تلمسان، ص37؛ وعبد العزيز، فراح: مرجع سابق، ص226؛ ومختار، حساني: موسوعة تاريخ، 4/9؛ عبد العزيز، فيلالي: تلمسان، 1/115.

8 - محمد، بن رمضان شاوش: باقة السوسان، 2/150.

9 - سورة الكوثر، الآية 1، 2.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

ضحيتته إلى المصلى يوم النحر؟ فكان الجواب أن الذبح يوم النحر للضحايا مرتبط بذبح الإمام أضحيتته على مذهب الإمام مالك، فيجب على أهل البلد والقرية تصلي فيها صلاة العيد بجماعة، أن لا يذبحوا أضحياتهم حتى يذبح إمامهم الذي صلى بهم العيد، فمن ذبح قبل أن يذبح إمامه وإن كان بعد أن صلى وخطب فلا تجزئه أضحيتته عند مالك وأصحابه<sup>1</sup>.

فعل التضحية هنا هو فعل مقدس فالتضحية كما يعرفها مارسيل ماوس: هي كل ممارسة تقتضي نحر حيوان ما وفق طقوس وقواعد دقيقة ومحددة، تضيء دائما طابعا قدسيا على الأشياء والأحداث التي تنجز من أجلها، هي عملية تحرر بالضرورة طاقة قدسية تعادل قدسية الحدث المضحي من أجله<sup>2</sup>، ودم الأضاحي دم مقدس لأنه مقدم للتضحية لله، إلا أن هناك بعض العادات الغربية والبقايا الوثنية، كاحتفاظ بمرارة الكبش ورمي الملح قبل الذبح وغيرها من السلوكات، ويمكن الإشارة إلى ما يمثله الكبش لدى سكان المغرب قديما، فقد كانت هناك قبائل تعبد الكبش<sup>3</sup>.

رغم زوال الديانة الوثنية من المغرب بعد مجيء الإسلام إلا أن هناك من روج لفكرة البقايا الوثنية الكبشية خاصة المستشرقين كما ورد في الفصل الأول، وأنها تتضح بأسنى تجلياتها في الممارسات التعبدية والترفيهية التي تواكب عيد الأضحى، وحسبهم فالخروف بالنسبة لكثير من القبائل الأمازيغية زمن الدراسة، كان ذا قيمة فوق مجرد الأضحية التي يراد منها التقرب إلى الله، لتتعدى وظيفتها الدينية إلى تقديس أطرافها وجلودها وبعض أعضائها، هذا دون الحديث عن التعويذات المصنوعة من قرون الكبش لدفع العين والحسد.

وهو نفس الطرح الذي تبنته كتابات علماء الاجتماع المعاصرين والتي أشارت إلى أن شعيرة التضحية بكبش عيد الأضحى، اصطدمت بقوة بمعتقدات القبائل الوثنية الكبشية التي وفدت عليها شعيرة عيد الأضحى ضمن ما وفد من شعائر الإسلام، والتي كانت تعتقد في الكبش الأقرن الصورة الوحيدة للإله، إذ استشكلوا ذبح أفضل صور آلهتهم اتباعا للدين الجديد، وهو الأمر الذي نفّر الكبشيين من الإسلام، ودفع بمن أسلم منهم إلى محاولة التوفيق بين الإسلام والوثنية خشية لعنة قد تلحقهم من ذبح الكبش، سواء بازتداء جلودها أو تقديس لحمها وقرونها، للإبقاء على أكبر ما يمكن من وشائج الصلة بالمعبود القديم، وكان كبش قعدة الخروبة ذو التاج أو كبش

1 - الونشريسي: المعيار، 33/2.

2 - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص146.

3 - كان كبش قعدة الخروبة ذو التاج أو كبش بوعلام بأفلو وغيرها في كامل سلسلة الأطلس الصحراوي، أساس المعتقدات التي أدت إلى عبادة الاله آمون، الذي يحمل رأس كبش، والذي ظهر ثم انتهى إلى فرض وجوده في مصر عندما حل الجفاف بالصحراء في عام 3500 ق م ولم يغادرها. عبد العزيز، فراح: مرجع سابق، ص 134؛ عبد العزيز، فيلاي: المؤرخون الفرنسيون، ص26؛ وعثمان، محمد العربي: مرجع سابق، ص250.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

بوعلام أساس المعتقدات التي أدت إلى عبادة الإله آمون الذي يحمل رأس كبش والذي ظهر ثم انتهى على فرض وجوده في مصر عندما حل الجفاف بالصحراء في عام 3500 ق م ولم يغادرها<sup>1</sup>

هذه نماذج من السلوكيات التقليدية المرتبطة بشعيرة الأضحية والتي ليس لها أساس ديني، أو مبرر عقلائي أو علمي ورغم شيوعها نسبيا في القرون الأولى كطقوس مصاحبة للأضحية، إلا أنها سلوكيات اتجهت نحو الانحسار في كثير من المدن والبادي بتأثير من الفقهاء الذين حابوا مثل هذه المعتقدات.

ويرى الباحث روني جيرار أن تبعات التضحية تؤدي إلى التحام الجماعة وتمتين الروابط وتفريغ العنف الكامن داخلها، هذا العنف الذي يهدد استمرارية وحدتها واستقرارها، فالتضحية مكون رئيسي من المكونات الأساسية للمجتمعات البشرية، وكل الثقافات هي منتج لعنف أصلي تم تجاوزه عن طريق سن طقوس التضحية<sup>2</sup>، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الطقوس كانت منحسرة في بعض المناطق الجبلية في الأطلس الكبير وبدأت في الاختفاء تدريجيا مع انتشار الإسلام في المنطقة.

خامسا: عاشوراء<sup>3</sup> والزمن المتجدد.

يعتبر أول محرم بداية السنة الهجرية عند المسلمين وهو يوم مقدس كونه يعلن عن بداية زمن جديد، تجري فيه التطهيرات لطرد الذنوب<sup>4</sup>، عاشوراء تكون في اليوم العاشر من هذا الشهر، ويحتل هذا اليوم مكانة مقدسة في مجتمع المغرب الأوسط على غرار باقي المسلمين لكن خصوصية الاستعداد القبلي لليلة عاشوراء تختلف وإن كانت بعض العادات تعد رواسب تعلقت بذهنيات بعض الناس من فترة وجود الفاطميين بالمغرب الأوسط (269-

---

<sup>1</sup> - عبد العزيز، فراح: مرجع سابق، ص 134. كما ساد الاعتقاد قديما بأن التضحية الدموية التي يستهل بها الفلاح موسمها، كانت تهدف إلى ضمان خصوبة الأرض التي تستعيد قوتها من خلال نحر الحيوان، الذي يجرر دمه المراق تلك الطاقة التي تعطي الحياة للأرض والنبات، فهضة الحقل ليست من صنع الله وإنما من صنع روح الحقل نفسها. Emle, Looust: Mots et choses Berberes Notes de linguistique et dethnographie. Dialectes du Maroc, paris: Augustin challamel Éditeur, 1920 p 38

<sup>2</sup> - René, Girard: la violence et le sacré, paris: Albin Michel Litterature Collection pluriel, 1990, p144

<sup>3</sup> - عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر محرم الحرام، ميزه الله بأحداث تاريخية مهمة وفضائل، منها أنه اليوم الذي تاب فيه الله على آدم، ونجا فيه نبيه موسى من فرعون وجنوده، وهو اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي ونجا الله ومن معه من الطوفان، وهو كذلك يوم يرتبط عند المسلمين بالصوم، لكون الرسول ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود يصومونه فسألهم عن ذلك فقالوا إنه اليوم الذي نجا فيه الله سيدنا موسى من بطش فرعون، فقال رسول الله ﷺ: "نحن أولى بصيامه"، فصامه وأمر بصيامه، صحیح مسلم: 176/2؛ حتى يتميز المسلمون عن اليهود أمر الرسول ﷺ بصيام اليوم التاسع والعاشر، وشهد هذا اليوم اختلافا وتباينا في طرق الاحتفال به، إلا أن صوم هذا اليوم يبقى القاسم المشترك الذي يوحد سكان المغرب الإسلامي. زين الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن أحمد ابن رجب (ت 795هـ) في كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، تح: ياسين محمد السواس، ط5، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، 1999 م، ص 102-113.

<sup>4</sup> - الیاد، مارسى: المقدس والمدنس، ص62-63.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

358هـ / 908-969م)، فقبل طلوع شمس اليوم العاشر تبدأ مرحلة الاستحمام بالماء البارد، حيث يتحول ماء البرك والآبار إلى ماء مقدس يبطل كل أشكال السحر والنحس وسوء الحظ والظالم<sup>1</sup>، فالرجال لا يخلقون رؤوسهم والنساء يخضبن أيديهن بالحناء<sup>2</sup>، ورغم أن استعمال الحناء ساري في جميع أيام السنة، لكن التخضيب ليلة عاشوراء يضفي عليها نوعاً من القداسة، فتصبح طقساً لسيقا بهذا اليوم.

ويصف ابن الخطيب (ت776هـ/1365م) مظاهر الاحتفال بهذا اليوم في قوله: «كانت عاشوراء من بين المناسبات التي احتفل بها الناس في تلك الفترة، واستمر حتى أيامنا، واقتزن أكل الدجاج بهذه المناسبة، وهذا اليوم كان يوم صوم وإحسان، وهناك من اعتبره يوم هو وترويح فتشبه الرجال بالنساء، وحتى اليهود والنصارى وضربوا آلات اللهو على أشكالها<sup>3</sup>».

نستنتج من خلال هذا النص أن هذه المناسبة هي فرصة لاجتماع أفراد الأسرة على موائد العشاء لتناول وجبة الدجاج التي تعد خصيصاً لهذا اليوم، وكذلك العزف والغناء، بالإضافة إلى التخضيب بالحناء، نجد عادة الاكتحال والاستيائك والتزين والتجمل، واستعمال البخور وأكل الفاكهة المجففة، وهي عادات دالة على الفرح<sup>4</sup>، وغيرها من العادات التي اشترك فيها المسلمون مع غيرهم من الأقليات التي تعيش ضمن مجتمع المغرب الأوسط في إطار من التسامح الديني.

في المقابل هناك من الناس من فضل تخصيص ليلة عاشوراء لممارسة أفعالهم الشيطانية، باللجوء إلى اقتناء مواد السحر والشعوذة، اعتقاداً منهم بأن ليلة عاشوراء لها تأثير بالغ في إبطال أو تحقيق مفعول السحر، ومن الأمور الأخرى التي يجيي بها المغاربة هذه الليلة "إشعال النار للهب المقدس" وصب الماء، كعادة ضمن الاحتفال بهذه الليلة لاعتقادهم بأن الماء تفيض منه البركة كما تفيض على جميع الأمكنة والأشياء، وخاصة ماء الضريح والذي

1 - عبد الغني مندوب: مرجع سابق، ص 133 .

2- محمد، بن رمضان شاوش: باقة السوسان، 2 / 46-47.

3- الإحاطة، ص 501.

4 - عبد الغني مندوب: مرجع سابق، ص 133. يمكن تسجيل بعض المظاهر الأخرى كزيارة المقابر والأضرحة والقيام ببعض الطقوس التي لا تمت للإسلام بأي صلة، كعادة خروج الأطفال لجمع النقود، وهم يحملون عظم كبش والمسمى عندهم ب "عيشور - عيشوري"، والذي يحتفظ به من عيد الأضحى، ثم يدفن هذا العظم في طقوس احتفالية خاصة بهم، ثم عادة قص شعر الفتيات ليلة عاشوراء اعتقاداً منهن ببركة عاشوراء، إن الفكرة الجوهرية التي يمكن استخلاصها هنا أن الأساطير والمعتقدات القديمة تمت المحافظة على جزء منها وتعايشت مع الوجود الإسلامي بالمنطقة، وهو ما منح الطقوس والسلوكات شرعيتها ما أسهم في تجذر الخرافة.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

يصير في اعتقادهم ماء مطهرا شافيا، أما تراب الضريح فيصبح معالجا ورادا لكل سوء<sup>1</sup>، لقد سبقت الإشارة إلى ظاهرة التشافي بتراب القبور والأضرحة في الفصل الأول.

### سادسا: المولد النبوي.

بدأت ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب الإسلامي أيام الدولة الفاطمية بمصر، منذ عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (341-365هـ/953-975م) الذي سن للمجتمع المصري الاحتفال بستة مواليد وهي: مولد النبي ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، ومواليد آل البيت رضي الله عنهم<sup>2</sup>، وأول من سن هذه المبادرة في المغرب الإسلامي هو أمير سبته الشيخ الفقيه المحدث أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد العزبي اللخمي السبتي (557-633هـ/1161-1235م)<sup>3</sup>، وألف في ذلك كتاب بعنوان "الدر المنظم في مولد النبي المعظم"<sup>4</sup> لكنه توفي قبل إكماله فأتمه ابنه من بعده، وهو الشيخ أبو القاسم محمد (633-677هـ/1226-1278م)، وعلل سبب مبادرته للاحتفال بهذا المولد لمشاركة وتقليد مسلمي الأندلس للمسيحيين في كثير من مظاهر حياتهم واحتفالاتهم، من ذلك عيد المسيح وامتداد هذه الظاهرة لمدن الغدوة الأندلسية<sup>5</sup>.

انطلاقا من تعلق سكان المغرب الأوسط بدين الإسلام وتصديقهم بالرسول الحبيب ألفوا تخليد ذكرى مولده بطقوس تختلف من منطقة إلى أخرى-على أن هذه الاحتفالات كانت منكرة وغائبة في الحجاز-، معتبرين الثاني عشر من ربيع الأول عيدا رسميا لا يجوز الاشتغال فيه، فتراهم يستعدون لقدمه بأيام من خلال كنس الدور

1- عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص69؛ حنان، حمودا: مرجع سابق، ص146.

2 - حسن، السندي: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول، ط1، القاهرة: مطبعة الاستقامة، 1948، وهي مواليد علي ابن أبي طالب(23 قبل الهجرة/660م)، الحسن بن علي(3هـ/624م)، الحسين بن علي(4هـ/625م)، فاطمة بنت الرسول ﷺ (17 قبل الهجرة/605م)، وآخر هذه الاحتفالات مولد الخليفة الفاطمي الحاضر. تقي الدين، أبو العباس أحمد بن علي المقرئ (ت845هـ/1441م): كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، القاهرة: مطبعة الأوفست: مؤسسة الحلبي وشركاؤه، (د.ت)، 1/490، 491؛ عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 1/274-275.

3 - العزبي صاحب سبته هو الذي سن ذلك في بلاد المغرب، وأتى بزلفى تدينه إلى الله وتقرب واقتفى الناس سنته، وتقلدوا منه تعظيما للجانب الذي وجب له السمو والعلو. المقرئ: أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م، 1/243؛ « أول من أحدث ليالي المولد في المغرب ما وضعه العزبي في ذلك واختاره وتبعه في ذلك ولده الفقيه أبو القاسم» الونشريسي: المعيار، 242/8

4 - تجدر الإشارة إلى وجود مؤلفات حول المولد النبوي والاحتفال ب قبل هذا الكتاب فقد ألف أبو الحسن أحمد بن عبد الله البكري (ت250هـ/864م) كتاب: الأنوار ومفتاح السرور والأفكار في مولد النبي المختار ﷺ، وكان يقرأ في سوق الكتبيين المقرئ: مصدر سابق، 2/491.

5 - صابرة، خطيف: فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ط01، جسور للنشر والتوزيع: الجزائر، 2011م، ص230، 231؛ محمد، المنوني: رقات عن حضارة المرينيين، ط3، الرباط: منشورات كلية الآداب - الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2000م، ص521؛ عبد الهادي، التازي: لماذا عيد المولد في الغرب الاسلامي"، مجلة دعوة الحق: المملكة المغربية، ع277، 1989، ص50.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

وطلاء الجدران واقتناء الطعام، وتنافس النساء في إعداد الحلويات من مختلف الأشكال والأذواق بل هناك من يسارع لشراء ملابس جديدة للأطفال والأهل حتى صارت مظهراً من مظاهر التباهي بين الأسر.

وجرت العادة ببعض المناطق بالمغرب الأوسط أن يبدأ الاحتفال منذ حلول مغرب ليلة المولد حيث تتداخل أهازيج الفرحة بتراتيل الأذكار والأدعية، إذ يجتمع الرجال بالمساجد لتلاوة بعض سور القرآن والتذكير بالسيرة النبوية واستحضار قصائد البردة والهمزية وقصائد القاضي عياض، وغيرها وكان الاحتفال يستمر إلى غاية الفجر، بينما كانت بعض النسوة تجتمعن بإحدى الدور وبعد تذكير إحداهن بخصال النبي وبعض من ملامح سيرته، كن يشرعن في الإنشاد والذكر بشكل جماعي وباستعمال آلات موسيقية كالبنادير والتعاريج وغيرها<sup>1</sup>.

يمكن القول أن الناس افترقوا في هذا الأمر إلى فريقين: فريق ينكر الاحتفال وينكر على من يفعله، لعدم فعل السلف إياه ولا محيء أثر في ذلك، ومن المنكرين الونشريسي(ت914هـ/1509م) في معياره، وفريق يراه جائزاً لعدم النهي عنه، ولكل حجته في هذا، ولا أنسى هنا أن التأثير المريني كان واضحاً، ومع هذا تبنى فقهاء تلمسان مبادرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ومنهم الفقيه المتصوف أبي الحسن التنسي(ت899هـ/1494م) الذي خرج من تلمسان في سفارة لأبي يعقوب يوسف أيام حصاره لتلمسان، وحضر الاحتفال بالمولد النبوي وباليوم السابع منه بناءً على رغبة السلطان<sup>2</sup>، ومنهم ابن عباد الذي أباح عمل المولد وابن مرزوق، بدليل تأليفه كتاب أسماء جنا الجنتين في شرف الليلتين<sup>3</sup>.

وهناك الفقيه أبو موسى عيسى بن الإمام وهو من كبار فقهاء ومدرسي تلمسان وممن دخل في خدمة أبي الحسن المريني(731-749هـ/1331-1348م)، فهو ممن استحسنت مبادرة أبي العباس العزفي(ت633هـ/1235م) وابنه أبي القاسم (ت677هـ/1278م) رداً على من أنكروا ذلك من فقهاء المغرب<sup>4</sup>.

لقد تحدث الفقيه ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/1379م) بإعجاب حول عناية أبي الحسن المريني(731-749هـ/1331-1348م) الشديدة بالمولد النبوي، فهو من المؤيدين والمدافعين عن الاحتفال

1 - للمزيد ينظر محمد، أدبوان: الثقافة الشعبية المغربية (الذاكرة والمجال والجمع)، الرباط: مطبعة سلمى، 2002م، ص 116 وما بعدها.

2- صابرة، خطيف: مرجع سابق، ص234.

3- الونشريسي: المعيار، 11/278.

4- صابرة، خطيف: المرجع السابق، ص234.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

بالمولد النبوي الشريف ويكفي دليلاً عنوان مصنفه «جنى الجننتين في شرف الليلتين» ويقصد بهما ليلة القدر وليلة المولد النبوي.<sup>1</sup>

ويحتج منكري هذا الاحتفال ممن يقولون بعدم جوازه واعتباره من البدع المحرمة شرعاً، بحديث النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»<sup>2</sup> وقوله: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»<sup>3</sup>، بالإضافة إلى وجود اختلاف في تاريخ مولده ﷺ إذ لا يستطيع أحد أن يجزم بأن مولد الرسول عليه الصلاة والسلام في الثاني عشر من ربيع أول، فقد كان العرب يؤرخون بالحوادث، والثابت أن النبي ﷺ ولد يوم الاثنين من ربيع أول عام الفيل، ولكن تاريخ ولادته عليه السلام مختلف فيه والموثوق فيه والمؤكد هو تاريخ وفاته في الثاني عشر من ربيع أول، لأن المذاهب المخالفة للسنة النبوية هي من ابتدعت الاحتفال بالمولد النبوي.

وهناك فريق آخر أجاز الاحتفال بالمولد النبوي بصورة مقبولة أو محافظة كمجرد ذكرى طيبة في شهر ربيع الأول، يتم فيها دراسة سيرة النبي الكريم ﷺ والتقرب إلى الله تعالى ببعض الطاعات ومنها صوم ذلك اليوم، دون تشجيع على الاحتفالات المنكرة التي يتم فيها ارتكاب بعض المخالفات، من مدح مبالغ فيه للنبي ﷺ، ورفع فوق منزلة العبودية أو النبوة، ومن وقوع الاختلاط المذموم والمنكرات، والرقص واستعمال آلات الملاهي وغير ذلك من مظاهر صارت مشهورة ومعروفة تقام كل عام، وأجازوا اتخاذ يوم شكر وعبادة وصلاة على النبي والذكر وهو من القربات المشروعة في جميع الأوقات<sup>4</sup>، ويستدل أصحاب هذا الاتجاه بحديث الرسول ﷺ إجابة لمن سأله عن صيام يوم الاثنين فقال: "ذلك يوم ولدت فيه وأحب أن أبعث فيه"<sup>5</sup>.

أما من عارض فقد حاجج بأنه لو كان في الاحتفال خيراً لما قال الرسول ﷺ: "لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ"، ورغم موافقة بعض علماء تلمسان على احتفالات المولد النبوي وتفضيل هذه الليلة على ليلة القدر، كما ذهب إلى ذلك الخطيب ابن مرزوق (ت 781هـ/1379م)، فإن علماء آخرين عارضوا بعض السلوكات المصاحبة لهذه الاحتفالات، واعتبر المفتي أحمد الونشريسي (ت 917هـ/1508م) اتخاذ الطعام مخصوص من المولد النبوي في بعض الاحتفالات بدعة من البدع، وأنكر اجتماع النساء والرجال به<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - ابن مرزوق: المسند، ص 152، 154.

<sup>2</sup> - البخاري: مصدر سابق، ص 2697.

<sup>3</sup> - مسلم: مصدر سابق، ص 867.

<sup>4</sup> - الونشريسي: المعيار، 280/11؛ ابن مرزوق: المسند، ص 153، 154.

<sup>5</sup> - مسلم: مصدر سابق، ص 1162.

<sup>6</sup> - الونشريسي: المصدر السابق، 280/11 و 339/2.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

ورغم ما أثاره الاحتفال من تعارض بين الفقهاء إلا أن سلاطين المغرب الأوسط اعتادوا الاحتفال بالمولد النبوي في قاعة كبرى من قصر المشور، ويجلس السلطان وقرابته وحاشيته في أجمل ملابسهم فيستمعون للمدائح الدينية وقراءة القرآن<sup>1</sup>، كما اعتاد الناس بهذه المناسبة الخروج والزعردة فوق الأسطح ساعة من الزمن، أما الرجال فأنهم يجتمعون بعد صلاة العصر أو المغرب بالمساجد الجامعة حول جماعة من الطلبة الذين ينشدون منظومة الشيخ العروسي (ت 877هـ/1473م) في مدح النبي ﷺ وعادة ما تدوم أربعة وعشرون يوماً لأن المنظومة مقسمة من أربعة وعشرين جلسة وتدوم القراءة مصحوبة بالتصليّة على النبي ﷺ ساعة من الزمن<sup>2</sup>.

كما نظموا القصائد والمدائح للاحتفال، وهو المنعطف التاريخي والثقافي الذي شهد ظهور قصيدة البردة<sup>3</sup>، واجتماع الناس في المسجد والانشاد بالقراءة الجماعية للقرآن الكريم والأمداح وبحلقات الذكر، والتوجه إلى قرية العباد<sup>4</sup>، ويعتبر أمرا لا بد منه لأصحاب الزوايا لزيارة ضريح الشيخ أبي مدين بن شعيب (ت 594هـ/1198م)، وهم يذكرون بأصوات عالية ذهابا وإيابا، فتثير إعجاب الناس بكثرة وخاصة إذا ما ميز ذلك قرع الطبول واستخدام المزامير للعزف<sup>5</sup>، إضافة إلى إشعال الشموع وترديد الشعر الذي عرف بالمولديات أو المديح النبوي، وهو فن أدبي نشأ في البيئات الصوفية<sup>6</sup>، أما الصبيان فيشترون الشمع ويقدمونه لمؤدبيهم في الكتايب<sup>7</sup>، وبدأ هذا التقليد في تلمسان منذ عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني (760-792هـ/1357-1389م)، وحسب صف التنسي (ت 899هـ / 1494م) في نظم الدر حول هذا الاحتفال قال: «ويحتفل لها بما فوق سائر المواسم، يقيم مدعاة يحشد لها الأشراف والسوقة»، وتبدو مظاهر الاحتفال في تلمسان من خلال الزينة والشموع والمرشات

1 - ابن الأحمر: مصدر سابق، ص 49-50.

2 - محمد، بن رمضان الشاوش: باقة السوسان، 2/ 47-49.

3 - شرف الدين، أبي عبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي البصري (ت 696هـ/1296م) ديوان البصري، تح: محمد سيد الكيلاني، ط1، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1955م، ص 117-119. وقد ساهم التصوف في ذبوع قصيدة البردة وفي انتشارها بين الخاصة والعامة، وهي القصيدة المعروفة التي نظمها في مدح النبي ﷺ، وعنوانها الكامل "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" ولها اسم آخر هو البروة قيل لأنه برء يها من علته، بالإضافة إلى قصائد أخرى أهمها: ذخر المعاذ وتقديس الحرم من تدينس الضرم، ومن بين الشروح الكثيرة التي خصصها علماء المغرب الأوسط لهذه القصيدة نذكر ثلاثة شروح لابن مرزوق الحفيد الشرح الأكبر - الشرح الأوسط - الشرح الأصغر. محمود، بوعياذ: مرجع سابق، ص 73.

4 - مبارك، بن محمد الملي: مرجع سابق، 2/ 351.

5 - نفسه، 2/ 50.

6 - زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، القاهرة: دار الشعب، 1971م، ص 14. 15.

7 - المعيار: 278/11 و 48-49. اعتبر إيقاد الشمع ليلة المولد وسابعه وما في ذلك من أنواع المفاسد، وقد تصدى لتغيير ذلك أبو عبد الله محمد بن مرزوق فانقطعت تلك المفاسد من تلمسان طول حياته ثم عادت بموته بل زادت. نفسه 2/ 471-472.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

في الشوارع والأطفال الحاملين للمباخر، أما داخل قصر المشور فتلبس أثواب الحرير وتضاء الشموع والثريات<sup>1</sup>، ويدور الأطفال بالمباخر والمرشات على الحضور حتى تفوح الرائحة الزكية وتعرض على الحضور ميقاة المنجاة الشهيرة أو المنكاة<sup>2</sup>، التي تدق كلما مرت ساعة من الليل<sup>3</sup>.

وكمظهر آخر للاحتفال بالمولد النبوي كثرت السير والآداب الشعبية التي تخاطب الوجدان، ويضم هذا الفضاء الوجداني كتب المراثي النبوية ومعراجات الأولياء والأنبياء والبطولات المأثورة عن الصحابة أو الخلفاء الراشدين، وظهرت لنا المولديات<sup>4</sup> والتي احتلت مكانة هامة في الشعر الزياني خاصة شعر أبي حمو الثاني (760-792هـ/1357-1389م) وقد أورد منها صاحب بغية الرواد إحدى عشر قصيدة نظمها أبو حمو بينسنتي (760-771هـ)<sup>5</sup>، كما أشار مؤرخي الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، إلى اهتمامه بالاحتفال بليلة المولد الشريف شأنه في ذلك شأن بني الأحمر بالأندلس وبني مرين بفاس وغيرهم من السلاطين<sup>6</sup>.

قال التنسي (ت 899هـ / 1494م): «كان أبو حمو - موسى الثاني (760-792هـ/1357-1389م) يقوم بحق ليلة مولد المصطفى ﷺ ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم يقيم مدعاة يحشر لها الأشراف والسوقة

1 - التنسي: مصدر سابق، ص 162؛ وابن مرزوق: المسند، ص 154.

2 - المنجاة أو المنقاة أو الميقاة أو المنغاة أو المنكاة: كلمة المنجاة أو المنقاة أو المنكة معناها الساعة والكلمة حسب دوزي أصلها بنكان كلمة فارسية معناها آلة كان القدماء يقيسون بها الزمن وعند أهل تلمسان تعني ساعة الحائط الكبيرة، جاء في المقتبس لابن حيان: «وعمل عباس بن فرناس (ت 274هـ/887م) الآلة المسماة المنقاة لمعرفة الأوقات فأحكمها ورفعها إلى الأمير محمد بن عبد الرحمان ونقش فيها هذه الأبيات:

أَلَا إِنِّي لِلدَّيْنِ خَيْرٌ أَدَاةٌ \*\*\* إِذْ غَابَ عَنْكُمْ وَقْتُ كُلِّ صَلَاةٍ  
وَمَنْ تَرَى شَمْسًا بِالنَّهَارِ وَمَنْ تُبْرِزُ \*\*\* كَوَاكِبُ لَيْلٍ خَالِكِ الظُّلُمَاتِ

يُبْنِي أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ \*\*\* بَجَلَّتْ عَنِ الْأَوْقَاتِ كُلِّ صَلَاةٍ». أبي مروان ابن حيان القرطبي: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمان علي حجي: بيروت: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1965م، ص 186. وورد في البغية: أن من اخترعها هو العالم الرياضي أبا الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحاح (ت 758هـ/1357م)، هو مخترع هذه الساعة الدقاة ويقول عنه يحيى بن خلدون: أعرف أهل زمانه بفنون التعاليم سبط سلف صالح ظهر على يديه من الأعمال الهندسية المنجاة المشهورة بالمغرب، 56/2؛ التنسي: مصدر سابق، ص 162.

3 - نفسه، ص 162.

4 - حول شعر المولديات أنظر: مقال "حركة الشعر المولدي في تلمسان في عهد أبي حمو الثاني" لعبد الملك مرتاض، مجلة الأصالة، مج 11، ع/26، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011م، ص 311-332.

5 - قال التنسي لما تحدث عن شعر أبو حمو، وما قاله المولى أبو حمو وقيل فيه من الشعر كثير لا يحتمله هذا المجموع ونحن نجتمع إن شاء الله في كتاب يختص به بعد فراغنا من هذا المجموع. مصدر سابق، ص 178. ومعناه يوجد كتاب آخر في الأمداح والقصائد عنوانه: راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك حسب الاقتراح مفقود. نقل عنه المقرئ في نفع الطيب 513/6-515؛ أزهار الرياض، 243/1-244. وقد أورد عبد الحميد حاجيات جميع هذه القصائد تحت عنوان الشعر الديني في مؤلفه عن أبو حمو من ص 341 إلى ص 383.

6 - المقرئ: نفع الطيب 215/9-218 وأنظر أيضا أزهار الرياض: 243/1-245.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

وأعيان الحضرة على مراتبهم، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخبز الملون، وبأيديهم مباحر ومرشات ينال منها كل بحضه<sup>1</sup>»، ولما جاء مولد 12 ربيع الأول 762هـ/ 23 جانفي 1361م: «أمر أبو حمو الثاني بإقامة هذه الليلة الشريفة المخصوصة بالأسرار اللطيفة، فضاغف فيها الإنفاق وزاد بزيادة الملك من كل ما حسن وراق، فكانت ليلة رائقة الجمال بديعة الاحتفال... أفاد المرائح الشعراء وواسى المزمزين الفقراء، وتليت الأمداح صوراً على الشادين ونثرت درراً بصناعة الأستاذين<sup>2</sup>».

يمكن القول أن الطقوس الاحتفالية بالمولد النبوي الشريف بعد أبو حمو موسى الثاني (760-792هـ/1357-1389م) لم تختلف كثيراً إذ واصل أبنائه الأمراء الزيانيين على سنة والدهم فيما كان يخصه لهذا الاحتفال<sup>3</sup>، ففي عهد أبي تاشفين الثاني (792-795هـ/1389-1383م) فكان يحتفل لليلة مولد المصطفى من دوحته يوليه محاربة الأعداء<sup>4</sup>، واستمر الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب الأوسط كحدث مقدس باهى فيه السلاطين في التوسعة في الطعام والشراب وتوزيع الهدايا لمدة سبع ليالي متواصلة.

### سابعاً: يوم الجمعة.

عني الإسلام بيوم الجمعة وصلاتها والحث على أدائها والحفاوة بها من اغتسال وطيب وتبكير إليها، ولكن من غير غلو ولا إفراط، ولذا نجد أن سكان المغرب الأوسط وكعادتهم في الاحتفاء بأيام مخصوصة لقداستها عندهم، فاهتمامهم بيوم الجمعة اعتقاداً منهم أنه يوم آدم عليه السلام ففيه خلق، وفيه خلقت الروح، وفيه أسكن الجنة، وفيه أنزل إلى الأرض، وفيه ثيب عليه، ومن التقاليد التي أحدثت في يوم الجمعة والتي اعتبرت من البدع، قراءة القرآن جماعة<sup>5</sup>، والحقيقة أنها مباحة إذا كانت سليمة غير مُخرفة، وكذا بقراءة "الحزب" الذي رسمته الدولة الموحدية والتي استمر بعدها<sup>6</sup>، وقد اعتاد الناس في هذا اليوم أنهم يخصصون يوم الجمعة بعد الصلاة على الزيارات وبما

<sup>1</sup> - التنسي: مصدر سابق، ص162.

<sup>2</sup> - نفسه، ص192.

<sup>3</sup> - أوصى أبو حمو موسى الثاني (760-792هـ/1358-1388م) ولي عهده السلطان أبو تاشفين الثاني (792-795هـ/1388-1392م) بإقرار هذه الشعيرة بقوله: « يا بني عليك بإقامة شعائر الله عز وجل وابتهل إليه في مواسم الخير وتوسل واتبع شأننا في القيام بلبلة مولد النبي عليه السلام واستعد لها ما تستطيع واجعله سنة مؤكدة في كل عام»، أبوحمو موسى: مصدر سابق، ص167.

<sup>4</sup> - التنسي: المصدر السابق، ص186.

<sup>5</sup> - للمزيد حول موقف المذهب الملكي من هذه البدعة ينظر: مصطفى، باحو: علماء المغرب ومقومتهم للبدع والمتصوفة والقبورية والمواسم، ط01، جريدة السبيل: تونس، 2007م، ص22.

<sup>6</sup> - وهو من البدع المستحسنة حسب ما ورد في المعيار، 461/2.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

تقتضيه هذه المناسبة العظيمة في نفوسهم فقد كانت لها قدسية خاصة، فأبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق كان يزور إخوانه في الله بعد صلاة الجمعة بمسجد تلمسان القديمة<sup>1</sup>.

من خلال دراستي لمظاهر المقدس في الطقوس الاحتفالية بالمغرب الأوسط، تبين لي أنها كانت تحظى بمكانة خاصة في نفوسهم، رغم ما شابها من طقوس جانبية مبادئ الشريعة الإسلامية، لكن عكست في مجملها تمسكهم بإحياء المناسبات الدينية وبكل ما يصاحبها من عادات وتقاليد وأعراف.

### المبحث الثاني: دورة الحياة وطقوسها.

عرف مجتمع المغرب الأوسط مجموعة من الظواهر الطقوسية ذات الخصوصيات الاجتماعية والأنثروبولوجية، والتي ترتبط بدورة الحياة من ولادة وعقيدة وختان وخطبة وزواج والموت وغيرها، والتي غالباً ما ارتبطت بتحويلات بيولوجية في الحياة والتي أحدثت تحولات في الوضعية الاجتماعية وأحياناً في العلاقات الاجتماعية للشخص المعني بها<sup>2</sup>، وتعد هذه الطقوس مكوناً رئيسياً من مكونات الهوية والذهنية التي ميزت المجتمع.

### أولاً: الولادة.

الولادة هي التحول الأول الذي يطرأ على الإنسان، إذ ينتقل بموجبه من عالم ما قبل الحياة إلى عالم الحياة، والذي يعبر عن الهوية الجماعية للمجموعة البشرية التي ينتمي إليها المولود الجديد، ويمثل فيها قطع الحبل السري الذي يربط بين المولود وأمه بداية طقوس العبور، ويصنف هذا الفعل ضمن طقوس الانفصال<sup>3</sup>، فالولادة والوضع هما التجربة الكونية الصغرى لعمل نموذجي مكتمل بالأرض، وكانت العادة عند بعض الأسر بوضع الوليد الجديد على الأرض، فالمولود ما أن يولد ويقمط حتى يوضع حالاً على الأرض (على الأرض الأم) وبعدئذ يرفع من قبل الأب بإشارة اعتراف<sup>4</sup>، هذا الأمر في الأصل كان سابقاً لإسلام ساكنة مجتمع المغرب الأوسط، وتعتبر تلك الطقوس كمارسات اجتماعية عن عمق هويتهم وثقافتهم.

شهدت طقوس الولادة في المغرب الأوسط استعدادات خاصة لاستقبال المولود الجديد، وتجدر الإشارة إلى أن الزوج كان يجذب إنجاب الذكور على الإناث لإعانتهم له على أعباء الحياة في المستقبل، هذا ما كان شائعاً في اعتقادهم ذلك الوقت، ولهذا الغرض استخدم الناس طرقاً بسيطة وبدائية لتحديد جنس المولود، كالتقول بحركة

<sup>1</sup> - ابن مرزوق: المناقب، ص 155.

<sup>2</sup> - عبد الحميد، بوهاها: طقس العبور، ص 31؛ براهم عصام و زازوي موفق: "جدلية الذكورة والأنوثة في العائلة التقليدية من خلال طقوس العبور"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 14-ع 02/ جوان 2019، ص 88-108، ص 91.

<sup>3</sup> - عمار، بن طوبال: مرجع سابق، ص 30

<sup>4</sup> - الياض، مارسي: المقدس والمدنس، ص 106.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

الجنين الذكر قبل الأنثى، ويتموضع الذكر من جهة اليمين أما الأنثى فتتموضع جهة اليسار، بالإضافة إلى أنه خلال فترة الحمل عمل الزوج على تلبية رغبات زوجته، وخاصة ما تشتهييه من مأكولات حتى لو كان أمر جلبها صعباً<sup>1</sup>، وتدعى هذه الفترة بفترة الوحم أو الوحام، وعند ازدياد المولود يحتفل أهله، فتذبح الشاة لليوم السابع بعد الولادة وتسمى "العقيقة"<sup>2</sup>، ومن عادات هذا اليوم تخضيب يد المولود بالحناء<sup>3</sup>، وستعرف على العادات الاحتفالية بمناسبة العقيقة بشكل موسع في العنصر الموالي.

قصدت بعض النساء ممن استعصت عليهن الولادة الأضرحة والزوايا، لاعتقادهن بقدرتها على التخفيف من آلام المخاض وتسهيل عملية الولادة، وكذلك كان أن مؤدب الكتاب يقوم بإرسال الصبيان يطلقون رداءً يسكون بأطرافه ويتجولون في طرق المدينة مرددين بعض الدعوات، وأثناء قيامهم بهذا العمل يلقي أصحاب الدكاكين والمارة التين والبيض والدراهم<sup>4</sup>، ويمر الصبية بأضرحة الصالحين بالمدينة ويغطسون الرداء في السواقى والصهاريج حتى تنكسر بيضة أو عدد من البيض الموجود في الرداء، فيعتقدون أن الحامل قد وضعت وتخلصت من أوجاعها فيعودون، ويستحوذ المؤدب على ما فيه من مواد ودراهم<sup>5</sup>.

بعد الولادة يبدأ أول طقس قولي (الأذان) في أذن المولود اليمنى حماية له من الأذى وإبعاد الأرواح الشريرة، وتبدأ بعدها وفود المهنتين بالقدوم للمباركة وإبداء الفرحة بالمولود الجديد، واعتاد الناس بهذه المناسبة تقديم الهدايا لأهل المولود، وكانت بعض الأسر تتعامل مع ميلاد الذكور عكس ميلاد الإناث كما سبقت الإشارة، ومنه فميلاد الذكر كان مدعاة الفرحة والسرور في الأسرة أكثر من ميلاد الأنثى<sup>6</sup>، وبمناسبة الاحتفال بميلاد الأطفال تم إعداد حلوى المدائن الكبيرة التي تحتوي على أصناف من الفواكه وهذا النوع من الحلويات صنع في الأسر الثرية دون غيرها.

<sup>1</sup> - إبراهيم، القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص33-34.

<sup>2</sup> - تجدر الإشارة هنا إلى أن الاعتقاد السائد في المخيال الجمعي أن انقطاع النفساء عن أداء العبادات لنجاسة دم النفاس، والذي يعد مصدراً للمرض والشر ذلك أنه مدنس والنفساء مهددة بالموت في فترة النفاس، فهناك قول مأثور شائع الاستعمال هو: أن النفساء قبرها مفتوح في محاولة لوصف المرحلة التي تكون فيها النفساء على عكس دم أضحية العقيقة التي ترمز إلى الحياة والبركة والطهارة.

<sup>3</sup> - محمد، رمضان شاوش: باقة السوسان، ص 54.

<sup>4</sup> - إبراهيم، القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص33.

<sup>5</sup> - نفسه، ص33.

<sup>6</sup> - الونشريسي: المعيار، 344/8.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

### ثانياً: العقيدة<sup>1</sup>.

تعد الولادة كطقس مركزي في مجتمع المغرب الأوسط، لكن تلحق به طقوس أخرى لا تقل أهمية، والتي تهدف لدمج المولود داخل المجتمع بعد ولادته بتحنينه واختيار اسمه وصولاً إلى طقس العقيدة وحلق شعر الرأس، وتبدأ هذه الطقوس في اليوم السابع "السبوع" والذي عادة ما يكون هو اليوم الذي يسمى فيه المولود الجديد<sup>2</sup>، فعندما يولد الطفل لا يملك سوى وجود طبيعي فلم يعترف به بعد من قبل العائلة ولم يقبل من الجماعة، والطقوس الملحوظة مباشرة بعد الولادة هي التي تضفي على الوليد الجديد حالة "الحي" بمعنى الكلمة ويفضل هذه الطقوس فقط يدخل في جماعة الأحياء<sup>3</sup>، من هذه الطقوس نجد طقس العقيدة وهي عادة إسلامية لها مكانة متميزة في سلم الأعراف والعادات الاجتماعية إمتزج فيها الثقافي بالديني<sup>4</sup>.

ظهرت في بلاد المغرب عادة احتفال الناس بمولودهم حيث يعدون العقيدة لذلك، وتتكون من خروف أو أكثر ونوع من الحلوى يسمى العصيدة، ويطعم من ذلك الفقراء وأقارب أسرة المولود، ويكون الاحتفال عند قص أول خصلة من شعر الطفل، وتكون غالباً في اليوم السابع من ولادته<sup>5</sup>، كما هي السنة على الأرجح، وفي هذا قال الونشريسي (ت914هـ/1509م): « وفي ذلك اليوم تقص خصلة من شعر المولود<sup>6</sup>، ثم يؤذّن له في أذنيه بقدر ما يسمع، وقد تلجأ الأمهات لوضع بعض التمايم والحروز التي تعلق في أعناق أولادهن حِفْظاً لهم من العين، وتقام الوليمة في العقيدة بذبح خروف وتحضر العصيدة من الشعير ويطعم منها الأهل والفقراء من الناس<sup>7</sup>»، إن العادات

<sup>1</sup> - العقيدة: معناها لغة القطع، أما شرعاً فتعني الذبح عن المولود، وحكمها شرعاً سنة مؤكدة لقوله ﷺ وفعله، أما قوله: فهو ما أخرجه البخاري في صحيحه عن سلمان الضبي قال: قال رسول الله ﷺ مع الغلام عقيدة فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى، أما فعله: فلحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشاً وكبشاً، وفي رواية أخرى عن أنس كبشين. 500/2.

<sup>2</sup> - موفق، زازوي: جدلية الذكورة، ص 94.

<sup>3</sup> - الباد، مارسي: المقدس والمدنس، ص 135.

<sup>4</sup> - عبد الحميد، بوهاها: مرجع سابق، ص 74.

<sup>5</sup> - ابن الزيات: مصدر سابق، ص 381؛ وفي موضع آخر ذكر التادلي أن المنصوف أبو يلخيت الأسود (ت 602هـ / 1202م) أهدي أحد الفقراء ثورا ليطعمه أهله لأن زوجته نفست ولم يجد ما يطعمها إياه أو يقيم به حفل العقيدة، النص دليل واضح على أن العديد من الأسر في المغرب الأوسط كانت تولي احتفال العقيدة أهمية خاصة، كما يدل على الدور البارز للمتصوفة ومساهماتهم في الحياة الاجتماعية وتفاعلهم معها. ص 387. جاء في موطأ الإمام مالك أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وزنت شعر حسن وحسين وزينب وأم كلثوم فتصدقت بزنته فضة. ص 306.

<sup>6</sup> - الونشريسي: المعيار، 22/1؛ ارتبطت الخلافة في اللاوعي الجمعي الذكوري باعتباره فعل تطهيري ينطوي على جزء خارجي جسدي وجزء داخلي روحي، كحماية من الخطر الذي يرمز إليه الشعر حين يخلق، وعن الرغبة في انتزاع الطفل من العالم الأنثوي بأسرع وقت ممكن، لتطعيمه بالقيم الذكورية كما أن حلق الشعر علامة على الرغبة في تحديد هوية المولود ودمجه في عالم الرجولة. زازوي موفق: جدلية الذكورة، ص 95.

<sup>7</sup> - الونشريسي: المعيار، 22/1. وكانت بعض الأسر تقوم بعد ذبح بأحد جلد الذبيحة إلى الأم التي تقوم بإدخال المولود في جوف الجلد الذي لم يفقد حرارته بعد ثم يأتي حمام المولود. عمار، بن طوبال: مرجع سابق، ص 31.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

المتعلقة بتعليق التمامم والحروز لتجنب العين الحاسدة ولحماية المولود ظلت من المعتقدات المهمة جدا والمصاحبة للعقيقة لزمان طويل، إذ تركت آثارها في بعض المناطق التي كانت تابعة للمغرب الأوسط في العصر الوسيط إلى يومنا هذا.

أما عن موقف الفقه من الاحتفال بالولادة والعقيقة وما صاحبهما من طقوس وعادات فقد أجازوه واستحبوا البشارة بالمولود الجديد لقوله تعالى: « وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ<sup>1</sup> » وقوله: « فَتَدَاتُهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ<sup>2</sup> » بالإضافة إلى ما سبق فقد استحبوا تحنيكه عندما يولد بمضغ تمر ثم يدللك بها حنك المولود لما في الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: « ولد لي غلام فأتيت النبي ﷺ فسماه إبراهيم وحنكه بتمر<sup>3</sup> »، أما عن موقف الفقهاء من الاحتفال بإقامة العقيقة للمولود فأهم استدلووا بقول الإمام مالك بوجوبها واستحباب العمل بها كما بين شروط الشاة التي يعق بها<sup>3</sup>، لكنه كره طعام العقيقة للصانع إذا كان من أجل السمعة والفخر بشرط موافقته لليوم السابع، وأجاز طعامه وأكله حلال للمصنوع له، أما ما كان منه قبل ذلك أو بعده فلا كراهة فيه لأنه لا يعتد به عقيقة ولا يجزئ عنها<sup>4</sup>، لذا نجد أن الزبانيين تنافسوا في إقامتها احتفالاً منهم بمواليدهم ذكرانا كانوا أو إناث.

وإذا كان الرقم سبعة في ثقافة مجتمع المغرب الأوسط التي يتجاوز فيها الديني والأسطوري، فإن اختيار اليوم السابع للقيام بالعقيقة وما يصاحبها من طقوس ليس أمراً عفويا بل راجع للذهنية الدينية المرتبطة بالرقم سبعة كما سجلناه في الاحتفال بالمولد النبوي والذي استمر لسبع أيام، وجد كذلك في طقوس العبور لسبوع المولود، وسبوع العروسة، وسابع الميت وغيرها، وهو نفس الشيء مع الرقم أربعين إذ يعتبر اليوم الأربعين آخر يوم تغلق فيه الطقوس المقدسة للولادة واحتفالياتها حيث تنهي الأم النفساء ارتباطها بالعالم السماوي، وحسب ما يعتقد في المخيال الاجتماعي حول النفساء فهي في هذه المرحلة تقف على عتبة المقدس وتكون منتمية إلى عالمين عالم

1 - سورة هود، الآية 71.

2 - سورة آل عمران، الآية 39.

3- قال الإمام مالك: « الأمر عندنا في العقيقة أن من عق فإنما يعق عن ولده بشاة شاة الذكور والإناث وليست العقيقة واجبة ولكنها يستحب العمل بها وهي من الأمر الذي لم يزل عليه الناس عندنا فمن عق عن ولده فإنما هي بمنزلة النسك والضحايا لا يجوز فيها عوراء ولا عجفاء ولا مكسورة ولا مريضة ولا يباع من لحمها شيء ولا جلدها ويكسر عظامها» مصدر سابق، ص 307.

4 - الونشريسي: المعيار، 45/2؛ المازوني: مصدر سابق، ص 445.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

علوي ملائكي فأبواب الجنة مفتوحة أمام دعواتها طيلة الأربعين يوماً وهي مدة النفاس، وعالم دنيوي ترجع فيه إلى حياتها العملية أين تكون في حالة خصوبة من جديد<sup>1</sup>.

### ثالثاً: الختان<sup>2</sup> وإكمال الذكورة.

الختان طقس مرور أساسي يتم بفضل بناء الهوية الرجولية، والشروع في استيعاب النصوص الثقافية المرتبطة بالقيم الذكورية، وتأكيد الأصل الأبوي من خلال عملية غرس قيم الهوية الذكورية ومشاعرها، والدمج في عالم الرجولة وحصول الولد على شيء من السلطة، وبداية التفوق على كل نساء العائلة<sup>3</sup>، فالختان بكل ما يحمله من دلالات اجتماعية ورموزية مباركة من طرف التصورات الدينية التي تربطه على المستوى الشعبي الذهني بالإسلام حصراً، ويتمظهر كدلالة على العبور من حالة الطفولة إلى حالة البلوغ، ومن ثمة الاستعدادات للتكليف والمسؤولية والفاعلية في إطار المجتمع الذي سيعيش فيه<sup>4</sup>.

ولما كان الختان من سنن الفطرة لقوله ﷺ: «الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط»<sup>5</sup> ولقوله ﷺ للرجل الذي أتاه فقال: «قد أسلمت يا رسول الله قال ﷺ ألق عنك شعر الكفر واختن»<sup>6</sup>، فإن سكان المغرب الأوسط كغيرهم من المسلمين كانوا يختنون أبنائهم وقيمون لهذا الحدث احتفالات باهرة، وهناك من كان يببالغ فيها خاصة من الطبقة الخاصة والسلاطين، إذ كانت تصرف أموال جمّة ويستدعى المغنون، وهو ما أنكره بعض الفقهاء، لكن هناك منهم من حضر لمثل هذه الاحتفالات، باعتبارها أهم طقوس عبور في حياة الإنسان.

1 - موفق زازوي: جدلية الذكورة، ص 95.

2- الختان: فالختن هو قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص، ويقال له: الختان بالنسبة للذكر والأنثى، فما يقطع من الذكر يقال له: ختان، والقطع من الأنثى يقال له: ختان، إلا أن القطع من الأنثى يقال له: الإعذار والخفض، عبد الحميد، بوهاها: مرجع سابق، ص 110؛ واختلف الباحثون حول أصل الختان فمنهم من أرجعه إلى الفراعنة وهناك من أرجعه إلى الأصل اليهودي، بينما يرى مارسي إلياد أن طقس الختان هو طقس إعدادي شبه كوني منتشر على نطاق واسع ولدى عدة شعوب عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص 162.. للمزيد حول الموضوع ينظر: سامي، الديب: ختان الذكور والإناث عند اليهود والمسيحيين والمسلمين - الجدل الديني، ط1، بيروت: رياض الريس للكتب، 2000م، ص 37.

3 - موفق، زازوي: جدلية الذكورة، ص 91.

4 - عبد الحميد، بوهاها: مرجع سابق، ص 113؛ عمار، بن طوبال: مرجع سابق، ص 35.

5 - القيرواني: جامع السنن، ص 209.

6 - ابن تيمية: مصدر سابق، 44/1.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

لهذا عُقد طقس ختان الأطفال لدى مجتمع المغرب الأوسط من أهم مظاهر الفرحة الاحتفالية، وبدأ التحضير له بمجرد وصول الطفل إلى مرحلة البلوغ، هذا إذا لم يكن قد ختن في صغره بمناسبة العقيقة، وأطلق على هذه المناسبة: "الختان" و"الطَّهَارَا" و"الإعذار"<sup>1</sup>، وكان الختان في العرف مرحلة فاصلة تظهر فيها الذكورة، وتعتبر رمزية الولادة الثانية عن نفسها بحركات ملموسة قبل أن يجرى الختان يكون الطفل موضع احتفال، ويضحى الأب بخروف<sup>2</sup>، أو أكثر حسب استطاعته، وفي نفس الوقت تحقيق هذا الفعل الذي يعتبر سنة مؤكدة، ومن خصال الفطرة التي يكتمل بها نمو الإنسان.

تعامل سكان المغرب الأوسط مع عملية الختان بحفاوة كبيرة، فأقاموا لها احتفالات فاخرة، وغالبا ما كان الوقت الذي يختن فيه الصبية هو بلوغهم سن الخمس سنوات أو ما يقرب منها مما يعني لزوم ختانه، ومن الطقوس المصاحبة للختان "طقس الحَمَام" فيبدأ اعداد الطفل للمرور إلى عالم الطهارة والتميز الجنسي ثم إلباس الصبي ثياب خاصة، أين يراعى فيها وجود اللونين الأبيض والأخضر، وتدل هذه الألوان على الطابع الديني لهذا الطقس، فالأبيض والأخضر يرمزان إلى الصفاء والطهارة<sup>3</sup>، أما طقس "ليلة الحناء" فيتم فيه وضع الحناء في يد ورجل الصبي على خلاف، وتضعها عادة الجدة أو إحدى العجائز لنيل البركة، وتخلو ليلة الحناء في العادة من أي حضور ذكوري، عكس ذلك في لحظة الختان أين يفصل الصبي عن عالم النساء فلا يحضر عملية الختان إلا الرجال.

يأتي الحَمَام<sup>4</sup> (الطهار) إلى الدار ويباشر العملية بحضور المدعوين الذين يقدمون للطفل نقودا لتشجيعه على ما يقاسيه من ألم، وعادة ما يتم دعوة الأهل والأقارب إلى حفل موسيقي لتلك الليلة، وتحضر مجموعة من

---

<sup>1</sup> - الإعذار في اللغة العربية هو الاسم الذي يطلق على الطعام الذي يقدم في هذه المناسبة، وسموه كذلك : العذار والعذيرة و العذير، ولعل أصله من العُدرة التي هي قلفة الصبي، وكذلك العُدرة التي هي البكارة، ومنها وصفت البنت البكر بالعدراء، وعلى هذا الأسلوب في التسمية أطلقوا على وليمة الزواج "العرس"، وعلى طعام الولادة: "الخُرْس"، وعلى طعام القادم من السفر: "النقيعة".

وقد جمع معظمها في هذا البيت: كُلُّ الطَّعَامِ تَشْتَهِي رَيْبَةَ الخُرْسُ و الإِعْدَاؤُ و النَّقِيعَةُ

<sup>2</sup> - الباد، مارسي: المقدس والمدنس، ص139؛ عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص 165.

<sup>3</sup> - عبد الغني، منديب: المرجع السابق، ص165-166.

<sup>4</sup> - الحجام المصاص يقال للحجام مصاص لا مقتصاصه فَمِ المِحْجَمَة وقد حَجَمَ يَحْجِمُ حَجْمًا وَحَاجِمٌ وَحُجُومٌ . ابن منظور: مصدر سابق، 47/4. والحجم المص والحجام المصاص ويدخل ضمن وظائفه الختان، والشراط محترف الشراطة وهو أخذ الدم من الجسم بألة تسمى المشروط ويرادفها الحجام والشلاط. أبو الحسن علي بن محمد التلمساني، الخزاعي (ت789هـ/1387م): مختصر الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعملات الشرعية، ط1، إعداد: أحمد مبارك البغدادي، (د.م): مكتبة السنديس، 1990م، ص351؛ أبو العباس، أحمد بن سعيد الجليلي: مصدر سابق، ص94-95؛ وردت نازلة عن جدلة لأم أتت بحفيدها إلى الحجام يوم سابعه فختنته فمات. الونشريسي: المعيار، 344/8.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

الأطعمة في شكل وليمة لهذه المناسبة أطلق عليها كما سبق الذكر "الطهارة"<sup>1</sup>، وقد يكون استعمال مفردة الطهارة كتنقيص للنجاسة، ومنه تخلص الطفل من الدنس والنجاسة التي كانت تصاحبه في صغره، ونقله الى مرحلة أخرى يكون فيها ملتزماً أكثر.

والجدير بالذكر أن طقس الختان كطقس عبور في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط لم يكن بمعزل عن الاعتقادات الشعبية المتعلقة بالبركة والكرامة والمرتبطة بأيام ذات دلالة، لهذا اعتبر يوم السابع والعشرون من رمضان أو ليلة عاشوراء أفضل الأوقات لختان الأطفال لما تحمله هذه الليالي من هالة أسطورية متعلقة بتحقيق الأماني والتطهر عبر الحصول على الغفران، لهذا تم توظيف كل هذه المعاني الرمزية وشحذها من أجل مد الختون بالبركة، التي ترافق ما يؤديه الختان من وظيفة اجتماعية مرتبطة بالتحول الذي يطرأ على الفرد ويسم انتقاله من وضع أدنى إلى وضع أرقى<sup>2</sup>.

حاول بعض المؤرخين المستشرقين الطعن في مدى التزام سكان المغرب الأوسط بالتعاليم الإسلامية في محاولة لإرجاع كل طقوسهم لما قبل إسلامهم، وقولهم بأن الطقوس الممارسة في شمال إفريقيا تعود إلى أصول رومانية نافين كل تجذر للمقومات الإسلامية في ثقافة شعوب المغرب الإسلامي، ومن بين هؤلاء نجد السوسيوولوجي إدوارد مونتي الذي أورد في كتابه "المقدسات الإسلامية في الشمال الإفريقي"<sup>3</sup> أن هناك مجموعة من القبائل البربرية يمارسون طقوس الختان، بحيث أنهم غير منسجمين مع المسلمين على مستوى سلوكياتهم، وعلى الرغم من أنه كان يقصد الفترة الحديثة وليس الفترة الوسيطة، إلا أن الحقيقة التاريخية أثبتت حسن إسلام سكان المغرب الأوسط واجتهادهم في اتباع تعاليم الشريعة الإسلامية وفق نصوص القرآن والسنة النبوية، وهو ما يؤكد امتداد حسن إسلامهم إلى الفترة التي شملتها الدراسة مما يفند طرحه.

<sup>1</sup> - بسام، كامل عبد الرزاق شقدان: "تلمسان في العهد الزياني (633-962 هـ / 1235 - 1555م)", رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، (نابلس - فلسطين)، 2002م، ص166؛ محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان، 2/54؛ زازوي موفق: جدلية الذكورة، ص97.

<sup>2</sup> - عمار، بن طوبال: مرجع سابق، ص35 عن عبد الحميد، بوهاما: مرجع سابق، ص113.

<sup>3</sup> -Edourd Montet: Le culte des saints Musulmanes dans L'Afrique de Nord- et plus spécialement au Maroc. Librairie Georg et Cie Genève, 1909.p 105.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

### رابعاً: الزواج.

اعتبر الزواج رمزاً للتعفف وتجنب الوقوع في الرذيلة، لذا نظر المجتمع إلى رافضيه نظرة ريب وشك في أخلاقهم وسلوكياتهم، في المقابل نجد أن الزواج طقس عبور من جماعة اجتماعية دينية إلى أخرى، فالمتزوج شاب يترك جماعة العُذَّاب ليساهم منذئذ مع جماعة أرباب العائلة، وكل زواج يقتضي توتراً وخطراً ويثير أزمة ولهذا ينجز بطقس العبور<sup>1</sup>، ولا تكاد عادة الزواج في المغرب الأوسط تختلف عما كان موجوداً في البلاد الإسلامية بحكم التواصل والاحتكاك، بالإضافة لخضوعهم لنفس العادات والتقاليد.

إذا وقع اختيار شاب على فتاة ورضيها زوجة له أرسل وفداً خاصاً لخطبتها من ولي أمرها، غير أن المصاهرة كانت تخضع للطبقية<sup>2</sup> في أكثر الأحيان، فترى الأسر العريقة تتقدم إلى مثلتها في الجاه والمال والعلم أو النسب الشريف، ومثال ذلك زواج أبو عبد الله محمد بن مرزوق (ت 681هـ/1282م) جد الخطيب بآبنة الفقيه أبي عبد الله الكتاني الذي كان من كبار أعيان مدينة تلمسان مالا وجاهاً<sup>3</sup>، بينما الطبقات الفقيرة أو المعدومة فكانت هي الأخرى تتصاهر فيما بينها، إذ سجلت لنا بعض النوازل لأن هناك نساء في البوادي والقرى ممن وصفن بأنهن من أهل الدناءة والفساد في قدرهن، إذا أردنا الزواج ولم يكن لهن ولي فإنهن كن يقصدن إمام مسجد القرية ليتولى تزويجهن، بغرض إصلاح حالهن وشأنهن عن طريق الزواج<sup>4</sup>.

تعد الخطبة أولى خطوات الزواج، ولا تتم هذه المرحلة إلى بمساعدة الخاطبة، ولا يلجأ للخاطبة إذا كان أهل العريس على معرفة أو قرابة بالعروس كما فعل الشيخ الفقيه أبو إسحاق إبراهيم التنسي (680هـ/1281م) عندما أوصى بأن تزف ابنته خديجة لأبي العباس أحمد بن مرزوق والد الخطيب (ت 741هـ/1314م)<sup>5</sup>، وأحياناً أخرى لم يكن يلجأ للخاطبة، وبعد الانتهاء يتم التفاوض حول المهر<sup>6</sup>.

وبعد مرحلة الخطبة تأتي مرحلة الإعلان، وطوال فترة الخطوبة كان الزوج يقدم العديد من الهدايا لعروسه<sup>7</sup>.

1 - الياد، مارسي: المقدس والمدنس، ص 135.

2 - عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 288/1؛ مختار، حساني: تاريخ الدولة، ص 183؛ خالد، بلعري: الدولة الزيانية، ص 297.

3 - عبد العزيز، فيلاي: المرجع السابق، 289/1.

4 - الونشريسي: المعيار، 198-121/3.

5 - ابن مريم: مصدر سابق، ص 29؛ خالد، بلعري: الدولة الزيانية، ص 297-298.

6 - مؤلف مجهول: مخطوط سيرة زاوية: المكتبة الوطنية، الحامة- الجزائر، رقم: 1024، ورقة 2. نقلاً عن مفتاح خلفات: قراءة في مخطوط هذه كيفية زاوية، مجلة العلوم الإنسانية، ع 42، 2014م، 573-587.

7 - غالباً ما كانت الهدايا بسيطة عبارة عن حناء وصابون وفاكهة وغيرها، والشائع أن يقدم الخاطب لعروسه أحياناً عصفر لصبغ الثياب وقصب الذهب وثوبان من الحرير وعقد جواهر وقطيفتان وجوربان، وهناك مناسبات أخرى لإهداء العروس وحتى في يوم يناير، كان الخاطب يهدي مخطوبته طيفورا (سلة) مملوءة بالثمار والحلويات ويسمى بالقطنانية. الونشريسي: المعيار، 96/3 و 130-129/3، محمد، بن رمضان شياوش: باقة السوسان، 53/2.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

من بين العادات والطقوس المصابة لإعلان الزواج مرحلة تزيين العروس، حيث كانت تحرص على أن تكون في أهبى حلتها<sup>1</sup>، وليست هي فقط من يعمل على ذلك، فكل النسوة اللواتي يحضرن العرس يحرصن على ذلك<sup>2</sup> كما استعملت النسوة وسائل كثيرة للتزيين فكانت الماشطة تشرف على تصفيف شعورهن<sup>3</sup> وكانت تقوم أحيانا بتقطيع شعر إحداهن وتعطيه لمن لا شعر لها وتعمل لها سالفا لتزيينها<sup>4</sup>، كما رصمن على أجسامهن بما يعرف بالوشم<sup>5</sup>، تزيينا كما اتخذ للاحتماء من العين والأرواح الشريرة، وأشرفت على هذه العملية امرأة عرفت بالواشمة، والتي كانت تقوم بشق الجلد ثم تحشوه أي الجرح بالكحل حتى يخضر<sup>6</sup>.

وهكذا لو تتبعنا أشكال ورموز الوشوم على أجساد النساء، والعادات والطقوس في أعراس المغرب الأوسط، لألفينا فيها أثرا من آثار المعتقدات والمقدسات التي عرفها المغاربة في العهود القديمة، والتي انحدرت إليه من المشرق في الغالب، حيث وجدت في البيئة المغربية مجالا خصبا لرعايتها وتثبيتها في النفوس، وهي بطبيعتها بيئة تساعد على تغذية تخيل الإنسان لما وراء الكون المنظور.

استمرت بعض العادات والممارسات الطقوسية المقدسة بهذه المناسبة، واستمرت معها النسوة في الاجتهاد على إبراز جمالهن في الأعراس حتى لو اقتضت الحاجة استعارتهن للحلي لحضور الزفاف، ومن كانت تفتقر إلى كسب ما تذهب به لحفل الزفاف من الحلي كانت تستعير ما يلزمها من صديقاتها<sup>7</sup>، وعلى كل فإن النسوة الحاضرات كن يتميزن بالأناقة والجمال، حتى كان يصعب التفريق بينهن وبين العروس، لولا التاج الذي كانت تضعه العروس على رأسها، بينما تشترك مع باقي النسوة في التحلي بسوار الذهب وخلاخل الفضة وعقود الجواهر<sup>8</sup>.

1 - الونشريسي: المعيار، 278/3.

2 - ابن الزيات: مصدر سابق، ص152.

3- الونشريسي: المعيار، 145/11-278/3.

4 - نفسه، 145/11.

5 - للمزيد حول تزيين الجسد بالوشم ينظر: أبو محمد عبد الله بن محمد الهبطي: كتاب الألفية السننية في تنبيه العامة والخاصة على ما أوقعوه من التغيير في الملة الإسلامية، إعداد وتقديم: محمد أستيتو، وحدة- المغرب: منشورات جامعة محمد الأول (كلية الآداب والعلوم الانسانية)، 1997، ص 35-37.

6 - الونشريسي: المعيار، 145/11؛ في إشارة للوزان (ت959هـ/1551م) حول نساء القبائل العربية التي تعيش في محيط المغرب الأوسط، ذكر أن التخضيب بالحناء كان من الأمور المستحسنة عندهن، وهي عادة انتقلت إليهن بعد انتقالهن إلى بلاد المغرب ومجاورتهم للبربر، إذ لم تكن هذه الزينة معروفة لديهن من قبل، كما ذكر أن بعض نساء العائلة كن يتخضبن بالحناء. المناقب، ص100 .

7- ابن الزيات: مصدر سابق، ص100.

8 - الونشريسي: المعيار، 347/10 و 637/12.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

أما عن جانب اللهو والموسيقى فقد كان حاضرا بقوة فقد استعمل سكان المغرب الأوسط آلات الطرب والغناء<sup>1</sup>، كما استعملوا المغنيين وكانت أكثر احتفالاتهم مجالاً للغناء هي الأعراس، واستعان المغنون بمجموعة من الأدوات مثل الشبابة المزمار البوق القانون الطسوت<sup>2</sup>، كما تم استدعاء المغنون والمغنيات وغالبا ما كانوا من السودان لاشتهارهم بالرقص والضرب على الدفوف<sup>3</sup>، ولم يقتصر الأمر عليهم فقد احترف آخرون هذا العمل، فالعديد من الزهاد قبل اعتزالهم لحياة اللهو والمجون كانوا يغنون في الأعراس<sup>4</sup>.

ولاشتمال حفلات الزواج على الكثير من المناكر والمفاسد فإن الفقهاء قد دعوا إلى تجنب الحضور إلى مثل هذه المناسبات، وذكر لنا الونشريسي (ت 914هـ/1509م) صفة العرس الذي عارض الفقهاء الحضور إليه قائلا: « صفة العرس أن يحضر المزامير... فيجتمع مع الفساق ويخرجوا لهم إلى موضع واسع، فيجلبون الخمر ويشربونها، وإن كان الليل يحضرون النساء والزواني مختلطات معهم، وتجمع أهل الموضع الرجال معهم النساء فوق أسقف الديار وعلى الجدران والطرق<sup>5</sup>»، ولأن الناس استعملوا الغناء والموسيقى في إقامة أفراسهم واحتفالاتهم، فإن الفقهاء نددوا بهذه الظاهرة وانتشارها بالمغرب الأوسط، ويؤكد لنا هذا الطرح تنديد القاضي أبو الفضل قاسم العقباني (ت 854هـ/1450م)، باجتماع النساء على احتفال أو تزيين فيحلقن دائرة على رجل غير محرم يغنيهن ويظهرهن<sup>6</sup>» وفي تنديده أيضا «باجتماعهن للملاهي والرقص<sup>7</sup> وفي منع استعمال البوق والعود<sup>8</sup>.

ومعروف أن الرقص كان عند سكان المغرب الأوسط كما كان عند المجتمعات القديمة قبلهم وعبر عن نشاط الإنسان في حياته العقدية والعملية، ورمزا للنمو والازدهار، وارتباطه بالحركة والإشارة يوحي بما له من علاقة

---

1- وأما الغناء فهو نسب الأصوات ومظهر جمالها للأسماع هذه الصناعة هي تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع كل صوت منها توقعا عند قطعة فيكون نغمة ثم تلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فلذ سماعها لأجل ذلك التناسب ابن خلدون: المقدمة، ص 258 و 269.

2- المصدر السابق، ص 270.

3- الونشريسي: المعيار، 251/3.

4- ابن الزيات: مصدر سابق، ص 307. أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الصنهاجي (ت 596هـ) كان سبب توبته أنه كان في حدائته محبا للهو يغني في الأعراس ويضرب الدف فخرج يوما مع جماعة من الشباب يغني لهم ويضرب دفة لهم فأبصروا أبا شعيب أيوب السارية وهو مقبل إلى جبهتهم ففروا حياء منه وبقي وحده فوصل إليه أبو شعيب ودعا له فنفعه الله بدعوته، ص 311 وكذلك أبو علي منصور الصنهاجي كان مسرفا على نفسه يغني في الأعراس ويلعب فيها ثم نزعت به إلى الله همة عالية فلحق بالصالحين وتوجه من بلده إلى مكة كرمها الله على قدميه ثلاث مرات. ص 419.

5- الونشريسي: المعيار، 251/3.

6- العقباني: مصدر سابق، ص 77.

7- نفسه، ص 72.

8- العقباني: مصدر سابق، ص 99.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

بطقوس قديمة، وكان الجسد الراقص في الاحتفالات يعد جسدا مقنعا بالأعيب طقوسية وإيقاعات موسيقية لا يتم استنباطها وفك تسنيناتها، إلا بما يتولد عن هذا الجسد من هزات وإيماءات تعطيها حضرة الطقس وحرارة الرقص والموسيقى وطبيعة الفضاء ونوعية الزمان كمظهر آخر يجعلها تلعب دور قناة للعبور من البعد الخفي إلى الظاهر والجلي، الذي يجدد جوهره ملامح الكيان العرقي للأقليات الثقافية التي تحن إلى استعادة أصولها<sup>1</sup>.

ومن العادات الأخرى في أعراس المغرب الأوسط عادة الوليمة، والتي تعد طقسا مهما إذ لا يمكن أن يقام الزفاف بدونها، لذا نجد أن اليوم الأول من العرس يخصص لذبح الخراف والشياه بينما يكون اليوم الثاني مخصصا لاستقبال الضيوف وإطعامهم، وفي الليل يقام حفل الزفاف والذي انقسم إلى حفلين واحد يقام في النهار للرجال والثاني يقام ليلا للنساء<sup>2</sup>، وكان من المتعارف عليه أن يقوم الزوج بإرسال هدية من جُزُور أو لحم إلى بيت والد العروس كي يعدوا طعاما يأكل منه أقارب العروسين ليلة الزفاف، وفي العرس استخدم الطهارة لطهي الطعام وتهيئ الحلويات اللازمة للعرس<sup>3</sup>.

الاحتفالات التي تقام بمناسبة الزواج تكون على شكل وليمة كبيرة للأهل والأصدقاء، وتسمى وليمة العرس، تذبح فيها الذبائح وتقدم بها الأطعمة للمدعوين، والواقع أن وليمة العرس وليمتان إحداهما للنساء وتقام في بيت العروس والأخرى في بيت العريس، وربما أقيمت الوليمتان في بيت واحد<sup>4</sup>، وأكبر وليمة قدمت في عرس هي وليمة زواج بنت المولى أبي تاشفين عام (764هـ/1363م) وقال عنها صاحب زهر البستان: « فكانت ركبة لم تصنع إلا لأبناء جنسها، وحاشى أن يكون عرس قبل عرسها، ذبحت فيه الأبقار والأغنام وجرى الأسبوع بالشراب والطعام<sup>5</sup> ».

ومن العادات في بعض مناطق المغرب الأوسط عند خروج العروس من بيت أبيها تصحبها النسوة ولا تبقى معها إلا واحدة من أهلها، وإذا مضى ثلث الليل تصحبها إلى غرفة زوجها حاملة معها كيس من التمر والجوز وبيض مسلوق تقدمه كهدية له ليعطيها هو بدوره لأحد مرافقيه ليوزعها على أصحابه، ومن عاداتهم أيضا أن تقدم العجوز المصاحبة للعروسة إناء من الماء وتصب منه في كفيها ليشرب منها العريس ثم تعيد نفس العملية مع

<sup>1</sup> - عبد القادر، محمدي: مرجع سابق، ص 11.

<sup>2</sup> - الونشريسي: المعيار، 251/3.

<sup>3</sup> - إبراهيم، القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 31.

<sup>4</sup> - ابن مريم: مصدر سابق، ص 30.

<sup>5</sup> - مجهول: زهر البستان، ص 226.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

العروس، لكن يقوم بإفراغه في الصحن وذلك لتكون كلمتها أدنى من كلمة الرجل، ثم يقوم العريس ليصلي ركعتين ويضع يده على ناصيتها ويدعو الله<sup>1</sup>.

أما المخطبة الأخيرة من مراحل الاحتفال في العرس هي ليلة الدخول بالعروس، « وكانت عملية الدخول تقع وفق طقوس خاصة، يدخل العريس في جو من الخشوع والقداسة، يدخل برجله اليمنى ويغلق الباب برجله اليسرى، ويتأكد من أن العروس لا تحمل معها أي طلسم أو تميمة إلى غيرها من التحويطات الطقوسية، ليختلي بعروسه في غرفة من غرف المنزل الذي يقام فيه الحفل مخصصة لهذا الطقس، وتجلس امرأة إلى جانب باب الغرفة تنتظر إعلان فض بكارة العروسة<sup>2</sup>»، ويعتبر هذا الطقس المقدس من أهم طقوس المرور بالنسبة للجنسين معا فهذا الطقس دليل على عذرية المرأة وشرف عائلتها وفي المقابل دليل على فحولة الرجل<sup>3</sup>.

ويستمر الاحتفال بالزواج سبعة أيام متتالية، وعرف اليوم الأخير بسابع العروسة<sup>4</sup> وفيه يعود إليها أهلها ويلبسونها حزاما من الحرير، ويبارك لهما الحضور من أهلها وأهل العريس بما يقدمونه من الدراهم كل حسب طاقته<sup>5</sup>، واختلف عادات لبس الحزام من منطقة إلى أخرى، إلا أنها حملت نفس الدلالات، ويرمز الحزام إلى الحزم والعزم، بمعنى أن المرأة أصبحت مستعدة للقيام بالمهام العائلية، وبذلك يشكل طقس الحزام خاتمة فترة راحة العروس والانخراط في الحياة اليومية العادية<sup>6</sup>.

وفي الأخير يمكن الإشارة إلى أن نكاح الكتابيات من أهل الذمة<sup>7</sup> في المغرب الأوسط إذا تزوجت مسلما لم يختلف كثيرا في طقوسه، أما فيما يخص الولي فإن لم يكن لها ولي فيتولى أخ لها أو الأسقف تزويجها إذا طلبت منه ذلك، على أن تلتزم الكتابية بالاعتسال وتجنب أكل كل ما هو محرم، وأن لا تقترب مما يكرهه زوجها المسلم ويشهد على عقد القران مسلمين<sup>8</sup>، أما فيما يخص باقي العادات الاحتفالية فلا توجد الكثير من الاختلافات بحكم التداخل والتجاور.

1- مفتاح، خلفات: قبيلة زاوية، ص 231، 232 نقلا عن مؤلف مجهول: سيرة زاوية، ورقة 3-4.

2- الوزان: مصدر سابق، 199/1-200.

3- نور الدين، طوالي: مرجع سابق، ص 49؛ موفق، زازوي: جدلية الذكورة، ص 100.

4- الونشريسي: المعيار، 362/4.

5- مفتاح خلفات: مرجع سابق، ص 232، نقلا عن مؤلف مجهول: سيرة زاوية، ورقة 4.

6- زازوي موفق: جدلية الذكورة، ص 103.

7- لفظ "الذمة" يعني حق المواطنة والحرمة والأمان وحرية المعتقد وأهل الذمة هم المعاهدون من اليهود والنصارى. فيلاي، عبد العزيز: "الأقلية المسيحية في المغرب الأوسط ( الجزائر) نموذج لحياة السلم والتسامح"، ص 53-71: ضمن كتاب: دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، عين مليلة - الجزائر: دار الهدى، 2012م. ص 53.

8- جمال، أحمد طه: مرجع سابق، ص 30.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

خامسا: الاحتفال بيناير<sup>1</sup> وبداية السنة الزراعية.

يجمع العارفون بتاريخ منطقة المغرب أن الاحتفال بموسم يناير يضم عدة أبعاد، ففي المجال الزراعي تتعلق المناسبة بالحرث والبذر وغرس الأشجار، وعلى هذا الأساس ووفق هذه المفاهيم التي تتعلق بالزراعة يتم تقسيم الفصول في السنة البربرية، وتحي بعض العائلات الزبانية بالمغرب الأوسط هذه المناسبة بعبادات وطقوس خاصة توارثتها على مر العصور، فالموسم كاحتفال قروي وحضري غارق في القدم، وهو كما تدل على ذلك تسميته يرتبط بدورة زمنية تحيل على موسم الحصاد أو موسم الحرث<sup>2</sup> كطقس عبور.

ويعد الاحتفال بيناير من بين الأعياد التي احتفل بها بعض سكان بلاد المغرب الأوسط، وجرى الاحتفال به وفقا للعرف، وتَعَوَّدَ الناس عليه في كل سنة شمسية ويدعونه برأس العام، ويقع الموسم في اليوم الثاني عشر والثالث عشر من شهر جانفي ويسمى الأول يوم نفقة الكرموس أي التين، واليوم الثاني يوم نفقة اللحم ففي اليوم الأول تعجن الأمهات لأولادهن قرصا من الخبز، وتثبت فوق كل قرصة بيضة تشبكها بالعجين حتى لا تسقط، بالإضافة إلى إعداد مأكولات أخرى تخصص لهذا اليوم مثل الفطائر والإسفنج ويشترى الآباء من السوق الثمار اليابسة من الكرموس والتمر والجوز واللوز، وفي اليوم التالي تعد أطباق من اللحم<sup>3</sup>، وكما جرت العادة مع اقتراب هذه المناسبة تبدأ ربات البيوت بالتحضير لها مسبقا، عن طريق اقتناء بعض الحاجيات كالذبيق والسميد لصنع بعض المعجنات، وتقوم بعض العائلات بوضع الطفل الصغير في جفن أوقصعة، ثم تصب عليه مختلف أنواع الحلوى على رأسه، ليتم توزيعها بعد ذلك على الحاضرين من ضيوف أو أفراد العائلة كفأل خير عليه بحلول سنة جديدة حلوة ملتها الخير والبركة<sup>4</sup>.

رغم إجماع جل المؤرخين المستشرقين على أن الأغلبية الكبيرة لسكان المغرب كانوا وثنيين ولم تكن لهم أفكار معينة عن الإله أو عن مصير الإنسان، وأن الذين كانت لهم معتقدات فلم تخرج عن المعتقدات المعروفة لدى المجتمعات البسيطة في ثقافتها وحضارتها<sup>5</sup> والتي دارت في مجملها حول عبادة الشمس<sup>1</sup> والقمر<sup>2</sup> والأصنام<sup>3</sup> كما أشار إلى

1 - يعود التاريخ الأمازيغي - حسبما تداولته الكتب التاريخية - إلى 950 قبل الميلاد، أين قاد الملك الأمازيغي شاشناق معركة ضد الفراعنة وانتصر

فيها، ليكون أول ملك في عصره يقهر الفراعنة ويترأس مملكة الأمازيغ في مصر، ومنذ ذلك الحين بدأت الرزنامة الخاصة بالأمازيغ في عد أيامها.

2 - عبد الرحيم، العطري: مرجع سابق، ص146. كما أن للموسم مسميات أخرى كالزردة - الطعم - المعروف - الوعدة - الركب وهي مسميات لمسمى واحد هو الاحتفال الذي يقام بشكل سنوي أو دوري حول ضريح ولي صالح معين. نفسه، ص148.

3 - العقباني: مصدر سابق، 2/52. هذه العادات والممارسات ضلت توارثها الأجيال لعدة قرون وبقاء بعضها إلى يومنا هذا يؤكد هذا الطرح.

4 - العقباني: مصدر سابق، 2/53.

5 - جميل، حمداوي: مرجع سابق، ص4-6.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

ذلك ابن خلدون (ت808هـ/1405م)<sup>4</sup>، وأن الإسلام كسائر الديانات الكبرى احتفظ في خزائنه بمكانة خاصة للطقوس الاستمطارية التي احتزلها في صلاة عادية تسمى صلاة الاستسقاء، والتي لم يستطع الإسلام حسب رأيهم من إلغاء أشكالها الاستمطارية الأخرى والتي ظلت تكشف عن أصولها الوثنية رغم أسلمتها وإلحاق إسم الله بها<sup>5</sup>، لكن الحقيقة التاريخية أكدت دائما على أن اعتناق سكان شمال إفريقيا للدين الإسلامي بحد بل محي وأزال جميع المعتقدات الوثنية واستبدالها بمعتقدات وطقوس إسلامية.

### سادسا: السلطان والمقدس.

صورت المصادر التاريخية الوسيطة سلاطين المغرب الأوسط والذين ينتمون لبني زيان في صورة السلطان الذي يمارس سلطة فوق الطبيعة، فجميع ما يصدر عنه من أفعال وأقوال لا يمكن الطعن فيها، حتى أن هناك مصنفات أفردت لوصف السلاطين المغرب الأوسط ووصف الخصال والسجايا والمزايا الجسدية والذهنية التي يتميزون بها، كبغية الرواد ليحي بن خلدون ونظم الدر للتنسي.

كذلك خصصت المدونة الوسيطة جزءاً كبيراً منها لمحاولة إثبات النسب الشريف للسلاطين لكي تضيف عليهم صفة القداسة الدينية تحت المضلة السياسية، مما ساهم في منح السلطان الحق في سن قوانين وإعطاء الأوامر والنواهي دون اعتراض من الرعية، ذلك أنه في اعتقاد الناس الشخص الوحيد المالك لحق "المنح" أو "المنع" فهو وحده له الحق في منح شعبه العطايا وتوزيع الصدقات على الناس وإظهار كرمه في كل مناسبة خاصة الدينية كالاحتفال بالمولد النبوي والأعياد وغيرها، وكذلك على مكانة إثبات النسب الشريف أذكر بيت شعري في مدح

<sup>1</sup> - عبدت الشمس لأنها في اعتقادهم تكشف طريقة أخرى للوجود، فهي دوما في حركة وتبقى لا متغيرة وشكلها نفسه دوما فالتجلي الشمسي يترجم القيم الدينية للاستقلالية والقوة والسيادة والذكاء حسب. الياد مارسي: المقدس والمدنس، ص116. حيث كانت عبادة الشمس حاضرة في الطقوس الدينية الأمازيغية أكثر من الديانات الوثنية الأخرى كعبادة الكيش مثلا، رغم تلاقي العبادتين وتوحدتهما لدى بعض القبائل الأمازيغية التي كانت تقدر الكيش والشمس معا من خلال الإله "أمون" الممثل بقربي كيش تتوسطهما شمس، وهو ما تدل عليه النقوش التي تم العثور عليها بسوق أهراس بالجزائر مكتوبا فيها "الشمس العظيمة"، بالإضافة إلى نقوش صخرية تجسد الإله في صورة كيش مستدير الوجه تحيط به أشعة الشمس الساطعة، ورضخ الانسان لهذه القوة ووجد نفسه مجبرا للتقرب منها. جميل، حمداوي: المرجع السابق، ص4-6؛ عبد العزيز، فراح: مرجع سابق، ص135.

<sup>2</sup> - الياد مارسي: المقدس والمدنس، ص115. بفضل الظواهر القمرية أي ولادته وموته وقيامته، شعر البشر في آن واحد بطريقة تكوّنهم الخاص في الكون، وبأملهم باستمرارية الحياة أو إعادة الولادة، وبفضل الرمزية القمرية توصل الإنسان المتدين لتقريب مجموعات من الوقائع المتباعدة بدون علاقة ظاهرة بينهما، وبفضل الرمزية القمرية أمكن وضع وقائع متغايرة في علاقة وفي تضامن مثل: الولادة، المصير، الموت، البعث، الحياة، المرأة، النباتات، الخصب، الخلود، الظلمات الكونية، الحياة قبل الولادة، والوجود بعد القبر، متبوعا بعد ولادة من نموذج قمري ( ضوء خارج الظلمات) النسيج رمز (خط الحياة) الزمنية الموت... الخ. الياد، مارسي: المرجع السابق، ص116

<sup>3</sup> - . جميل، حمداوي: المرجع السابق، ص4-6.

<sup>4</sup> - العبر، 139/6.

<sup>5</sup> - عبد الغني، مندوب: مرجع سابق، ص38

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ / 1359-1388م) جاء فيه: « فالبيت علوي المنتسب \*\*\* والملك بين الموروث والمكتسب»<sup>1</sup>، معنى القول أن السلاطين الزيانيين حاولوا إثبات نسبهم الشريف بإحدى الطريقتين، إما عن طريق التتبع السلالي للشرف أو صناعته في حالة غياب الاتصال مع البيت النبوي.

بالإضافة لما سبق فإن البعد الديني الذي يتمتع به سكان المغرب الأوسط وتبنيهم للمذهب المالكي الراض للخروج عن السلطان أضفى هو الآخر على السلطان صفة القداسة السياسية، ومما زاد في ترسيخها وتثبيتها التزام سلاطين المغرب الأوسط بمجموعة من المقتضيات السلوكية التي أصبغت عليهم هيئة ورهبة وقوة، ولا أدل على ذلك من النصائح التي قدمها السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ / 1359-1388م) لابنه في واسطة السلوك.

إن اضفاء صفة القداسة على السلاطين في العصر الوسيط لم تكن حكرًا على سلاطين المغرب الأوسط، فنفس الحالة من التقديس حضي بها سلاطين المغربين الأدنى والأقصى، وهو ما أكدته المدونة الوسيطة لكلا المغربين، ففي حديث ابن بطوطة عن بداية رحلته من المغرب الأقصى قال: « وكان ارتحالي في أيام أمير المؤمنين ... الإمام المقدس أبي سعيد بن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين ... الإمام المقدس ابن يوسف بن عبد الحق جدد الله عليهم رضوانه وسقى ضرائحهم المقدسة<sup>2</sup>»، إن إرداف ذكر السلطان أو الأمير بالمقدس يدل على شيوع استعمال هذه التسمية بين الناس كرمز للمكانة السياسية والاجتماعية التي حظي بها السلاطين والأمراء، وهو ما يؤكد على استعمال مثل هذا المصطلح لدى سكان بقية المغارب في حديثهم عن سلاطينهم.

### المبحث الثالث: الموت<sup>3</sup> وطقوس الجنائز.

تعامل سكان المغرب الأوسط مع الموت بشيء من القداسة لعظم هذا الأمر ووقعه في نفوسهم، خاصة زمن الجوائح والطواعين أين كثر الموتان في الناس، ويعتبر الموت أهم حدث يمر به الإنسان وممثل نموذجي لمفهوم العبور، فثمة انتقال من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، إذ يعتبر الموت أكثر الظواهر البيولوجية "ميتافيزيقية"، وذلك لما يثيره في نفس الإنسان من خوف وهلع وغموض وتساؤل، وعملت كل الثقافات والأديان<sup>4</sup> على احتواء هذا

1 - المقرئ: نفع الطب، 337/8.

2 - ابن بطوطة: مصدر سابق، ص 9-10.

3 - من أسمائه: المنون، المنا، المنية، الشعوب، السام، الحمام، الحين، الردي، الهلاك، الثكل، الوفاة، الخبال، أحمد، سليمان فخري: أسماء الموت في القرآن الكريم دراسة دلالية، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، مج 18 - ع 1، 2011م، ص 109-128. صفحات متعددة.

4 - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص 157. وحول الجانب العقدي والفقه للموت كتب فقهاء المغرب الأوسط بكثير من الشرح والتفسير والاطناب والتعليل، حول الطقوس والشعائر المتعلقة بالموت وفق الشريعة الإسلامية ومن هذه المصنفات أذكر:

- أبو عثمان سعيد العقباني: الوسيلة بذات الله وصفاته، تح: نزار حمادي، ط1، بيروت: مؤسسة المعارف للطبع والنشر، 2008م.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

الخوف، بسن مجموعة من الطقوس التي تهدف إلى تدبير هذا الحدث المثير للقلق، وإفراغ التوترات وتصريف الانفعالات الناتجة عنه<sup>1</sup>.

إن الموت موضوع صعب فهو ينطوي على الكثير من المفارقات والمتناقضات، كما أنه موضوع كره ومزعج لا يشجع على التفكير أو الحديث، فطبيعة الموت هي الكلية المطلقة، فجميع البشر فانون، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>2</sup>، إن الهدف من دراسة الموت هنا هو التعرف على المعتقدات والطقوس التي كانت سائدة في مجتمع المغرب الأوسط، والتي وصلت إلى تقديس بعض الممارسات أثناء الجنائز، على الرغم من أن الإشارات المتعلقة والمتصلة بالموت في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط، كلها مرتبطة بفكرة الرجوع إلى الله، وذلك راجع لتكوينهم الديني وإيمانهم الراسخ بما جاء به النص القرآني في كثير من آياته<sup>3</sup>.

إن الحديث عن الطقوس والشعائر الممارسة عند موت الأشخاص من الجانب الفقهي لا خلاف فيها، ذلك أن المدونة الفقهية الوسيطة، قد بينت وحددت الشروط الواجب اتباعها في الجنائز، بدءاً من تلقين الشهادة وصولاً إلى الانتهاء من عملية الدفن، لكن الحديث عن الموت والمعتقدات الذهنية التي سادت مجتمع المغرب الأوسط الغرض من ورائها هو تتبع العادات الجنائزية " كطقس عبور " وكيف ساهمت في تشكيل عقليته، فالطقوس الجنائزية للموت موجودة لدى كافة الشعوب والحضارات الانسانية، ففي التراث الشعبي يعتبر الموت فاجعة للناس قاطعا لحبل الرباط بين الإنسان وأهله وأصدقائه، ونظرا لما له من الأهمية فقد كثرت المعتقدات حوله منذ اللحظة الأولى التي شعر الناس فيها بأمر الموت، وحتى بعد الدفن بأيام وأسابيع وسنين<sup>4</sup>.

كانت الطقوس أكثر تعقيدا إذا ما تعلق الأمر بالموت، فهي لا تتعلق بظاهرة طبيعية ترك الحياة أو الروح للجسد، وإنما بتغيير نظام انطولوجي واجتماعي معا، فبالنسبة للإنسان المتدين لا يضع الموت حدا نهائيا للحياة،

---

– أبو عبد الله، محمد بن يوسف السنوسي: عمدة التحقيق والتسديد في شرح عقيدة التوحيد (شرح العقيدة الكبرى)، تح: أحمد بوكعب بلكر، بوسعادة- الجزائر: دار كردادة للنشر والتوزيع، 2011م.

– المقرئ (ت 758هـ/1357م) الكليات الفقهية، تح: محمد أبو الاجفان، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 2011م.

– الونشريسي: عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، تح: أحمد فريد المزيدي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م.

1- عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص157.

2- سورة العنكبوت: الآية، 57.

3- من بين هذه الآيات: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ سورة البقرة: الآية، 281، وقوله تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. سورة يونس: الآية، 56، وقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. سورة المائدة: الآية، 48.

4- طه، نضال فحري: الطقوس والمعتقدات الشعبية في الأدب الشعبي، رسالة ماجستير، تخصص أدب عربي، جامعة النجاح الوطنية، نابلس (فلسطين)، 2000م، ص288.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

فالموت ليس سوى حالة للوجود البشري<sup>1</sup>، والطقس الجنائزي من وجهة نظر معظم الأنثروبولوجيين طقس مرور بامتياز<sup>2</sup>، إذ يعبر عن انتقال المتوفى جسداً وروحاً من عالم الأحياء إلى عالم الأموات.

عملية البحث في موضوع الموت وما يتعلق به من ممارسات وطقوس مقدسة، نشأت حسب محمد حبيدة عند نقطة التقاء الديمغرافيا التاريخية وتاريخ العقلية<sup>3</sup>، وفي هذا الصدد يرى الباحث مارك بلوك بأن التاريخ علم إنساني واحد يجمع بين دراسة الأموات والأحياء<sup>4</sup>، لكن مثل هذا النوع من الدراسات كان مغيباً في تاريخ المغرب الأوسط، إلا ما ورد ضمن دراسة الجوائح والطواعين أو الحروب<sup>5</sup>.

لا محالة فالموت يتبع سياسة متساوية مع الجميع، ولم يأخذ معيار التفاوت الطبقي كمعطى لأحد على حساب الآخر، فالجميع سواسية نخبه وعامة، علماء، جهال، أولياء، متصوفة، سلاطين، مهمشين، وإن اختلفت ظروف عيشهم وطرق موتهم، فكل منا لابد أن يموت وحده، ولا بد أن يموت هو نفسه، ولا يمكن لأحد أن يموت نيابة عن الآخر أو بدلا منه، وتجدر الإشارة أن معظم الدراسات في التاريخ التي تطرقت للموت، اهتمت بقدر كبير بما بعد الموت أو الخلود<sup>6</sup>، حتى نسجت حوله الكثير من الأساطير<sup>7</sup>.

### أولاً: أسباب كثرة الموتان في المغرب الأوسط.

إيماناً بأن الموت حق وإيماناً بالقضاء والقدر شكل الموت مشهداً متكرراً تنوعت أسبابه، إلا أن بعض الأسباب ضاعفت من عدد الموتى، منها انتشار المجاعات والأوبئة والأمراض وانتشار الفتن والحروب، والتي أسهمت في

1- نفسه، ص 108-109

2- عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص 157.

3 - محمد، حبيدة: تاريخ الموت ضمن كتاب كتابة التاريخ قراءة وتأويلات، المغرب: دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، 2013م، ص 51. فقد اهتم المؤرخون خلال الخمسينات والستينات بالنظام الديمغرافي للمجتمعات الأوربية ما قبل الصناعية، من ولادات ووفيات وأمد الحياة، وكشفوا بالأرقام عن النسب المرتفعة للوفيات، سواء منها وفيات الأوقات العادية أو وفيات الأزمة، وأهميتها في تحديد البنيات الديمغرافية والاجتماعية، وفي مرحلة ثانية في السبعينات بالأساس تحول الاهتمام من ما هو كمي ورقمي إلى ما هو كفي وسلوكي، أي من دراسة البنيات إلى دراسة العقلية، إذ انكبت الدراسات على الأنساق الثقافية والسلوكيات والمواقف اتجاه الحياة والموت

4 - محمد، حبيدة: "من أجل تاريخ إشكالي، ترجمات مختارة"، محمد حبيدة، المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، ص 87.

5 - هناك بعض الدراسات المغربية التي كان لها السبق في دراسة موضوع الموت نجدتها في كتاب محمود حبيدة من أجل تاريخ إشكالي، أما الدراسات المحلية نجدتها في الملتقى الوطني الأول حول الموت في الممارسات الثقافية في الجزائر يوم 14-15 فيفري 2016م، بجامعة معسكر وهي بداية جيدة للتطرق إلى مثل هذه المواضيع التي ظلما غيبت عن مجال البحث والدراسة.

6 - جاك، شورون: الموت في الفكر الغربي، تر: كامل يوسف حسن، مر: إمام عبد الفتاح إمام، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1984م، ص 14.

7 - لم تكن الأساطير حول الموت تخص مجتمعا إنسانيا دون سواه، فهناك بعض الأساطير التي ترجع للأصل اليوناني وحدث لها منفذا في مجتمعات المشرق وانتقلت إلى المغرب. للمزيد حول هذه الأساطير ينظر جاك، شورون: الموت في الفكر الغربي، ص 16.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

تدهور المنحى الديمغرافي للمغرب الأوسط وتراجعهم، والشيء المؤسف أن المصادر الوسيطة لم تعطنا صورة واضحة المعالم عن حجم الكوارث الديمغرافية والخسائر البشرية الناتجة عن الأزمات والحروب<sup>1</sup>، لكنها رسمت لنا صورة عن الوضع الديمغرافي الذي كان سائداً آنذاك، فلو أخذنا نص ابن زرع الفاسي (ت 736هـ/1337م) حول حصار المرينيين وأنه أضعف أهل تلمسان بشدة الحصار حتى أشرفوا على الهلاك<sup>2</sup>، وأن مدة الحصار تجاوزت الثمانية سنوات، لقلنا أنه هلك أكثر من ثلث السكان، فالحروب المتكررة للدولة الزيانية بالمغرب الأوسط مع جيرانها المرينيين والحفصيين، أشاعت حالة من اللاستقرار والأمن، أثرت مباشرة في نفسية سكان المغرب الأوسط، الذين وجدوا في زيارة الأولياء والتبرك بهم هروباً من تلك الصراعات، وإجابة عن حالات القلق التي كانت تخيم عليهم باستمرار<sup>3</sup>.

شهد المغرب الأوسط تغيرات مناخية حادة تنوعت بين الجفاف والفيضانات والرياح وغيرها، وتنوعت معها معتقدات السكان حول أسبابها الغيبية، في محاولة منهم لاحتواء ما تركته هذه الكوارث من وفيات لا تحصى، وهو ما أسهم في ترسيخ التفسيرات الميتافيزيقية التي منحت بعض الأشخاص كأولياء مكانة مقدسة داخل تراتبية المجتمع.

من صور هذه التغيرات المناخية وما خلفته من إهلاك للزرع والضرع والأرواح في فترة الدراسة ما حفظه لنا ابن الزيات في قوله: « أرسل الله المزن المثقل عشارها... وكادت تدك الجبال دكا... وتزامنت أيدي الرياح بكل عارض فما كان بأسرع من إنحدار السيول الرواعب<sup>4</sup>»، وهناك نص آخر جاء فيه: « مجاعة عظيمة نتجت عن إعصار عظيم أهلك زرع صائفة تلمسان وحيوانها، فأكل الناس بعضهم بعضاً وافتقروا إلى ما في يد السلطان<sup>5</sup>»، ولم تكن هذه المجاعة آخر ما حل بالمغرب الأوسط من الكوارث التي أهلكت الحرث والنسل إذ حفظت لنا النصوص التاريخية ذكر العشرات من الجوائح والطواعين والكوارث<sup>6</sup>.

1 - بخنثة، خليلي: مرجع سابق، ص 286.

2 - أنس الفقير، ص 386.

3 - مفتاح، خلفات: مرجع سابق، ص 303، عبد العزيز، فيلالي: تلمسان، 2/ 390، عبيد، بوداود: مرجع سابق، ص 177.

4 - مصدر سابق، ص 102.

5 - يحي، بن خلدون: مصدر سابق، 2/ 11.

6 - للمزيد حول الكوارث التي سببت ارتفاع هائل في عدد الوفيات ينظر الملحق رقم: 05.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

أما عن أهم أسباب كثرة الوفاة بالمغرب الأوسط في العصر نظرا لعدد الوفيات التي خلفها على الإطلاق هو تفشي وباء الطاعون<sup>1</sup> الأسود (748-749هـ / 1348-1349م)، إذ أجمعت المصادر التاريخية على صعوبة الوضع الصحي والاجتماعي وحتى الديمغرافي المترتب عن هذا الوباء، فقد انقلبت أحوال المغرب في منتصف المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم، وذهب بأهل الجبل وطوى كثيرا من محاسن العمران<sup>2</sup>، ولا يذكر الطاعون الجارف (الأسود) إلا مقرونا بالموت، وكأن كرامات الأولياء والوصفات التي قدموها لمواجهة الأمراض تنحصر في الأمراض غير الوبائية، وورد في هذا السياق وَصْفَةٌ أَعْدَهَا الْمُتَصَوِّفُ ابْنُ عَبَادٍ لِأَحَدِ الْأَشْخَاصِ أَصَابَ الطَّاعُونَ الْأَسْوَدَ أَبْنَاءَهُ الثَّلَاثَةَ، وَكَانَتْ مَكُونَةً مِنَ الْمَاءِ وَالْحَنَاءِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تُجَدِ نَفْعًا أَمَامَ اكْتِسَاحِ الْوَبَاءِ وَخَطُورَتِهِ<sup>3</sup>. لم يكن الأمر ليختلف في باقي مناطق المغرب الإسلامي، إذ كان الضعفاء يجتمعون إلى باب سلم أحد أبواب القيروان فتحفر لهم أحاديدهم ويدفن المائة والأكثر في الأحود الواحد، فمات من طبقات الناس وأهل العلم والتجار والنساء والصبيان ما لا يحصى عددهم إلا خالقهم تعالى، وخلت المساجد وتعطلت الأفران والحمامات، وقيل أن أهل البادية أكل بعضهم بعضا<sup>4</sup>، وهو نفس الوضع في المغرب الأوسط أين وصل الأمر بالناس لأكل جيف الموتى، ولا أدل على ذلك من المجاعة التي أصابت تلمسان سنة (776هـ/1373م)<sup>5</sup>.

كثيرة هي القرائن التي تؤكد حصاد الآلاف من الأرواح البشرية بدون استثناء، عند حدوث الأوبئة والطواعين الحادة في جميع بلاد المغرب الإسلامي لأن الطواعين والأوبئة تتخطى الحدود الجغرافية والسياسية للدول فابن أبي

---

<sup>1</sup> - الطاعون نوع من الوباء وهو عند أهل الطب ورم رديء قتال، يخرج معه تلهب شديد مؤلم جدا، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر، ويتبع ذلك قيء، ويؤول أمره إلى التقرح سريعا، وفي الأكثر يحدث في الإبط وخلف الأذن. يوسف بن محمد بن مسعود السرمدي الحنبلي (ت776هـ): "ذكر الوباء والطاعون" مخطوط رقم 2770 بمكتبة باريس، 34 ورقة، ورقة 1 وجه، ويعرفه ابن الخطيب (ت776هـ/1365م) بأنه: مرض حاد حار السبب، سمي المادة، يتصل بالروح بدءا بوساطة الهواء، ويسري في العروق فيفسد الدم ويحيل رطوبات إلى السمية، وتتبعه الحمى ونفث الدم أو يظهر منه خراج. مقنعة السائل، ص65. ويتفق معه جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمان ابن جمال الدين السيوطي في تعريف الطاعون ويضيف بأنه يأخذ أهل البيت من البلد بأجمعهم. "ما رواه الواعون في أخبار الطاعون"، نسخة مصورة عن مخطوط رقم 1544، ورقة 165 ظهر؛ ويضيف أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني أن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا عن أن يدفعا الطاعون عن بلد من البلاد. "بذل الماعون في فضائل الطاعون"، مخطوط رقم 880، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 170 ورقة، ورقة 68 وجه.

<sup>2</sup> - ابن الخطيب: مقنعة السائل، ص55.

<sup>3</sup> - ابن عباد، الرندي: الرسائل الكبرى، فاس - المغرب: طبعة حجرية، 1320هـ، ص203.

<sup>4</sup> - بختة، خليلي: مرجع سابق، ص287.

<sup>5</sup> - اضطر ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) أن يقيم في تلمسان لانعدام الأمن في المسالك والطرق بسبب هذه المجاعة لذا قال في هذا الشأن: « وفي هذه السنة كانت المجاعة العظيمة بالمغرب وعم الخراب به، فوردت تلمسان والحالة هذه، وأقمت بها قرب شهر غير واحد للطريق... وكان أمر الطريق في الخوف والجوع ما مقتضاه أن كل من يقع قدمونا يتعجب في وصولنا سالمين، ثم يتأسف علينا عند ارتحالنا، حتى أن منهم من يسمعنا ضرب الأكف تحسرا علينا ». أنس الفقير، ص105.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

زرع (ت 736هـ/1337م) نقل لنا صورة عن الحالة التي وصلوا إليها في طاعون سابق قوله: «فكانت الموتى تحمل اثنين وثلاث وأربعة على المغتسل<sup>1</sup>»، أما الزركشي (ت 833هـ/1478م): في وصفه لطاعون لاحق قال: «في ذي القعدة ابتداء الوباء بتونس ولم يزل يتزايد إلى شوال من عام 873هـ/1468م حتى بلغ ألفا كل يوم، ثم ارتفع في ذي الحجة مكمل العام<sup>2</sup>»، وأضيف أن ابن أبي دينار (ت 1110هـ/1698م) وصف شدة هول الوباء في قوله: «وفي سنة ثلاث وسبعين كثر الوباء حتى انتهى عدد الأموات إلى أربعة عشر شخص في كل يوم<sup>3</sup>».

ونقل لنا ابن الخطيب (ت 776هـ/1365م) صورة مقربة عن عدد الوفيات في الغرب الإسلامي ككل بسبب هذا الطاعون فقال: «هلك فيه في يوم بطول هذه المدة نحو سبعين نسمة بالأندلس في اليوم، وقد بلغنا على السنة الثقات أنه هلك في يوم واحد بتونس ألف نسمة ومائتا نسمة وتلمسان سبع مائة نسمة ونيف،... وكذلك كان الأمر بسائر البلاد صغيرها وكبيرها<sup>4</sup>».

كما سبق الذكر فإن الجوائح والطواعين لم تعترف بالحدود الجغرافية والسياسية للدول، وهو ما جعل العصر الوسيط في جميع الدول تقريبا يشهد تراجعاً ديمغرافياً كبيراً أثر على جميع نواحي الحياة بدون استثناء.

### ثانياً: طقوس الموت.

عند الإنسان المتدين لا يضع الموت حداً نهائياً للحياة، فالموت ليس سوى حالة للوجود البشري<sup>5</sup>، وما تحول الجسد الحي إلى جثة هامدة، إلا محطة في رحلة العبور، ولقد وردت العديد من النصوص الدينية في الخطاب الإسلامي لمحاولة ترتيب إن لم أقل تقنين الطقوس الجنائزية بدءاً بمرحلة الاحتضار والوفاة، ثم تجهيز الميت بتطهير جسده وتطيبه وتكفينه والسير به، ثم الصلاة عليه ودفنه حسبما تقتضيه الشريعة الإسلامية<sup>6</sup>، وسأحاول في الأسطر التالية تتبع هذه المراحل والطقوس المقدسة التي تهدف إلى محاولة مساندة حدث الموت كحدث غريب مخيف ومحزن ومبهم وذو هيبية خاصة.

<sup>1</sup> - ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 539-540 .

<sup>2</sup> - محمد، بن أحمد الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ناضور، ط02، تونس: المكتبة العتيقة، 1966م، ص 158.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي القاسم ابن أبي دينار الرعيبي القيرواني: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط01، تونس: مطبعة الدولة التونسية، 1286 هـ، ص 147.

<sup>4</sup> - مقنعة السائل، ص44.

<sup>5</sup> - الياد، مارسى: المقدس والمدنس، ص108-109.

<sup>6</sup> - حول هذه المراحل من الناحية الدينية ينظر: محمد، مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1969م، 3/378.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

### 1/ الاحتضار:

يعد الاحتضار أول محطات الوفاة ونسجت حوله الكثير من الكرامات، وأصله احتضار بالبناء للمجهول **يَحْتَضِرُ احْتِضَارًا**، الرجل **حَضَرَهُ** الموت فهو **مُحْتَضِرٌ**، أي عندما يشرف الشخص على الموت، يلاحظ فيه شحوب للوجه ونحافة الجسم وتثاقل اللسان<sup>1</sup>، وكلها علامات تدل على بداية النزاع ومفارقة الروح للجسد، وقد تختلف أمارات الاحتضار من شخص لآخر، فقد ساد الاعتقاد في المغرب الأوسط، بأن سكرات الموت الخفيفة تنبأ بحسن خاتمة المتوفى، كما يعدها أهل الميت بشرى لميتهم بالجنة، على عكس من تطول مدة احتضاره وتصبح عليه نزعات الموت، إذ يكون أهله في حيرة وقلق لذا يستعينون بالقراء لقرآن لتخفيف سكرات الموت على محضرهم<sup>2</sup>.

من بين الطقوس التي ينشغل بها الناس قبيل حلول الموت، الإحاطة بالمحتضر بالتخفيف عنه والدعاء له حتى لا يصيبه الجزع ولا يواجه هول الموت بمفرده، ويساهم الالتفاف بالمحتضر في جعل الأهل يتبنون حدث الموت، ويتفاعلون معه بطريقة ايجابية ويبنون عليه بناءً دينياً، ويضفون عليه القداسة من خلال القيام بالأدعية والأذكار وتلاوة القرآن وتلقين الميت الشهادة وتوجيهه للقبلة<sup>3</sup>، وكلها طقوس متعارف عليها لا خلاف فيها، لكن تلقين الشهادة يعد من أهمها، إذ ساد الاعتقاد بان النطق بها دليل على حسن الخاتمة كما سبق الذكر، لذا اجتهد أهل المتوفى قبل خروج الروح إلى أن يكون آخر اتصاله بالدنيا هو نطق الشهادة، فمحمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1489م) تولى تلقين ابن أخيه الشهادة قبل وفاته<sup>4</sup>، ومنه استبشر أهله بحسن خاتمة ابنهم لأنه نطقها.

### 2/ كرامة معرفة وقت الموت:

حدث الموت جعل كل ما يتعلق به من جزئيات مهما ومقدسا ومبجلا، إذ نسجت حوله الكثير من المعتقدات المقدسة في ذهنية المجتمع، منها كرامة معرفة وقت الوفاة بالنسبة لمجموعة من الناس بعينهم دون سواهم لما لهم من كرامات ومناقب، فشكلت كرامة معرفة وقت الوفاة لدى المتصوفة والأولياء بالمغرب الأوسط مادة دسمة

1 - موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص17-18؛ جدلية الذكورة، ص104؛ عبد الغاني، منديب: مرجع سابق، ص158.

2 - البرزلي: مصدر سابق، 240/6؛ من أكثر السور المستحب قراءتها عند الاحتضار هي سورة يس وقراءة سورة الفاتحة على روح الميت بدعة. ناصر الدين، محمد ناصر الدين الألباني: تلخيص أحكام الجنائز وبدعها، ط01، الرياض: مكتبة المعارف، 1992م، ص47.

3 - المازوي: مصدر سابق، ص449؛ أمال، قرامي: الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، ط1، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2007م، ص523.

4 - محمد، بن إبراهيم بن عمر التلمساني الماللي: المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، تحقيق: علال بوربيق، بوسعادة-الجزائر: دار كردادة، 2011م ص556.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

لكتب المناقب، فلا يكاد يخلو مؤلف من ذكر كرامات من توقعوا بل وتحضروا لمغادرة الحياة الدنيا، في محاولة للتغلب على ما يخلفه حدث الموت من خوف في نفوس الناس، وإن كانوا على يقين بنزوله بهم.

وتواتر الحديث عن هذه الكرامات من ذلك أن أبو عمر عثمان ابن علي بن الحسن التلمساني الأصل (ت 542هـ/1148م) لما كان وحده في الصحراء في الطريق إلى الحجن وبينه وبين سحلماسة مسيرة يوم سمع هاتفا في أذنه يقول: «أدرك دفن والدتك فإنها قد ماتت، فرجع من سفره مسرعاً، فوجد جنازة أمه قد وضعت على شفير القبر فصلى عليها ودفنها»<sup>1</sup>، قد يبدو للوهلة الأولى أن اخباره بوفاته والدته أمر طبيعي، لكن أن يصله الخبر من مصدر غير معروف وهو وحده في الصحراء يسمع صوتاً يخبره بوفاتها فهذا أمر فيه اختلاف بين من أنكروه وبين من أقره، ولكل حججه لا أرى داعياً للتفصيل فيها هنا غير أنها تذكرنا بحادثة "سارية والجبل"<sup>2</sup>.

ساد الاعتقاد في المغرب الأوسط بكرامة الأولياء في معرفة وقت موتهم والتحضير له، ولا أدل على ذلك مما حدث في بيت أبي عبد الله محمد الثاني ابن مرزوق الجد (ت 781هـ/1379م) لحظة وفاته، فعندما أحس بدنو أجله، - قد يكون احساسه بعد مرض عضال أصابه، أو قد يكون كما روجت لذلك كتب المناقب من أنه ملك من الكرامات ما يمكنه من معرفة دنو أجله، وهو أمر فيه نظر وسنفصل فيه لاحقاً - طلب حضور بعض الأقارب والأصدقاء فتجمعوا حوله يقرؤون القرآن وهو يستمع إليهم، فعرفت النساء من خلال ذلك دنو أجل الشيخ، فبدأن بالبكاء، وهو الأمر الذي جعل كبير العائلة في هذه اللحظة يتنقل بين الحاضرين من القراء والأصدقاء وبين النساء ليهن عليهن<sup>3</sup>، وتعتبر القراءة الجماعية للقرآن حول الميت أو بعد وفاته سواء في بيته أو عند قبره كرسماً للثواب يقدمه الأحياء للأموات .

من أجل هذا عمل الكثير من الأولياء الصالحين على التجهز لملاقاة خالقهم، حيث كانوا يقومون بالاغتسال والتزين والتطيب قبل موتهم<sup>4</sup>، ومن النصوص التي حفظتها لنا كتب المناقب والتي يؤكد أصحابها معرفة بعض الصالحين لوقت وفاتهم، أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1 - ابن الزيات: مصدر سابق، ص 140.

2 - حول تفاصيل هذه الحادثة ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط01، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م، 3/5-6.

3 - ابن مرزوق: المناقب، ص 166-167؛ عبد العزيز، فيلالي: تلمسان، 1/298.

4 - ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 71.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

الصفحة	المصدر	أسماء بعض من تنبأ بوقت موتهم
ص158.	ابن مرزوق: المناقب	- « عرف محمد بن مرزوق (ت681هـ/1282م) وقت موته. ».
ص 200	ابن مرزوق: المناقب	« عرف أبو عبد الله بن النجار (ت750هـ/1349م) بوقت موته. ».
ص166-197-286.	ابن مرزوق: المناقب.	« عرف التنسي (ت670هـ/1357م) رائحة السفرجل فقال: هذه روائح الجنة فمات من يومه. ».
ص76-77.	الغبريني: مصدر سابق	« أبو الحسن علي بن أحمد الحسن بن إبراهيم الحرالي (ت638هـ/1235م) قال لأصحابه إذا كان يوم الثاني عشر من شعبان نساfer عنكم فقرب الشهر ولم يروا عليه أهية السفر، فتعجبوا من ذلك وكان به مرض فلما كان ليلة الثاني عشر من شعبان دعا خواص أصحابه وأمرهم أن يحضروا عنده وأن يوقدوا الشمع ويؤنسوه بالقرآن، ويؤتوه بماء زمزم فشرب، وفي الصباح أمرهم أن يأتوه بكفن على وفق السنة فأتوه به، وأمرهم أن يحفروا قبره في موضع اختاره، ثم قال إذا أذن العصر أموت، فكان كما قال فأوصاهم بأن يحملوه الفقراء»

إن القول بمعرفة الإنسان وقت وفاته يتعارض والعقيدة الإسلامية التي آمن بها سكان المغرب الأوسط، والتي تقر بأن معرفة وقت ومكان الوفاة من باب علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾<sup>1</sup>.

### 3/ الإعلان عن الوفاة:

بعد الوفاة يسكت المقرنون عن تلاوة القرآن، ويقومون بتغطية الميت وتسجيته<sup>2</sup>، ثم يتقدمون لتعزية الأقارب ومواساتهم في فقيدهم بتقبيل رؤوسهم<sup>3</sup>، أما عن طرق الإعلان عن الوفاة في المغرب الأوسط فقد اعتاد

<sup>1</sup> - سورة لقمان: الآية 34. خص الله نبيه الكريم بمعرفة بعض الأمور الغيبية كرامة له، كأنه سيموت في مرضه الذي مات فيه، وأن فاطمة أول أهله لحاقا به وأنها سيدها نساء الجنة .

<sup>2</sup> - يسجى الميت بأن يغطى قبل الغسل، والغرض منه صيانة الميت عن الانكشاف وستر صورته المتغيرة عن الأعين، وتكون التسجية بعد نزع ثيابه التي توفى فيها لتلا يتغير بدنه بسببها. موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص18

<sup>3</sup> - عبد العزيز، فيلالي: تلمسان، 1، 298 كان ابن مرزوق هذا قد لام زوجته عشية الوفاة عندما لاحظ يديها ورجليها مخضبتين بالحناء المنقوشة

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

الناس عندما يصيبهم جلل في أحد الأقارب على البكاء، ولا سيما النساء اللائي كن يكثرن من العويل والنواح، ويقوم أهل الميت بإشعار الأقارب والأصدقاء<sup>1</sup>، من ذلك ما ذكر الونشريسي (ت914هـ/1509م) بأن من عادات كثير من المواضع في المغرب عندما يتوفى أحد الأشخاص، يكون الإعلان بأن يصعد أحدهم إلى منار مئذنة الجامع، ويقراً شيئاً من القرآن ويذكر الابتهالات كما يفعل المؤذن قبل آذان الفجر، ثم يدور في المنار معلناً وفاة فلان وجنازته في كذا<sup>2</sup>، ويشكل هذا الإعلان صدمة تهتز لها النفوس وينتشر خبر الموت بسرعة فائقة بين الناس، الأمر الذي يجعل أقارب الميت ممن تلقوا الخبر يدخلون في حالة من الحزن.

وقد تكون وسيلة الإعلان عن الوفاة عن طريق النواح<sup>3</sup> والعويل من نساء بيت المتوفى، فالنسوة تحطن بالميت تندبته وتبكين عليه<sup>4</sup> وتصحن بأهازيج خاصة<sup>5</sup>، وهو ما عُدَّ من البدع المستحدثة في الجنائز فعن يحيى بن عمر أن: « من بدع أهل المغرب عند الوفاة قيام النساء بالبكاء على الميت بالصراخ ولطم الخدود، وإحضار النوائح النوادب، كما كن يخرجن وراء الجنازة من البيت إلى المقبرة، وفي أيديهن مناديل يُشِرْنَ بها إلى النعش<sup>6</sup>، وكره اجتماع النساء للبكاء على الميت سرا أو علانية<sup>7</sup> وأنكر الونشريسي اجتماعهن في المقابر والجبانات<sup>8</sup>. ومهما كانت الأسباب فالصراخ والنياحة يعدان صراعاً مع كائن عدائي، وهما نوع من الدفاع بصورة أساسية ذات جذور بدائية، ذلك أن الطقس في التحليل النفسي هو عبارة وضع القوى التي تتحرك في اللاوعي موضع العمل على الصعيد الاجتماعي<sup>9</sup>، وتوصف النياحة بأنها نعيق الشيطان، ويعتقد أن إبليس هو أول من ناح وصاح حين أخرج من الجنة، وقد نهي عن اتباع الجنائز بالنياحة<sup>10</sup>.

1 - عبد العزيز، فيلالي: تلمسان، 297/1 نقل على الوزان 202/1

2 - كُرَّة النداء للجنازة من المسجد البرزي: مصدر سابق، 359/1.

3- فالنياحة من الناحية الأنثروبولوجية الثقافية تمثل عملية اتصال، والتي من خلالها تنقل رسالة ما تتضمن مجموعة من الأفكار والمعاني إلى فرد أو مجموعة من الأفراد الآخرين بدرجة من الوضوح، تجعلهم يستقبلون هذه الأفكار والمعاني ويفهمونها على النحو الذي كان يقصده صاحب الرسالة. موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص114.

4- ابن قنفذ: أنس الفقير، ص108.

5 - التنبكي: نيل الابتهاج، ص199.

6 - يحيى، بن عمر: مصدر سابق، ص91؛ الونشريسي: المعيار، 419/5-420.

7 - رسالة أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف: في آداب الحسبة والمحتسب، ص77.

8 - المعيار، 499/2.

9- موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص114.

10 - رسالة أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف: في آداب الحسبة والمحتسب، ص76-77.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

وتجدر الإشارة إلى أن عادة النواح في مجتمع المغرب الأوسط يصعب استبدالها أو تغييرها، ذلك أن بعض العادات لا يمكن استبدالها بسهولة كمظاهر الحداد، بحيث يمكن القول أنه ليست هناك عقيدة أو قانون أخلاقي أو دليل علمي يمكن أن يداني في سيطرته على الناس سطوة الاعتقاد على عمل معين تلازمه مشاعر وحالات ذهنية شبوا عليها منذ طفولتهم الأولى، ولم تقتصر النياحة على الجنازات إذ ورد ذكر نوع آخر من النواح لم يكن مستهجنًا بنفس القدر ألا وهو نوح بعض المتصوفة، فأناشيدهم كانت على طريقة النوح والبكاء والتي سماها البرزلي في نوازه "بالتغيير"<sup>1</sup>

### 4/ تغسيل الميت:

الغرض من تغسيل الميت هو تطهيره من أي نجاسة علقته به، أو يُيَمَّم الجسد في حالة انعدام الماء أو مخافة تقطع الجسد بالماء أو تفسخه، فالغرض من هذه الممارسة الطقسية كما سبق الذكر هو تطهير الميت وإزالة دنس العالق به<sup>2</sup>، فالماء رمز الطهارة ورمز الحياة الجديدة، وأوردت لنا مصادر الفترة المدروسة أن هناك من ترك وصية يذكر فيها من يغسله، ومثال ذلك أن أبو محمد عبد الله المليحي أوصى أن يغسله عبد الجليل<sup>3</sup>.

إن ما ساد المغرب الأوسط من طواعيين وجوائح كثر فيها الموتان، جعل طقوس تغسيل الميت وتكفينه من الصعوبة بمكان، ذلك مخافة انتقال العدوى في الطاعون، أو لكثرة العدد في الحروب والجوائح، أين اختفت طقوس تغسيل الميت كمرحلة من مراحل طقوس العبور المتعارف عليها، فكان الدفن أهم طقس إذ أهملت باقي الطقوس التي سبقته أو تلتته.

وتجدر الإشارة إلى شيوع بعض المعتقدات لدى بعض ساكنة المغرب الأوسط مفادها أن الأدوات التي استعملت في تغسيل الميت وتكفينه ودفنه، تصير منبعًا لقوى سحرية وذات مفعولات فوق طبيعية، قادرة على إحداث الضرر بالناس، وهو الأمر الذي جعل بعض الناس يلجئون إلى دفن هذه الأدوات لاتقاء شرها، ولعدم توظيفها في الأغراض السحرية ذلك أن بعض الفئات الأخرى عملت على دفع مبالغ ضخمة أو تقديم هدايا غالية مقابل الحصول على أحد هذه الأغراض، كل هذا بسبب الذهنية السحرية التي طغت على هذه الفئات، وهناك فئات في المغرب الأوسط لجأت لتغسيل قبر الرجل الصالح وهو ما عد بدعة مستحدثة ومنكرة<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - البرزلي: مصدر سابق، 427/6.

<sup>2</sup> - حول صفة تغسيل الميت وما جاء فيها من نوازل ينظر المازوني: مصدر سابق، ص451؛ 159. أورد الونشريسي في نوازه جواب ابن مرزوق (ت842هـ/1439م) حول قضية ما يجوز لمسه من أعضاء الميت عند غسله. 471-465/1.

<sup>3</sup> - ابن الزيات: مرجع سابق، ص124.

<sup>4</sup> - الونشريسي: المعيار، 490/2.

### 5/ تكفين الميت:

يقصد بتكفين الميت إدراجه في الكفن<sup>1</sup> والكفن هو الثوب الذي يستر جسده، ويكون نظيفا أبيض اللون<sup>2</sup>، ويجمر ويبنخ ويطيب، فالرجل يكفن في ثلاث لفائف، بينما المرأة تكفن في خمس ( قميص، ومغزر، ولفافة، مقنعة، وخامسة تشد بها فخذها)، وترد طرف اللفافة العليا على شقه الأيمن ثم يرد طرفها الآخر على شقه الأيسر<sup>3</sup>، وعملية تكفين الميت هي عملية مقدسة ولها خصوصية لدى جميع المسلمين إلى درجة أن هناك من فضل شراء الكفن في حياته من ماله الخاص، كما عمل آخرون على إحضاره معهم أثناء ذهابهم للحج، كون الحج ركن مقدس ومكة مكان مقدس ومنه قدسية الكفن بقدسيتهما، وتعدى الأمر إلى وجود بعض العرائس ممن أخذت الكفن ضمن جهازها.

أشار الونشريسي (ت914هـ/1509م) إلى بعض العادات والتقاليد المتصلة بالجنائز والوفاء، منها عادة الذكر الجمهوري والتهليل أمام الجنائز، فيقوم الناس في جنائزهم عند حملها بالتهليل والتصلية والتبشير والتنذير على صوت واحد<sup>4</sup>، وأثناء إخراج الميت من بيته تتبارى النساء بالبكاء والنواح وتصدرن صيحات مزعجة، وهي صيحات الوداع الأخير، أين يختلط الرجال بالنساء في هذه اللحظة المؤثرة وفي محاولة للتخفيف عليهن، ويقرأ القرآن على الجنائز يرتله جماعة من حفظته بنغمة واحدة<sup>5</sup>، ويبدو أن عادة العويل ولطم الخدود كانت معروفة عند نساء مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، لأن كتب الحسبة تشير إلى ذلك وتذم هذه الظاهرة الغربية عن الإسلام وتنهاهن عنها<sup>6</sup>، إلا أن الأعيان والوجهاء وأسر الفقهاء والصلحاء لا يندبن ولا يلطمن خدودهن<sup>7</sup>، وهناك من اتخذ من الزغاريت وسيلة لتوديع الميت، لذا نهى الفقهاء عن هذا الفعل وعدوه بدعة يجب قطعها<sup>8</sup>، ويذكر

<sup>1</sup> - الوزن: مصدر سابق، 202/1.

<sup>2</sup> - يرمز البياض في العقلية الشعبية للفضيلة والتقوى، وهو دليل التقشف في الملابس، إنه خلاصة الألوان ويمكن أن يوحي بلون القمر والأبعاد المبهرة، إنه صورة النور والنقاوة. موفق، زاوي: الطقوس الجنائزية، ص119؛ عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص159.

<sup>3</sup> - موفق، زاوي: الطقوس الجنائزية، ص19-20. تطرق الونشريسي إلى قضية ستر الموتى بالحرير أين أفق بتحريمها، معتبرا إياها من البدع الحادثة في تلمسان والمغرب الإسلامي. المعيار، 500/1-520.

<sup>4</sup> - نفسه، 472/2.

<sup>5</sup> - الوزن: مصدر سابق، 202/1.

<sup>6</sup> - يحي، بن عمر: مصدر سابق، 91-92.

<sup>7</sup> - عبد العزيز، فيلابي: تلمسان، 297/1.

<sup>8</sup> - البرزلي/ مصدر سابق، 508/1.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

الونشريسي(914هـ/1509م) أن من عادات أهل المغرب عند وفاة الرجل خروج نساء أهله وأقاربه ومعهن نساء الجيران إلى المقبرة، كما أن المرأة التي يموت زوجها أو ولدها تعاهد قبره كل يوم جمعة<sup>1</sup>.

### ثالثا: الموكب الجنائزي والصلاة على الميت.

بعد الانتهاء من التكفين، يوضع الميت على النعش ويغطى بلحاف يستره، فيقدم رأسه عند إخراجة من البيت ليوضع دائما باتجاه القبلة، وعادة ما يحمل فوق أكتاف أربعة رجال من أقاربه<sup>2</sup>، ومن العادات التي أثبتت حضورها طلي نعش الميت بالزعفران<sup>3</sup>، وسادت ببعض مناطق المغرب الأوسط ظاهرة التمسح بالنعش والتبرك به<sup>4</sup>، لاسيما إذا كان المتوفى من الأولياء والزهاد والمتصوفة، من ذلك تراحم الناس في جنازة أحمد الغماري (ت874هـ/1468م) على نعشه بغية التبرك به، فمنهم من سعى إلى لمس النعش أو مسح ثوبه به، وكذلك الأمر مع نعش الحسن بن أبركان (ت857هـ/1454م)، أين تراحم الناس في جنازته بغية الوصول إلى النعش والتبرك به<sup>5</sup>، وحدث نفس الشيء مع نعش الشيخ السنوسي (ت895هـ/1489م)<sup>6</sup>، وغيرهم كثيرون ممن تسابق الناس في حضور جنازتهم ولمس نعوشهم لنيل البركة، ذلك أن الاعتقاد السائد عندهم بأن النعش الذي يحمل ولياً صالحاً قد صبغ ببركة ذلك الولي، ومن لمسه ستتقل إليه تلك البركة، وهو نفس الأمر الذي سجل في التمسح بالأضرحة.

ومن الطقوس المتعارف عليها والتي لا اختلاف فيها الصلاة على الجنازة، إما في المسجد حيث يكون في انتظاره بعض الناس، أو يصل الموكب إلى المقبرة فيصل على الجنازة فيها، بعدها يوضع الميت على جانبه الأيمن داخل القبر ويوارى الثرى، بعد أن يغطى بمجموعة من الأحجار المسطحة، وتوضع حجرة عند رأس الميت تسمى الشاهدة إذا كان رجلاً، وتضاف حجرة أخرى عند أرجل الميت إذا كان المتوفى امرأة وتصبح شاهدتان، وتعتبر الشاهدة رسم لحدود القبر والتمييز بين قبور الرجال والنساء، كما أن وجود الشاهدة على رأس الميت الذكر واختفائها عند قدميه تعبر عن الفضاء المفتوح أمام الرجال، وحضورها عند أرجل المرأة تعبر عن انغلاق الفضاء

1 - المعيار، 6/419-420؛ يحيى، ابن عمر: مصدر سابق، 91-92؛ ابن سعد: مصدر سابق، ص135.

2 - عبد الغني، منديب: مرجع سابق، ص159؛ موفق، زازوي: جدلية الذكورة، ص105.

3- الونشريسي: المعيار، 2/484.

4- محمد، حقي: الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، المغرب: مطبعة مانيال، 2007م، ص74.

5 - ابن سعد: مصدر سابق، ص135-234؛ ابن مريم: مصدر سابق، ص74-93.

6- محمد، الملاي: مصدر سابق، ص333.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

أمام المرأة في القبر<sup>1</sup>، ويعزى أهل الميت، ويسعى الناس لمواساتهم، ويقدم بعض ذوي الموتى الطعام للمعزين والمعزيات<sup>2</sup>.

اختلف عدد ومكانة الناس الذين حضروا الصلاة على الجنازة حسب مكانة المتوفى، فإن كان حدث الموت كطقس عبور واحدا مع الجميع وفي جميع مراحلها، إلا أن الإنسان تعامل مع بعض محطاته بنوع من التفرقة والتي تجلت في عملية تشييع الجنازة، وكذا تزيين القبور أين يبرز الاختلاف في وجهة ومكانة المتوفى ومن أمثلة ذلك:

المصدر	الحضور في الجنازة
التنسي: مصدر سابق، ص180.	حضر وفاة الشريف التلمساني (ت771هـ/1369م) العلماء والفقهاء والطلبة والصلحاء.
يحيى بن خلدون: مصدر سابق البغية 1/	فاحتفل الناس في حضور جنازته.
ابن الزيات: مصدر سابق، ص118	احتفل الناس بجنازته.
ابن سعد: مصدر سابق، ص135-233	كانت جنازته من الأيام المعدودة والمحاضر المشهورة امتلأت السكك والشوارع بمن حضرها.
التنبكتي: مصدر سابق، ص11/2-178	حضر السلطان، جنازة أبو الفضل العقباني (ت854هـ/1450م).
الغبريني: مصدر سابق، ص52	كان له مشهد عظيم.
ابن سعد: مصدر سابق، ص135	يحضرها الرجال والنساء.
ابن سعد: مصدر سابق، ص135	أما أهل البلد فما تخلف منهم أحد.
ابن مريم: مصدر سابق، ص212	ابن مرزوق الحفيد (ت842/1439م) وأبو الفضل العقباني صلى عليهما بالمسجد الأعظم بتلمسان.
التنبكتي: مصدر سابق، ص111.	وكانت جنازات الأولياء كثيرة الحشود.

<sup>1</sup> - موفق، زازوي: جدلية الذكورة، ص 106.

<sup>2</sup> - الوزان: مصدر سابق، 202/1؛ عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 297/1. أما عن صفة الجنازة ينظر الإمام مالك: مصدر سابق، ص114.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

### 1/ عادة دفن الجنازة:

الدفن هو آخر طقس يتعلق بالمتوفى، وفي نفس الوقت هو المحطة الأخيرة في طقوس العبور، فالغرض من الدفن أن يوارى الميت في حفرة تحجب رائحته وتمنع الحيوانات والطيور عنه، وهذا نظرا لحرمة وقداسته جثته، وعلى هذا الأساس ينبغي تعميق القبر قدر قامة، وهو من نشاط واختصاص المحتسب، الذي يأمر حافري القبور أن يعمقوها قدرا حسنا، بحيث لا تظهر روائحهم، ولا تتمكن السباع والكلاب من نبشهم، وأن يستروا ما خرج لهم من عظام الموتى في التراب ولا يتركونه ظاهرا<sup>1</sup>، ومنه جاء تعريف القبر على أنه مدفن الإنسان<sup>2</sup>.

وعادة ما يكون الدفن الطقوسي وحده هو من يؤكد الموت، زد على ذلك أن موت أحدهم غير معترف بصحته إلا بعد إكمال الطقوس الجنائزية<sup>3</sup>، فبعد إدخال الميت للقبر، يجعل وجهه للقبلة، بعدها تحل أربطة الكفن، ومن كان بالقرب من القبر يثو ثلاث حاثيات من التراب، وإن كان الميت امرأة فيطلب ستر قبرها بثوب لتكون محجوبة عن أعين الناس حتى توارى بالتراب، هذا ما يفسر حرمة المرأة ومكانتها حتى في القبر، ويستحب رفع القبر قدر شبر عن ظهر الأرض ويكون مسنما أي على شكل سنم الجمل<sup>4</sup>، كما أن هناك من اعتقد بقدرة تراب القبر على منح قدرة علاجية وشفاء بعض الأمراض حسب درجة صلاح الشخص المدفون<sup>5</sup> وهو ما فصنا فيه في التشافي بتراب الأضرحة في الفصل الثاني.

تجدر الإشارة إلى ظاهرة سادت بعض جهات المغرب الأوسط وهي ظاهرة نبش القبور لإعادة الدفن بها أو لتوسعة ما، ذكر الونشريسي (ت914هـ/1509م) أنه سنة 876هـ/1471م أباح بعض الفقهاء حفر مقبرة ونبشها لإنشاء سور أو بروج وهو ما لم يجزه وحرمه، كما سأل ابن مرزوق عن مقبرة يزيد عمرها عن ثمانين سنة، هل يجوز إعادة الدفن فيها بعد نبش القبور القديمة وهو ما رفضه وحرمه<sup>6</sup>.

عكست قداسة الموت في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط صورة النسوة المسنات خاصة من أقارب الميت، فبعد دفنه تذهبن في الغد صباحا إلى قبره للقيام بطقس "المصابحة" ووردت بالصبحة عند الألباني<sup>7</sup>، وهناك من تضع إناء به ماء عند رأس القبر، القصد منه أن يكون صدقة جارية لصاحب القبر إذا شريت منه الطيور، ومن غاب من

<sup>1</sup> - موسى، لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها): الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر، 1971م، ص116.

<sup>2</sup> - موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص21.

<sup>3</sup> - الياد، مارسى: المقدس والمدنس، ص136.

<sup>4</sup> - موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص22.

<sup>5</sup> - ابن الزيات: مصدر سابق، ص129، 141، 132؛ نحي عن أخذ تراب القبر في فتوى البرزلي: مصدر سابق، 508/1.

<sup>6</sup> - الونشريسي: المعيار، 489/1.

<sup>7</sup> - مصدر سابق، ص322.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

أهل الميت عن طقس المصابحة لاموا عليه كأنه ترك فرضا معيناً<sup>1</sup>، كما أحدثوا عادة القراءة على القبر وتكرار زيارته<sup>2</sup>، لما شاهدوه من زيارة الصلحاء والمتصوفة للمقابر فابن مرزوق (ت 681هـ/1282م) كان يزور المقابر في أيام مخصوصة<sup>3</sup>.

بالإضافة إلى ظاهرة تقديس قبور الأولياء والعناية بقبور السلاطين والوجهاء التي أشرت إليها في الفصل السابق، إلا أن العادة جرت عند بعض الأسر وخاصة الغنية منها أن تقوم ببناء القبر وتجميله، مثل ما حدث في بيت أبي عبد الله محمد الثاني ابن مرزوق<sup>4</sup>، وأكثر المواد المستعملة في البناء على القبور وتجميلها مادة الرخام المشوي، حيث توجد العشرات من شواهد القبور المحفوظة بمتحف تلمسان والمصنوعة من الرخام المشوي، والتي أوردتها الباحثة وليام مارسلي في كتابه "مقتنيات متحف تلمسان" فنجد العديد من القطع الأثرية الأخرى والتي تعود لمقابر وأضرحة المغرب الأوسط خاصة حاضرة تلمسان، والتي حوت معلومات مهمة عن بعض الأمور المتعلقة بالجناز والمقابر، منها بناء السقائف والقباب والروضات، في حين زينت بعض القبور، واتخذت بعضها شواهد من المرمر ونقش عليها اسم المتوفى وتاريخ وفاته<sup>5</sup>.

كانت تقتطع أراضي واسعة وتخصص لبناء المقابر، إذ حبس بعض الأغنياء أراضي واسعة لهذا الغرض<sup>6</sup>، كما كانت بعض الأسر التلمسانية تفضل شراء قطع من الأرض لدفن أفراد العائلة<sup>7</sup>، وخصصت بعض المقابر لاستقبال الوجهاء والأعيان من رجال الدولة وأفراد أسرهم دون سواهم<sup>8</sup>، كما كانوا يُقيمون مقابرهم خارج المدينة أو بجوار مداخلها وأبوابها<sup>9</sup>، ومن أمثلة هذه المقابر أذكر:

1- إبراهيم، القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص108.

2- الونشريسي: المعيار، 486-485/2.

3- ابن مرزوق: المناقب، ص154. ابن سعد: مصدر سابق، ص155.

4- أنكر الفقهاء البناء على القبور وتخصيصها وشد الرحال إلى زيارتها، وقالوا إنه من البدع واستدلوا بحديث الرسول عليه السلام: « إذا طين القبر لم يسمع صاحبه الأذان، ولا الدعاء ولا يعلم من يزوره فلا تطينوا قبور موتاكم، دعوهم يسمعون الذكر، ولا يزال تراب القبر يسبح الله ما لم يطين القبر كل يوم عشر مرات حتى يغفر الله لصاحبه». الونشريسي: المعيار، 152/11.

5- جمال، أحمد طه: مرجع سابق، ص325.

6- ابن الزيات: مصدر سابق، ص206.

7- عبد العزيز، فيلاي: تلمسان، 289/1.

8- المراكشي، ابن عذاري: مصدر سابق، ص34.

9- نفسه، ص223.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

- مقبرة القاضي: الواقعة على حافة الطريق المؤدي إلى مزار أبي مدين شعيب (594هـ/1198م) حيث توجد شواهد قبو أفراد أسرة المقرئ وأفراد أسرة العقباني<sup>1</sup>.
- مقبرة لفئة البرجوازية: والدليل شواهد القبور لفئة البرجوازية من أهالي مدينة تلمسان والموجودة بمتحف تلمسان<sup>2</sup>.
- مقبرة ملكية: حوت رخام موشوي مختلف الأشكال، أُخذ من القبور الملكية الزيانية الموجود بمتحف تلمسان<sup>3</sup>.

### 2/ التعزية:

التعزية وهي تصبير أهل الميت ووعوهم لاحتساب الأجر عند الله وتخفيف حزنهم وتهوين المصيبة عليهم<sup>4</sup>، وتعتبر التعزية سلوكا اجتماعيا يقوم به الأهل والجيران والأحباب تجاه أسرة الميت، لحثهم على الصبر والثبات عند الصدمة الأولى، فهذا الحدث الجلل قد يخلق في النفس تصادما وتعارضاً.

ومن بين الرسائل الأدبية نجد رسائل التعزية، والتي تصف حالة النفس وتأثرها عند سماعها بفقدان أحد الأصدقاء أو الأصدقاء، وأحيانا تمتزج التعزية بالتهنئة خاصة إذا كان المتوفي سلطانا فيُعزى ولي العهد ويهنئه في نفس الوقت باعتلاء العرش، وأمثلة ذلك كثيرة منها الرسالة التي وجهها ابن الخطاب التلمساني إلى الأمير أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان (633-677هـ/1239-1283م) بمناسبة وفاة والده واعتلائه سدة الحكم جاء فيها: «وقد كان من وفاة مولانا السلطان أبي يحيى والدكم، ما جرى به القدر وشاب لأهله صفو الحياة الكدر، وملاً القلوب حزنا وصير سيل العزاء وعرا حزنا، فياله رزءا فادحا وثكلا جرى بنا في ميدان الأسى جامحا، ونفض العيش وعلم الحليم الوقور الطيش، وصار شجا في الصدر معترفا فلوفا ومته نفوسنا لفديناه بما عن طلوع من ورضا... هنا الله مولانا هذا الصنع الذي نسخ، كل كرب وأدخل النور في كل قلب وأجل الصنائع موقعا وأنورها مطلعا ما أهدى الجدل إلى الصدور ومحا أثر الحزن منها بيد السرور وأعقب التعزية التهنئة كما عقب الظلام النور»<sup>5</sup>.

1 - وليام، مارسي: مرجع سابق، ص11.

2 - نفسه، ص11.

3 - نفسه، ص11.

4 - موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص22. قال ابن القيم الجوزية: كان من هديه ﷺ تعزية أهل الميت، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء ويقرأ له القرآن لا عند قبره ولا غيره، وكل هذا بدعة حادثة مكروهة. زاد المعاد في هدي خير العباد، تح: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط3، الكويت: مؤسسة الرسالة، 1998م، 6 مجلدات، 508/1.

5 - فصل الخطاب في نثر أبي بكر بن الخطاب مخطوط تحت رقم د/ 773 ورقة 14-15 وأبو بكر بن الخطاب ت 686هـ/1287م. نقلا عن عبد العزيز، فيلالي: تلمسان، 462/1.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

وهناك خطاب تعزية آخر وجهه ابن الخطاب التلمساني إلى أخ الفقيه ( أبي عبد الله محمد الثاني ابن مرزوق) جاء فيه: « وقد بلغني ما جرى به القدر من وفاة أحيكم فقد صدع مصابه كبدي، ونقض عرا صبري وجلدي، وأطال مدى حزني وكمدي وفقدت به عدتي وعددي فنومي نافر ودمعي ماهر...ولو قبل فيه الفداء فديته بما لدي من نفس ومال...وله أنه يجلب عن الفداء لفديته بالنفس وحللت بدلا منه في ذلك الرمس<sup>1</sup>». يعد واجب العزاء سنة حميدة يخفف بها الناس عن أهل المتوفى مصيبتهم في فقدته، على أن لا يطيل الناس المكوث عند أهل الميت ولا يتصدون للعزاء لأن ذلك بدعة مكروهة حسب رأي الفقهاء المالكية<sup>2</sup>.

### 3/ نهاية الحداد:

يعتبر الحداد من الطقوس التابعة للوفاة وإن اختلفت مدته حسب علاقة كل واحد بالمتوفى فهناك من لا يجوز له أن يحد فوق ثلاثة أيام وهناك من وجب عليها لبس ثوب الحداد طوال فترة العدة إن كان المتوفى ترك زوجة، وكغيره من الطقوس الجنائزية السابقة، يعرف الحداد بدوره نوعا من التباين بين الثابت الديني والمتغير الشعبي، ففي الوقت الذي يركز فيه الثابت الديني على ضرورة الصبر أثناء الفاجعة والتركيز على الاحتساب، وأن الحزن على الميت يجب أن يكون في سكونة وصمت، ويترك المجال الأكبر للعبارة والدعاء للميت وأهله، إلا أن المتغير الشعبي يبرز بعض الممارسات، كشق الصدر وندب الوجه والضرب على الجسم وتقطيع الشعر<sup>3</sup>، وهي أمور مستهجنة على قلتها في المجتمع، لأن عامل التربية الدينية والروحية وتنشئة بعض الأسر في المغرب الأوسط عملت كحاجز لمنع أهل المتوفى من تجاوز حدود الشرع في التعبير عن الحزن.

### 4/ الوصية:

تحضى الوصية التي يتركها الميت مكتوبة أو منطوقة بمكانة خاصة لدى أقارب الميت، إذ يجب تنفيذها دون نقاش أو اعتراض خاصة إذا لم تخالف الشرع، ومن بين أهم الوصايا التي حفظتها لنا المدونة الوسيطة بالمغرب الأوسط أن السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1234-1282م) قد أوصى بأن يدفن بجانب ابن مرزوق (ت681هـ/1282م)<sup>4</sup>، وهو ما حدث فعلا بعد وفاته، وكثيرون هم من تركو وصية كي يدفنوا بمقبرة العباد لقدسيتها المكان نظرا لاحتوائه على أضرحة الأولياء، وعلى رأسهم ضريح أبي مدين شعيب

1 - فصل الخطاب ورقة16، نقلا عن عبد العزيز، فيلالي: تلمسان، 298/1.

2 - الونشريسي: المعيار، 153/11.

3 - موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص130؛ جدلية الذكورة، ص105.

4 - ابن مرزوق: المناقب، ص170.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

(ت594هـ/1198م) لدرجة أن أبو اسحاق التنسي (ت670هـ/1357م) أوصى ابن القطان بأن يشتري له موضعا في العباد يعده مدفنا له لرؤية في منامه<sup>1</sup>.

وهناك وصايا أخرى حيث أوصى أحدهم بشراء كفن وقلة وقدح قبل وفاته، وأمر أبو مور الدكالي أن تكون مصاريف جنازته من الدراهم التي تركها تحت فراشه، وهو ثمن المصحف الذي باعه، وكذلك أوصى بالاحتفاظ بقلنسوته التي حجج بها أربع وعشرين سنة<sup>2</sup>، أوصى الولي الصالح أبو عمر ميمون السريغيني بأن يدفن معه مكتوب، وهو عبارة عن أسماء طلبته الذين ختموا عنده القرآن وعددهم ستون طالبا<sup>3</sup>، كما أوصى أبو الحسن علي بن محمد الزواوي أولاده حين بكوا عليه بقوله: « لا عليكم مهما أصابكم أمر أو عارض فأتوا إلى قبري وأذكروا وأشكوا همكم وسألوا الله يفرج عنكم»<sup>4</sup>.

كثيرة هي الأمثلة التي حفظتها لنا المدونة الوسيطة حول أنواع ومحتويات الوصايا التي تركها أصحابها لذويهم بغية تنفيذها، إذ تعاملوا معها بكثير من الجدية وطبقوا محتواها كأنها نصوص ملزمة، لما له من أثر نفسي في نفوسهم بأنهم حققوا لموتاهم مبتغاهم وهو ما سيحقق لهم نوع من السكينة والطمأنينة.

### 5/ طقس السبوع وأربعينية الميت<sup>5</sup>:

لطالما شكلت الأرقام رموزا مقدسة لبعض سكان المغرب الأوسط خاصة أيام الأفراح، ومنها العدد سبعة الذي احتل مكانة مرموقة في المخيال الشعبي<sup>6</sup>، وقد يعود ذلك إلى التأثير بالنصوص الدينية خاصة القرآن الذي ذكر العدد سبعة أكثر من خمسة عشر مرة<sup>7</sup>، منها أن الأرض والسموات والأبواب الجنة وأبواب النار كلها سبعة، فيوم العقيقة يصادف اليوم السابع من الولادة، وهناك سابع العروسة، وسبوع الميت، بالإضافة إلى اليوم الثالث واليوم الأربعين بعد الوفاة.

1 - ابن مرزوق: المناقب، 283.

2- ابن الزيات: مصدر سابق، ص145-187-526-401

3- ابن مرزوق: المناقب، ص 300

4- الغبريني : مصدر سابق، ص.134.

5 - ربما هذه الظاهرة مستمدة من المصريين القدماء الذين يجنطون الجنة لمدة أربعين يوما. محمد، خير الدين الأسدي: موسوعة حلب المقارنة، تنقيح: محمد كمال، حلب- سوريا: جمعية العاديات، 2009م، ص98.

6 - موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص 132.

7 - زازوي، موفق: الطقوس الجنائزية، ص 132. الأراضي والسموات والأبواب الجنة وأبواب النار كلها سبعة.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

أشار الونشريسي(ت914هـ/1509م) إلى عادة سابع الميت، في حديثه أن أهل المتوفى في اليوم السابع للوفاة يصنعون طعاما للقراء والفقراء والأقارب للترحم على الميت وصلة للأرحام، ويسمى هذا الطعام بعشاء القبر<sup>1</sup>، وذكر أنه من المستحب أن يرسل الجيران والأقارب الطعام لأهل الميت<sup>2</sup>، كما كانوا يضربون في هذا اليوم الفسطاط (نوع من البناء) على قبر المتوفى، ويستأجرون أحد القراء لتلاوة ما تيسر من القرآن على القبر، وذلك على الرغم من حث الفقهاء على نبد تلك العادة التي اعتبرت من البدع ومما أحدثه الناس<sup>3</sup>، وكان أهل تلمسان لا يطفئون المصباح في المنزل مدة سبع ليالي كاملة<sup>4</sup>، كما كان من عادتهم في هذا اليوم أن يتصدقوا بثياب الميت وفرشه وما كان يتناول فيه من آنية وغير ذلك للفقراء والمساكين<sup>5</sup>، على نية أن يلحقه أجر الصدقة إذا ما استعملت أغراضه. أما بعد مضي أربعين<sup>6</sup> يوما من الوفاة، كان يقام "طقس الأربعين" لتذكر الميت، فيصنع أهله طعاما يتصدقون به ويدعون له بالرحمة والمغفرة، ويذهبون إلى قبره ويوضحون حدوده ويعلمونها بعلامات كنصب بعض الأحجار والتي تدعى بالشواهد بتلمسان وضواحيها<sup>7</sup>، ويعتبر طقس الأربعين رمزا فاعلا في إنتاج المظاهر المتصلة بالموت كآخر يوم حزن لأهل الميت، أين تبقى الأرملة وحدها في حالة الحداد إذا كان المتوفى زوجها، ويقوم أهل الميت ب "طقس الختمة" أين تتم قراءة وختم القرآن على نية أن ينال المتوفى الأجر.

### 6/ التكلم مع الموتى:

لم يتوقف اعتقاد سكان المغرب الأوسط في ما يحدثه الموت من خوف وفزع وهالة، وما يقومون به من طقوس وممارسات لاحتواء هذا الحدث، بل تعدى الأمر اعتقادهم في قدرة بعض الناس على التكلم مع الموتى حتى أن

1 - المعيار: 1/ 317 وهو عبارة عن طعام يعده أهل الميت للأقارب والعزيرين على نية الصدقة باسم المتوفى، وعادة ما يكون الطعام من مال الميت ويشترط فيه الأضحية، إذ هي واسطة بين المتوفى والأحياء، أين يصبح هذا العشاء عشاء مقدسا، قال جرير بن عبد الله البجلي: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة. الألباني: تلخيص أحكام الجنائز، ص325.

2 - رسالة أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف: في آداب الحسبة والمحتسب، ص77.

3 - البرزلي: مصدر سابق، 1/ 515؛ المعيار: 1/ 317؛ وذكر ابو الموددة أنه من الضلال الفضيع والمنكر الشنيع والشماتة البينة والحماقة غير الهينة تعليق الثريات وإدامة القهوات في بيوت الأموات والاجتماع فيها للحكايات وتضييع الأوقات في المنهيات مع المباهات والمفاخرات. مصدر سابق، 500/1.

4 - الونشريسي، المعيار، 1/ 317-319.

5 - عبد العزيز، فيلالي: تلمسان، 1/ 298.

6 - الرقم أربعون ذكر أربعة مرات في القرآن الكريم فميعاد موسى كان لأربعين يوما ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ سورة الأعراف، الآية، 142 ونفي إسرائيل كان أربعين سنة ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَيُّهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ سورة المائدة، الآية 26.

7 - موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص132-133.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

ابن الزيات قال: « سمعت بعض المريدين يقولون إنهم يكلمون الموتى ويجيبونهم في قبورهم فقال لي: هذا صحيح إن الله تعالى عباد لو تكلموا بما استفادوا من مواهب الله تعالى لأفتى هؤلاء الفقهاء برجمهم<sup>1</sup>، ومعناه أن هناك من الناس من استصعب الأمر ولم يصدقوه وهو الأمر الذي رفضه الفقهاء، ومن النصوص الكثير التي وردت عند ابن الزيات في التشوف أن هناك من تحدث مع أحد أصحابه من الموتى<sup>2</sup>، كما أشار إلى حوار مطول بين أحد الأولياء والمرأة صاحبة القبر التي أرسلته لطلب العفو من زوجها<sup>3</sup>.

ومن الروايات الغربية أن الميت إذا كان صالحا ودفن في مقبرة شفع لجميع الموتى فيها، وهو ما أكدته ابن الزيات في التشوف من أن فتاة كانت تجيء لوالدها في منامه تشكو إليه أنها تتعذب بسبب دفن أحد العصاة بجوارها إذ قالت له: « أنا وجيراني من الموتى في هم عظيم من أجل رجل من أهل النار يدفن بجوارنا، فادفعه عنا ما استطعت<sup>4</sup>، لكن شفاعة المدفون الجديد وهو أحد الأولياء الصالحين قد خلصت سكان المقبرة، فيروي أنها جاءت لوالدها مرة أخرى في المنام وقالت له: « دفن بجوارنا رجل صالح فأشفعه الله في كل من يجاوره من أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله بأربعين ذراعا، فكنت أنا ممن حازته الأربعون ذراعا فغفر الله لي بذلك<sup>5</sup>،» التحدث مع الموتى كان حسب ما ورد في المصادر في حالة اليقظة وفي حالة النوم فشكل رؤى وأحلام.

### 7/ العدة طقس عبور الأرامل:

تعتبر العدة لدى النساء المسلمات سواء المطلقة أو المتوفى عنها زوجها طقس عبور بامتياز، بكل ما تمله من طقوس وعادات ومقدسات والتي لا يمكن الخروج عنها، ذلك أن العدة تمثل حالة خروج من وضع له متطلباته وإكراهاته الاجتماعية، فالمرأة الزوجة تنتقل لمرحلة المطلقة أو الأرملة في زمن العدة، لتدخل بعدها في وضع جديد بعد انقضاءها تتمكن خلاله من إعادة بناء حياتها سواء عن طريق الزواج أو ممارسة نشاطاتها العادية.

إن مرحلة الفصل التي تعيشها المرأة في مدة العدة تتم بشكل طقوسي تُحَضَّرُ فيه الممارسات والسلوكيات التي تتسم بطابع رمزي من حيث دلالاته على فعل الفصل في بداية دخول العدة، وذلك من خلال الامتناع عن القيام بجملة من الأمور التي كان مسموحا للمرأة القيام بها من قبل كالتزين والخروج من البيت طوال المدة المحددة شرعا، ويمكن القول أن العدة هي المنطقة الفاصلة بين وضع سابق ووضع لاحق<sup>6</sup>.

1 - ابن الزيات: مصدر سابق، ص 293.

2 - المصدر سابق، ص 389.

3 - نفسه، 442-443.

4 - نفسه، ص 446.

5 - نفسه، ص 446.

6 - عمار، بن طوبال: مرجع سابق، ص 38.

## الفصل الثالث \_\_\_\_\_ انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية.

فالعدة هي منطقة حرة تتجمع فيها أوليات قد تكون غريبة أو تحولات أخرى تستخدم فيها وسائل رمزية متنوعة<sup>1</sup>، فهي في فترة حداد مما يوجب عليها ترك ما تتزين به من الحلي والكحل والحرير والطيب والخضاب، كما وجب على الزوجة ذلك مدة العدة التي حددت في الشريعة الإسلامية بأربعة أشهر وعشرا من أجل الوفاء للزوج ومراعاة لحقه<sup>2</sup>، أما بعد انقضاء العدة الشرعية فيمكن أن ترتدي الأرملة ثياب جديدة ملونة، وتتزين بطلاء الحناء في يديها ورجليها، وتضع قليلا من الكحل والسواك، وترمز هذه الزينة إلى المرور من عالم الحداد الضيق المثقل بالخرمات والمقيد بالمحظورات إلى العالم الاعتيادي الفسيح المنشرح<sup>3</sup>، وتعتقد الكثير من النسوة أن ثياب الحداد تحمل نفحات قدسية تجعل منها تزيانا فعالا ضد العنوسة وتأخر الزواج<sup>4</sup>، ورغم قساوة الموت وما يخلفه من أثر نفسية أليمة إلا ان الله منح الإنسان القدرة على الاستمرار والتعمير في الأرض.

---

1 - المرجع سابق، ص38.

2- موفق، زازوي: الطقوس الجنائزية، ص23. قال رسول الله ﷺ: لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج، فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا، ولا تلبس ثوبا مصبوغا إلا ثوب غضب ولا تكتحل ولا تلمس طيبا ولا تختضب ولا تمشط إلا إذا طهرت، لا تمس نبذة من قسط أو إضفار. ابن تيمية: مصدر سابق، 296/24.

3 - عبد الغني مندوب: مرجع سابق، ص162.

4 - نفسه، ص162.

الخاتمة

يتضح من خلال دراسة المُقدَّس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط بين المعتقدات والطقوس (ق7-9هـ/ق13-15م)، أن موضوع المُقدَّس في البحوث الأكاديمية التاريخية الجزائرية شبه غائب، إلا بعض الإشارات أو المقالات التي برزت مؤخرا، في المقابل كان السبق في دراسته ضمن ميدان الأنثروبولوجيا فهناك العديد من الدراسات الجادة والجيدة التي اشتغلت على المقدس أو أحد عناصره في المجتمع الجزائري في الفترة الحديثة، وقد يكون السبب وراء هذا العزوف هو غياب آليات التعامل مع المدونة الوسيطة.

الإنسان يتغير باستمرار لهذا يمكن القول أن الثقافات البشرية لم تتوقف على مدى زمن طويل من ممارسة التقديس وإنتاج أنواع من المقدس، وبالتالي من الصعب بمكان حصر مفهوم المقدس داخل حقل معرفي معين، فهو أثبت وجوده في مختلف حقول المعرفة الإنسانية، كما لا يمكن حصره في نشاط معين، وعليه وجب علينا كباحثين الاستفادة من مختلف العلوم لدراسة الظاهرة الإنسانية بهدف الخروج بقراءات جديدة للتاريخ بصفة عامة، وتاريخ المغرب الأوسط على وجه الخصوص.

ومما يمكن استخلاصه أيضا أن الهدف الذي سعت المدرسة الاستشراقية إليه هو نسب مقدسات سكان المغرب الأوسط إلى الأصل الوثني، وفق خلفيات إيديولوجية مستوحاة من المشروع الاستعماري الذي كان يأطرها، لذا استعملت من الناحية التحليلية النظريات والأدوات المفاهيمية التي كانت سائدة وقتها، ومنه نستنتج أن أعمال المستشرقين قد اصطبغت بمنهج تأويلي واضح، في محاولة منهم لإثبات كيفية أسلمة كل الطقوس التي تطرقوا إليها بالدراسة من خلال تركيزهم على البقايا الوثنية، التي لم تتعرض لعملية الأسلمة كما سموها.

مجتمع المغرب الأوسط مجتمع مسلم وفق المذهب المالكي وهو شيء معروف ولا خلاف فيه، هذا الأمر جعل المقدس لا يخرج من إطار الدين في ثنائية الحلال والحرام والمسموح والممنوع، إلا أن الحقائق التاريخية وما حفظته لنا الأستوغرافيا الوسيطة من معلومات حول الموضوع وعلى قلتها، قد أثبتت أن هناك مرحلة وصل فيها العرف لدرجة القداسة وأي انتهاك له عُدَّ انتهاكا للمقدس، حيث أصبح الإنسان هو من يصنع مقدساته ويختلقها، ويمنع المساس بها أو نقدها أو الطعن فيها، وهذا دليل على تحطي المقدس في المغرب الأوسط للمساحة الخاصة بالعقل في التفسير والإدراك والتبرير، وقفزت إلى المساحات اللاعقلانية والغيبية.

تم الكشف من خلال هذه الدراسة عن أنواع المعتقدات المقدسة التي كانت سائدة، والتي كشفت عن الذهنية الاستسلامية لبعض سكان المغرب الأوسط، والتي نتجت عن ضعف الوعي الديني وتدني مستوى الإدراك العلمي، مقابل التعلق بأحكام التنجيم والسحر والعرافة، لذا وَجَدْتُ أن المعتقدات التي كانت سائدة تشابكت مجموعة من العناصر النفسية والاجتماعية والتاريخية والطبيعية في إنتاجها.

لعل من أبرز المعتقدات الشعبية انتشارا وتقديسا ورصدًا، هو الاعتقاد بالتنبؤ والتكهن بالمستقبل والتطلع لمعرفة الغيب، بالتوسل إلى الأولياء والأضرحة عن طريق التقرب إليهم بالقرابين والأضاحي والندور والزياره، كما كشفت الدراسة في مخرجاتها أن الممارسات الطقوسية لم تختلف كثيرا باختلاف المستويات الثقافية والاجتماعية لسكانه المغرب الأوسط، ولم تغفل عن إثبات أن المعتقدات والممارسات الطقوسية لصيقة بكل الأفعال الاجتماعية.

لا يفوتني هنا التنويه إلى الدور الذي قامت به المنظومة الفقهية في مواجهة بعض المعتقدات والطقوس، التي أضحى مقدسة اجتماعيا رغم خروجها عن إطار الدين كما أبانت عن كيفية التعامل مع معتقديها.

يمكنني القول أنه لم يخلُ زمن من الأزمنة عبر تاريخ المغرب الأوسط، إلا وسجل جهودا ودعوات لمحاربة واستئصال العادات والمعتقدات الفاسدة والطقوس الوثنية التي لا تمت للإسلام بأي صلة، واتضح من خلال الاستقراء التاريخي لبعض الكوارث الطبيعية التي مر بها المغرب الأوسط، مدى تمكن الفكر الخرافي والغيبي والتفسير الميتافيزيقي للظواهر الطبيعية، وهو ما عكس مستوى التفكير في ذهنية المجتمع بمختلف طبقاته وطوائفه.

شكلت العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتي ظهرت في القرن 7-9هـ/13-15م أرضية خصبة ساعدت على تشبع ذهنية ساكنة المغرب الأوسط ببعض المعتقدات، التي عكس وجودها وانتشارها مدى تغلغل الفكر الغيبي في تفسير بعض الظواهر خاصة لدى الفئات المهمشة.

الأشخاص المقدسون والمججلون ظهر تقديسهم في شخصية الولي الصالح صاحب الكرامات والخوارق، أما الأشخاص المدنسون في المجتمع ظهر تدنيسهم في صورة السحرة والمشعوذين وضاربي الرمل ممن امتهنوا عقول العوام ليحققوا مكاسب مادية أو اجتماعية.

استغل الأولياء مكانتهم داخل التراتبية الاجتماعية فمنهم من سخر نفسه لخدمة الناس وتلبية حاجاتهم، ومنهم من اعتزل الناس وتجرد، وحظي كلاهما بمهالة من القداسة منحت لهم من طرف السلاطين والناس وذلك لخوفهم من حرمانهم من البركة.

أقيمت الطقوس بالمغرب الأوسط للعديد من الأغراض، كعيد الفطر وعيد الأضحى والمناسبات الدينية، أو لإشباع بعض الحاجات الروحية والعاطفية للمؤمنين كطقوس الإستمطار، أو لتعزيز الروابط الاجتماعية كمراسم الختان والزواج، أو كدليل على الاحترام والطاعة للولي أو صاحب الضريح، أو كمؤشر لبداية بعض الأحداث كموسم الزرع أو الحصاد مثلا، ومجتمع المغرب الأوسط في العصر الوسيط أحد هذه المجتمعات الإنسانية التي أردت تسليط الضوء على تفاعله مع مقدساته عن طريق ممارسة بعض المراسم والطقوس التي تحمل خصوصية هذا المجتمع.

## الخاتمة:

وأخيرا ورغم الجهد المبذول في سبيل جمع شتات المادة الخبرية المبعثرة في ثنايا المدونة الوسيطة للمغرب الأوسط والعمل على استنطاقها، إلا أن دراسة المقدس ظاهرة أبدية موجودة في الحياة البشرية، وإحدى البنى العميقة في الوعي واللاوعي البشري في التاريخ الفكري، وما تاريخ المغرب الأوسط الوسيط إلا جزء لا يتجزأ من هذه المعادلة وعليه فالبحث في المقدس وعلاقته بالذهنيات والأفكار التي تبناها مجتمع المغرب الأوسط يبقى دائما مجالا خصبا للبحث والتقصي.

الملاحق

الملحق رقم 01: دائرة الحروف.

الملحق رقم 02: الرموز السحرية للكواكب وما يوافقها من معادن وبخورات.

الملحق رقم 03: أسماء النساء في شواهد القبور.

الملحق رقم 04: أسماء أهم الأضرحة والمقابر بالمغرب الأوسط.

الملحق رقم 05: جدول عن بعض الجوائح والكوارث والطواعين التي مست المغرب الأوسط في القرن

( 7-9هـ / 13-15م).

## الملاحق

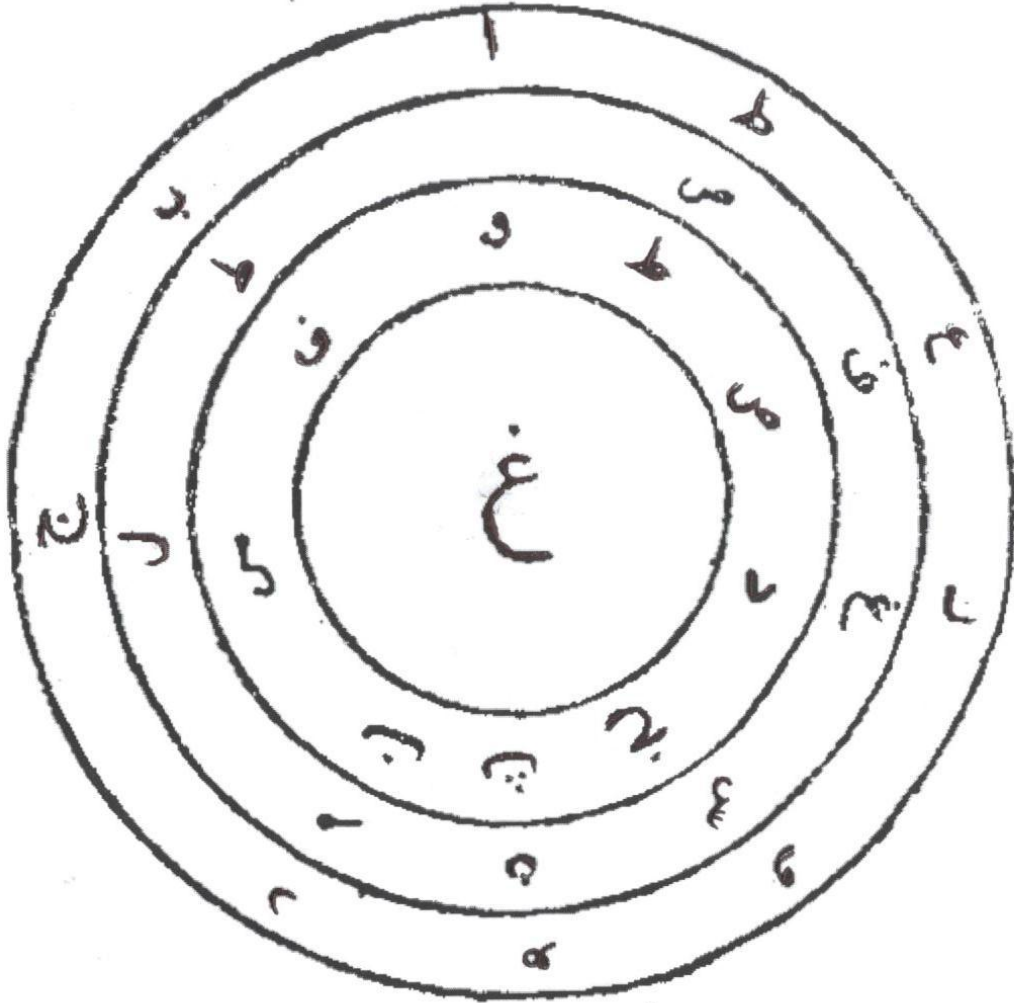
ملحق رقم: 01 دائرة الحروف.

الحروف النارية: أ- هـ- ط- م- ف- ش- ذ.

الحروف الهوائية: ب- و- ي- ن- ض- ت- ظ.

الحروف الترابية: ج- ز- ك- ص- ق- ث- غ.

الحروف المائية: د- ح- ل- ع- ر- خ- س.



المصدر: أحمد بن علي البوني: شمس المعارف، ص 237.

ملحق رقم: 02.

الرموز السحرية للكواكب السبعة وما يوافقها من معادن ومخورات.

إسم الكوكب	رمز الكوكب	ما يقابله بالأيام	ما يقابله بالألوان	ما يوافقه من المعادن	اسم حاكم العلويين	اسم حاكم الأرضين	الطلاسم
الشمس		الأحد	البرتقالي	الكندر، العود	روقيائيل	المذهب	
القمر		الاثنين	الأبيض	العنبر	جبرائيل	مرة	
المريخ		الثلاثاء	الأحمر	صندل أحمر	سمسائيل	الأحمر	
عطارد		الاربعاء	الرمادي	جاوي	ميكائيل	برقان	
المشتري		الخميس	أبيض بزرقة	مصطكي	صرفائيل	شمهروش	
الزهرة		الجمعة	الأخضر	قرنفل	عنيائيل	زوبعة	
زحل		السبت	الأسود	لاذن عنري	كسفيائيل	ميمون	

المصادر المستعملة في انجاز الجدول:

- غاية الحكيم ص 106-107
- شمس المعارف، ص 20-21-22-23.
- أحمد بن غلام الله بن أحمد الريشي شهاب الدين اللمعة في حل الكواكب السبعة ق 12 هـ عدد الأوراق

أسماء النساء في شواهد القبور من خلال مؤلف وليام مارسلي:

الصفحة	تاريخ الوفاة	الاسم	نوع الشاهد
ص 21	(ت 770هـ / 1368م )	شمسة بنت مومن الزواغي	رخام مستطيل
ص 21	(ت 815هـ / 1412م )	لأمة الرحمان بنت عمر بن يعقوب بن أبي حمو موسى بن طلحة بن غمرسان	رخام موشوري
ص 22	(ت 819هـ / 1416م )	تاحضريت بنت أبي حمو موسى بن يعقوب بن أبي زيد بن أبي زكريا يحيى بن يغمراسن بن زيان	رخام موشوري
ص 22	(ت 821هـ / 1418م )	الاسم مطموس بنت أبي حمو موسى بن يعقوب بن أبي زيد بن أبي زكريا بن يغمراسن بن زيان	رخام موشوري
ص 22	(ت 823هـ / 1420م )	رقية بنت أمة الحق بنت مولاي عبد الواحد بن مولاي أبي حمو	رخام موشوري
ص 22	(ت 867هـ / 1462م )	ملوكة بنت الشيخ عثمان بن مشعل زوجة السلطان أبي عبد الله محمد	رخام مستطيل
ص 23	(ت 875هـ / 1470م )	ملوكة بنت الشيخ يعقوب	رخام مستطيل
ص 23	(ت 876هـ / 1471م )	الحاجة المرابطية ياسمين	رخام مستطيل
ص 24	(ت 926هـ / 1520م )	الزهرة بنت السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الثابتي	رخام مستطيل
ص 24	(ت 950هـ / 1543م )	عائشة بنت السلطان مولاي أبي عبد الله محمد	رخام مستطيل
ص 24	سنة الوفاة مطموسة	لأمة الواحد بنت السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الثابتي	رخام مستطيل
ص 25	(ت 886هـ / 1481م )	أمة العلي بنت مولاي محمد	حجر رملي مستطيل
ص 26	(ت 957هـ / 1550م )	أمة الحق بنت القاضي أبي يحيى العقباني	حجر رملي مستطيل
ص 26	(ت 954هـ / 1547م )	فتوحة أمة أصبحت أم ولد عن طريق	حجر رملي

		أبي العباس العقباني	مستطيل
ص 27	(ت 964هـ / 1556م )	أمة الحق بنت أبي العباس العقباني	حجر رملي مستطيل
ص 27	(ت 973هـ / 1565م )	رحمونة بنت أبي عبد الله محمد بن القاضي أبي يحيى العقباني	حجر رملي مستطيل
ص 27	(ت 979هـ / 1571م )	لعوالي بنت أبي العباس أحمد العقباني	حجر رملي مستطيل
ص 27	(ت 990هـ / 1582م )	زهرة بنت أبي العباس أحمد بن الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن إبراهيم العقباني	حجر رملي مستطيل
ص 27	(ت 991هـ / 1583م )	زينب بنت الفقيه أبي العباس أحمد بن أبي يحيى العقباني	حجر رملي مستطيل
ص 28	(ت 1020هـ / 1611م )	شاشة بنت محمد العقباني	حجر رملي مستطيل
ص 28	( سنة الوفاة غير مقروءة )	يمينة بنت الفقيه أحمد بن مرزوق	حجر رملي مستطيل
ص 29	(ت 900هـ / 1994م )	العالية بنت بلفضل بن الفقيه	حجر رملي مستطيل
ص 29	(ت 1012هـ / 1603م )	علولة بنت الفقيه أحمد العقباني	حجر رملي مستطيل
ص 29	(ت 997هـ / 1589م )	فاطمة بنت مولاي محمد بن سليمان الأندلسي	حجر رملي مستطيل

المصدر: وليام مارسي: مقتنيات متحف تلمسان، صفحات متعددة

ملاحظة: جاء ترتيب الشواهد حسب ورودها في صفحات الكتاب وليس حسب تواريخ الوفاة، وهناك عدد غير

قليل من شواهد قبور النساء لكنها خارج الإطار الزمني للدراسة.

ملحق رقم: 4

أهم الأضرحة والمقابر بالمغرب الأوسط في القرن (7-9 هـ / 13-15م)

اسم الولي	اسم الضريح	اسم المقبرة	ملاحظة	المصدر
أبو مدين شعيب (ت594هـ/ 1198م)	ضريح سيدي أبو مدين	مقبرة العباد	قبره معمر مشهود وحوض مورود والدعاء عند مستجاب. قبره مزور محجوج من مصر والشام والعراق والسوس الأقصى والدعاء عند قبره مستجاب	يحي، بن خلدون: مصدر سابق، 165/1؛ الغبريني: مصدر سابق، صفحات متعددة؛ ابن سعد: مصدر سابق ، ص396.
أبو علي المديني(ت735هـ/ 1334م)	مسجد الرحمة من العباد الفوقي	العباد العلوي	قبره معروف بإجابة الدعوة عند ضريحه.	يحي، بن خلدون: مصدر سابق ، 1/ 107؛ ابن مريم: مصدر سابق ، ص 87؛ ابن مرزوق: المسند، ص73
محمد بن أبي عبد الله التميمي (ت756هـ/ 1355م)	مقبرة زاوية التميمي	مقبرة بطريق العباد	تقع بطريق العباد وفيها دفن	ابن مريم: مصدر سابق، ص304.
أبو إسحاق إبراهيم الطيبار) ت قبل 700هـ/1300م)	مجمع العباد	العباد	، مزار شهير معروف بإجابة الدعاء، قيل انه اضطلع أربعة وعشرون سنة قائما بالليل صائما بالنهار.	يحي، بن خلدون: مصدر سابق، 141/1
وهب بن منبه من	ضريح سيدي	باب وهب	مزار مقصود	يحي، بن خلدون:

التابعين	وهب		مصدر سابق، 117/1.
أبو يعقوب التفريسي (ت681هـ)	قبره مشهور ظاهر بأغادير	باب وهب	يعني ابن خلدون: مصدر سابق، 107/1؛ ابن صعد: مصدر سابق، ص416؛ ابن مرزوق: المسند، ص201.
أبو عثمان سعيد بن إسحاق	قبره معروف مشهور	باب وهب	يعني، بن خلدون: مصدر سابق، 107/1
أبو عبد الله بن مرزوق (ت681هـ)	الجامع الأعظم	تلمسان	ابن مرزوق: المناقب، ص167.
أبو العباس بن مرزوق (ت741هـ)	باب المعلى	تلمسان	يعني، بن خلدون: مصدر سابق، 105/1.
أبو يوسف يعقوب علي الصنهاجي	قبره ما بين الأسوار بالمرج خارج باب الجياد قرب الحفير	باب الجياد	يعني، بن خلدون: مصدر سابق، 119/1.
أبو عبد الله الشريف التلمساني(ت)	دفن قرب ضريح أبي يعقوب	المدرسة اليعقوبية	يعني، بن خلدون: مصدر سابق، 120/1.

				771هـ)
أبو الحسن بن النجارية	روضه ملوك بني زيان بالجامع الأعظم	تلمسان	قبره بإزاء قبر السلطان يغمراسن بن زيان قصد التبرك له بجوازه	يحي بن خلدون: مصدر سابق، 122/1.
أبو عبد الله الشوذري الحلوي	خارج باب على	شمال شرق تلمسان	مزار مقصود مبارك مجاب الدعوة من البستان	يحي بن خلدون: مصدر سابق، 127/1؛ ابن مريم: مصدر سابق، ص 68-70.
أبو زكريا يحي بن الصقيل	خارج باب العقبة	تلمسان	قبره معروف	يحي بن خلدون: مصدر سابق، 105./1
أبو العباس أحمد بن منصور ابن صاحب الصلاة	خارج باب العقبة	تلمسان	قبره معروف مزار، روضتهم معروفة بهم إلى الآن.	يحي بن خلدون: مصدر سابق، 116/1؛ ابن مرزوق: المسند، ص 163؛ ابن مريم: مصدر سابق، ص 77.
بلال الحبشي خديم أبو مدين	العباد		من أصحاب أبي مدين لبس الخرقه من عنده، مزاره مجاب الدعوة.	ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 93.
أبو جمعة الكواشي المضغري	قرب من باب كشوط		قبره معروف ومشهور، بمحاذاة ضريح الحاج عامر	ابن مرزوق: المسند، ص 73.
السلطان أبو	دار أبي عامر		دفن السلطان أبو حمو الثاني	مجهول: زهر

يعقوب		والد بدار أبي عامر واتخذها مقبرة من المقابر، قبل أن ينقل جثمانه إلى المدرسة اليعقوبية	البستان، ص 224.
أحمد بن محمد ابن زكري (ت 899هـ)	قبره بروضة الشيخ السنوسي	قبره مشهور	ابن مريم: : مصدر سابق ، ص 51.
أحمد بن الحسين الغماري التلمساني (ت 874هـ)	دفن بخلوته شرقي الجامع الأعظم	قبره مشهور بإجابة الدعاء، وروضته لا تخلو من زائر يتلو القرآن ويهدي له الثواب، كثير الواردين.	التنسي: : مصدر سابق ، ص 234. الملالي: مصدر سابق ، ص 119 البولي: مصدر سابق ، ص 437؛ ابن مريم: : مصدر سابق ، ص 38؛ الحفناوي: : مصدر سابق ، ص 59.
روضه الشيخ السنوسي (ت 895هـ / 1489م)	عين وانزوتة خارج باب الجياد	شديد الرغبة في بذل الصدقات، وبناء ما حارب من المساجد، ويقتات بما يلتقطه من الطعام الذي يتساقط بالطرقات	التنسي: : مصدر سابق ، ص 179
روضه سيدي أبي سعيد	خارج باب القرمادين	كان صاحب الغماري ملازما له	التنسي: : مصدر سابق ، ص 201.
أبو يعقوب يوسف السنوسي والد السنوسي	خارج باب الجياد	قبره معروف	الملالي: مصدر سابق ، ص 48.
نصر الزواوي	خارج باب	قبره معروف هنالك وكان محمد	الملالي: مصدر

سابق ، ص 50	بن يوسف السنوسي يكثر من زيارة قبره		الجياد	
الملاي: مصدر سابق ، ص 53	قبره معروف كان السنوسي يكثر زيارته		خارج باب الجياد	أبو الحجاج يوسف الشريف
الملاي: مصدر سابق ، ص 55.	قبره معروف		العباد	ابن العباس العبدى (ت871هـ)
ابن قنفذ: أنس الفقير ، 101.	مجااب الدعوة مشهور البركة قبره يزار ويتبرك به		جبال الشلف	أبو السعود بن عريف
يجي بن خلدون: مصدر سابق، 205-125/1	مجااب الدعوة قبره مشهور	تلمسان	درب السنسلة	محمد بن أبي يحيى سيدي الحباك (ت876هـ/ 1462م)
ابن مرزوق: المناقب، ؛ ابن مريم: مصدر سابق ، ص66.	مجااب الدعوة	تلمسان	الكائنة بدويرة في الجامع الأعظم بحديقة مسجد سيدي إبراهيم المصمودي	روضة آل زيان
ابن مريم: مصدر سابق ، ص66، الحفناوي: مصدر سابق، ص 17-19.	مجااب الدعوة له كرامات كثيرة	تلمسان	المدرسة اليعقوبية	ضريح إبراهيم بن موسى المصمودي (ت805هـ)
ابن مرزوق: المسند، ص 297.	قبره مشهور مشهود	خارج باب الجياد	عين وانزوتة	أبو يعقوب بن يوسف بن عبد

## الملاحق

				الواحد المغراوي
ابن مرزوق: المسند، ص 72.	قبره مشهور ومجاوب الدعوة		شرق باب القرماديين	أبو سعيد الشريف الحسني

ملاحظة: هناك مقابر عامة جماعية قرب أبواب المدن مثل مقبرة القصارين، والمقبرة القديمة ومقبرة مسند صالح، ومقبرة العباد العلوي ومقبرة عين السراق، ومقبرة المسيحيين واليهود.

## الملاحق

ملحق رقم: 05

جدول عن بعض الجوائح والكوارث والطواعين التي مست المغرب الأوسط في القرن ( 7-9هـ / 13-15م)

تاريخ الكارثة	نوع الكارثة	مكان الكارثة	نتائجها	المصدر
616- 617هـ/1219- 1220م	جماعة وجفاف	المغرب الأوسط	ارتفاع الأسعار وموت الكثير من الناس	ابن عذارى: مصدر سابق، ص266، 267؛ ابن أبي زرع: مصدر سابق ، ص273
617هـ/ 1220م	جماعة عظمية	المغرب الأوسط	انتشار الجراد والقحط والغلاء الشديد	ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 273 ، 274؛ السلاوي: مصدر سابق، 246/2
624هـ/ 1228م	الجراد والجماعة	بلاد المغرب	أتى على المحاصيل	السلاوي: مصدر سابق ، 264/2؛ ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 274
630-632هـ/ 1232- 1234	عاد الجراد	بلاد المغرب من اقصى الشرق إلى اقصى الغرب	أكل الشجر ولم يترك أخضر على وجه الأرض كما انعدمت الأقوات ونقصت الغلات وعمت الجماعة	ابن أبي زرع: مصدر سابق ، ص 405؛ السلاوي: مصدر سابق ، 264/2
635هـ/ 1237م	الجفاف والرياح	جميع بلاد المغرب	نشفت البشرات وأثنت الجلود	ابن أبي زرع: مصدر سابق ، ص276؛ ابن صعد: مصدر سابق، ص 61؛ ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص61.

عبد الرحمان بن خلدون: العبر، 7 / 168-169؛ ابن الأحمر: مصدر سابق، ص 66.	قلة الأقات	حصار تلمسان	حصار وقلة الأقات	646هـ / 1248م تكرر الحصار في 670هـ/ 1271م
ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 102	الأمراض الكثيرة واتلاف المحاصيل وقتل البهائم والبشر	المغرب من الشرق	الريح العظيم لمدة ستة أشهر	679هـ/ 1280م
السللاوي: الاستقصاء، 89/3؛ العبدري: مصدر سابق، ص 27.	لم ير الناس قطرة ماء	جميع المغرب	قحط شديد	688هـ / 1289م
ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 386؛ ابن مرزوق: المناقب، ص 194م؛ ابن الأحمر: مصدر سابق، ص 61	هلك أغلبهم من الجوع	تلمسان	مجاعة بسبب الحصار المريني	698هـ/1299م استمر إلى غاية 706هـ/1306م
ابن خلدون : العبر، 53/7 ابن الخطيب: نفاضة الجراب، 61/3، 80؛ ابن قنفذ: الوفيات، ص 355؛ الوزان: مصدر سابق، 1/68.	- ذهب بأهل الجليل - طوى كثيرا من محاسن العمران - انقضى عمران الأرض - خربت الأمصار والمصانع - كثرة الموت - قضى على خلق كثير من الناس اقترضت بعض العوائل بسبب	شرق وغرب المغرب الأوسط	الطاعون الجارف أو الطاعون الأسود	-749 -1348هـ/753 1352م

	الوباء القاتل كعائلة العالم التفريسي انقرضت كلها.			
النميري: مصدر سابق ، ص256	عصفت بأرياف المغرب الأوسط	المغرب الأوسط	فيضانات	758هـ/ 1357م
يجي بن خلدون: مصدر سابق ، 326/2 ابن قنفذ: أنس الفقير، ص105؛ ابن مريم: مصدر سابق ، 174.	هلك الزرع والحيوان أكل الناس بعضهم بعضا غلاء الأسعار	تلمسان وضواحيها	مجاعة عظيمة بسبب الإعصار	1374هـ/776م
ابن مريم: مصدر سابق ، ص41.	- أتى على الصغار والضعفاء - توفي به ابو العباس احمد بن عبد الرحمان المغراوي المشهور ابن زاغو	المغرب الأوسط خاصة تلمسان	المجاعة شديدة والطاعون	842- 1440هـ/845- 1442

الفهارس

- 1- فهرس الآيات القرآنية
- 2- فهرس الأحاديث النبوية
- 3- فهرس الأشعار
- 4- فهرس الأعلام
- 5- فهرس الشعوب والقبائل والدول والطوائف
- 6- فهرس الأماكن
- 7- فهرس الموضوعات

1- فهرس الآيات القرآنية:

نص الآية	سورتها	رقمها	الصفحة
﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ﴾	سورة التوبة	الآية 5	2
﴿ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾	سورة المائدة	الآية 1	2
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾	المائدة	الآية 95	2
﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾	سورة النمل	الآية 30.	38
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	سورة البقرة	الآية 109	39
﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾	سورة النساء	الآية 54	39
﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يُفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	سورة الفتح	الآية 15	39
﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾	سورة الفلق	الآية 5.	39
﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	سورة الأعراف	الآية 131	41
﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾	سورة النمل	الآية 47	41
﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَمْ نَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾	سورة يس	الآية 18-19	41
﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾	سورة الجن	الآية 26	43
﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾	سورة الفلق	الآية 4	46
﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزَّهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾	سورة الأعراف	الآية: 116،	46

46	الآية: 66.	سورة طه	﴿ قَالَ بَلْ أَلْمُوا فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعَصِيئُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾
46	الآية 102	سورة البقرة	﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾
46	الآية -112 113	سورة الأعراف	﴿ يَا ثَوْكُ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِينَ (113) ﴾
57	الآية 69	سورة طه	﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾
65	الآية 59	سورة الأنعام	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾
65	الآية 26	سورة نوح	﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾
68	الآية 117	سورة البقرة	﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
68	الآية 9	سورة الأحقاف	﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾
81	الآية 4	سورة العلق	﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾
87	الآية 12	سورة طه	﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾
109	الآية 256	سورة البقرة،	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
109	الآية 57.	سورة المائدة،	﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾
109	الآية 62	سورة يونس	﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
110	الآية 196	سورة الأعراف	﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾

131	الآية 35	سورة الأحزاب	﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾
148	الآية 21	سورة الكهف	﴿ إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾
162	الآية 1-2	سورة القدر	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾
167	الآية 1-2	سورة الكوثر	﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾
180	الآية 71	سورة هود	﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾
180	الآية 39	سورة آل عمران	﴿ فَنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبيشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحضورا ونبيًا من الصالحين ﴾
192	الآية 57	سورة العنكبوت	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾
193	الآية 281	سورة البقرة	﴿ وَأَتَوْهَا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾
193	الآية 56	سورة يونس	﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
193	الآية 48	سورة البقرة	﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾
200	الآية 34	سورة لقمان	﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
211	الآية 142	سورة الأعراف	﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾
211	الآية 26	سورة المائدة	﴿ وَنَفِي إِسْرَائِيلَ كَانَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾

2- فهرس الأحاديث النبوية.

الصفحة	الحديث
46	«سُحِرَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجَفَّ طَلْعَةٌ ذَكَرَ وَوَضَعَ السَّحْرَ فِي بَيْتِ ذِرْوَانَ»
61-62	« مَنْ أَتَى عَرَاْفًا فَسَأَلَهُ فَصَدَّقَهُ لَمْ تَقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا »
66	« مَنْ أَقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ أَقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ »
77	« أَعْرَضُوا عَلَيَّ زُفَاكُمُ فَلَمَّا عَرَضُوا قَالَ: لَا أَرَى بَأْسًا مِنْ اسْتِطَاعِ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ »
77	« الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ، شَرْبَةُ عَسَلٍ وَشَرْطَةُ مَحْجَمٍ، وَكَيْةٌ بِنَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيْ »
77	« يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتُمُونَ وَعَلَى رَحِمِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. »
81	« الْعِيَاةُ وَالطَّيْرَةُ وَالطَّرْفُ مِنَ الْجَبْتِ، وَفِيهِ إِبْطَالٌ لِدَلَائِلِ النُّبُوتِ وَتَكْذِيبٌ لِلآيَاتِ الْمَنْزَلَاتِ »
101	« إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يَنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَالدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ »
162	« أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ فَمَنْ كَانَ مَتَحَرِّبَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ »
163	« لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ حِينَ يَفْطِرُ وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ »
172	« مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »
172	« كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ »
179	« مَعَ الْعَلَامِ عَقِيْقَةٌ فَأَهْرَيْقُوا عَنْهُ دَمًا وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَى »
180	« وَوَلِدٌ لِي غَلَامٌ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ وَحَنَكُهُ بِتَمْرَةٍ »
181	« الْفِطْرَةُ خَمْسُ الْخِتَانِ وَالْإِسْتِحْدَادِ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَتَنْفُ الْإِبْطِ »
181	« قَدْ أَسْلَمْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ﷺ أَلْقَ عَنْكَ شَعْرَ الْكُفْرِ وَاحْتَتَنَ »
207	« إِذَا طِينُ الْقَبْرِ لَمْ يَسْمَعْ صَاحِبَهُ الْأَذَانَ، وَلَا الدَّعَاءَ وَلَا يَعْلَمُ مِنْ يَزُورُهُ فَلَا تَطِينُو قُبُورَ مَوْتَاكُمْ، دَعْوَاهُمْ يَسْمَعُونَ الذِّكْرَ، وَلَا يَزَالُ تَرَابُ الْقَبْرِ يَسْبِحُ اللَّهُ مَا لَمْ يَطِينِ الْقَبْرَ كُلَّ يَوْمٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَغْفِرَ اللَّهُ لَصَاحِبِهِ. »
213	« لَا تَحْدُ امْرَأَةٌ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ، فَإِنَّمَا تَحْدُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلَا تَلْبَسِ ثَوْبًا مَصْبُوغًا إِلَّا ثَوْبَ غَضَبٍ وَلَا تَكْتَحِلْ وَلَا تَلْمَسِ طَيِّبًا وَلَا تَخْتَضِبْ وَلَا تَمْسُطْ إِلَّا إِذَا طَهَّرْتَ، لَا تَمْسُ نَبْذَةً مِنْ قَسَطٍ أَوْ إِضْفَارٍ »

## 3- فهرس الأشعار:

ص	البحر	البيت الشعري
41	بحر بسيط	وَرَكِبَ اللَّحَىٰ فِي فَصْلِ الشِّتَا *** وَقَدْ طَعَىٰ الْمَوْجَ عَلَيْهِ وَعَنَا فَعَطَبَ الْأَسْطُولَ وَأَنْبَتَ الرَّجَا *** يَا عِبْرَةَ قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا الْحَجَا
56	بحر بسيط	وَمَنْعُ مَنْ اشْتَعَلَ بِالْكِهَانَةِ وَالْحَطِّ وَالسِّحْرِ مَنْ أَبَانَة.
63	بحر بسيط (مُخْلَع) (البسيط)	يَا رَاصِدًا الْخُنْسَ الْجَوَارِي *** مَا فَعَلْتَ هَذِهِ السَّمَاءَ وَلَا تَرَىٰ عَيْبَ زُورِ قَوْلٍ *** أَدَاكَ جَهْلٌ أَمْ اِزْدِرَاءُ يَقْضِي عَلَيْهَا وَلَيْسَ تَقْضَىٰ *** وَمَا لَهَا فِي الْوَرَىٰ اقْتِضَاءُ صَلَّتْ عُقُولُ تَرَىٰ قَدِيمًا *** مَا شَأْنُهُ الْجُرْمَ وَالْفَنَاءُ
64	بحر بسيط	أَيْضًا فَلِلْمُحْتَسِبِ التَّمْزِيْقِ *** وَالْكَسْرِ وَالْإِرَاقَةِ وَالتَّحْرِيقِ وَالضَّرْبِ وَالطَّوْفِ بِالْمَضْرُوبِ *** وَيَتَلَفُ الشَّيْءُ الَّذِي يُعْيَبُ.
112	بحر الطويل	شُعَيْبُ وَلِيَّ اللَّهِ سِرُّ عِبَادِهِ *** أَبُو مَدِينٍ مُعْنِي الْأَنَامِ بِفَخْرِهِ فِيَا حِنَةَ الْمَأْوَىٰ وَيَا عِلْمَ الْهُدَىٰ *** وَيَا نَاشِرًا عِلْمَ الْإِلَهِ بِأَمْرِهِ حَضَرْتَ وَلَمْ تَحْضُرْ وَعَيْتَ وَلَمْ تَعْبُ *** وَمَا كُنْتَ فِي كُلِّ بَجَانِبِ طُورِهِ فَنُورِكَ نُورُ اللَّهِ يَهْدِي لَهُ وَهَلْ *** عَلَىٰ أَحَدٍ فِي النَّاسِ إِطْفَاءُ نُورِهِ .
123	بحر بسيط	وَقَالَ بَعْضُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ *** مَقَالَةٌ جَلِيَّةٌ صَفِيَّةٌ إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَطِيرُ *** أَوْ فَوْقَ مَاءِ الْبَحْرِ قَدْ يَسِيرُ وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ *** فَإِنَّهُ مُسْتَدْرِجٌ وَيَدْعِي
124	بحر البسيط	لَا تَسْتَرْبِ فِي كَرَامَاتٍ يُحْصَىٰ بِهَا *** مَنْ اتَّقَىٰ اللَّهَ فِي سِرِّهِ وَإِعْلَانِ ثُمَّ إِنَّ الْكَرَامَاتِ أَنْوَاعٌ إِذَا نَظَرْتَ *** كَالزَّهْرِ فِي حُسْنِ أَنْفَاسِ وَأَلْوَانِ مَشِيٍّ عَلَى الْمَاءِ أَوْ فِي الْجَوْ قَدْ نُقِلَا *** وَشَبَّعَ ذِي شَعْبٍ أَوْ رِي ظَمَّانِ وَكَمْ أُجِيبَ وَلِيٌّ حِينَ دَعَوْتَهُ *** وَكَمْ اعْتِنَىٰ وَلِيٌّ عِنْدَ إِدْعَانِ وَفَهُمُ مَنْ يُجِيبُهُ الْجَمَادُ وَمَنْ *** يُعْيَبُ عَنْ دَرْكِ أَسْمَاعِ وَأَحْفَانِ وَمَنْهُمْ مَنْ يَرَى الْمَخْتَارَ مِنْ مَلِكٍ *** وَمَنْ يُجَالِسُهُمْ فِي حَالِ إِخْوَانِ صَفُّوا فَصَفُّوا وَنَالُوا ضَعْفَ سَعِيهِمْ *** الْمَرْءُ يَكْسِبُ إِحْسَانًا بِإِحْسَانِ فِي عَيْشِ أَرْوَاحِهِمْ مَاتَتْ نُفُوسُهُمْ *** وَقَدْ تَمُوتُ نُفُوسٌ دُونَ أَبْدَانِ

160	بحر الكامل	وَضَرِيحُ تَاجِ الْعَارِفِينَ شُعَيْبَهَا *** زُرُهُ هُنَاكَ فَحَبَدَا ذَاكَ الْوَلِيَّ فَمَزَارُهُ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا مَعَا *** تَمَّحِي دُنُوبَكَ وَكُرُوبَكَ تَنْجَلِي
175	بحر الطويل	أَلَا إِنِّي لِلدِّينِ خَيْرُ أَدَاةٍ *** إِذْ غَابَ عَنْكُمْ وَقْتُ كُلِّ صَلَاةٍ وَلَمْ تَرَ شَمْسٌ بِالنَّهَارِ وَلَمْ تُنِرْ *** كَوَاكِبُ لَيْلٍ حَالِكِ الظُّلُمَاتِ بِيَمْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ *** بَحَلَّتْ عَنِ الْأَوْقَاتِ كُلِّ صَلَاةٍ «.
182	بحر الرجز	كُلُّ الطَّعَامِ تَشْتَهِي رَبِيعَةَ الْحُرْسُ وَالْإِعْدَاؤُ وَالنَّقِيعَةَ

4- فهرس الأعلام.

« أ »

- إبراهيم بن محمد بن علي التازي أبو سالم 107 - 128.
- إبراهيم المصمودي 144.
- أحمد بن إدريس الأيلولي الزواوي 91.
- أحمد بن الحسن الغماري 114 - 116 - 128 - 204.
- أحمد أبو العباس حفيد سيدي محمد بن مرزوق 128 - 184 - 205.
- أحمد بن عيسى الوريدي الزكوطي 128.
- أحمد بن منصور صاحب الصلاة الخزرجي التلمساني 128.
- أحمد الغماري 110 - 122.
- أبو إسحاق إبراهيم الخياط 93 - 100.
- أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي 114 - 128 - 132 - 142 - 199 - 201.
- أم عصفور تبعزات بنت حسين الهنتيفي 135.

« ب »

- أبو بكر الجصاص 44.
- أبو بكر ابن العربي المالكي 45.
- أبي البيان واضح 92 - 100 - 103 - 129.

« ت »

- تاحضريت بنت عمر بن يعقوب بن أبي حمو موسى بن طلحة بن غمرسان 137.
- ابن تومرت محمد 74 - 82 - 83 - 84.

« ج »

- جابر بن حيان 47.
- جعفر الصادق 82.
- الجنيد 106 - 145.

« ح »

- الحسن رضي الله عنه 107

- الحسن بن مخلوف أبركان 104 - 111 - 129 - 204.
- فأبو الحسن علي بن إسماعيل ابن محمد بن عبد الله بن حرزهم 129
- أبو الحسن علي بن أحمد الحسن بن إبراهيم الحرالي 199
- أبو الحسن الفقيه 79.
- أبا الحسن المريني 41 - 43 - 71 - 72 - 78 - 98 - 145 - 172.
- أبو الحسن ابن النجارية 93.
- الحسين رضي الله عنه 107.
- أبو حفص عمر بن مسيكسو الدغدوغي 151
- حمزة بن أحمد المغراوي 137.
- أبو حمو موسى الثاني 93 - 174 - 137 - 175.
- «خ»
- ابن خلدون 30-34 - 43 - 45 - 50 - 55
- «ر»
- رحمونة بنت أبي عبد الله محمد بن القاضي أبي يحيى العقباني 137.
- رقية بنت امة الحق بنت مولاي عبد الواحد بن مولاي أبي حمو 137.
- «ز»
- لأبي زكريا يحيى بن عمر 89.
- أبي زكريا يحيى الزواوي 91.
- أبي زكريا الحفصي 133.
- أبو زكريا يحيى بن الصيقل 116.
- أبو زكريا يحيى بن محمد الجراوي الأقرع 129.
- أبي زكريا يحيى بن موسى المليحي 114 - 127 - 129.
- أبي زكريا يوهان الصنهاجي 129.
- الزهرة بنت السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الثابتي 137.
- أبو زيان محمد بن عثمان حفيد يغمراسن بن زيان 145.
- أبي زيد عبد الرحمان بن يعقوب بن علي 91 - 128.

- زينب بنت الشيخ الصالح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلالي 132
- «س»
- ستم بنت الشيخ أبي علي حسين بن الجلاب 166.
- أبي سعيد الشريف الحسني 104
- سوط النسا والدة يغمراسن بن زيان 133-
- «ش»
- الإمام الشافعي 141
- «ع»
- أبو عبد الله الشامي 128
- أبو عبد الله القوري 80
- عبد الله بن علي المنجم بن المحفوف 64.
- السلطان أبو عبد الله محمد الثالث 146
- أبو عبد الله محمد بن علي اللجام 121
- أبي عبد الله محمد بن عيسى 92-100
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق 93-177
- أبا عبد الله محمد ابن موسى اليجري البجائي 41.
- أبو عبد الله محيو الهواري 130
- أبو عبد الله بن سعيد العقباني 80
- عبد الله بن العباس 80
- عبد الله بن منصور 153
- أبو عبد الله ابن مرزوق 114-142
- عبد الرحمان السنوسي 116-146-204.
- عبد الرحمان الوغسييلي 97
- أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد العزفي اللخمي السبتي 171
- عبد القادر الجيلاني 106
- عبد المؤمن بن علي الكومي 107

- أبو العباس أحمد العطار 83.
- أبو العباس أحمد بن مرزوق 91- 104.
- أبو العباس الزواوي 160.
- أبي العباس السبتي 49
- أبو العباس ابن القطان 43- 96.
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه 82- 107
- عقبة بن نافع 89- 120.
- أبي عمر تاشفين بن علي 41.
- أن أبو عمر عثمان ابن علي بن الحسن التلمساني 198.
- أبو عنان فارس المريني 93
- «ف»
- فاطمة رضي الله عنها 107
- الفخر بن الخطيب 48
- ابن فرغوس 103.
- «ق»
- الشيخ أبو القاسم محمد بن أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد العزفي اللخمي السبتي 171
- أبو القاسم العقباني 79.
- ابن قدامة المقدسي 45- 96.
- «ك»
- الكامل محمد بن العادل السلطان الأيوبي 141
- «ل»
- لالة تركية 131.
- لالة رويا 131- 132
- لالة سبتي 131
- لالة غربية 132
- لالة مغنية 131

«م»

- محمد التنسي 111
- محمد الدوادي 153
- أبو محمد صالح 89.
- محمد بن عمر الهواري 110-120-144
- محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق -142.199
- أبو محمد عبد الله المليحي 202.
- أبو محمد مع الله ابن يحيى بن يجانن الزناتي 151
- محمد المكي الناصري 155
- أبو مدين شعيب 71-120-121-144-145-153-164-174-208-209.
- ابن مرزوق 41-43-104
- مريم بنت يوسف بن عبد الله 136
- مسلمة بن أحمد المحيرطي 47
- المعز لدين الله الفاطمي 171.
- معمر بن عالية 153
- ملوكة بنت الشيخ عثمان بن مشعل زوجة السلطان أبي عبد الله محمد 137
- المهدي بن تومرت 107

«و»

- الوزان 35-
- أبو الوليد ابن رشد الجد 155

«ي»

- أبو يزيد ابن الإمام 71-
- أبو يعزى يلينور بن ميمون 104
- أبو يعقوب التفريتي 38.
- يعقوب الملاري 99
- يغمراسن بن زيان 92-93-100-103-142-145-154.

5- فهرس الشعوب والقبائل والطوائف

« أ »

- الأمازيغ 120-125-149-168-188.

« ب »

- بنو زيان 33-

- بني عبد الواد 33-

- البربر 37-52-58-59-126-149

« ت »

- التيجانية 106

« ح »

- الحسينيون من بني إدريس 107

« ز »

- الزرايين 64.

- زناة 30-38.

- الزيانيين 27-33-92.

« س »

- السلاجقة 141.

« ش »

- الشرفاء 107.

- الشيعة 125.

« ص »

- صنهاجة 30.

- الصوفية 87-88-112-

« ع »

- عجيسة 30.

-	العرب 42 - 46.	-
-	العلويين 107.	-
«غ»		
-	الغرباء 91 - 98.	-
«ف»		
-	الفاطميين 170-171.	-
«ق»		
-	قبائل المور 83.	-
-	القبائل الهلالية 90.	-
-	القديسين 125.	-
«ك»		
-	الكبشيين 168.	-
-	كتامة 30.	-
«م»		
-	المذهب المالكي 78 - 154.	-
-	المرابطين 25 - 90 - 125.	-
-	المسلمين 15 - 79 - 89 - 90 - 158 - 159 - 160 - 161 - 162 - 165 - 166 - 169 - 170.	-
-	المسيحية 8 - 125 - 168.	-
-	الموحدين 145.	-
«و»		
-	الوثنية 58 - 67 - 68 - 126 - 154 - 168 - 190.	-
«ي»		
-	اليهود 8 - 125 - 170.	-
-	اليهود الهارونيين 79.	-
-	اليونانية 18 - 24.	-

6- فهرس الدول والأماكن.

« أ »

- أغادير 100-153.
- الأطلس 36-106-169.
- شمال إفريقيا (إفريقيا الشمالية) 25-36-37-49-72-125-183-190.
- الأندلس 47-171-175.

« ب »

- باب الجياد 153
- باب الزاوية 153
- باب الضحية 167.
- باب العقبة 153
- باب القرمادين 153-164.
- باب كشوط 153
- البحر المتوسط 37.
- بجاية 30-145.
- بني حلوان 104
- بيت المقدس 165.
- بيزنطة 24.

« ت »

- تادلة 129.
- تلمسان 38-73-78-80-89-93-98-99-107-112-129-132-142-
- 152-153-160-162-163-167.
- تونس 84-133.
- تيهرت 30.

« ج »

-	الجامع الأعظم 89-160.
-	الجامع الكبير 167.
-	جبل الورنيد 38.
-	جبل الونشريس 80
-	الجزائر 25.
«ح»	
-	الحجاز 165171.
-	حمام سيدي مسيد 35.
«خ»	
-	الدولة الحفصية 133.
«ر»	
-	رباط أبي مروان 89
-	رباط شاكرا 89-128.
«ز»	
-	الزاب 30.
-	الدولة الزيانية 52-175.
-	زاوية ابن البنا 95.
-	الزاوية المالارية 99.
«س»	
-	سجلماسة 198.
-	السودان 37-47.
«ش»	
-	شرشال 30-89.
-	الشلف 92.
«ص»	

- الصحراء 169.
- «ض»
- ضريح الحلوي 144
- ضريح لالة سيدي 130
- «ع»
- العباد 94 - 99 - 111 - 146 - 164 - 174 - 210.
- العراق 38.
- «ف»
- فلسطين 165.
- «ق»
- قصر المشور 167 - 174.
- القديوان 196.
- «ك»
- الكعبة 99.
- «م»
- مازونة 104
- المدينة المنورة 165.
- مسجد إبراهيم المصمودي 144
- مسجد أبي مدين 94.
- مسجد الحلفاوين 114
- مسجد الحلوي 93 - 145
- مسجد الخليل 165
- مسجد الشيخ عبد الرحمان السنوسي 94
- المشرق 47 - 48 - 88 - 89 - 118.
- مرسى الخرز 89.
- مصر 37 - 88 - 169 - 171.

- المغرب 25- 26- 27- 36- 48- 72-79- 89- 98- 99- 100- 108- 118-
- 120- 136-138-142- 168.
- المغرب الإسلامي 125-126- 149-154- -158- 159-171.
- المغرب الأقصى 30- 37.
- المغرب الأوسط 1- 2- 6- 11- 15- 16- 20- 22- 23- 24- 25- 26- 30- 31-
- 32- 33- 34- 35- 36- 37- 39-41- 42- 43- 44- 48- 50- 52- 53- 54-
- 55- 59- 69- 71- 72-74- 76- 78- 79- 80- 81- 82- 83- 84- 89- 90-
- 91- 92- 99-100- 104- 105- 107- 107- 110- 112- 113- 116- 117-
- 123- 126- 129- 132- 133- 134- 137- 143- 146- 149-154-155- 158-
- 159- 160- 161- 162- 163- 165- 166- 167- 169- 170- 171- 172- 174-
- 175- 176- 177- 180- 181- 185- 186- 188- 189- 191- 193- 194- 197-
- 199- 202- 206- 209- 210. 172- 174- 177- 184- 194- 196- 208- 211.
- مقبرة باب الجياد 116
- مقبرة الخفير 116
- مقبرة باب الدباغين 116
- ومقبرة باب العقبة 116
- مقبرة القاضي 208.
- مقبرة عين وانزوتة 116
- ومقبرة باب القرمادين 116
- ومقبرة باب كشوط 116
- مقبرة المرج 116 مقبرة مسند صالح بباب زيري 116
- مقبرة باب وهب 116
- مكة 165.
- «هـ»
- هنين 89.
- هوارة 30- 79.

«و»

- واد تانسيفت 128.
- واد رهيو 129.
- واد الشلف 30.
- واد ملوية 30.
- وهران 30 - 89 - 120

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المحررات باللغة العربية.

- القرآن الكريم ( رواية ورش عن نافع): دمشق: دار الريادة للنشر والتوزيع، ط1، 2015م.

1/ المصادر:

أولاً: المصادر المخطوطة:

- 1- السبتي، الهواري عبد الله بن عبد الرحمن ابن الحارث بن همام أبي العباس (ت601هـ / 1204م): مناقب أبي العباس السبتي، مخطوط رقم 1198، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز، 22 ورقة. مكتبة رقمية.
- 2- السرمدي، الحنبلي (ت776هـ/1374م): يوسف بن محمد بن مسعود مخطوط "ذكر الوباء والطاعون"، رقم: 2770، مكتبة باريس، 34 ورقة.
- 3- السيوطي، جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمان ابن جمال الدين، مخطوط " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون"، نسخة مصورة عن مخطوط رقم: 1544، ورقة 165.
- 4- العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد ابن حجر، مخطوط "بذل الماعون في فضائل الطاعون"، مخطوط رقم 880، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 170 ورقة.

ثانياً: المصادر المطبوعة:

- 1- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك (ت606هـ / 1210م): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطنابي، ط02، بيروت: دار الفكر، 1920م.
- 2- الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الخزرجي الأنصاري (ت807هـ / 1402م): تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان - مقتطف من كتابه " النفحة النسرينية في الدولة المرينية"، تحقيق: هاني سلامة، ط1، بور سعيد - مصر: مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، 2001م.
- 3- \_\_\_\_\_ : مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق: محمد التركي التونسي، الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، (د.ت).
- 4- الإدريسي، الشريف (ت562هـ / 1166م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزائر: هنري بريس، 1957م.
- 5- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب (ت502هـ/1108م): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكة - السعودية: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 6- الأدفوي، كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب المصري (ت 748/1286م): الموفى بمعرفة التصوف والصوفي، تح: محمد عيسى صالحية، ط01، الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، 1988م.
- 7- البادي، عبد الحق بن إسماعيل (ت650هـ/1252م): المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد أعراب، ط02، الرباط: المطبعة الملكية، 1993م.
- 8- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة الجعفي (ت256هـ/869م): صحيح البخاري، ط01، تعليق: محمد بن صالح العثيمين، باب الواد- الجزائر: دار الإمام مالك للكتاب، 2010م، 8 أجزاء.
- 9- البرزلي أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت841هـ/1438م): فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق: محمد حبيب الهيلة، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002م، 6 أجزاء.
- 10- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (ت779هـ/1377م): رحلة ابن بطوطة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد عبد الرحيم، ط01، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م.
- 11- البلوي، أبي القاسم بن أحمد التونسي (ت632هـ/1234م): فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق: محمد حبيب الهيلة، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002م، 7 مجلدات.
- 12- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (حي حوالي 460هـ/1069م)، تحقيق: البارون دوسلان. المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، بغداد: مكتبة المثنى، 1968م.
- 13- البلوي، أبو جعفر (ت938هـ/1532م): ثبت البلوي: تحقيق: عبد الله العمراني، ط01، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م.
- 14- البوني، أحمد بن علي (ت622هـ/1225م): شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف، ط02، بيروت: مؤسسة النور للمطبوعات، 2006م.
- 15- البيدق، أبو بكر الصنهاجي (ت أواخر ق6هـ/12م): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971م.
- 16- البصري، شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد (ت996هـ/1296م)، ديوان البويصري، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، ط1، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1955م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 17- التنبكتي، أحمد بابا(ت1036هـ/1626م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط02، طرابلس- ليبيا: دار الكتاب، 2000م.
- 18- التنسي، محمد بن عبد الله (ت 899هـ / 1494م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق: محمود بوعياض، الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية، 1985م.
- 19- ابن تيمية تقي الدين أحمد الحراني (ت 728هـ/1328م): مجموعة الفتاوى، ط03، المنصورة- مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.
- 20- -: شرح العقيدة الواسطية، شرح: محمد بن صالح العثيمين، ط6، السعودية: دار ابن الجوزية للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.
- 21- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد (ت875هـ/1470م)، العلوم الفاخرة في النظر في أحوال الآخرة، مطبعة حجرية، 1899م.
- 22- الجرسيفي، عمر بن عثمان بن العباس (ت1214هـ/1800م): رسالة في الحسبة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م.
- 23- الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي (ت370هـ/981م): أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، بيروت: دار إحياء الكتب العربية - مؤسسة التاريخ العربي، 1992، 5 مجلدات.
- 24- الجوهرى، إسماعيل بن حماد أبو نصر (ت 453هـ/1002م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة: محمد تامر، القاهرة: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م، 5 مجلدات.
- 25- أبو حامد، محمد العربي (ت 1052/988م): مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تحقيق: محمد حمزة الكتاني، ط1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2003م.
- 26- أبو حمو، موسى بن زيان العبد الوادي (ت792هـ/1389م): كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق: محمد بوترة، ط01، الجزائر: دار الشيماء- دار النعمان، 2012م.
- 27- الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ/1228م): معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1977م.
- 28- الحميري محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ق8هـ/14م): الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان، عباس، ط2، بيروت: مطابع هيلديبرغ، 1984م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 29- أبي مروان ابن حيان القرطبي (ت 363هـ/973م): المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمان علي حجي: بيروت: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1965م.
- 30- الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد التلمساني (ت789هـ/1387م): مختصر الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، إعداد: أحمد مبارك البغدادي ، ط1، (د.م): مكتبة السنس، 1990م.
- 31- الخطابي، أبو سليمان بن محمد بن إبراهيم (ت388هـ/988م): معالم السنن، ط01، حلب: المطبعة العلمية، 1932م.
- 32- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت776هـ/1365م): رقم الحل في نظم الدول، تونس: المطبعة العمومية، 1898م.
- 33- \_\_\_\_\_ : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973-1977م، 4 أجزاء .
- 34- \_\_\_\_\_ : مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق وتقديم: حياة قارة، ط01، الرباط: دار الأمان، 2015م.
- 35- \_\_\_\_\_ : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق وتقديم: السعدية فاغية، الدار البيضاء- المغرب: مطبعة النجاح الجديدة، 1989م.
- 36- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ/1405م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 2010م، 8 أجزاء .
- 37- \_\_\_\_\_ : المقدمة: بيروت: منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 1996م.
- 38- \_\_\_\_\_ : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.
- 39- \_\_\_\_\_ : شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط01، دمشق: دار الفكر- بيروت: دار الفكر، 1996م.
- 40- ابن خلدون، أبو زكريا يحيى بن محمد (ت780هـ/1378م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر: المكتبة الوطنية، 1980م؛ ج2، تحقيق: بوزيانى الدراجي، الجزائر: دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ، 2007م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 41- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن بكر (ت 681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.
- 42- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321هـ/933م): **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط01، بيروت: دار العلم للملايين، 1987م.
- 43- الرازي محمد، بن أبي بكر شمس الدين (ت 660هـ/1261م): **حدائق الحقائق**، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، ط 1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.
- 44- ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن أحمد (ت 795هـ/1392م): **كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، تحقيق: ياسين محمد السواس، ط5، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، 1999م.
- 45- ابن رشد الجد أبي الوليد (ت 520هـ/1126م): **كتاب مسائل أبي الوليد ابن رشد**، تحقيق: محمد الحبيب التحكاني، ط02، بيروت: دار الآفاق الجديدة، جزءان.
- 46- الرصاع، أبو عبد الله محمد بن القاسم الأنصاري (ت 894هـ/1489م): **فهرست الرصاع**، تحقيق: محمد العنابي، ط1، تونس: المكتبة العتيقة، 1967م.
- 47- الرندي، ابن عباد: **الرسائل الكبرى**، فاس- المغرب: طبعة حجرية، 1320هـ.
- 48- الزبيدي، مرتضى الحسيني (ت 1205هـ/1790م): **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مصطفى حجازي، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1969م.
- 49- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت 736هـ/1337م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م.
- 50- الزرهوني، محمد الفضيل بن القاضي الشبهي (ت 1318هـ/1900م): **الفجر الساطع على الصحيح الجامع**، تحقيق: عبد الفتاح الزينفي، ط1، 18مج، بيروت، مكتبة الرشيد، 2009، 13مجلد.
- 51- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر (ت 528هـ/1133م): **تفسير الكشاف**، تحقيق: محمد مرسي عامر، ط2، القاهرة: دار المصحف، 1977م، 6 أجزاء.
- 52- ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي (ت 617هـ/1220م): **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: أحمد التوفيق، ط3، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2010م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 53- السنوسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت 895هـ/1490م): عمدة التحقيق والتسديد في شرح عقيدة التوحيد (شرح العقيدة الكبرى)، تحقيق: أحمد بوكعب بلکرد، بوسعادة- الجزائر: دار كردادة للنشر والتوزيع، 2011م.
- 54- ابن سيده المرسى، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ( 458هـ/ 1065م): المخصص، ط1، بولاق، 1900م، 6 أجزاء
- 55- ابن سيرين، أبو بكر محمد عبد الغني النابلسي (ت 110هـ/729م): معجم تفسير الأحلام، إعداد: باسل البريدي، ط1، دمشق- بيروت: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م.
- 56- ابن سينا أبي علي الحسين بن عبد الله (ت 427هـ/1037م): تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، ط02، القاهرة: دار العرب للبستاني، (د.ت) .
- 57- الشافعي، شهاب الدين، أبي محمد عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم المكنى بأبي شامة ( ت 665هـ/ 1266م) : الباعث على إنكار البدع والحوادث، ط2، مكة: مطبعة النهضة الحديثة ، 1981م.
- 58- الشاطبي، أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ( ت 790هـ/1388م): الاعتصام، تدقيق: محمد رشيد رضا، مصر: المكتبة التجارية الكبرى- مطابع شركة الإعلانات الشرقية، 1914م، جزءان.
- 59- الشطنوفي نور الدين (ت 713هـ/1313م): بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، تحقيق: جمال الدين فالج، ط3، مصر: مؤسسة مصر مرتضى، 2001 .
- 60- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك محمد الباجي ( كان حيا 594هـ/1198م): تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الوهاب التازي، ط01، بيروت: دار الأندلس للنشر، 1964م.
- 61- ابن سعد، محمد بن أحمد بن أبي الفضل الأنصاري التلمساني (ت 901هـ/1496م): روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق: يحي بو عزيز، ط1، الجزائر: منشورات المؤسسة الوطنية للإشهار، 2002م.
- 62- -: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تحقيق: محمد أحمد الديباجي، ط1، بيروت: دار صادر، 2011م.
- 63- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 923م): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، ط01، مصر: دار المعارف، 1950، 185/7.

## قائمة المصادر والمراجع

- 64- الطرطوشي، محمد بن الوليد ابن الوليد أبي بكر (ت 520هـ/1059م): كتاب الحوادث والبدع، تحقيق: عبد المجيد تركي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م.
- 65- العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود الحاحي (حي سنة 700هـ/1300م)، الرحلة المغربية - ماسما إليه الناظر المطرق في خير الرحلة إلى بلاد المشرق -، تحقيق: علي إبراهيم الكردي، ط2، دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.
- 66- ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 712هـ/1309م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين - تحقيق: إبراهيم الكتاني وآخرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م.
- 67- بن عربي، محمد بن علي محي الدين (ت 638هـ/1240م): أهل المراتب والأحوال، تحقيق: محمد عبد الرحمان الشاغول، ط1، القاهرة: دار جوامع الكلم، 2009م.
- 68- ابن العربي المالكي، محمد بن عبد الله أبي بكر (ت 543هـ/1148م): أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م، 4 مجلدات.
- 69- العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر (ت 852هـ/1448م): فتح الباري بشرح صحيح الإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، إشراف و تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط01، بيروت: دار الرسالة العالمية، 2013م، 26 مجلد.
- 70- العقباني، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني (ت 871هـ/1467م): كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، دمشق: المعهد الفرنسي بولتان للدراسات الإستشراقية، 1967م.
- 71- العقباني، أبو عثمان سعيد بن محمد (ت 811هـ/1408م): الوسيلة بذات الله وصفاته، تحقيق: نزار حمادي، ط1، بيروت: مؤسسة المعارف للطبع والنشر، 2008م.
- 72- بالعمري شهاب الدين، أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العدوي المعروف (ت 749هـ/1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: حمزة، أحمد عباس وآخرون، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة: منشورات الجمع الثقافي، السفر الرابع، 2003م.
- 73- عياض ابن موسى السبتي (ت 544هـ/1149م): تهذيب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: سامي الجزائر، القاهرة: دار الحديث، 2004م، 3 أجزاء.

## قائمة المصادر والمراجع

- 74- الغبريني أبو العباس أحمد (ت704هـ/1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، محمد بن أبي شنب، ط01، الجزائر: دار البصائر، 2007م.
- 75- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت170هـ/786م): كتاب العين: تحقيق: عبد الحميد هندواوي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م، 8مج.
- 76- بن الفضل، أبو القاسم الحسين بن محمد: الاعتقادات، تحقيق: شمران العجلي، ط1، بيروت: دار الأشراف للتجارة والطباعة والنشر والتوزيع، 1988.
- 77- أبو الفضل، مخلوف محمد (ت1360هـ/1941م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، لبنان: دار الكتاب العربي، 1930م.
- 78- الفكون، عبد الكريم: (ت1073هـ/1662م)، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط01، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987م.
- 79- القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن فرج الأنصاري الخزرجي (ت671هـ/1272م): تفسير القرطبي- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط02، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964م، 24 مجلد.
- 80- القشيري، أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان (ت465هـ/1072م): الرسالة القشيرية في علم التصوف، مصر: مطبعة التقدم العلمية، 1925م.
- 81- القلصادي، أبو الحسن علي بن محمد القرشي الأندلسي (ت891هـ/1486م) : تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، طبع باسم: رحلة القلصادي، تحقيق : محمد أبو الأجنان، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1978م.
- 82- ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت810هـ/1406م)، أنس الفقير وعز الحقيير، نشر: محمد الفاسي و أدولف فور، الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965م.
- 83- أبو العباس أحمد القسنطيني ابن قنفذ (ت810هـ/1407م): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس: الشركة التونسية للفنون، 1968م.
- 84- -: الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط04، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1983م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 85- القيرواني، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد (ت 386هـ/996م): جامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تحقيق: محمد أبو الأحناف وآخرون، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة - تونس: المكتبة العتيقة، 1983م.
- 86- القيرواني، ابن أبي دينار الرعيني (ت 1111هـ/1690م): المؤنس في أخبار افريقية وتونس: تونس: مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ.
- 87- ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت 751هـ/1350م): مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تقدم: علي بن حسن، مراجعة: بكر بن عبد الله، ط1، السعودية: دار ابن عثمان للنشر والتوزيع، 1996م.
- 88- : إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط02، بيروت: دار المعرفة، 1975م، 4 أجزاء.
- 89- : زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط3، الكويت: مؤسسة الرسالة، 1998م، 6 مجلدات.
- 90- ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ/886م): السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: مطبعة دار الإحياء للكتب العربية، (د.ت).
- 91- المغيلي المازوني أبو زكريا يحيى بن موسى بن عيسى (ت 883هـ/1478م): مناقب صلحاء الشلف، تح: عبد القادر بوباية، ط1، الجزائر: مكتبة الرشاد، 2017م.
- 92- : الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: تحقيق: ماحي قندوز، جامعة وهران، 2011م.
- 93- مالك بن أنس (ت 179هـ/795م): الموطأ، ط03، تخرج: صدقي جميل العطار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م.
- 94- الجريطي، أبي القاسم مسلمة بن أحمد (ت 398هـ/1007م): غاية الحكيم في الأرصاد الفلكية والطلاسم الروحية والتنجيم، تحقيق: هريتر، ط1، بيروت: دار المحجة البيضاء، 2008.
- 95- مجهول: زهر البستان في دولة بني زيان (760-764هـ/1359-1363م)، تحقيق: محمد بن أحمد باغلي، ط2، الجزائر: الأصاله للنشر والتوزيع، 2012 م .
- 96- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية، (د.ت)

## قائمة المصادر والمراجع

- 97- مجهول: جفر الجامع والنور اللامع، تح: حسن البري، البحرين: مكتبة فارس حسن الساعدي، 1870م.
- 98- مجهول: الحلل الموشية والأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، الدار البيضاء- المغرب: دار الرشاد الحديثة، 1979م.
- 99- المجيلدي، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 1094 هـ / 1683 م): كتاب التسيير في أحكام التسعير، تحقيق: موسى لقبال، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [1971م].
- 100- المدجن، ابن الصباح عبد الله (ت النصف الأول من ق8هـ)، أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، تحقيق: محمد بن شريفة، الرباط- المغرب: دار أبي الرقاق، 2008م.
- 101- المراكشي عبد الواحد محي الدين بن علي التميمي (ت 647هـ/1250م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تعليق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط1، القاهرة: مطبعة الاستقامة، 1949م.
- 102- ابن مرزوق، أبو عبد الله محمد التلمساني (ت 781هـ/1379م): المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، ط1، الرباط- المغرب: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2008م.
- 103- -: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
- 104- بن مرزوق، الحفيد محمد (ت 842هـ/1450م): إسماع الصم في إثبات الشرف للأمم: دراسة وتحقيق: مريم الحلو، ط2، وجدة: المغرب، مطبعة الشرق، 2006م.
- 105- ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد (حي 1014هـ/1605م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: أحمد بن أبي شنب، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1908م.
- 106- مسلم أبي الحسن بن الحاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، 1991م، جزءان.
- 107- المفضل، أبو القاسم الحسين بن محمد: الاعتقادات، تحقيق: شمران العجلي، ط1، بيروت: دار الأشراف للتجارة والطباعة، 1977م.
- 108- المقدسي، عبد الله محمد ابن مفلح: الآداب الشرعية، ت تحقيق: شعيب أرنؤوط وعمر القيام، ط3، بيروت: الرسالة للنشر والتوزيع، 1999م.
- 109- -: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تح: محمد فارس ومسعد عبد الحميد السعدني، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م، 4 مجلدات.

## قائمة المصادر والمراجع

- 110- المقرئ ، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041 هـ/1631م) ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق : إحسان عباس، بيروت: دار الكتاب العربي ، 8 أجزاء .
- 111- :ـ: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م، 05 مجلدات.
- 112- :ـ: الكليات الفقهية، تح: محمد أبو الأحناف، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 2011م.
- 113- المقرئ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م): كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، تحقيق: محمد زينهم القاهرة: مطبعة الاوفست - مؤسسة الحلبي وشركاؤه، (د.ت)، 2أجزاء.
- 114- الملاي، محمد بن إبراهيم بن عمر التلمساني (ي حي 897هـ/1491م): المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، تحقيق: علال بوريق، بوسعادة-الجزائر: دار كردادة، 2011م.
- 115- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري(ت711هـ/1311م): لسان العرب، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي: بيروت، 1999م، 18 جزء.
- 116- أبو المودة، خليل أبي إسحاق بن موسى بن شعيب الجندي ضياء الدين: شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل، تحقيق: محمد عليش، ط01، بيروت: دار الفكر للطباعة والتوزيع ، 1984م.
- 117- النميري إبراهيم بن الحاج (768هـ/1366م): فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق: محمد بن شقرون، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990.
- 118- النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت 676هـ/1277م): شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، شرح: محمد بن صالح العثيمين، مصر: دار العقيدة للتراث، 4 أجزاء.
- 119- الهبطي، أبو محمد عبد الله بن محمد: كتاب الألفية السنوية في تنبيه العامة والخاصة على ما أوقعوه من التغيير في الملة الإسلامية ، إعداد وتقديم: محمد أستيتو، وجدة- المغرب: منشورات جامعة محمد الأول (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) ، 1997م.
- 120- الوزان، الحسن بن محمد الفاسي(ت959هـ/1551م): وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2 ، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م.جزءان.

## قائمة المصادر والمراجع

- 121- الوسياني، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام (حي في 557هـ / 1161م): سير الوسياني، تحقيق: عمر بن لقمان، مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2009م.
- 122- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 914هـ/1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أشرف على تحقيقه: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981م.
- 123- -: وفيات الونشريسي ضمن ألف سنة من الوفيات، تحقيق: محمد حجي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976م.
- 124- -: عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م.
- ثالثا: المراجع باللغة العربية:
- 1- أحمد طه، جمال: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000م.
- 2- أديوان، محمد: الثقافة الشعبية المغربية (الذاكرة والمجال والمجتمع)، الرباط: مطبعة سلمى، 2002م.
- 3- أركون، محمد: معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، ترجمة: هاشم صالح، ط1، بيروت: دار الساقى، 2001م.
- 4- -: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة: هاشم صالح، ط6، بيروت: دار الساقى، 2012م.
- 5- الأسدي، محمد خير الدين: موسوعة حلب المقارنة، تنقيح: محمد كمال، حلب- سوريا: جمعية العاديات، 2009م.
- 6- الأشقر، عمر سليمان: عالم السحر والشعوذة، ط4، بيروت: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2002م.
- 7- أفندي، نجيب: علم قراءة اليد، ط1، ترجمة: ، مصر: مطبعة الهلال، 1904 م.
- 8- الألباني، ناصر الدين محمد: تلخيص أحكام الجنائز وبدعها، ط01، الرياض: مكتبة المعارف، 1992م.
- 9- -: ضعيف الترغيب والترهيب، ط01، الرياض- السعودية: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2000م.
- 10- الألفي، أبو صالح : الفن الإسلامي-أصوله، فلسفته، مدارس، القاهرة: دار المعارف المصرية ، 1974م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 11- بدوي، عبد الرحمان: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، ط2، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1962م.
- 12- بلعري، خالد: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان (633-681 هـ/1235-1282م) - دراسة تاريخية وحضارية-، ط1، قسنطينة: دار الأملية للنشر والتوزيع، 2011م.
- 13- بلغيث، محمد الأمين: فصول في تاريخ الجزائر بالغرب الإسلامي، ط01، الجزائر: أنترسيني، 2007م.
- 14- بلوط، عمر: فنادق مدينة تلمسان الزيانية - دراسة أثرية-، ط1، الجزائر: مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، 2011م.
- 15- بوبريك، رحال: بركة النساء - الدين بصيغة المؤنث، ط1، الدار البيضاء- المغرب: إفريقيا الشرق، 2010م.
- 16- بوحوش، عمار ومحمد محمود الذنبيات: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط3، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2001م.
- 17- بوداود، عبيد: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م)، دراسة في التاريخ السوسيوثقافي، الجزائر: دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، 2003م.
- 18- بورية، رشيد: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة: ابراهيم ربوح، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م.
- 19- بوزياني، الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م.
- 20- بوطارن، مبارك: الموروث الإسلامي لتلمسان، ط1، الجزائر: طبع بدعم من وزارة الثقافة، 2011م.
- 21- بوعزيز، يحي: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر: منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1985م.
- 22- -: موجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيط، ط02، الجزائر: ديوان المطبوعات: 2007م.
- 23- بوعيايد، محمود: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.
- 24- بوقلي، جمال الدين حسن: ابن يوسف السنوسي في الذاكرة الشعبية وفي الواقع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والإشهار، (د.ت).

## قائمة المصادر والمراجع

- 25- بوهاها، عبد الرحيم: طقوس العبور في الإسلام- دراسة في المصادر الفقهية، ط1، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2009م.
- 26- البياض، عبد الهادي: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس(ق 6-8 هـ/12-14 م)، ط1، بيروت: دار الطليعة للنشر والتوزيع، 2008م.
- 27- التليدي، عبد الله، بن عبد القادر: المطرب في مشاهير أولياء المغرب، ط4، الرباط- المغرب: دار الأمان للطباعة والنشر، 2004م.
- 28- الجليلي، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ الجزائر العام، ط4، بيروت: دار الثقافة، 1980 م، جزءان.
- 29- الجوهرى، محمد: الدراسات العلمية للمعتقدات الشعبية، ط3، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1993م.
- 30- -: علم الفلكور، ط01، القاهرة، دار المعرة الجامعية، 1998م.
- 31- حاجيات، عبد الحميد، أبو حمو موسى الثاني - حياته وآثاره-، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.
- 32- حامد، خالد: منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ط1، الجزائر: جسور للطباعة والنشر، 2008.
- 33- حبيب، رفيق: المقدس والحرية، ط1، القاهرة: دار المعارف، 1998م.
- 34- حبيدة، محمود: تاريخ الموت ضمن كتاب كتابة التاريخ قراءة وتأويلات، المغرب: دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، 2013م.
- 35- حجي، محمد: نظرات في النوازل الفقهية، ط1، المغرب: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1999.
- 36- الحريري، محمد فتحي: كرامات الأولياء بين الوهم والحقيقة، السعودية: دار الفيصل الثقافية، 1994م.
- 37- حزقل، الماجدي: بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، ط1، عمان- الأردن: دار الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م.
- 38- حساني، مختار: تاريخ الدولة الزيانية، ط1، الجزائر: دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م، 3أجزاء.
- 39- -: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ط2، الجزائر: دار الحكمة، 2007م.3ج.

## قائمة المصادر والمراجع

- 40- الحصري، ساطع: أحاديث في التربية والاجتماع ، بيروت: دار العلم للملايين، 1985م.
- 41- الحفناوي، أبو القاسم محمد: تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق: محمد أبو الأحفان وعثمان بطيخ، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة- تونس : المكتبة العتيقة ، 1982م، جزءان.
- 42- حقي، محمد : الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، المغرب: مطبعة مانيال، 2007م.
- 43- ابن حمادي، صالح: دراسات في الأساطير- المعتقدات الشعبية-، ط2، تونس: بوسلامة للطبع، 1983م.
- 44- أبو حمام، مطور عزام: الفلكلور والتراث الشعبي ( الموضوعات ، الأساليب، المناهج)، ط1، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع ، 2007م.
- 45- الحمد، أحمد بن ناصر بن محمد: السحر بين الحقيقة والخيال، ط1، مكة- السعودية: دار التراث، 1988م.
- 46- حمداوي، جميل: جهود ماكس فيبر في مجال السوسولوجيا، ط1، الرياض- السعودية: دار الألوكة للنشر، 2015م.
- 47- الحمودي، عبد الله: "الضحية وأقنعتها - بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب"، ترجمة: عبد الكريم الشرقاوي، ط1، الدار البيضاء- المغرب: دار توبقال للنشر، 2010م.
- 48- حميدو التلمساني، عبد الحميد: السعادة الأبدية لأبي مدين شعيب فخر الديار التلمسانية، فاس- المملكة المغربية: المطبعة الجديدة، 1935م.
- 49- حوى، محمد سعيد: التأصيل لمفهوم البدعة ورأيه في توحيد الأمة، جامعة مؤتة: قسم أصول الدين كلية الشريعة، 2010م.
- 50- خان محمد، عبد المعيد: الأساطير العربية قبل الإسلام، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937م.
- 51- الخربوطلي، علي حسني: أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، مصر: المطبعة الفنية الحديثة، 1972.
- 52- الخضيرى، محمد بن عبد العزيز: خطر التطير والتشائم، الرياض- السعودية: دار الوطن للنشر، (د.ت).
- 53- الخطيب، محمد: الأنثروبولوجيا الثقافية، ط2، عمان- الأردن: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2008م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 54- خطيف، صابرة: فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ط1، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، 2001م.
- 55- خلفات، مفتاح: قبيلة زاوارة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)، تيزي وزو- الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م.
- 56- خليفة، حاجي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ( د.ت).
- 57- أبو خليل، شوقي: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ط2، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1998م.
- 58- دراز، محمد عبد الله: الدين - بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان - الكويت: دار القلم، 1952م.
- 59- دهينة، عطا الله: الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.
- 60- الديب، سامي: ختان الذكور والإناث عند اليهود والمسيحيين والمسلمين - الجدل الديني، ط1، بيروت: رياض الريس للكتب، 2000م.
- 61- الرفاعي، عبد الجبار: إنفاذ النزعة الإنسانية في الدين، ط2، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين - دار التنوير، 2013م.
- 62- الروضان، عبد عون: موسوعة تاريخ العرب - تاريخ ممالك - دول - حضارة، ط3، الأردن: الأهلية للنشر، 2009، جزءان.
- 63- زارو، عبد الله: الشيخ والمريد - البنية المارقة، ط1، الدار البيضاء - المغرب: نشر إفريقيا الشرق، 2014م.
- 64- الزاوي، الطاهر أحمد: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ط2، (د.م): دار الفكر، 1970م، 5 أجزاء.
- 65- الزاهي، نور الدين: المقدس الإسلامي، ط01، الدار البيضاء - المغرب: دار توبقال للنشر، 2005م.
- 66- -: المقدس والمجتمع، الدار البيضاء - المغرب: دار إفريقيا الشرق، 2001م.
- 67- الزاهي، فريد: الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، الدار البيضاء - المغرب: دار إفريقيا الشرق، 1999م.
- 68- زيعور، علي: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1997م.
- 69- زيس، مصطفى سليمان: آثار المغرب العربي، ط1، تونس: المطبعة العصرية، 1985م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 70- زهير الحريري، محمد: السحر بين الحقيقة والخيال، ط1، دمشق- بيروت: دار الإيمان، 1985م.
- 71- السعيد، محمد: ظاهرة زيارة الأولياء والأضرحة في منطقة تلمسان وأبعادها الاجتماعية والنفسية، وهران- الجزائر: مطبوعات الكراسك ، 1995م.
- 72- السندي، حسن: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول، ط01، القاهرة: مطبعة الاستقامة، 1948م.
- 73- السواح، فراس: دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني- ، ط04، سوريا: دار علاء الدين، 2002م.
- 74- -: الأسطورة والمعنى- دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، ط1، دمشق: منشورات دار علاء الدين، 1997م.
- 75- -: مغامرة العقل الأولى ( دراسة في سوريا وبلاد الرافدين)، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 1996م.
- 76- السهيلي، حسن ومحمد توفيق: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، ط1، دمشق: دار الجليل.
- 77- السيد، عبد العزيز سالم، سحر: أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقا وغربا، ط1، مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 1991م.
- 78- الشاذلي، عبد اللطيف: التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري، سيلا- المغرب: مطبعة سلا، 1989.
- 79- الشامي، يحيى: تاريخ التنجيم عند العرب وأثره في المجتمعات العربية والإسلامية، ط1، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1994م.
- 80- شاوش ، محمد بن رمضان والغوثي بن حمدان: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ط2، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، جزاءن، 1995م.
- 81- -: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ط2، تلمسان- الجزائر: داود بريسكي للنشر، مج1/ج2، 2005م.
- 82- شغموم، الميلودي: المتخيل والقدسي في التصوف الإسلامي - الحكاية والبركة، ط1، مطبعة فضالة: المحمدية، 1991م.
- 83- شلي، أحمد: أديان الهند الكبرى الهندوسية الجينية البوذية، ط1، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1984م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 84- شلق، علي: الفن والجمال، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، 1982م.
- 85- الشماع، عيسى: مدخل إلى علم الإنسان ( الأنثروبولوجيا)، دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب، 2004م.
- 86- -: مدخل/ التربية العامة، ط1، دمشق- سوريا: كلية التربية، 2002م.
- 87- الشنقيطي، محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف: بكر بن عبد الله بوزيد، ط1، جدة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.ت)، 4 ج
- 88- صالح، عبد المحسن: الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998م.
- 89- صقر، عطية: الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، الأزهر- مصر: مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الخامس، 1988م.
- 90- أبو طالب، عبد القادر: علاج الحاسد والمحسود والعائن والمعيون، الدمام- السعودية: مكتبة المنتبى، 2005م.
- 91- طلعت، عيسى محمد: مدخل علم الاجتماع، بيروت: دار المعارف، 1986م.
- 92- الطمار، محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1984م.
- 93- طوالي، نور الدين: الدين والطقوس والتغيرات: ترجمة: حسن البعيني، ط1، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1989م.
- 94- الطوخي، عبد الفتاح السيد عبده: منبع أصول الرمل المعروف بالدرة البهية في العلوم الرملية، بيروت: المكتبة الشعبية، (د.ت).
- 95- أبو الضيف، مصطفى: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصر الموحدين وبنو مرين 524-876هـ/1130-1472م، ط1، الدار البيضاء- المغرب: مطبعة دار النشر المغربية، 1982م.
- 96- بن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، 30 مج.
- 97- العامري، نيلي سلامة: الولاية والمجتمع- مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية العهد الحفصي، منوبة- تونس: منشورات كلية الآداب، 2001م.
- 98- عبده، محمد: تفسير القرآن الكريم، ط1، القاهرة: مطبعة المنار، 1927م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 99- العروي، عبد الله : مفهوم التاريخ ، ط4، الدار البيضاء - المغرب: المركز الثقافي العربي، 2005م.
- 100- \_ : مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: المغرب، 1996م.
- 101- العشا حسوني، عبد القادر عرفات: الأحاديث القدسية مع شرحها وما صح عن أحاديث الملائكة الكرام والجان، بيروت: دار الفكر للطباعة، 2003م.
- 102- عقون، محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى عين مليلة- الجزائر، 2008م.
- 103- العطري، عبد الرحيم: بركة الأولياء- بحث في المقدس الضرائحي-، ط1، الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، 2014م.
- 104- عطية، عاطف: المجتمع الدين والتقاليد- بحث في إشكالية العلاقة بين الثقافة والدين والسياسة، بيروت: جروس برس للنشر، 1993م.
- 105- عماد، عبد الغاني: سوسولوجية الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م.
- 106- العمراني، محمد: الشرف والمجتمع والسلطة ( الشمال المغربي نموذج) من القرن 10 إلى 13 هـ/16-19م، الرباط: دار أبي الرقراق للطباعة والنشر والتوزيع، 2015م.
- 107- فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع - أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6 إلى 9 هـ/12-15م، سلسلة الأطروحات والرسائل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الحسن الثاني، عين الشق- الدار البيضاء ، 1999م.
- 108- فراح، عبد العزيز: تلمسان المدينة المحراب، ترجمة: إنعام بيوض وآخرون، الجزائر: منشورات أبيك، 2011م.
- 109- - فهد، توفيق: العجيب والغريب في إسلام العصر الوسيط، ترجمة و تقديم: محمد أركون وآخرون، ط1، المغرب- الدار البيضاء: 2002م.
- 110- فهيم حسين: قصة الأنثروبولوجيا - فصول في تاريخ علم الإنسان- الكويت: إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة ع 98، فيفري 1986م.
- 111- بن فوزان، صالح: البدعة- تعريفها - أنواعها - أحكامها، ط3، الرياض- السعودية: المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد، 2003 م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 112- فيلاي، عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني - دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية - ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية والنشر والتوزيع ، 2002، جزءان.
- 113- القادري، إبراهيم بوتشيش: حركة المتنبيين والسحرة في الغرب الإسلامي، الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، 1995م.
- 114- -: المغرب والأندلس في عصر المرابطين - المجتمع - الذهنيات - الأولياء، ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1993م.
- 115- القادري، بوتشيش إبراهيم: المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ط1، القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع، 2004م.
- 116- -: الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصري المرابطين والموحدين ضمن جوانب من التاريخ الاجتماعي للبدان المتوسطة خلال العصر الوسيط: جامعة مولاي إسماعيل: كلية العلوم الإنسانية، مكناس، 1991.
- 117- قرامي، أمال: الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، ط1، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2007م.
- 118- بن قرية صالح: تاريخ الجزائر من خلال المصادر، الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، [2007 م].
- 119- قناتي، شحاتة: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، ط2، بيروت: أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
- 120- الكيلاني، عاصم إبراهيم: الولاية والولي عند السادة الصوفية في الشريعة والطريقة والحقيقة، ط1، بيروت: دار الكتب ناشرون، 2010م، ص19.
- 121- لطفي، عيسى: مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر، تونس: سراس للنشر، 1994م.
- 122- لطفي، عيسى: كتاب السير - مقاربات لمدونات المناقب والتراجم والأخبار -، ط1، تونس: دار المعرفة للنشر، 2007م.
- 123- الماجدي، خزعل: متون سومر، ط1، عمان: الأهلية للنشر، 1998م.
- 124- مبارك، زكي: المدائح النبوية في الأدب العربي، القاهرة: دار الشعب، 1971م.
- 125- مبروك، علي: ما وراء تأسيس الأصول - مساهمة في نزع أقنعة التقديس، ط1، القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع، 2007م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 126- مجموعة مؤلفين: موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، ج01، دبي: مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م.
- 127- محمد إسماعيل، زكي: في الدين والمجتمع - سلسلة الإسلام والعلوم الإنسانية-، الإسكندرية: دار المطبوعات الجديدة، 1989م.
- 128- محمدي، عبد القادر: أنثروبولوجيا الجسد الأسطوري بحث في الهوية والامتداد، المغرب: مطبعة فاس بريس، 2013م.
- 129- المزيدي، أحمد فريد: جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال، ط01، بريلي - سيريلنكا: دار الآثار الإسلامية، 2006م.
- 130- المشعبي، عبد المجيد بن سالم بن عبد الله: التنجيم والمنجمون وحكمه في الإسلام، ط01، الطائف- السعودية: مكتبة الصديق، 1994م.
- 131- المعسكري أبي راس الناصر: لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان، دراسة وتحقيق: حمدادو بن عمر، ط2، الجزائر: منشورات دار قرطبة، 2012م.
- 132- مفتاح، محمد: الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي مقاربات وظيفية، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2014م.
- 133- منديب، عبد الغني: الدين والمجتمع - دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب-، ط02، المغرب: إفريقيا الشرق، 2010م.
- 134- \_: سوسيولوجيا التدين بالمغرب، ط2، المغرب: إفريقيا الشرق، 2010م.
- 135- المنوني، محمد: ورقات عن حضارة المرينيين ط3، الرباط: منشورات كلية الآداب - الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2000م.
- 136- مهدي، محمد القصاص: علم الاجتماع الديني: المنصورة- مصر: دار النشر 2008م.
- 137-
- 138- موساوي، عبد المالك: دور الزخرفة في الحياة الحضارية بتلمسان، ط1، الجزائر: دار السبيل للنشر والتوزيع، 2011م.
- 139- الميللي، مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم: محمد الميللي، الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية [2004م] جزءان.

## قائمة المصادر والمراجع

- 140- الناصري محمد المكي: كتاب التسيير في أحاديث التفسير، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط01، 1984م، 6 مجلدات.
- 141- النبھاني، يوسف بن إسماعيل: جامع كرامات الأولياء، ط1، بيروت: المكتبة المصرية، 2001م.
- 142- نبيل، بن محمد محمود: تيسير الرحمان في علاج السحر والمس والعين وأمراض الجان، ط2، بيروت: دار العالمية للنشر والتوزيع، 2004.
- 143- - واعراب مصطفى: المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب، ط01، الدار البيضاء- المغرب: دار الحرف للنشر والتوزيع، 2007م.
- 144- وهيب، أبي فاضل: موسوعة عالم التاريخ والحضارة - حضارات العالم القديم-، ط1، بيروت: نوبليس، 10 مجلدات، ص174  
رابعا: دراسة ضمن كتاب:
- 1- بونابي، الطاهر: " خطاب الشرف في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط- مقارنة في مستوياته ضمن نص النوازل والمناقب والتاريخ"، ص ص 143-181، ضمن كتاب: المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل، تنسيق بوبة مجاني، بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2011م، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي جامعة منتوري قسنطينة .
- 2- فيلاي، عبد العزيز: "الأقلية المسيحية في المغرب الأوسط ( الجزائر) نموذج لحياة السلم والتسامح"، ص53-71: ضمن كتاب: دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، عين مليلة - الجزائر: دار الهدى، 2012م.
- 3- -: أبو العباس السبتي أحمد بن مرزوق التلمساني ( سيرته- مناقبه- رحلته إلى المشرق)، ص ص 222-256، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، عين مليلة- الجزائر: دار الهدى، 2012م، ص230-231.
- 4- -: "الزاوية الملارية- تأثير شيوخها الروحي والديني على الدولة والمجتمع"، ص.ص107-124، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، عين مليلة - الجزائر: دار الهدى، 2012م.
- 5- -: "المؤرخون الفرنسيون والأمن الفكري في المغرب الكبير"، ص.ص9-52، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، عين مليلة - الجزائر: دار الهدى، 2012م.

## قائمة المصادر والمراجع

6- الحمودي عبد الله: الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة والقداسة: - ملاحظات حول أطروحات كلينر، ضمن كتاب: الأنثروبولوجيا والتاريخ، ص.ص 60 - 80، حالة المغرب العربي، ترجمة: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، الدر البيضاء- المغرب: دار توبقال للنشر، ط2، 2007م.

خامسا: الأطاريح والرسائل الجامعية:

أ/ رسائل الماجستير:

1- بلغيث، محمد الأمين: "الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين"، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1987م.

2- زازوي، موفق: "الطقوس الجنائزية في مدينة تلمسان"، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان (الجزائر)، 2002م.

3- سراج، جيلالي: "زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية ضريح سيدي يوسف الشريف نموذجاً"، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان- الجزائر)، 2015م.

4- شقدان، بسام كامل عبد الرزاق: "تلمسان في العهد الزياني (633-962 هـ / 1235 - 1555م)"، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، (نابلس - فلسطين)، 2002م.

5- شقطي، هناء: "الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكونة في نوازل مازونة"، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة قسنطينة 2، (الجزائر)، 2013م.

6- فخري، طه نضال: الطقوس والمعتقدات الشعبية في الأدب الشعبي، رسالة ماجستير، تخصص أدب عربي، جامعة النجاح الوطنية، نابلس (فلسطين)، 2000م، ص288.

7- مزدور، سمية: "المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-925 هـ / 1192-1520م)"، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري- قسنطينة (الجزائر)، 2009م.

ب/ أطاريح الدكتوراه:

1- بلغري، عبد القادر: "أسس القراءة وآليات التأويل في النص الصوفي - عفيف الدين التلمساني في شرح مواقف النفري"، أطروحة دكتوراه علوم في اللغة والأدب العربي تخصص قضايا الأدب ومناهج الدراسات النقدية المقارنة، جامعة قاصدي مرباح (ورقلة)، 2016م.

2- بكاي، عبد المالك: "الحياة الريفية بالمغرب الأوسط من القرن 7-10 هـ / 13-16م"، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ، جامعة باتنة، 2014م.

## قائمة المصادر والمراجع

3- بلبشير، عمر: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 على 9هـ/12-15م - من خلال كتاب المعيار للونشريسي-، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران (الجزائر)، 2010م.

4- ثياقة، الصديق: "المقدس والقبيلة - الممارسة الاحتفالية لدى المجتمعات القصرية بالجنوب الغربي الجزائري- زيارة الرقاني نموذجاً"- أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2014م.

5- خليلي، بختة: "الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق 13-15م) واقعه وآثاره"، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ، جامعة مصطفى اسطمبولي (معسكر) 2016م.

سادسا: ملتقيات:

1- مجاني، بوبة: "التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور" ضمن أعمال الملتقى الدولي في التاريخ 23-24 أبريل 2001م، منشورات مخبر الدراسات التاريخية جامعة منتوري قسنطينة - عين مليلة: الجزائر: دار الهدى.

سابعا: المجلات و الدوريات

01- باحو، مصطفى: علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والمتصوفة والقبورية والمواسم، ط01، جريدة السبيل: تونس، 2007م.

01- براهيم عصام و زازوي موفق: "جدلية الذكورة والأنوثة في العائلة التقليدية من خلال طقوس العبور"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد14-ع02/ جوان 2019، ص88-108.

02- البركة، محمد: الطوبونيميا والبحث التاريخي، دورية كان التاريخية، ع24، يونيو 2014، صص 121-125.

03- بريكي، كريمة: "في منابت التقديس وافاقه"، سلسلة ملفات بحثية الدين وقضايا المجتمع الراهنة، المغرب: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2016م.

04- بشير، عبد الرحمان: "المرأة المغربية في نوازل أبي القاسم البرزلي"، عصور الجديدة، ع11-12، 2013-2014م، جامعة وهران - الجزائر ص.ص 124-138

05- بلحاج، معروف: المجمع المعماري العباد، دراسة أثرية مقارنة "حولية المؤرخ" المركز الوطني للدراسات البحث في الحركة الوطنية: الجزائر.

06- بلهوارى، فاطمة: "النص النوازلي للغرب الإسلامي أداة لتجديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية"، مجلة عصور(وهران) ع17/جوان- ديسمبر 2011م، ص83-97.

## قائمة المصادر والمراجع

- 07- بورويبة، رشيد: "جولة عبر مساجد تلمسان"، مجلة الأصالة، الجزائر، ع26، 1975م، ص ص 171-182.
- 08- بوعقادة، عبد القادر: "هل المغرب الأوسط خرافة"، مجلة عصور الجديدة، ع 21-22، ماي 2016م، ص ص 60-75.
- 09- بونابي الطاهر: "حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف والرباط"، المجلة الخلدونية (بسكرة) ع9/ جانفي 2011م، ص ص 56-73.
- 10- التازي، عبد الوهاب: لماذا عيد المولد في الغرب الاسمي؟ مجلة دعوة الحق المملكة المغربية ع277، 1989.
- 11- ابن حاج عيسى: "زناة المغرب الأوسط القبيلة والمجال"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، ع1، مجلد3، جانفي 2020، ص ص 173-195.
- 12- حمودا، حنان: "الماء كمنشط أنثروبولوجي لإنتاج الطقوس بواحة سكورة جنوب المغرب"، مجلة إضافات (جامعة محمد الخامس الرباط)، ع33-34 / شتاء ربيع 2016، ص ص 141-156.
- 13- خلادي، عبد القادر: أبو مدين الغوث دفين تلمسان (520-594هـ/1126-1197م)، مجلة الأصالة، ع 26، 1975م، ص ص 284-296.
- 14- الخويلدي، زهير: "الفلسفة الدينية بين تحديات القدسي واستجابات السرد" سلسلة ملفات بحثية الدين وقضايا المجتمع الراهنة، المغرب: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2016م.
- 15- بن داود، نصر الدين: "الشرفاء في المجتمع المغربي خلال القرنين 8-9هـ/ 14-15م) من خلال كتاب إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم للمراكشي القسنطينس الأكمه و إسماع الصم في إثبات الشرف للأم لابن مرزوق الحفيد التلمساني"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، عدد20، ص ص 308-316.
- 16- دواق، الحاج أحمدة: "المقدس والسرديات الكبرى" سلسلة ملفات بحثية الدين وقضايا المجتمع الراهنة، المغرب: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2016م.
- 17- سعيدي، محمد: "ظاهرة الاعتقاد في الإصابة بالعين بين المقدس والديني"، مجلة الثقافة الشعبية، ع4 سنة 1996، معهد الثقافة الشعبية تلمسان، ص ص 55-71.
- 18- سليمان فخري، أحمد: أسماء الموت في القرآن الكريم دراسة دلالية، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، مج 18- ع1، 2011م، ص ص 109-128

## قائمة المصادر والمراجع

- 19- بن عامر، معاذ: السرديات الكبرى من الكبريات الأنطولوجية إلى الصغريات الأخلاقية سلسلة ملفات بحثية الدين وقضايا المجتمع الراهنة، المغرب: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2016م.
- 20- عبد زيد، الوائلي عامر: تجديد العلاقة مع المقدس رهان تفكيك رغبة الموت : سلسلة ملفات بحثية الدين وقضايا المجتمع الراهنة، المغرب: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2016م.
- 21- عبيدي نورة وخميسي فوزية: المعتقدات الشعبية في الأسرة الجزائرية من طقوس الولادة حتى نمو الطفل : مجلة تاريخ العلوم عدد9 سبتمبر 2017م، جامعة الطارف، ص ص 135-141.
- 22- القادري بوتشيش "النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدمية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالمغربي الإسلامي ( ق 5-6/هـ 12-13م)"، مجلة التاريخ العربي، (الرباط)، مجلد 7، ع22/2002م، ص ص 247-272.
- 23- القادري، إبراهيم بوتشيش: الفكر السحري والعرافة بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ضمن ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية، تيارات الفكر في المغرب والأندلس، روافد ومعطيات، منشورات كلية ندوات 5، جامعة الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، تيطوان 1993، أبريل 26-27، ص 346.
- 24- بن طوبال، عمار: "الطقوس وتمثلات الهوية الجمعية في رواية مملكة الزيوان للصدوق حاج أحمد مقارنة انثروبولوجية"، مجلة النص، ع21، الجزائر، 2017،
- 25- طه مكي، مهدي: "التقديس والمقدسات دراسة في فلسفة الدين" مجلة العلوم الإنسانية ( كلية التربية والعلوم الإنسانية)، مجلد22- ع1/مارس 2015م، ص.ص 58-70 .
- 26- موسى، لقبال: " زناتة والأشراف الحسنيون في جبال تلمسان والمغرب الأوسط"، مجلة الأصالة، الجزائر، ع26، 1975م، ص ص 91-98.
- 27- المحواشي، منصف: الطقوس وجبروت الرموز- قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول، مجلة إنسانيات، كراسك، وهران: الجزائر، عدد49، 2010م، ص ص 15-43.
- 28- مرتاض، عبد المالك: " حركة الشعر المولدي في تلمسان في عهد أبو حمو الثاني" مجلة الأصالة (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف)، مجلد11- ع26/2011م، ص ص 311-332.
- 29- المستاري، الجيلالي: " الجسد والمقدس - قراءة في الخطاب الفقهي لابن قيم الجوزية" مجلة إنسانيات العدد 31، جانفي مارس 2006م، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية - وهران، ص.ص 45-65.

## قائمة المصادر والمراجع

- 30- مفتاح خلفات: قراءة في مخطوط هذه كيفية زاوية، مجلة العلوم الإنسانية، ع42، 2014م، 573-587.
- 31- مناد، صافية: " أثر المقدس والديني على ذهنية الفرد والمجتمع واستعمالات السلطة"، مجلة متون(كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الدكتور مولاي الطاهر- سعيدة)، مجلد12- ع02/ أوت 2020م، ص ص76-89.
- 32- المنصوري، الشيباني المبروك: "جماليات الجسد وطقوسه الاحتفالية في الأعياد في شمال إفريقيا" مجلة دراسات أندلسية ( مركز تحقيق تراث العالم الإسلامي في شمال إفريقيا - تونس)، مجلد 24، ع4، 2000م. ص ص73-93.
- 33- نشاط، مصطفى: "الديمغرافية التاريخية في الرحلة الزيارية بالمغرب الوسيط" مجلة كنانيش الديمغرافيا التاريخية، جامعة محمد الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع3-2001م ص ص23-34. المغرب: دار المنظومة، 2020، ص25.
- 34- موحن، وليد: "مدرسة الحوليات الفرنسية ظروف النشأة وأهم الأفكار" مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الإنسانية، ع11، مارس، 2017م ص ص170-177.
- ثامنا: المعاجم والقواميس.
- 1- إيكة، هولتكرانس: قاموس مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلكلور: تر: محمد الجوهري وحسن الشامي، ط2، - مصر- القصر العيني: الهيئة العامة للقصور الثقافية، 1972م.
- 2- بدوي، أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط2، لبنان: مكتبة لبنان، 1982م، 21 مجلد.
- 3- البعلبكي، منير والبعلبكي، رمزي: قاموس المورد الحديث، لبنان: دار العلم للملايين، 2013 م.
- 4- أبو حاقة، أحمد: معجم النفايس الكبير، ط1، الأردن: دار النفايس للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م.
- 5- أبو الذهب، أشرف طه: المعجم الإسلامي، ط1، القاهرة: دار الشروق، 2002م.
- 6- رواسب قلفدجي، محمد وصادق تينخي، محمد: معجم الفقهاء، ط2، بيروت: دار النفايس للنشر والتوزيع، 1988م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 7- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 2005م.
  - 8- القشاني، عبد الرزاق: معجم اصطلاحات صوفية، تحقيق: عبد العال شاهين، ط01، القاهرة: دار المنار، 1992م
  - 9- شاكرا، مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا، ط01، الكويت: جامعة الكويت، 1981م.
  - 10- أبو الحسين، أحمد بن فارس ابن زكريا الرازي القزويني: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، مج1، بيروت: دار الكتب العلمية، مجلدان، 2008م.
  - 11- صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م.
- ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:
- أولا : المراجع المترجمة:
- 1- ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ط03، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، 1987م.
  - 2- أوليفيه، روا: الجهل المقدس- زمن بلا ثقافة-، ط01، ترجمة: صالح الأشمر، بيروت: دار الساقبي، 2012م.
  - 3- بيار، بونت وميشال ايزار وآخرون: معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة: مصباح محمد، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2006م.
  - 4- جورج فرايزر، جيمس: الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، ترجمة: نايف الخوص، دمشق- سوريا: نشر دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2014م.
  - 5- روجيه باستيد: مبادئ علم الاجتماع الديني، تر: محمود قاسم، ط1، مصر: المكتبة الانجلوسكسونية، 1951م.
  - 6- روجيه، كايوا: الإنسان والمقدس ، ترجمة: سميرة باشا، ط01، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010م.
  - 7- سيغمون فرويد: الطوغم والتابو، ترجمة: بوعلي ياسين ومراجعة: محمود كيبو، ط1، اللاذقية- سوريا: دار حوار للنشر والتوزيع ، 1983م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 8- شورون، جاك: الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام ، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1984م.
- 9- غوستاف، لوبون: الآراء والمعتقدات، ترجمة: عادل زعيتير، ط01، مصر: منشورات مؤسسة هندراوي للتعليم والثقافة، 2014م.
- 10- كازنيف جاك وآخرون: عشرة مفاهيم كبرى في علم الاجتماع، البلد: دار المنظومة- نشر معهد الإنماء العربي، مج6/ ع37-38.
- 11- غويتيفولو خوان: أضرحة وزوايا وطوائف طقوس زيارة الأولياء في الإسلام المغربي، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مجلة المناهل العدد 81/80، السنة 29، وزارة الثقافة المغربية، 2007م.
- 12- لالاند، أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، تعليق: خليل أحمد خليل، ط2، بيروت - باريس: منشورات عويدات، 2001، مج 1.
- 13- برونيسلاف لينوفسكي: السحر والعلم والدين، تر: فيليب عطية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.
- 14- كلود، ليفي ستراوس: الأسطورة والمعنى، ترجمة: صبحي حديد، ط1، المحمدية: دار الملتقى للنشر والتوزيع ، 2006.
- 15- مارسى، الياد: المقدس والمدنس ، ترجمة: عبد الهادي عباس المحامي، ط01، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م.
- 16- -: المقدس الدنيوي - رمزية الطقس والأسطورة- ترجمة: نهاد خياطة، دمشق: العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م.
- 1- مارسى، وليام: مقتنيات متحف تلمسان، تعريب وتقديم: أرزقي شرقي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 2011م.
- 2- مارسيل، ماوس: الهبة وطقوس البوتلاننش، ترجمة: المولدي الأحمر، ط1، بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية ، 2011م.
- 3- هنري، برغسون: منبع الأخلاق والدين، ترجمة: ساسي الأوربي، ط01، مصر: مكتبة النهضة، (د.ت).
- 4- ياروسلاف، ستيتكيفيتش: العرب والغصن الذهبي - إعادة بناء الأسطورة الذهبية-، ترجمة: سعيد الغانمي، ط1، الدار البيضاء- المغرب؛ بيروت- لبنان: نشر المركز الثقافي العربي، 2005م.

ثانيا: المراجع بلغتها الأصلية:

- 1- Alfred, Bel: **La Religion Muslmen en Berberie**: Paris, librairie oriental Poul Genthner, 1938.
- 2- Andzian, Sossie: **Femmesd et religion en islam un couple mauait clio femmes**, Genre Histoire, N2, 1995, accessd on 12-09 2018 .
- 3- Barges, Labbé: **vie célèbre Marabout Sidi – Abou- Medienne autrement vie Bou-Medienne**, paris: larousse librairie.
- 4- Barges: **Telemcen ancienne capital du Royaume de ce nom**, Paris, 1859.
- 5- Basset, Henri: **Le Culte Des Grottes au Maroc**, maison Bastide, jourdan jules carbonel, 1920.
- 6- Basset, René :**Recherchessur la Religion des Berberes**: Revue de l histor des Religions, Paris: Ernest lerouxEditeur, 1910.
- 7- Battaille, Geroges: **théorie de la religion**, Gallimard: paris,Tome 7, 1976.
- 8- Balandier, Geroges: **Societe traditionnelle in societes de lanimal a lhomme sou la direction de phlipe Brenot lharmathan**, paris: 1980 .
- 9- Jacques Berque: **Ulémas Fondateurs insurges du Maghreb xvii siècle**, Paris: la Bibliothèque Arabe Editions sindbed, 1982.
- 10- Berque, Jacques : **Structures sociaux du Haut Atlas**, paris: Presses Universtaires de France, 1955.
- 11- Berque, jaques: **Dépossession du Monde**, paris: Éditionsseuil, 1964.
- 12- Berque, Jacques: **l'Algerie terre D'art et D'histoire**,Alger 1937.
- 13- colonna, fanny: **les versets de l'invincibilité, "permanence et changements dans l Algérie contemporaine"**, paris: press de sciences, Biblioger gloss index,1995.
- 14- Bouzina, Oufriha Fatima Zohra : **Tlemcen – Capital Musulmane Le Siècle D'or du Maghreb Central** , Alger: Dalimen , 2011

- 15- Carrier, Michel: et Daniel Vidal: **Penser Le Sacre Les Sciences Humaines et L invention Du Sacre**, les Archives de sciences sociales des religions, n 136,éditions EHESS, Montrel libre , 2005.
- 16- Caillois, Roger: **Lhomme et le sacré**, Gallimrd, paris, 1951.
- 17- cazneeuve Jen: **Sociologie du rite (tabou- magie- sacré)**, éditions Presses Universtaires de France, paris, 1971.
- 18- chelhod, joseph: **Structure du sacré chez les Arabes**, paris: maisonneuve et larose, 1964.
- 19- Chevalier, Jean et, Alain Gheerbrant: **Dictionnaire des syinboles**, Édition Robert lafont, paris,1986.
- 20- colonna, fanny: **les versets de l'invincibilité, "permanence et changements dans l Algérie contemporaine"**, paris, press de sciences, Biblioger gloss index,1995
- 21- davan, mauris: **dictionnaire du francais**, Presses Universtaires de France, Paris, 1976.
- 22- Dermenghne, Emile: **le culte des saints dans l'islam Maghrébine**, paris: Édition Gallimard, 1954.
- 23- Dundes, Alan: **The Meaning Of Folklore: The Analytical Essays Of Alan Dundes**, university press of colorado: 1984.
- 24- Edmond doutté - **Magie et Religion dans l'Afrique du Nord** : Alger : typographe Adoulphejourdan Imprimeur- libraire- Éditeur 1909.
- 25- :**Les Marabouts** extrait de Revue d'histoire des Religions 1900
- 26- : **Notes surLislamMaghribein- Marabouts**:Extrait de la Revue de l histoire des Religion: Tomes xi et xii, paris: ernestlerouxEditer ,1900.
- 27- **l islam Algerien en l an 1900** , Alger: Giralt, 1900
- 28- Emile, Darkheim: **les formes élémentaires de la viereligieuse**, éditions Presses Universtaires de France, paris, 1968.
- 29- . Ferrie, Jean Noël: « **Lanthropologie du Maroc situation artuelle et perspectives** » annuiare de LAfrique du Nord, 1991, CNRS, paris, 1993, pp 1069-1077

- 30- Gieryn Thomas: **Aspace for in sociology**, **Annual Review of Sociology**, Vol.26, (2000), Édition Pupliced by Annulal Rreviews, 1975, p 463-496.
- 31- Gresle, francois: **dictionnaire des sciences humaines anthropologie, sociologie, psychologie, sociale**,paris: édition nathan, 1994.
- 32- Gsell stiven: **Histoir Ancienne de l'Afrique du Nord**, liberairie Hachette, Paris, 1926, en 8 tom.
- 33- René, Girard: **la violence et le sacré**, paris: Albin Michel Litterature Collection pluriel, 1990.
- 34- Laoust, Emle: **Mots et choses Berberes Notes de linguistique et dethnographie** .Dialectes du Maroc, paris: Augustin challamel Éditeur, 1920.
- 35- levé Makarius, Laura,**les sacré et la violation des interdits**, paris: éditions payot,1974.
- 36- Mircea, Eliade:**Aspects Du Mythe**, paris: Librairie Gallimard, 1963.
- 37- maisonneuve, jean: : **les conduits rituelles**,paris: Presses Universtaires de France, 2eme édition, 1995.
- 38- Malinowski Bronislaw Robert Redfield: **Magic Science And Religion and other Essays**, With An Introduction By Wareland Press,1954,
- 39- Marçais, Georges :**Tlemcen Viele et D'histoire**, paris: édition laurens collection, 1950.
- 40- Marçais Georges et William : **Les Monuments Arabes de Tlemcen**, Paris: Albert Fontemoing Editeur, 1903.
- 41- Mauss, Marcel: **Sociologie Et Anthropologie**, precede par claude levestrauss 13 édition quadrige 2013 p 32-143.Essai Sur Le Don Forme et raison de léchange dans les sociétés archaïques in sociologie et anthropologie, paris, puf quadrige édition, 1989
- 42- Montet, Edourd: **Le culte des saints Musulmanes dans L'Afrique de Nord- et plus spécialement au Maroc**.Librairie Georg et Cie Genève, 1909.

## قائمة المصادر والمراجع

---

- 43- Rinne Louis : **Marabouts et Khouans-étude sur L'islam en Algérie**, Adolphe jourdan libraire : éditeur, 1884
- 44- Rossi Catherine: Les Cornets de Tlemcen, Alger: édition dalimen , 2011. p 96

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

المقدمة.....خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

### الفصل التمهيدي المقدس بحث في الماهية والعلائق

المبحث الأول: المقدس والمدنس. 1.....

أولاً: المقدس في المدونة العربية. 1.....

ثانياً: ماهية المقدس. 5.....

1/ التعريف اللغوي: 5.....

2/ التعريف الاصطلاحي: 5.....

ثالثاً: مفهوم المقدس عند علماء الاجتماع وعلماء الأديان. 6.....

رابعاً: ماهية المدنس: 12.....

1/ تعريف المدنس: 12.....

المبحث الثاني: موقع الطقس في مجال المقدس. 13.....

أولاً: ماهية الطقس: 13.....

الطقس لغة: 13.....

الطقس اصطلاحاً: 14.....

ثانياً: الأسطورة لغة: 18.....

الأسطورة اصطلاحاً: 19.....

المبحث الثالث: رمزية الطقوس وعلاقتها بالاعتقاد. 21.....

أولاً: الرمز: 21.....

ثانياً: أنواع الرموز المقدسة ( الرمزية المائية وتقديس العيون المائية أمودجا): 22.....

ثالثاً: المعتقد: 23.....

المبحث الرابع: الاستشراق ونظرية مقدس الاحتراق. 24.....

### الفصل الأول: المعتقدات الشعبية والمقدس.

المبحث الأول: المعتقدات الشعبية والممارسات الطقوسية: 32.....

أولاً: الاعتقاد في سلطة الجن: 34.....

## فهرس الموضوعات

39.....	ثانيا: الاعتقاد في العين والحسد.
41.....	ثالثا: التطير والفأل: .....
44.....	المبحث الثاني: السحر والشعوذة: .....
44.....	أولا: السحر.....
51.....	ثانيا: الشعوذة.....
54.....	ثالثا: التفريق بين السحر والطلاسم والمعجزة والكرامة. ....
55.....	1/ المعجزة والسحر: .....
56.....	2/ السحر في المغرب الأوسط بين أحكام الشريعة ورأي المدرسة الاستشراقية. ....
58.....	3/ التداخل بين الدين والسحر.....
61.....	رابعا: الكهانة والتنجيم.....
61.....	1/ الكهانة والعرافة: .....
62.....	2/ صناعة النجوم (التنجيم): .....
66.....	3/ وجه إلحاق التنجيم بالسحر: .....
68.....	المبحث الثالث: البدع والخرافات وتأثيرها على الفرد والمجتمع: .....
68.....	أولا: تعريف البدعة: .....
75.....	ثانيا: نماذج من البدع.....
75.....	1/ بدعة تعليق التمام: .....
77.....	2/ بدعة التحية: .....
78.....	3/ ظهور الحركات الدينية المتطرفة بالمغرب الأوسط: .....
80.....	4/ علم الرمل: .....
82.....	5/ قراءة الكف: .....
83.....	6/ النظر في الكتف: .....

### الفصل الثاني: المقدس المدفون وبركة الزيارة.

88.....	المبحث الأول: الزاوية قطب مقدس.....
88.....	أولا: تعريف الزاوية ونشأتها.....

## فهرس الموضوعات

92.....	ثانيا: أنواعها:
99.....	ثالثا: الزيارة المقدسة:
102.....	رابعا: وظيفة الزاوية:
106.....	خامسا: الزاوية وظاهرة الشرف:
108.....	المبحث الثاني: الولاية والأولياء:
108.....	أولا: الولاية:
110.....	أ/ درجات الولاية:
112.....	ب/ أسس الولاية:
117.....	ثانيا: الولي:
118.....	أ/ البركة:
119.....	ب/ الكرامة:
124.....	ج/ تقديس الأولياء:
126.....	د/ نماذج عن الكرامة:
130.....	المبحث الثالث: الأولياء من النساء:
130.....	أولا: المرأة بين القداسة والدناسة:
134.....	ثانيا: اسم النساء والستر:
136.....	ثالثا: المرأة ذلك الخطر المحدق:
137.....	المبحث الرابع: نشأة الأضرحة وأنواعها.
137.....	أولا: نشأة الأضرحة.
139.....	ثانيا: العتبة:
140.....	ثالثا: مقدم الضريح:
141.....	رابعا: الضريح وعلاقته بالمجال السوسيوولوجي في المغرب الأوسط.
145.....	خامسا: موقف الفقهاء من زيارة الأضرحة.
145.....	سادسا: أهداف زيارة الأضرحة:

## فهرس الموضوعات

### الفصل الثالث: انعقاد الموسم والمظاهر الطقوسية

158.....	المبحث الأول: الحقل الطقوسي بالمغرب الأوسط.....
159.....	أولا: شهر رمضان.....
162.....	ثانيا: الاحتفال بعيد الفطر.....
165.....	ثالثا: موكب الحج.....
166.....	رابعا: الأضحية وطقوسها.....
169.....	خامسا: عاشوراء والزمن المتجدد.....
171.....	سادسا: المولد النبوي.....
176.....	سابعا: يوم الجمعة.....
177.....	المبحث الثاني: دورة الحياة وطقوسها.....
177.....	أولا: الولادة.....
179.....	ثانيا: العقيقة.....
181.....	ثالثا: الختان وإكتمال الذكورة.....
184.....	رابعا: الزواج.....
189.....	خامسا: الاحتفال بيناير وبداية السنة الزراعية.....
190.....	سادسا: السلطان والمقدس.....
191.....	المبحث الثالث: الموت وطقوس الجنائز.....
193.....	أولا: أسباب كثرة الموتان في المغرب الأوسط.....
196.....	ثانيا: طقوس الموت.....
197.....	1/ الاحتضار:.....
197.....	2/ كرامة معرفة وقت الموت:.....
199.....	3/ الإعلان عن الوفاة:.....
201.....	4/ تغسيل الميت:.....
202.....	5/ تكفين الميت:.....
203.....	ثالثا: الموكب الجنائزي والصلاة على الميت.....

## فهرس الموضوعات

205.....	1/ عادة دفن الجنازة:
207.....	2/ التعزية:
208.....	3/ نهاية الحداد:
208.....	4/ الوصية:
209.....	5/ طقس السبوع وأربعينة الميت:
210.....	6/ التكلم مع الموتى:
211.....	7/ العدة طقس عبور الأرامل:
215.....	الخاتمة
218.....	الملاحق
233.....	الفهارس
253.....	قائمة المصادر والمراجع

## ملخص الأطروحة:

هذه الدراسة هي بحث في التاريخ الاجتماعي وتاريخ الذهنيات والأفكار، تَبَعَتْ الدراسة بداية ماهية المُنَدَس ودلالة المصطلح، ورصدت الدراسة أهم المعتقدات السائدة والتي شملت حيزا واسعا ضمن ذهنية المجتمع، خاصة ما تعلق بالاعتقاد في سلطة الجن، والإصابة بالعين والحسد، وكذلك الاعتقاد في الفأل والطالع وغيرها، ومدى تغلغل ظاهري السحر والشعوذة في مجتمع المغرب الأوسط، وكانت عرضا لمختلف العوامل المتحكمة في ترسيخ ظاهرة زيارة الزوايا والأضرحة وتقديس الأولياء والتي انتشرت بشكل كبير، لقد كان مجتمع المغرب الأوسط يولي اهتماما خاصا بطقوس العبور المقدسة، سواء في مجال الفرح أو القرح (الحزن)، حيث رسمت لنا في مجملها صورة مقربة عن الذهنيات السائدة في مجتمع المغرب وكيف تعامل معها الفقهاء المالكية.

**الكلمات المفتاحية:** المقدس - المدنس - السحر - التنجيم - الولي - الزاوية - الضريح الموت - طقوس العبور.

### **Abstract:**

This study is a research in social history and the history of mentalities and ideas The study traced the beginning of the essence of the sacred and the significance of the term, determined the most important prevalent beliefs, which included a wide space within the mentality of the community, especially with regard to the belief in the power of the jinn and the devil and the envy, as well as the belief in foresights and omens, etc as well as the extent of the spread of the phenomena of witchcraft and charlatanism in the society of the Middle Maghreb, beliefs as much as it was a presentation of the various factors controlling the consolidation of the phenomenon of visiting of Zawias and shrines and sacralization for saints, which has spread widely.

The Middle Maghreb society was paying special attention to the sacred rites of passage, whether in the field of joy or ulcers (sadness). in its entirety, reflects for us a close picture of the prevailing mentalities in Maghreb society and how the Maliki jurists dealt with it.

**Key words:** the sacred- the légend- Magic- Zawias- the death- the rites of passage.

### **Résumé :**

La présente étude est une recherche dans l'histoire sociale et l'histoire des mentalités et des idées L'étude a suivi le début de l'essence du sacré et la signification du terme et a cherché sa connotation dans l'écrit médiateur, l'étude a déterminé les plus importantes croyances répandues qui ont inclus un large espace au sein de la mentalité de la société notamment en ce qui concerne la croyance dans le pouvoir du Djinn et l'envie ainsi que les croyances dans le présage, la voyance, etc. ainsi que l'ampleur de la propagation des phénomènes de la sorcellerie et du charlatanisme dans la société du Maghreb moyen,

les plus importantes qu'un exposé des différents facteurs contrôlant la consolidation du phénomène de la visite des Zaouia et des sanctuaires et la sacralisation des saints, qui s'est largement répandu.

Par ailleurs, la société du Maghreb Moyen a donné une grande importance aux rituels sacrés de passage dans le domaine du bonheur ou du deuil (la tristesse). dans leur ensemble une image rapprochée des mentalités répandues dans la société du Maghreb et comment les juristes Malikites y ont fait face.

**Mots clés:** le sacre- la légende- la Magie- Zaouia – la mort- rite de passage.